

إصدارات الاتحاد العام لمؤسسات دعم اللغة العربية في تشاد (2)

اللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء بين متطلبات الانتشار وتحديات الانحسار

اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء

أعمال وأبحاث أ.م.د. إبراهيم برمّة أحمد

رؤى

أعمال وأبحاث المؤتمر العلمي الدولي الأول
الذي أقامه الاتحاد العام لمؤسسات دعم اللغة العربية في تشاد
بالتعاون مع جامعة الملك فيصل بتشاد ومجموعة من المؤسسات
المهتمة باللغة العربية في أفريقيا وخارجها
في الفترة : ١٨-١٩ ديسمبر ٢٠٢١



تحرير

أ.م.د. إبراهيم برمّة أحمد

منسق المؤتمر

إشراف

د. حسب الله مهدي فضله

رئيس المؤتمر

انطلاقاً من مكانة اللغة العربية المتنامية عالمياً، وأنها أوسع اللغات انتشاراً في الفضاء الأفريقي ونظراً للاهتمام البالغ والجهود التي ظلت تشاد تبذلها منذ فترة في العناية باللغة العربية، باعتبارها مكوناً أساسياً للهوية الوطنية للشعب التشادي، وما يمثله الموقع الجغرافي المتميز لتشاد من مدلولات كحلقة تواصل بين أفريقيا والعالم العربي .

وسعيًا إلى إبراز ما أحدثته اللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء من تغييرات جوهرية في المقومات الحضارية والثقافية والاجتماعية لشعوب القارة الأفريقية . واستجابة للتحديات المتجددة التي تواجهها اللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء ومحبوها ومثقفوها في القارة الأفريقية، وتأكيداً لمكانة اللغة العربية الرفيعة في القارة الأفريقية تبعاً لمكانة اللغة العربية كإحدى اللغات العالمية الحية. واستشرافاً لأفاق اللغة العربية المستقبلية في أفريقيا جنوب الصحراء، وترسيخاً لأواصر الإيحاء والتعاون البناء بين أفريقيا والعالم العربي. ومواصلة لنتائج المؤتمرات العلمية حول اللغة العربية التي نظمها الاتحاد العام لمؤسسات دعم اللغة العربية في تشاد في السنوات الماضية ، وانسجاماً مع الدور المحور الذي تؤديه جمهورية تشاد بموقعها الجغرافي كجسر للتواصل الثقافي والعلمي بين أفريقيا والعالم العربي، فقد بادر الاتحاد لعقد مؤتمر علمي دولي تحت عنوان: (اللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء بين متطلبات الانتشار وتحديات الانحسار)، ووجه ندائه لمختلف المؤسسات المهتمة بأمر اللغة العربية في أفريقيا والعالم العربي، من مؤسسات وجمعيات ومنظمات وجامعات ومراكز بحوث، وأساتذة، وباحثين، وشخصيات، استجابت لهذا النداء، كوكبة من المؤسسات، من داخل تشاد، وأفريقيا، وخارجها، واستقبلت اللجنة العلمية أوراقاً وبحوثاً علمية وصل عددها ٦٥ ورقة وبحثاً علمياً لباحثين من ١٦ دولة أفريقية وعربية، ويأتي هذا الكتاب جامعاً لفعاليات هذا المؤتمر وما يحتويه من جلسات وحوارات وبحوث علمية، وما تمخض عنه من نتائج وتوصيات، أسهاماً في رسم المستقبل الواعد لهذه اللغة بحول الله وقوته.



اللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء بين متطلبات الانتشار وتحديات الانحسار

أعمال وأبحاث المؤتمر العلمي الدولي الأول
الذي أقامه الاتحاد العام لمؤسسات دعم اللغة العربية في تشاد
بالتعاون مع جامعة الملك فيصل بتشاد ومجموعة من
المؤسسات المهتمة باللغة العربية في أفريقيا وخارجها
في الفترة : 18-19 ديسمبر 2021

تحرير:

أ.م.د. إبراهيم برمة أحمد

منسق المؤتمر

إشراف:

د. حسب الله مهدي فضله

رئيس المؤتمر

مؤسسة رؤى للإبداع



-الطبعة:الأولى - الكتاب:اللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء - تحرير : دكتور إبراهيم برمّة أحمد - التصنيف:أعمال وأبحاث مؤتمر - المقاس:17-24 -رقم الإيداع:14951-2022 -الترقيم الدولي :4-23-6945-977-978	رئيس مجلس الإدارة صالح شرف الدين المدير العام. مصطفى عماد مدير الإنتاج أكثم صالح

(الأفكار الواردة في كل بحث يتحمل مسئوليتها الباحث)

رؤى للإبداع: طباعة، نشر، توزيع

298 فيصل الرئيسي - الجيزة - مصر

ت / 01006588995 - 01283622972

Email:syash4@hotmail.com

www// :https facebook.com/saleh.sharfeldeen

جميع الحقوق محفوظة للاتحاد العام لمؤسسات دعم اللغة العربية في تشاد

تحت الرعاية السامية لفخامة السيد

رئيس المجلس العسكري الانتقالي رئيس الجمهورية رئيس الدولة

الفريق اول محمد ادريس ديبى اتنو

أقام الاتحاد العام لمؤسسات دعم اللغة العربية في تشاد
بالتعاون مع المؤسسات المهمة بأمر اللغة العربية في افريقيا والعالم
العربي، من مؤسسات وجمعيات ومنظمات وجامعات ومراكز بحوث،
هذا المؤتمر العلمي الدولي تحت عنوان:
(اللغة العربية في افريقيا جنوب الصحراء بين متطلبات الانتشار وتحديات
الانحسار)

في الفترة : 18-19 ديسمبر 2021

بالتزامن مع فعاليات الأسبوع الوطني للغة العربية في تشاد الدورة التاسعة
والاحتفال باليوم العالمي للغة العربية - دورة 2021م

تقديم:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا.

انطلاقا من مكانة اللغة العربية المتنامية عالميا، وأنها أوسع اللغات انتشارا في الفضاء الإفريقي ونظرا للاهتمام البالغ والجهود التي ظلت تشاد تبذلها منذ فترة في العناية باللغة العربية، باعتبارها مكون أساسي للهوية الوطنية للشعب التشادي، وما يمثله الموقع الجغرافي المتميز لتشاد من مدلولات كحلقة تواصل بين إفريقيا والعالم العربي .

وسعى إلى إبراز ما أحدثته اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء من تغييرات جوهرية في المقومات الحضارية والثقافية والاجتماعية لشعوب القارة الإفريقية .

واستجابة للتحديات المتجددة التي تواجهها اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء ومحبوها ومتقفوها في القارة الإفريقية، وتأكيدا لمكانة اللغة العربية الرفيعة في القارة الإفريقية تبعا لمكانة اللغة العربية كأحدى اللغات العالمية الحية. واستشرافا لآفاق اللغة العربية المستقبلية في إفريقيا جنوب الصحراء، وترسيخا لأواصر الإخاء والتعاون البناء بين إفريقيا والعالم العربي.

ومواصلة لنتائج المؤتمرات العلمية حول اللغة العربية التي نظمها الاتحاد العام لمؤسسات دعم اللغة العربية في تشاد في السنوات الماضية ، وانسجاما مع الدور المحور الذي تؤديه جمهورية تشاد بموقعها الجغرافي كجسر للتواصل الثقافي والعلمي بين أفريقيا والعالم العربي،

فقد بادر الاتحاد لعقد مؤتمر علمي دولي تحت عنوان: **(اللغة العربية في إفريقيا جنوب**

الصحراء بين متطلبات الانتشار وتحديات الانحسار)، ووجه ندائه لمختلف المؤسسات المهمة بأمر اللغة العربية في إفريقيا والعالم العربي، من مؤسسات وجمعيات ومنظمات وجامعات ومراكز بحوث، وأساتذة، وباحثين، وشخصيات، فكان في مقدمة المؤسسات التي استجابت لهذا النداء، هذه الكوكبة من المؤسسات، من داخل تشاد، وأفريقيا، وخارجها، وتتمثل تلك المؤسسات في الاتي:

✓ جامعة الملك فيصل - تشاد

✓ جامعة سليمان الدولية - تركيا

✓ جامعة المرقب - ليبيا

✓ جامعة التضامن الفرنسية العربية - النيجر

✓ المعهد الجامعي للعلوم التطبيقية والإنسانية- تشاد

✓ الاتحاد الدولي للمؤرخين - بلجيكا

✓ المركز التربوي الإقليمي للإيسيسكو - تشاد

✓ المركز النيجيري للبحوث العربية- نيجيريا

✓ المركز الثقافي للبحوث والدراسات الإفريقية والعربية- تشاد

✓ منظمة الشفيع للتنمية والتعليم والأعمال الخيرية- تشاد

✓ مركز الصفا لدراسات والبحوث بأنجمينا - تشاد

وقد عينت هذه المؤسسات ممثلين عنها في مختلف اللجان المنظمة للمؤتمر الذي كانت المشاركة فيه بشكل افتراضي بالنسبة للباحثين من الخارج، وبشكل حضوري من المشاركين المقيمين في الداخل، حيث استقبلت اللجنة العلمية أوراقا وبحوثا علمية تعالج ما تهدف إليه الندوة، وصل عددها 65 ورقة وبحثا علميا لباحثين من 16 دولة إفريقية وعربية وهي: (تشاد - مصر - ليبيا - تونس - المغرب - الجزائر - موريتانيا - غامبيا - الصومال - جيبوتي - السودان - نيجيريا - الكمرون -

سوريا – لبنان – العراق). أملين ان يكون انعقاد هذا المؤتمر وما يحتويه من جلسات وحوارات وبحوث علمية، وما تمخض عنه من نتائج وتوصيات، فاتحة خير لمعالجة ما تعاني منه اللغة العربية من إشكاليات وعقبات متعددة في افريقيا جنوب الصحراء، وأن يسهم بخطوات ونتائج علمية عملية تعضد الإيجابيات، وتعالج السلبيات، وترسم المستقبل الواعد لهذه اللغة بحول الله وقوته.

ولا يسعنا في الختام الا ان نتقدم بجزيل الشكر والتقدير لكل أعضاء اللجنة التحضيرية للمؤتمر بلجانها الفرعية المختلفة، وفي مقدمتها اللجنة العلمية بأعضائها من داخل البلاد وخارجها الذين أشرفوا على تقديم هذه البحوث قراءة وتصويبا وتدقيقا، حتى خرجت أعمال المؤتمر بهذه الصورة المتميزة، ونقف هنا وقفة إجلال وتقدير لفقيد الأمة والعلم والمعرفة الأخ الأستاذ الدكتور الطيب إدريس حلولو رئيس اللجنة العلمية للمؤتمر، الذي ظل متابعا لخطوات تنظيم المؤتمر رغم ظروفه الصحية، حتى لبي نداء ربه وانتقل إلى الرفيق الأعلى ، بعد أشهر من انتهاء أعمال المؤتمر، نسأل الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ويدخله فسيح جناته، ويجعل ما قدمه في ميزان حسناته.

والشكر موصول لكل من ساهم في ان يصل هذا العمل الي حيز النور ، متضرعين الي المولى جل وعلا ان تعم به الفائدة ، وان ينصلح به حال وضع اللغة العربية والثنائية اللغوية في تشاد وأفريقيا والعالم أجمع. أنه ولي ذلك والقادر عليه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. حسب الله مهدي فضله
رئيس المؤتمر

نبذة تعريفية عن المؤتمر العلمي الدولي الأول: أهدافه ومحاوره ولجانه

أهداف المؤتمر:

سعى هذا المؤتمر إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- 1- رصد آخر أوضاع اللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء ومكانتها التي وصلت إليها.
- 2- إبراز المساهمات الحضارية للغة العربية في المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية والعلمية والاعلامية في أفريقيا جنوب الصحراء.
- 3- العمل على وضع استراتيجيات تساهم في توسيع نطاق انتشار العربية في أفريقيا جنوب الصحراء.
- 4- الوقوف على جهود تعليم وتدرّيس اللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء ، للاستفادة من أنجح الأساليب والوسائل الحديثة لتطوير هذا المجال .
- 5- العمل على تعزيز مكانة اللغة العربية على الصعيد الإفريقي والدولي .
- 6- تلمس الرؤى والآفاق المستقبلية للغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء.
- 7- تأسيس هيئة إفريقية مدنية تعني بتطوير العربية في أفريقيا جنوب الصحراء ومعالجة الإشكالات التي تقف في طريقها، يكون مقرها الدائم في إحدى العواصم الإفريقية، مع فتح فروع في البلاد الأخرى.

المحاور الأساسية للمؤتمر :

المحور الأول : الأبعاد التاريخية والحضارية والاجتماعية للغة العربية في إفريقيا

- تاريخ دخول وانتشار اللغة العربية في الشعوب والمجتمعات والبلدان الإفريقية .
- المراكز الحضارية لنشر اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء قديما وحديثا.
- إسهامات العربية في الحضارات والثقافات والممالك والسلطنات في إفريقيا جنوب الصحراء.
- مساهمة اللغة العربية في تشكيل هوية بعض الشعوب الإفريقية .
- مساهمة اللغة العربية في نشر حركة الوعي والتمدد في المجتمعات الإفريقية .
- مواقف القوى الأوروبية من اللغة العربية عند استعمارها للقارة الإفريقية .

المحور الثاني : اللغة العربية في تشاد بين الأمجاد الحضارية والحقائق الواقعية:

- تشاد كمركز لنشر اللغة العربية في وسط إفريقيا في القديم والحديث .
- الأدب العربي تاريخه وواقعه ومستقبله ودوره في اللغة العربية في تشاد .
- رسمية اللغة العربية في تشاد .. المتحقق والمأمول .
- الثنائية اللغوية في تشاد بين القوانين والتطبيق .. الإيجابيات والسلبيات .
- واقع اللغة العربية في تشاد بين الشعب والحكومات .
- التعليم العربي التشادي ومساهمته في التنمية الحضارية في تشاد .

المحور الثالث : الوضع الراهن للغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء:

- وضع العربية الراهن في المؤسسات التعليمية: (المدارس، المعاهد، مراكز البحوث، الجامعات... الخ)
- مؤسسات نشر اللغة العربية في العصر الحديث والمعاصر .
- وضع اللغة العربية الراهن في المجالات السياسية والدبلوماسية والاجتماعية والاعلامية.
- استخدام اللغة العربية على الصعيدين الرسمي والأهلي.
- اللغة العربية كلغة طبقة مثقفة في الماضي والحاضر .

- مناطق تماس الدول الافريقية مع الدول العربية ومساهمتها في نشر اللغة العربية ونموها.

المحور الرابع : اللغة العربية والتعليم في افريقيا جنوب الصحراء:

- اللغة العربية والعلوم الانسانية والتطبيقية.
- مراكز ومعاهد تدريس وتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.
- أقسام وكليات اللغة العربية في الجامعات الأفريقية، وكليات الدراسات العليا بها.
- مراكز بحوث اللغة العربية في افريقيا.
- مناهج وأساليب تدريس وتعليم اللغة العربية في الماضي والحاضر، في المؤسسات النظامية والأهلية وانعكاساتها الايجابية والسلبية في افريقيا جنوب الصحراء.
- تدريس التخصصات الجامعية والعليا باللغة العربية في افريقيا جنوب الصحراء.

المحور الخامس : اللغة العربية والإبداع الأدبي والفكري الافريقي:

- الكتاب والمؤلفات باللغة العربية في افريقيا .
- الأدب الافريقي المكتوب بالعربية (الشعر، القصة، المسرح، الإذاعة والتلفزيون).
- التأثير والتأثر بين اللغة العربية واللغات الافريقية.
- اللغة العربية واللغات الاوروبية الحديثة في افريقيا .
- المراكز الثقافية للدول العربية ودورها في نشر اللغة العربية في افريقيا .
- اللغة العربية والكتابة الالكترونية والشبكة العنكبوتية (الانترنت) ودعمها لنشر اللغة العربية في افريقيا .

المحور السادس : اللغة العربية ودورها في التنمية وآفاقها المستقبلية في افريقيا:

- اللغة العربية في الإدارة والاقتصاد والسياسات العامة بإفريقيا.
- اللغة العربية جسر التواصل الحضاري والدبلوماسي والتعايش السلمي في افريقيا .
- المؤسسات الداعمة للغة العربية في افريقيا وخارجها (الانجازات والمتطلعات) .
- البنوك وبيوت التمويل والاستثمار والمشاريع التنموية العربية في افريقيا .
- المنظمات والمؤسسات والجمعيات والحكومات العربية ومساهماتها في التنمية في افريقيا.
- المشاريع التنموية المشتركة بين الدول الافريقية والدول العربية .
- السياسات الدولية والتنسيق الافريقي العربي.
- التحديات التي تواجه اللغة العربية في افريقيا .
- الرؤى والآفاق المستقبلية للغة العربية في افريقيا .
- الآليات المقترحة للتنسيق بين المؤسسات المهمة باللغة العربية في أفريقيا.

اللجنة الشرفية العليا للمؤتمر

1. الدكتور/ حسن بوبا جمعة، رئيس جامعة الملك فيصل بتشاد
2. الأستاذ الدكتور/ ابراهيم سعيد البيضاني، رئيس الاتحاد الدولي للمؤرخين للتنمية والثقافة والعلوم الاجتماعية - بلجيكا- بروكسل.
3. الأستاذ الدكتور/ مصعب الجمل، رئيس جامعة سليمان الدولية - تركيا
4. الأستاذ الدكتور/ محمد إجمد أبوراس ، وكيل الشؤون الأكاديمية لجامعة المرقب - ليبيا
5. الأستاذ الدكتور/ الخضر عبد الباقي، رئيس المركز النيجيري للبحوث العربية
6. الأستاذ الدكتور/ محمد النظيف يوسف، ممثل جامعة التضامن الفرنسية العربية- النيجر
7. الدكتور/ علي محمد قمر السليك، مدير المركز التربوي الاقليمي للإيسيكو في تشاد
8. الدكتور/ حقار محمد أحمد، رئيس المركز الثقافي للبحوث والدراسات الافريقية والعربية بتشاد
9. الدكتور/ حسين أحمد جمعة، ممثل المعهد الجامعي للعلوم التطبيقية والإنسانية- تشاد
10. الأستاذ/ المهدي يوسف محمد ، رئيس منظمة الشفيع للتنمية والتعليم والأعمال الخيرية.

رئيس المؤتمر:

الدكتور/ حسب الله مهدي فضله

نائب رئيس المؤتمر:

الدكتور/ اسماعيل عيسى يوسف

منسق المؤتمر:

أ.م.د. ابراهيم برمة أحمد

رئيس اللجنة التحضيرية:

د. خالد ادم موسى

نائب رئيس اللجنة التحضيرية:

الأستاذة. فاطمة الزهراء الرشيد

رئيس اللجنة العلمية:

الأستاذ الدكتور/ الطيب ادريس حلولو

نائب رئيس اللجنة العلمية:

الأستاذ الدكتور/ محمد عمر الفال

أعضاء اللجنة العلمية للمؤتمر:

1. الأستاذ الدكتور / عثمان محمد آدم – تشاد
2. الأستاذ الدكتور / آدم محمد حسن كبس – السودان
3. الأستاذ الدكتور / ايدير غينيات - الجزائر
4. الأستاذ الدكتور / محمد عيسى حسن جمعة - تشاد
5. الدكتور / الصادق أحمد آدم – تشاد
6. الدكتور / أحمد الرفاعي محمود – تشاد
7. الدكتور / أحمد بركة الله زايد - تشاد
8. الدكتور / إسماعيل حامد إسماعيل - مصر
9. الدكتور / إلهام علي أبوسطاش – ليبيا
10. الدكتور / باب ولد أحمد سيديا - موريتانيا
11. الدكتور / بشر تيار صندل – تشاد
12. الدكتور / تيراب جبرين – تشاد
13. الدكتور / جميل اسكندر – لبنان
14. الدكتور / الحبو تجاني مصطفى- تشاد
15. الدكتور / حسب الدائم ادم جرام – تشاد
16. الدكتور / حسن سجال – جيبوتي
17. الدكتورة / زهرة الثابت- تونس
18. الدكتور / صالح محمد محروس – مصر
19. الدكتور / عبد الرحمن أحمد عيسى – تشاد
20. الدكتورة / عفاف محمد عlish عووضة – تشاد
21. الدكتور / علي عبد الله محمد – نيجيريا
22. الدكتور / عماد غنوم – لبنان
23. الدكتور / عمر مصطفى محمد - تشاد
24. الدكتور / فايز التمر – سوريا
25. الدكتور / قمر محمد قمر – تشاد
26. الدكتورة / لعربي حجيلا – الجزائر
27. الدكتورة / محجوبة العوينة - المغرب
28. الدكتور / محمد عبد الله – مصر
29. الدكتور / محمد أمين أبه الأبقاري - تشاد
30. الدكتور / هاني جرجس – لبنان
31. الدكتور / يسرى الغراوي – مصر

اللسان العربي التشادي وثنائية اللغة

د/ أيمن غباشي محمود زغيب

أستاذ اللغويات (النحو والصرف) المشارك جامعة الطائف

و عضو مجمع اللغة العربية بمكة المكرمة

و عميد كلية اللغة العربية بجامعة الملك فيصل بتشاد سابقاً

البريد الجامعي : a.ghobashy@tu.edu.sa

البريد الإلكتروني : draymn2@gmail.com

الجوال والواتساب : 00966590171434

ملخص البحث والدراسة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد ...

فلقد بعثت من قبل الأزهر الشريف لجامعة الملك فيصل بتشاد عام 2007 - 2010م وذلك لتدريس اللغة العربية وخاصة اللغويات النحو والصرف لطلاب كلية اللغة العربية والدراسات العليا بالجامعة , ولنشر الثقافة الإسلامية والفكر اللغوي , وعينت عميداً لكلية اللغة العربية بالجامعة , وأشرفت على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه وناقشت العديد منها .

ولقد حظيت العلوم العربية بعناية فائقة ومتابعة خاصة واهتمام أوسع عند التشاديين وذلك لحفظهم القرآن الكريم ليس بحرف واحد بل بسبعة أحرف , ولقد شاركوا في التأليف والكتابة والشعر , والتصنيف في العلوم ذات الصلة بالقرآن الكريم واللغة العربية , ومنذ عام ست وتسعين وتسعمائة وألف أصبحت تشاد بصورة رسمية دولة ذات لغتين رسميتين , ولقد بذل المهتمون باللغة العربية جهوداً كبيرة حتى تم الاعتراف باللغة العربية وكان الانتصار له اعتباره , ولكن بقي عندهم معركة أخرى ألا وهي معركة المساواة الحقيقية بين اللغتين في الوسائل التعليمية الرسمية والإدارية ووسائل الإعلام الرسمية , ولقد أصدر رئيس الجمهورية مرسوماً رئاسياً يدعو فيه إلى المساواة في كافة المؤسسات التعليمية , ودعم المسألة بإرادة قوية , وأن تطبق المساواة بين العربية لغة الشارع التشادي , والفرنسية لغة إدارة تشاد , ولقد تقدمت الثقافة العربية وتراجعت الثقافة الفرنسية , ولقد بلغت نسبة الناطقين باللغة العربية ثمانين في المئة , والناطقين باللغة الفرنسية أقل من عشرين في المئة من السكان , وبعد ...

فسوف أتكلم في هذه الورقة البحثية عن : معنى الثنائية اللغوية لغة واصطلاحاً وكيف تأصلت التسمية , وكيف نشأت الثنائية اللغوية , وما أنواعها , والعلاقة بين الثنائية اللغوية والازدواجية , وسأختم تلك الورقة العلمية بالمقترحات والتوصيات , ومن أهمها دعم دولة تشاد بالكثير من الإمكانيات المادية والمالية لإنشاء المؤسسات العلمية والتعليمية وأقترح أن يكون بدولة تشاد مجعاً للغة العربية يجمع الكثير من علماء العربية ويكون لهم شبكة عنكبوتية تجمع اللغة العربية وفروعها , وأن يكون لهم مطابع لطباعة الكتب والمخطوطات النادرة لهم ولسائر الدول المجاورة لهم .

وسأختم البحث بقائمة فيها أهم المصادر والمراجع والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل أشكر كل القائمين على هذا المؤتمر العلمي الدولي , وأدعو الله للجميع بالتوفيق والسداد , وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين , والصلاة والسلام على أشرف الخلق وإمام المرسلين , سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا أما بعد ... فقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وقائمة بأهم المصادر والمراجع . أما المقدمة ففيها أهمية الموضوع وسبب اختياري له وقد ذكرت ذلك في ملخص البحث ... وأما التمهيد فتحدثت فيه عن اللسان العربي الوارد في القرآن الكريم . وأما المبحث الأول : فتحدثت فيه عن معنى الثنائية اللغوية في اللغة والاصطلاح , وكيف تأصلت تلك التسمية . وأما المبحث الثاني : فتحدثت فيه عن نشأة الثنائية اللغوية وأنواعها ... وأما المبحث الثالث : فتحدثت فيه عن العلاقة بين بين الثنائية والازدواجية ... وختمت الدراسة بأهم المقترحات والتوصيات التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار ... وذيلت الدراسة بقائمة فيها أهم المصادر والمراجع ... وفي النهاية لا يسعني إلا أن أتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير لكل القائمين على هذا المؤتمر العلمي الدولي , وأخص الاتحاد العام لمؤسسات دعم اللغة العربية في تشاد ... نفع الله بكم جميعًا وسدد على الدرب خطاكم , وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أولاً - التمهيد : في (معنى كلمة اللسان العربي)

لقد وردت كلمة اللسان في القرآن الكريم لمعان متعددة

1- وردت بمعنى العضو المعروف كقوله تعالى " واحلل عقدة من لساني " (1)

وكقوله سبحانه : " وأخي هارون هو أفصح مني لساناً " (1)

وكقوله تعالى : " لا تحرك به لسانك لتعجل به " (1)

وكقوله جل وعلا : " ألم نجعل له عينين ولساناً وشفقتين " (1)

2- وتأتي تارة ويقصد بها الثناء الحسن كقوله تعالى : " وجعلنا لهم لسان

صدق علياً " (1) وكقوله سبحانه : " واجعل لي لسان صدق في الآخرين " (1)

3- وقد تأتي في سياق آخر ويراد منها اللغة : كقوله تعالى : " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم " (1)

وكقوله تعالى : " لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين " (1)

وكقوله سبحانه : " بلسان عربي مبين " (1)

وقد تأتي لغير ذلك مما يفهم من سياق الكلام . (1)

يونس بن حبيب : أول من تكلم بالعربية ونسي لسان أبيه إسماعيل بن إبراهيم , وقول بن سلام الجمحي : ولكن العربية التي غني بها هي اللسان الذي نزل به القرآن , وما تكلمت به العرب على عهد النبي ﷺ , وتلك عربية أخرى غير كلامنا هذا . (1)

وقد استعمل هذا المصطلح بعض القدامى العرب يقول الفارابي علم اللسان ضربان أحدهما - حفظ الألفاظ الدالة عن أمة ما وهو علم ما يدل عليه شيء منها . ثانيها :

علم قوانين تلك الألفاظ . (1)

فاللسان العربي أكبر من الحاسوب , والحاسوب عاجز عن استيعاب اللسان العربي في خصائصه كلها إذ لو أننا رجعنا إلى ذلك الكم الهائل في نظام التقاليد الذي عرفه معجم العين لتفجر الحاسوب . فاللسان العربي هو لسان لغة , ولسان كلام , ولسان بيان , ولسان بنية وتركيب (1) لهذا قلت اللسان العربي التشادي فلسانهم عربي بفضل القرآن الكريم وقراءاته . وبفضل الخلاوي القرآنية التي يتدارسون فيها القرآن الكريم فلسانهم عربي فصيح .

المبحث الأول : معنى الثنائية اللغوية في اللغة والاصطلاح وكيف تأصلت

من يتكلم لغتين على مستوى واحد . ولفظ ثنائي ذو حرفين ثنائية مفرد اسم مؤنث منسوب إلى ثناء مصدر ثنائي من ثناء , والثنائية فكرة تذهب في تفسير العالم إلى القول بمبدأين متقابلين كالخير والشر. (1) والثنائية تعبير يقصد به لغة والتكلم بلغة أخرى , وكلمة ثنائية تحمل معنى وجود أكثر من شكل من الأشكال اللغوية والتي ليست بالضرورة مزدوجة . (1)

ثنائية اللغة وتحديد المصطلح : يرى مشال زكريا أن الثنائية اللغوية هي الوضع اللغوي لشخص ما أو لجماعة بشرية معينة تتقن لغتين وذلك من دون أن تكون لدى أفرادها قدرة كلامية مميزة في لغة أكثر مما في اللغة الأخرى ,

وهي الحالة اللغوية التي يستخدم فيها المتكلمون بالتناوب وحسب البيئة والظروف اللغوية لغتين مختلفتين , ويقول كذلك إن الفرد ثنائي اللغة حين يمتلك عدة لغات تكون مكتسبة كلها للغة أم يعني كون الفرد قادراً على تكلم لغتين في مجتمع واحد . . (1)

أما معجم اللسانيات الحديثة فيعرف الثنائية اللغوية بأنها : ظاهرة تعني استعمال الفرد أو المجتمع في منطقة معينة لغتين مثل استعمال الفرنسية والألمانية في أنحاء سويسرا (1) وتتخذ الثنائية اللغوية لدى اللسانيين المحدثين مظهرين: مظهر فردي يتمثل في المرء يعرف لغتين معرفة متكافئة أو متفاوتة،

ومظهر اجتماعي : يتمثل في المجتمع يستعمل أعضاؤه لغتين مختلفتين يجتازون استعمال إحداها في مواقف معينة ويستعملون الثانية في مواقف أخرى , وقد يزاوجون بين اللغتين في موقف تواصل واحد في آن معاً . (1) وهناك اتجاه يرى أن الثنائية اللغوية هي عبارة عن حالة وجود لغة واحدة بمستويين مختلفين , واحد عامي , والثاني فصيح عند شعب ما وذلك كوجود اللغة العامية بجانب اللغة الفصحى عند العرب . (1)

وقد وردت عدة تعريفات لمصطلح الثنائية اللغوية , وشاعت بين الدارسين نذكر بعضها هنا لأهميتها :

1- أن يتكلم الناس في مجتمع "ما" بلغتين .

2- أن يعرف الفرد لغتين .

3- أن يتقن الفرد لغتين

4- أن يستعمل الفرد لغتين . (1)

وقد تتسم بالنقص والغموض للأسباب الآتية :

1- يشير التعريف الأول إلى ثنائية لغوية مجتمعية , دون الإشارة إلى الثنائية اللغوية الفردية . أي أنها قد تكون في المجتمع فقط , أو أن الثنائية مقتصرة على الفرد , لهذا أعتبر التعريف الأول ناقصاً .

2- استخدام التعريف الثاني للفظ يعرف فهو لفظ غامض وواسع وإلى أي درجة تكون المعرفة , هل تشمل المهارات اللغوية (الاستماع - الكلام - القراءة - الكتابة) (1)

3- التعريف الثالث : يشترط درجة الإتقان في مفهوم الثنائية لكن ماذا عن الأشخاص الذين يعرفون لغتين بدرجة متفاوتة .

4- التعريف الرابع: يستخدم كلمة يستعمل ولكن ما معنى الاستعمال , هل يكون لجميع المهارات اللغوية , أم إحداها. من خلال هذه التعريفات التي أوردها الأستاذ/ محمد الخولي يتبين أنه لا يوجد تعريف واضح للثنائية اللغوية , لأن كل فرد في المجتمع أثناء تعامله مع اللغة قد يكون تعامله متفاوتاً بين : عارف , ومستعمل , ومتقن للغة . (1) إضافة إلى أن يستعمل هذا المصطلح في المجال اللساني للدلالة على الشخص المتكلم الذي يتحدث لغتين مختلفتين بمستوى واحد من الاتقان , ويقابل المتكلم المتعدد اللغات والأحادي اللغة , وتعد الثنائية بالنسبة إلى الدول التي لديها أكثر من من لغة أو لهجة إلى جانب اللغة الرسمية إحدى المشكلات اللسانية التي يعوق عملية التعلم ... (1) ويرى بعضهم أن الثنائية يمكن تعريفها بأنها : قدرة الفرد على استعمال لغتين يمكن اعتبار كل واحدة منهما بوجه أو أكثر لغة أصلية بالنسبة له , كما ذهب بعض اللغويين لتوسيع مضمون الازدواجية إلى أن مضمونها يشمل القدرة (1) على الحديث بلغتين مختلفتين بغض النظر عما إذا كانت كل واحدة من اللغتين أصلاً بالنسبة للمتكلم أم لا وهو توسيع ضرورة لا مسوغ , كما أنه قد يؤدي إلى اختلاط في بحث المشكلات الناجمة عن ظواهر مختلفة , الأمر الذي يصعب معه تحديد تلك المشكلات وحلها , فالفرد الذي يتكلم لغتين دون أن تكون كل واحدة منهما لغة أصلية بالنسبة إليه لا يعاني بالضرورة من مشكلات ثقافية انتمائية بمجرد معرفته اللغتين , ولكن الفرد الذي يتكلم لغتين مع كون كل واحدة منهما لغة أصلية بالنسبة له قد يجد شيئاً عن الثنائية في الانتماء أو اتجاهات نفسية متضادة تتمثل في تفضيل إحدى اللغتين على الأخرى أو أحد الانتمائين على الآخر , وقد وجدت هذه المشكلة في حالات كثيرة في المجتمعات الغربية قام بدراستها باحثون كثيرون . (1)

المبحث الثاني : نشأة الثنائية اللغوية وأنواعها .

لم يظهر مصطلح هذه الظاهرة اللغوية في اللسانيات إلا في عام 1959م حين استخدمه اللساني الأمريكي شار فيرغسون وعرفها بأنها وضع مستقر نسبياً توجد فيه بالإضافة إلى اللهجات الرئيسة للغة تختلف عنها وهي متقنة

بشكل متقن , ويتفق جميع اللغويين العرب مع فيرغسون على أن العاميات العربية هي ليست لغات مستقلة عن العربية الفصحى , وإنما لهجات جغرافية , أو اجتماعية أصابها شيء من التغيير أو التحريف في بعض ألفاظها وبنيتها ودلالاتها , وأن الفصحى أغنى من العاميات في مفرداتها ومصطلحاتها وتراكيبها وأن قواعدها أكثر تطوراً وتقنيّاً وأوسع انتشاراً جغرافياً , فنجد في الجزائر أن اللغة الرسمية هي اللغة العربية التي لا تتطابق مع لغة الأم أو اللغة التي يكتسبها الطفل في البيت والمتمثلة في الدارجة ثم الفرنسية التي هي حكرة الطبقة المترفة والمتقنة وهي مظهر من مظاهر الرفاهية والرقى عند من يتكلمون بها وهم المصابون بعقدة الخواجة حسب تعبير على القاسمي أي لديهم شعور بأن الأجنبي أفضل منهم .

(1) كذلك اللغة التي يتحدثون بها في تشاد هي اللغة الفرنسية واللغة الثانية هي اللغة العربية والتي أصبحت الآن هي اللغة الأم والأولي في الدولة لغة التعليم واللغة التي أخذت المركز الأول بدل الفرنسية ... أصل التسمية : لعل محاولة تقديم تحديد واضح لمصطلح الثنائية اللغوية وكيفية ظهوره قد يكون من الصعوبة بمكان لما وجدناه من اختلاف في ضبطها من العلماء في كتبهم ومقالاتهم وهو ما أشار له أندريه مارتينييه حينما رأى أن وجود هذه المصطلحات غير واضحة المعالم بحكم أنها ظواهر لأنهم علماء اللغة وحدهم بل يشترك فيها كثير من العلماء على اختلاف تخصصاتهم . (1)

موفق المفكرين العرب من ظاهرة الثنائية في اللغة العربية:

ذهب هؤلاء المفكرون العرب مذاهب وآراء ثلاثة وهي:

1- موقف يرى أن نسمو بالعامية إلى الفصحى , فتعمل بمختلف الوسائل كي يتكلم الناس العربية الفصحى في جميع شؤونهم، وبذلك تصبح الفصحى لغة طبيعية، تنتقل من السلف إلى الخلف عن طريق التقليد، فلا يقضي التلميذ في تعلمها إلا وقتاً يسيراً ، يتفرغ من بعده إلى حقائق العلوم وشؤون الحياة.

2- موقف يدعو إلى نوع الملاقة أو التوحيد بين الفصحى والعامية، ويكون ذلك بأخذ ما يستطاع أخذه من كل منهما.

3- موقف يدعو إلى اعتماد العامية في الكتابة العلمية والأدبية وفي مختلف الشؤون التي تستخدم فيها الفصحى .

أنواع الثنائية اللغوية:

وتظهر هذه الثنائية في مجالات كثيرة من مجالات الحياة، وفي جوانب متعددة من جوانب المجتمع، مما يترتب عليه اختلاف أشكال هذه الثنائية في اختلاف المجالات الاجتماعية التي تظهر فيها . ودارت محاورها في مجملها حول الفرد والمجتمع اعتماداً على أساس درجة الإتقان، وطريقة التعلم، وكذا المهارات اللغوية والقافية وغيرها، حيث نتج عن هذه الأمور أنواع متعددة من هذه الثنائية أهمها : الثنائية

الفردية *individual bilingualis* يتعلق هذا النوع من الثنائية بالفرد بشكل خاص، فإذا كان مدار الحديث الفرد ولغته، فإن معنى ذلك، الحديث عن الثنائية اللغوية الفردية وفي مثل هذه الحالة تتم دراسة الثنائية اللغوية كظاهرة فردية، وتسمى بالفردية لأنها تختص بالفرد وتنسب إليه

- الثنائية المجتمعية *sociétal bilingualism* هذا النوع يعني دراسة هذه الظاهرة كظاهرة عامة في المجتمع، تتناول هذه الدراسة العوامل اللغوية المتصارعة داخل المجتمع، و تفاعلاتها و تأثيراتها في ذلك المجتمع، و هذا يتطلب دراسة اللغات المستخدمة في هذا المجتمع، فندرس اللغة الأقوى، و لغة الأكثرية، و لغة الأقلية، بغرض وضع سياسة ناجحة في التعليم وهذه الثنائية تعني أن هناك لغتين مستخدمتين في مجتمع ما، كما لا تعني ضرورة استخدام كل من الأفراد المجتمع للغتين. (1)

- الثنائية الأفقية *Horizontal bilingualism*

إذا استخدم أفراد مجتمع ما لهجتين - اللغتان - للغة واحدة، إحداهما الفصحى أو العالية وهي التي تتمتع بمكانة عالية وتستخدم في مستويات اجتماعية معنية و ثانيهما اللهجة العامية أو الدارجة وهي أقتل شأنًا من سابقتها في الحياة العامة، ولا ترقى إلى المستويات الرسمية أو الثقافية، في مثل هذه الحال يطلق على الثنائية اللغوية الرأسية vatical bilmgualism كما يطلق عليها اسم الثنائية اللهجية. (1)

المبحث الثالث : الازدواجية اللغوية ، والعلاقة بين الثنائية اللغوية والازدواجية

الازدواجية تعريفها: لغة :جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة :ازدواجية" مفرد" وهو 1

-2-

- اسم مؤنث منسوب إلى ازدواج.

مصدر صناعي من ازدواج :وجود نوعين متميزين من نفس الفصيلة يختلف احدهما على الآخر بعدة خصائص منها الشكل.

ازدواجية اللغة :استعمال اللغة الفصيحة و اللغة الدارجة وهو خلاف الثنائية أي استعمال لغتين مختلفتين كالعربية والإنجليزية (1)

اختلف الباحثون حول ما يقابل المصطلح (bilinguisme) (يطلق عليه الازدواجية اللغوية، أم الثنائية اللغوية فقد عرف الأستاذ(صالح بلعيد) الازدواجية اللغوية بقوله " : هي نظام استعمال لغتين في آن واحد .للتعبير أو للشرح، وهو نوع من الانتقال من لغة لأخرى (1)

حيث إن الفرد باستطاعته الانتقال من لغة إلى لغة دون صعوبة .كما خلصت الأستاذة خولة طالب . الإبراهيمي إلى ان هناك في الجزائر - تعددية لغوية تتسم بالتعقيد والتركيب. (1)

مما يجعل مفهوم الثنائية (العربية و عاميتها) و الازدواجية (عربية و فرنسية) لا يفيان بوصف الوضع اللغوي السائد على نحو دقيق و موضوعي، كما وصفت الأستاذة" فطومة سوسي "الاستعمال اللغوي في الجزائر وفي سائر البلاد العربية بالتعقيد. وجاء في معنى المصطلح أن الازدواجية اللغوية تعني وجود لغتين مختلفتين أو من جذرين مختلفين عند شعب ما، كوجود اللغة الأرمنية و العربية عند الأزمان و الهندوسية والانجليزية عند بعض الهنود، ويشير المعجم إلى ان ازدواجية اللغة بهذا المعنى تعريب للمصطلح الفرنسي bilinguisme مع التنويه إلى أن هناك من يستخدم هذا المصطلح قاصدا به ثنائية اللغة . diglossie (1)

جاء في موسوعة علوم اللغة العربية معني الازدواجية اللغوية بأنها :وجود لغتين مختلفين عند فرد ما أو جماعة ما في آن واحد .ومن الدخول في بحث المعايير التي بواسطتها نستطيع أن نوكد وجود الازدواجية بين لغتين معينتين يرجع بعضهم هذه المعاني إلى ثلاثة :لغوي، و نفسي، واجتماعي فإن بعض الباحثين يرفضون استعمال مصطلح"الازدواجية"، الذي يستعمله أكثر من اللغويين، لدلالة على شكلي اللغة العربية : الفصحى والعامية .ذلك أن العامية و الفصحى فصيلتان من لغة واحدة، والفرق بينهما بالتالي فرق فرعي، لا جذري. وعليه فالازدواجية الحقّة لا تكون إلاّ بين لغتين مختلفتين ،كما بين الفرنسية والعربية، أو الألمانية والتركية .أما أن يكون للعربي لغتان إحداهما عامية، والأخرى عربية فصيحة، في ذلك أمر لا ينطبق مفهوم الازدواجية عليه لأنه بالأحرى ضرب من الثنائية اللغوية . (1)

هذا فيما يخص الاتجاه الأول الذي يرى أن الازدواجية هي عبارة عن تواجد لغتين مختلفتين في مجتمع واحد أو لدى فرد ينتمي إلى هذا المجتمع وهذا ما أتبعه جمهور اللغويين عكس الاتجاه الثاني الذي يقول إن الازدواجية اللغوية هي عبارة عن مستويين لغويين للغة واحدة.

ويظهر المعنى الثاني لازدواجية اللغة، أو الديجلوسية (من اليونانية) ، يعبر في اللسانيات الحديثة عن وضع لغوي خاص مستقر نسبيا و حالة ذي صنفين متميزين وظيفيا كما يقول العالم الأمريكي تشارلز فِتْجسون حيث توجد لغة واحدة بمستويين مختلفين في استخدامها وذلك بطريقة متكاملة و يعني فيرغسون بهذا أننا مبدئيا لا لصد اللهجة العامية في الحديث العادي(المغاير الأدنى) مكان اللغة الفصحى(المتغاير الأعلى) التي تتميز بمكانة مرموقة عند أفراد المجتمع حيث تستعمل في الدوافق الرسمية و الدينية و الأدب و التعليم وفي كل ما يكتب .(1)

نشأة الازدواجية اللغوية

أغلب الظن أن العرب عرفوا الازدواجية في اللغة منذ العصر الجاهلي إذا كانت لكل قبيلة لهجتها أو لغتها الخاصة بها . كما كان إلى جانب هذه اللهجات جميعا، لغة مشتركة جامعة، استمدت خصائص من لهجات وسط شبه الجزيرة وشرفيها، متولدة بتأثير التجارة و الحج و الطعن.

أما ثنائية الفصحى والعامية التي نعيشها في هذا البحث، فتجد أنها نشأت منذ نشوء العامية نفسها، أي في عصر الفتوحات الإسلامية الأولى، بعد الحرب بالأعاجم، لكن هذه العامية لم تتميز عن الفصحى بشكلها الواضح، إلا بعد فترة من الزمن استطاعت خلالها أن تنسم ببعض السمات في المادة الصوتية، وصوغ القوالب، وتركيب الجمل .

والقواعد النحوية والمادة اللغوية وطرائق التعبير وأثار الجاحظ إلى العامية عندما تكلم عن لغة الدواوين والبلدين .

(1) وليست نشأة ازدواجية اللغة بالضرورة خطوة أو درجة حتمية عندما يحدث تطور لغوي، ولكنها تنشأ لأسباب مختلفة و بأشكال متعددة ولفترات نيابية فعلى هذا تعود ازدواجية اللغة في حالة العربية إلى زمن ماض بعيد، نجد أن ازدواجية اللغة في اللغة اليونانية لم تأخذ شكلها الحالي في مطلع القرن التاسع عشر وبالإضافة إلى هذا فإن أسباب نشأتها تختلف من مجتمع إلى آخر .(1)

ويكون أفراد ازدواجية اللغة على علم بمثل هذه الظاهرة ، وان كان هذا العلم في معظم الأحيان يأخذ شكلا واعيا، حيث إن المتكلمين يعلمون بوجود مثل هذه الأشكال بل أن جميع الأشكال التي درسها " فرجسون " تحمل أسماء

لشكليات اللغويين الأعلى و الأدنى .(1) فكلمة ازدواجية ترجمة للمصطلح الإنجليزي diglossia ويعتقد البعض

أن أول من تحدث عن ظاهرة الازدواج اللغوي هو الألماني كارل كرمباخر عام 1902 م . إلا أن هذا القول لم يحظ

بتأييد كتثير من العلماء فذهب بعضهم إلى القول بأن العالم الفرنسي وليم مارسيو هو الذي ذكر المصطلح بالفرنسية

la diglossie وعرفه في مقالة كتبها عام 1930 م بقوله " هي التنافس بين لغة أدبية مكتوبة و لغة عامية شائعة

1)

العلاقة بين الثنائية اللغوية و الازدواجية اللغوية :

من خلال العرض السابق لكلا الظاهرتين وانطلاقا من مسمياتهما واستعمالتهما أجد أن العلاقة بينهما هي علاقة

تزامنية تكاملية والفرق بينهما ، كون المصطلحين أطلقا على النظام السائد بين كل من اليونان و الإغريق . و بما

أن كلا منهما تعد خصوم تعد خصوم على الفصحى حيث نقوم بهدمها و التخلص منها، كما أن تأثير هذه

المصطلحات في شخصية مستعملها قد يكون سلبي أكثر مما هو إيجابي، وللإثارة إلى إن الخلط بين المصطلحات

في طيات الكتب العلمية والأدبية بالأخص هو خطأ وقع فيه الباحثين في مجال النقل والترجمة من المصطلحات

الغربية إلى المصطلحات العربية والتي تؤدي إلى خلط المفاهيم و بالتالي يختلف التعريف وضبط المفهوم من وإلى

العربية. وهذا ما ألقينا إلى التفريق بين المصطلحين : الازدواجية و الثنائية – أما التعددية فلا بأس بها كونها

تمس أفراد المجتمع على السواء وعند المقارنة نجد الازدواج اللغوي يعرف باسم bilingue أما في المعجم نجده

باسم diglossie أما الثنائية اللغوية نجدها في المعجم قد عرفت باسم bilinguisme أما في القاموس نجدها (1)

bilinguek . وقد قال د / صالح بلعيد مما سبق ذكره يدل على أن الازدواجية كما عرفت المعاجم اللغوية

بأنها " الوضع اللغوي الذي يستعمل فيه المتكلمين لغتين حسب البيئة الاجتماعية والظروف اللغوية " كما نجد

صالح بلعيد وافق التعريف السابق كونها: " استعمال نظامين لغويين في آن واحد للتعبير أو الشرح وهو نوع من الانتقال، وهذا موجود كظاهرة لغوية اتصالية في الشعوب التي خرجت من الاستعمار، و بقيت آثار العدو باقية في التواصل اليومي، والذي أصبح بشكل من الأشكال صورة عفوية للممارسات الكلامية العادية . (1) الخاتمة

- الحمد لله والصلاة والسلام على من ختم به ربه الرسائل أما بعد ... فإن من أهم ما توصي به هذه الدراسة ما يلي :
 - 1- اللسان العربي يقصد به اللغة العربية التي يتكلم بها الشعب التشادي الأصل .
 - 2- الثنائية اللغوية هي ظاهرة لغوية تعني استعمال الفرد , أو المجتمع في منطقة معينة للغتين مثل استعمال الفرنسية والعربية في تشاد .
 - 3- تتخذ الثنائية اللغوية لدى اللسانين المحدثين مظهرين مظهر فردي يتمثل في المرء يعرف لغتين معرفة متكافئة أو متفاوتة , ومظهر اجتماعي يتمثل في المجتمع يستعمل أعضاؤه لغتين مختلفتين يختارون استعمال إحدهما في مواقف معينة ويستعملون الثانية في مواقف أخرى , وقد يزاوجون بين اللغتين في موقف تواصل واحد في آن واحد وقد رأيت ذلك في الشعب التشادي .
 - 4- الازدواجية الحقة لا تكون إلا بين لغتين مختلفتين , كما بين الفرنسية والعربية عند التشاديين .
 - 5- يجب دعم دولة تشاد بالكثير من الإمكانيات المادية والمالية وذلك لإنشاء المؤسسات العلمية والتعليمية , وأقترح أن يكون بالدولة مجمعا للغة العربية يجمع الكثير من علماء العربية . و أن يكون لهم شبكة عنكبوتية تجمع اللغة العربية وفروعها .
 - 6- يجب أن يكون لهم مطابع لطباعة الكتب والمخطوطات النادرة لهم ولسائر الدول المجاورة لهم .
 - 7- أقترح أن يجتمع علماء العربية لعمل معاجم في جميع التخصصات كالنحو والصرف والبلاغة والجغرافيا والتاريخ وسائر العلوم .
 - 8- أوصي الآباء والأمهات أن يغرسوا حب اللغة العربية في أبنائهم وقد لمست ذلك في دولة تشاد , فعندما يبدأ الطفل في الكلام يذهبون به إلى الخلاوى القرآنية لحفظ القرآن الكريم وهذا شيء عظيم يحمد لهم
 - 9- أقترح وأوصي بعمل المؤتمرات والندوات والملتقيات العلمية التي تشيد باللغة العربية لغة القرآن الكريم , فاللغة العربية لغة خالدة وسعت كل شيء .
 - 10- إنشاء هيئة علمية كبرى كهيئة كبار العلماء , وذلك لدعم اللغة العربية , وتطبيق الثنائية اللغوية في تشاد , وأظنها قد طبقت بالفعل .
 - 11- دعم الثقافة العربية وتشجيع الباحثين والمؤلفين لتحقيق المخطوطات العلمية العربية .
 - 12- إعطاء الفرصة لطلاب الدول الإفريقية وخاصة دولة تشاد وقبولهم في جميع الدول العربية لمصر والسعودية وغيرهما من الدول ...

أهم المصادر والمراجع:

- أثر الازدواجية في الترويج الإشهار في الجزائر إذاعة الريان نموذجا مصطفى مراوي جامعة محمد حيض بسكرة .
- البحث اللغوي، المخاطر و الحلول، صالح بلعيد، مجلة اللغة العربية، الجزائر 2010 ،
- التعدد اللساني في المجتمع الإماراتي دراسة اجتماعية تربوية د منال محمد بلال فرج المرزوقي مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث غشراف أستاذ دكتور / محمد أحمد عبد الرحمن و أ.د أحمد حساني .
- تواتر لفظ اللسان في القرآن الدلالة الوظيفية محمد بن عمار مباركي مجلة جامعة دمشق المجلد 30 العدد 3 و 4 2014
- الحجاج في فلسفة اللغة، كمال يوسف، دار النهار للنشر، ط2 ، بتوت، لبنان 1978 ص1 - ازدواجية اللغة بين النظرية والتطبيق إبراهيم صالح الفلاي جامعة الملك سعود الرياض 1417هـ 1996م
- العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، إبراهيم كايد لزموذ، المجلة العلمية، جامعة الدلك فيصل، مج3

- قضايا لسانية تطبيقية ميشال زكريا ط / دار العلم للملايين لبنان ط/ أولى 1993م
- اللغة العربية، أشكال الازدواجية والتعليم الرسمي، زبير دندان اللغة العربية في خطر = الجميع شركاء في حمايتها، دبي،
- اللغة العربية في العصر الحديث دنها الموسى ط/ دار الشروق ط/ أولى 1428هـ 2007م
- اللغة والتواصل عبد الجليل مرتاص ط / دار هومة للنشر والتوزيع 2007م
- المحيط اللغوي و أثره في اكتساب الطفل اللغة العربية الفصحى، لزمد الداظمي، دراسة وصفية تحليلية للواقع اللغوي بمنطقة مالبويرة، مذكرة مقدمة لنيل درجة ماجستير، جامعة الجزائر 2005
- المصطلحات اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية انطلاقاً من التراث العربي ومن الدراسات الحديثة محمد الهادي وآخرون ط/ دار الكتاب العربي القاهرة 2008م
- مظاهر التعدد اللغوي في الجزائر وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية أ ناديس لهويميل أ/ الهدى حسني جامعة محمد خيضر بسكرة
- معجم اللسانيات لحنا سامي عياد مكتبة لبنان طبعة أولى بيروت 1997م
- : معجم اللغة العربية المعاصرة د/ أحمد مختار عمر عالم الكتب 1/ 333 ط/ أولى 1439هـ 2008م
- موسوعة علوم اللغة العربية، أ /إميل بديع يعقوب،
- هموم لغوية، صالح بلعيد، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر

تاريخ دخول العربية في أفريقيا

د. بدر الدين محمد أحمد نيمين - تشاد

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، والصلاة والسلام على أفضل الخلق محمد- ﷺ - أفصح الناس لساناً، وأصدقهم حجة، وعلى آله وصحبه الذين فتحوا البلاد، ونشروا لغة التنزيل في الأمصار والأقطار، وحببوها إلى العالم حتى استقامت ألسنتهم على النطق بالضاد، أما بعد:

فقد اصطفى الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة اللغة التي ارتضاه لكتابه الفرقان ولنبيه - ﷺ - وهي اللغة العربية، وجعل فيها من الخصائص والميزات العظيمة التي جعلتها خير وسيلة لفهم كتاب الله العزيز وفهم كلام النبي ﷺ على الوجه الصحيح، فهي وعاء المعرفة والفكر؛ إذ لا يحصل البيان الكامل إلا بها، يقول الله تعالى: [الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2)] يوسف.

وقال: [وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (103)] النحل.

وقال ﷺ: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معله..)(1).

وقال ﷺ: (أعطيت جوامع الكلم..)(1). وفي رواية: (أعطيت مفاتيح الكلم..)(1).

لذا فقد انتشرت هذه اللغة في شتى البقاع والأمصار وكان لها صدى بالغا وتأثيرا عظيما في نفوس حاملها في جميع الإطارات: العلمية والثقافية والاقتصادية والصحية وغيرها.

وفي هذا الصدد أكتب مستعينا بالله بدءا بهيكل الخطة وهي كالآتي:

المبحث الأول: مفهوم اللغة العربية

المبحث الثاني: أهمية اللغة العربية وخصائصها وفضلها

المبحث الثالث: تاريخ دخول اللغة العربية في أفريقيا

المبحث الرابع: انتشار اللغة العربية في أفريقيا

المبحث الخامس: تأثير اللغة العربية على الشعوب والمجتمعات والبلدان الأفريقية

الخاتمة:

الفهارس:

المبحث الأول: مفهوم اللغة العربية

تعريف اللغة:

قيل في حدها أقوال كثيرة فمن أجمعها وأمنعها: (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)(1). قال ابن خلدون- رحمه الله:- (هي عبارة المتكلم عن مقصوده. وتلك العبارة فعل لسانی ناشئ عن القصد بإفادة الكلام فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم)(1). والمراد هنا اصطلاح العربية، وسميت بالعربية لإبانيتها وفصاحتها ووضوحها وبلاغتها، يقال: أعرب الرَّجُل عن نفسه، إذا بيَّن وأوضح وأفصح(1).

وما سمي الجيل من الناس- خلاف العجم- عرباً إلا لأنهم قوموا لسانهم بإتقانهم للسان العربي المبين، لذا فقد نعت المستعربة – وخاصة قريش- بأفصح العرب لأنهم أتقنوا العربية وفتق لسانهم بها، وخرج منهم أفصح الخلق رسول الهدى ونور الأمة نبينا محمد ﷺ. فاللغة ملكة في اللسان كما أن الخط صناعة ملكتها في اليد.

وعلى هذا فإن اسم العرب في الأصل كان اسماً لقوم جمعوا ثلاثة أوصاف: أحدها: أن لسانهم كان اللغة العربية. الثاني: أنهم كانوا من أولاد العرب. الثالث: أن مساكنهم كانت أرض العرب وهي: جزيرة العرب، التي هي من بحر القلزم، إلى بحر البصرة، ومن أقصى حجر اليمن، إلى أوائل الشام، وفي هذه الأرض كانت العرب، حين المبعث وقبله، فلما جاء الإسلام وتم مكارم الأخلاق فتحت الأمصار وسكنوا سائر البلاد، وتوسع مفهوم العربية، وصار أن كل من تحدث بلغة العرب وتشبه بهم لحق بهم، وكذلك العكس(1).

لهذا فقد انقسم الناس في اللسان ثلاثة أقسام: 1/ قوم يتكلمون العربية لفظاً ونغمة 2/ وقوم يتكلمون بها لفظاً لا نغمة، وهم المتعربون الذين ما تعلموا اللغة ابتداء من العرب وإنما اعتادوا غيرها، ثم تعلموها، كغالب أهل العلم، ممن تعلم العربية 3/ وقوم لا يتكلمون بها إلا قليلاً.

قال ابن تيمية الحفيد: (وما ذكرناه من حكم اللسان العربي وأخلاق العرب: يثبت لمن كان كذلك، وإن كان أصله فارسياً، وينتفي عن من لم يكن كذلك وإن كان أصله هاشمياً... العبرة بما كان عليه صدر الإسلام من السابقين الأولين)(1).

وبهذا المفهوم الواسع فإن من تكلم بلسان العرب فهو عربي وإن لم ينحدر من سلالة العرب كما هو حال كثير من المفكرين والعلماء والفقهاء والمحدثين والأخيار قديماً وحديثاً. روي عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي، قال: (من ولد في الإسلام فهو عربي)(1). قال ابن تيمية الحفيد معلقاً: وهذا الذي يروي عن أبي جعفر: (لأن من ولد في الإسلام، فقد ولد في دار العرب، واعتاد خطابها، هكذا كان الأمر)(1).

المبحث الثاني: أهمية اللغة العربية وخصائصها وفضلها:

المطلب الأول: أهمية اللغة العربية

المطلب الثاني: خصائص اللغة العربية

المطلب الثالث: فضل اللغة العربية على غيرها من اللغات

المطلب الأول: أهمية اللغة العربية

لا ريب أن اللغة العربية لها أهمية بالغة لا تستغني عنها الأمة أبداً؛ إذ لا يحصل البيان الكامل إلا بها، فهي مفتاح العلوم والخير والنور المفضي إلى السعادة الأزلية الأبدية. ويمكن أن نلخص أهميتها في النقاط التالية:

أولاً: أن الله تعالى خصها وميزها عن غيرها وجعلها وسيلة لفقه ما يريده ويرضاه سبحانه وتعالى. وأما تفاصيل ذلك ستظهر في المطالب الآتية.

ثانياً: ارتباطها الوثيق بالقرآن الكريم والدين الإسلامي: [إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2)] يوسف.

فالعلاقة بينهما علاقة تلازم؛ إذ لا يمكن تعقل القرآن المجيد والدين الحنيف إلا بمعرفة العربية ولا يمكن فقه العربية إلا بمصاحبة القرآن الكريم وسنة النبي - ﷺ -؛ إذ أنهما أصل العربية التي تستمد منهما.

روى عن عمر ابن الخطاب أنه كَتَبَ إلى أبي موسى - رضي الله عنهما - (أما بعد: فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية، وأعربوا القرآن، فإنه عربي) (1).

وفي لفظ آخر عن عمر: (تعلموا العربية فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم) (1).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب) (1).

فعلّم أن تعلم العربية وتعليمها فرض على الكفاية؛ فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي؛ ونصلح الألسن المائلة عنه؛ فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة؛ والافتداء بالعرب في خطابها؛ لأنها من الدين ومعرفة فرض واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب (1).

قال الإمام الشافعي - رحمه الله -: (ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب) (1).

وقال الحسن البصري - رحمه الله -: (أهلكتهم العجمة يقرأ أحدهم الآية فيعيب بوجوهها حتى يفترى على الله فيها) (1).

ثالثاً: أن اللغة العربية من أعظم الوسائل وأقوى الروابط والصلات بين المجتمعات والمسلمين؛ لأنها أصبحت - في ظل القرآن الكريم - لغة عالمية يحتاجها العالم الإسلامي لارتباطها بدينهم وثقافتهم الإسلامية، كما يحتاجها العالم الآخر لأنها لغة العلم والثقافة والحضارة والتطور؛ إذ أن من تعلم اللغة العربية - وخاصة علم النحو - وتبحر فيها اهتدي إلى سائر العلوم (1).

المطلب الثاني: خصائص اللغة العربية

للغة العربية خصائص ليست في غيرها من اللغات، ومن أبرز تلك الخصائص نذكر ما يلي:

1/ أن القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه نزل باللغة العربية. قال تعالى: [إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2)] يوسف. وقال: [وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (27)] قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (28)] الزمر. وقال: [حَم (1) نَزَّلِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3)] فصلت. وقال: [وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا .. (7)] الشورى.

2/ أنها لغة رسول الهدى نبينا محمد - ﷺ -. قال تعالى: [وَإِنَّهُ لَنَزَّلِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195)] الشعراء. وقال ﷺ: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه.. (1)). وقال: (أعطيت جوامع الكلم.. (1)).

3/ أنها محفوظة من عند الله سبحانه وتعالى، لا تندثر ولا تتغير ولا تتبدل. قال تعالى: [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)] الحجر. فحفظ الله تعالى للقرآن حفظاً للعربية؛ لأنها منوطة به، ومنبعها وأصلها وأساسها.

4/ أنها لغة العلم والأدب والحضارة والثقافة منذ صدر الإسلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

5/ لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً، ومن نظر إلى المعاجم لم يجد معجماً متسعاً بالمفردات كالمعجم العربي، حتى قيل: إن للعسل ثمانون اسماً، وللتعلب مئتان، ولأسد خمسمئة، وإن للجمال ألفاً، وكذا السيف، وللداهية نحو أربعة آلاف اسم (1).

- قال الإمام الشافعي- رحمه الله-: (ولسان العرب أوسع الالسنة مذهبا وأكثرها ألفاظا ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه)(1).
- 6/ أنها تختص بالفصاحة والإيجاز والمرونة والاختصار والإعراب والصرف والعروض، وغيرها، فاللغة العربية خالية من العيوب (كالتنافر بين الكلمات، وضعف التأليف اللفظي، والتعقيد اللفظي، والتعقيد المعنوي وغيرها).
- 7/ أنها من أكثر اللغات تداولاً واستخداماً بين الناس- قديماً وحديثاً-، وذلك لأنها أبلغ اللغات وأحسنها فصاحة وانسجاماً.
- 8/ أنها تحتوي على حرف (الضاد) الذي هو أصعب الحروف وأشدّها على اللسان، ولا توجد في لغة غير العربية؛ ولذلك تسمّى لغة (الضاد).
- وغير ذلك من الخصائص الكثيرة.

المطلب الثالث: فضل اللغة العربية على غيرها من اللغات

لا شك أن اللغة العربية أفضل من غيرها من اللغات لما لها من خصائص وميزات عظيمة ليست في غيرها. والدلالة على ذلك:

- 1/ أن الله تعالى اختارها لكتابه العزيز، وجعلها سبباً للفهم والمعرفة وتثبيت العقل(1)، [إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (3)].
- 2/ اختارها الله لخاتم الأنبياء والمرسلين: [وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195)] الشعراء. وقال ﷺ: (أعطيت مفاتيح الكلم..)(1).
- 3/ لا يحصل البيان الكامل- الذي يطمئن إليه القلب- إلا بها، لقوله تعالى: [.. لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195)] الشعراء. فوصف الله-وتعالى- للسان العربي بالبيان دليل على أنها أفضل اللغات وأكملها.
- فإذا تقرر أن اللسان العربي أفضل الألسن وأحسنها، لا شك أن من انتسب إليها- حقاً- وتشبه بالأولين من أرباب القرون المفضلة نال الأفضلية؛- لأن المعيار في الأفضلية: العلم النافع، والعمل الصالح، والعلم له مبدأ، وهو: قوة العقل الذي هو الفهم والحفظ، وعربي اللسان أفهم من غيره وأحفظ وأقدر على البيان والعبارة(1)- ولذا فضلت قرش على سائر العرب؛ لأنهم أفصح العرب وأعلمهم وأميزهم.

المبحث الثالث: تاريخ دخول اللغة العربية في أفريقيا

- منذ أن أشرق الإسلام وأضاء الدنيا بنوره كانت العربية معه؛ لأنها مرتبطة به ارتباطاً وثيقاً لا تنفك عنه أبداً؛ إذ هي الوسيلة إلى فهم الإسلام والدين والعلم.
- لهذا فحيث ما حل الإسلام في مصر من الأمصار حلت العربية معها، وهذا هو سبب انتشارها في العالم.
- وقارة أفريقيا أول قارة سعدت وتنورت بنور الإسلام بعد الجزيرة العربية؛ إذ قفز الإسلام رأساً من مكة المكرمة أول ما وفد على الجزيرة فحل في جزء من أفريقيا (الحبشة) المعروفة اليوم بأثيوبيا، وبالتحديد في (أريتريا) حل الإسلام في ذلك الجزء من أفريقيا قبل أن يعرج على أي مكان آخر حتى على المدينة المنورة دار الهجرة، ومع دخولها دخلت العربية(1).
- وفي عام 18هـ- 639م بدأ الإسلام يتوغل في أفريقيا أكثر، حيث كان ذلك بقيادة عمرو بن العاص- رضي الله عنه- بدءاً بمصر، حيث تم فتحها كلياً وبرقة وطرابلس عام 642م(1).
- وفي عام 86هـ- 705م هاجر بعض المسلمين إلى شرقي أفريقيا وعاشوا في ربوعها، فأثروا في المجتمع دينياً وحضارياً وثقافية- ومن أبرزها اللسان-.
- وعام 670م فتح عقبة بن نافع تونس وأنشأ القيروان، فكان خير وسيلة لنشر الإسلام واللسان والعلم والمعرفة.
- وفي عام 682م إلى 688م صار الشمال الإفريقي كله للمسلمين، ينشرون فيه الإسلام ولغة العلم والثقافة والحضارة للنهوض بالأمة(1).

وفي عهد الأمويين (662-750م) قيل: هناك كوكبة من المسلمين أرسلوا إلى السودان (العمق الإفريقي) لفتحها، واستقرت بعض ذرية هذه الكوكبة في بلاد (غانة)، وحملوا الإسلام والسلام إلى أهلها، ثم جاء الإسلام بعد ذلك عن طريق التجار وهجرات المسلمين حاملين لغة الإسلام والسلام والإنسانية(1).
فدخول العربية في أفريقيا منذ دخول الإسلام إليها بدءا بالحبشة، وكان لانتشار المسلمين والعرب في أفريقيا أثر في انتشار اللغة العربية لغة العلم والحضارة.

المبحث الرابع: انتشار اللغة العربية في أفريقيا

انتشرت اللغة العربية في أفريقيا- منذ دخولها في صدر الإسلام- انتشارا سريعا، وذلك لما تمتاز من خصائص وفضائل ليست في غيرها من اللغات(1).

ومن أبرز العوامل والطرق والأساليب التي ساعدت اللغة العربية في الانتشار السريع ما يلي:

أولاً: العامل الديني (الإسلام)، فإن الإسلام سمح ويسر وسهل، يدعو إلى السلم والخير والبر والعلم والمعرفة والتطور ومكارم الأخلاق عن طريق العربية، والعربية مبينة لمضمون ذلك.

وعلى هذا الأساس دخل الناس في دين الله أفواجا، ولا شك أن عدد المسلمين الكبير من أهم عوامل استقرار وثبات اللغة العربية في أفريقيا.

ثانياً: الدعاة من المعلمين والمتقنين والخطباء والأدباء الذين قاموا بجهود صادقة في نشر الإسلام واللغة العربية عن طريق التعليم والدعوة في مقامهم وترحالهم، [وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104)] آل عمران.

ثالثاً: العامل التجاري، حيث كانت هناك قوافل تجارية من شبه الجزيرة العربية إلى الشرق والشمال الإفريقي، ثم بدأ الانتقال إلى الجنوب عبر الطرق القديمة التي تربط شمال الصحراء الكبرى بجنوبها، ووجود ممالك قديمة منتشرة في غرب القارة الإفريقية كمراكز للتجارة والثقافة.

وكان للتجار تأثيرا عظيما في المجتمع والبلدان، وسبب ذلك يعود إلى: أنهم كانوا يتحلون بالصفات الحميدة: صفات الإسلام (مكارم الأخلاق)(1).

المبحث الخامس: تأثير اللغة العربية على الشعوب والمجتمعات والبلدان الأفريقية

لاشك أن اللغة العربية لغة فريدة في نوعها متميزة عن غيرها، تؤثر أينما حلت وجودا وعدما؛ فهي ارتبطت بحياة المسلمين منذ بزوغ الإسلام، فأصبحت لغة العلم والأدب والسياسة والحضارة والإنسانية، فضلا عن كونها لغة الدين. فهي بجانب الإسلام، تبلغ ما تبليغه الإسلام.

ولهذا فقد تأثرت أفريقيا- باللغة العربية- تأثيرا كبيرا، منها:

1/ اللسان، فقد تأثر اللسان الإفريقي بالعربية تأثيرا شديدا، حتى برز منهم: أدباء، وشعراء، وعلماء، وعابرة؛ لهذا فقد اشتهرت أفريقيا بالفصاحة والشعر وغيرها من فنون العربية.

2/ الثقافة، فقد تأثرت الثقافة الإفريقية بالثقافة العربية- التي أتممها الإسلام وقومها-، وتركوا ما كان يخالف العقل السليم.

3/ اللغات الإفريقية، فلا تجد لغة من اللغات الإفريقية إلا وتأثرت بالعربية، ولا أدل على ذلك من وجود الكلمات والألفاظ العربية الدخيلة في اللغات الإفريقية.

4/ الدين، فبعد انتشار الإسلام والعربية في أفريقيا تأثروا بالدين الإسلامي، نبذوا ما كانوا عليه من أديان مخالفة للإسلام، حتى برز منهم دعاة وعلماء وزعماء وفرسان، نصروا الإسلام والعربية- بشتى السبل- بل أسسوا ممالك عظيمة ازدهرت بالأمم.

5/ الحضارة، فليست هناك حضارة أعظم من الحضارة العربية (الإسلامية)؛- فيها نهضت الأمم واعتزت

وازدهرت-، لذلك تأثرت الحضارات الإفريقية بالحضارة العربية تأثيرا شديدا، ولم يرضوا بغيرها بديلا.

ومن آثار ذلك: المؤسسات الداعمة للعربية، والجامعات والمدارس والمنظمات والجمعيات والمراكز والمجمعات والكتاتيب والمطابع والصحف والمجلات الإذاعات السمعية والمرئية، وبرامج التواصل الاجتماعي، وغيرها.

فليس هناك حضارة تنافس الحضارة العربية (الإسلامية) على الإطلاق.

ذكر: أن مجلس العموم البريطاني- في سنة 1802م- أمر بطبعة تقرير يخص: العربية وتأثيرها-، وجاء فيه ما نصه: (منذ مدة لا تزيد على سبعين عاما استقرت جماعة صغيرة من المسلمين في بلاد تبعد عن سيراليون بما يقرب (40) ميلا وفتحوا المدارس لتدريس اللغة العربية والعقيدة الإسلامية وجروا على عادة المسلمين في عدم بيع أبناء دينهم بيع الرقيق، واستنبطوا شريعتهم من القرآن الكريم واستأصلوا ما كان هناك من عادات تساعد على تخريب الساحل من السكان وجلبوا للبلاد حضارة بلغت درجة عظيمة نسبيا كما جلبوا إليها الاتحاد والطمأنينة وكان من أثر ذلك أن ازداد السكان زيادة سريعة وانتقل النفوذ إلى أيديهم شيئا فشيئا، أما الذين تعلموا في مدارسهم فإنهم يسيرون نحو الثراء والقوة في البلاد المجاورة ويعودون ومعهم قسط وافر من الدين والشرعة)(1).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد- ﷺ- وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فبعد هذه النظرة السريعة مع اللغة العربية ودخولها في أفريقيا أود أن أسجل في هذه الخاتمة أهم النتائج التي وصل إليها البحث ومنها:

- 1/ إن اللغة العربية أفضل اللغات على الإطلاق؛ لأن الله تعالى اختارها لكتابه العزيز، كما اختارها لنبيه ﷺ، وارتضاه لشرعه، الحكيم ولدينه الحنيف.
 - 2/ إن اللغة العربية أفصح اللغات وأبينها؛ إذ لا يحصل البيان الكامل إلا بها.
 - 3/ إن اللغة العربية أوسع اللغات وأغزرها، ولا يحيط بجميع ألفاظه وعلمه إلا نبي.
 - 4/ إن التفقه في اللغة العربية يثبت العقل وينمي الذاكرة، ويزيد في المروءة؛ إذ أنها من الدين لا تتفك عنه ولا ينفك عنها. لذا كان لزاما على الأمة أن ينصروا اللغة العربية بكل ما أوتوا من قوة؛ لأنها معركة شرف وحياة.
 - 5/ إن ترك اللغة العربية سبب للاختلاف والجهل، وسوء الفهم؛ لأنها لغة العلم والمعرفة والثقافة.
 - 6/ إن اللغة العربية دخلت في أفريقيا- منذ صدر الإسلام- وأثرت فيها تأثيرا عظيما (في الشعوب والمجتمعات والبلدان واللغات والحضارات وغيرها)، ومن آثار ذلك: المساجد والمدارس والمعاهد والمؤسسات العربية وغيرها.
 - 7/ إن اللغة العربية لغة عالمية- قديما وحديثا-، فهي منذ بزوغ الإسلام ارتبطت بحياة المسلمين فأصبحت لغة العلم والمعرفة والحضارة.
 - 9/ إن الحضارة العربية (الإسلامية) لا تضاهيها حضارة أخرى ولا تنافسها؛ لأنها حضارة عريقة عظيمة محفوفة بعناية الله- تعالى- لها.
- فالحضارة الإسلامية نهضت بجميع الأمم، وسمت بهم إلى العنان.
- وفي الختام أسأل الله- تعالى- أن يلهمنا رشدنا، ويوفقنا لاتباع كتابه وسنة نبيه ﷺ، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا ويجنبنا الأهواء والزلل، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولمشايعنا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والأموات. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

- 1/ مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (اتحاد الكتاب العرب) .
- 2/ لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (دار صادر) بيروت، الطبعة الأولى.
- 3/ كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي- د. إبراهيم السامرائي (دار ومكتبة الهلال).
- 4/ الرسالة للشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر (دار الكتب العلمية) بيروت- لبنان.

- 5/ الموافقات للإمام الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور حسن (دار ابن عفان).
- 6/ الاعتصام للشاطبي (دار النشر/ المكتبة التجارية الكبرى) مصر.
- 7/ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد (دار الكتب العلمية) بيروت.
- 8/ نادر الأصول في أحاديث الرسول لمحمد بن علي الترمذي، تحقيق عبد الرحمن عميرة (دار النشر/ دار الجيل) بيروت.
- 9/ خلق أفعال العباد للبخاري، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة (دار المعارف) السعودية/ الرياض.
- 10/ اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية، تحقيق: د. ناصر عبد الكريم العقل (مكتبة الرشد) الرياض.
- 11/ مجموع الفتاوى لابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (مجمع الملك فهد) المدينة المنورة.
- 12/ المحصول في علم أصول الفقه للرازي، تحقيق: د. جابر العلواني.
- 13/ سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد نعيم العرسوقي (الرسالة).
- 14/ الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود.
- 15/ مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب لمرعي الكرمي (موقع شبكة مشكاة الإسلامية).
- 16/ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي (موقع الوراق).
- 17/ المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة لمحمد علي فاضل، وسعيد إبراهيم كريدية (دار الكتب العلمية) بيروت/ لبنان.
- 18/ الإسلام في إفريقيا عبر التاريخ لمحمد أمان الجامي (الجامعة الإسلامية).
- 19/ الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار (عالم الكتب).
- 20/ تاريخ ابن خلدون لعبد الرحمن بن خلدون، تحقيق وضبط: الأستاذ خليل شحادة- سهيل زكريا (دار الفكر).
- 21/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة الألوسي البغدادي (دار إحياء التراث العربي) بيروت.
- 22/ السيرة النبوية للدكتور علي محمد محمد الصلابي (دار المعرفة) بيروت- لبنان، الطبعة السابعة.

السودان كدولة تماس مدى مساهمته في نشر الدعوة واللغة العربية في افريقية جنوب الصحراء

د- أحمد النعمة محمد النعمة - السودان

المقدمة:

من الواقع اليوم أن اللغة العربية أصبحت لغة عالمية ومن اللغات الدولية، حيث أنها اليوم من اللغات التي يتعامل بها في هيئة الأمم المتحدة، ودخلت كافة أجهزة هذه الهيئة. لذا كان لابد من الاهتمام الكبير بها، وخاصة في الدول العربية جماعات وأفراد، وذلك لأنها لغة القرآن العظيم، والذي يتمنى كل مسلم أن يقرأه ويتعبد به، وأن يكون له النصيب الوافر من هذه اللغة، حتى يتمكن من صحة قراءته، ويتقرب إلى الله زلفى، علاوة على تداخل العرب والمسلمين على مدى حقبة من الزمن، مما يشجع على تعلم هذه اللغة، التي حملت لقرون عديدة حضارة المسلمين. تتعرض القارة الأفريقية لهجمات تنصير شرسة بهدف اغتيال العقيدة الإسلامية، ومحاربة انتشار اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن ولغة الثقافة الإسلامية. وقد أدرك أعداء الإسلام أن السودان أخطر معبر للإسلام وللغة العربية إلى الدول الإفريقية المجاورة إذا استقر على أسس إسلامية... لذا جاء التخطيط لأهداف فصل الجنوب عن الشمال. تحت شعار: إما أن يكون شمالاً بلا عروبة وإسلام. وإما أن يفصل الجنوب عن الشمال¹.

أهمية الموضوع:-

- 1/ بلاد شرق السودان كانت بوابة لازدهار السودان وظهور الفقهاء والعلماء في مختلف أقسام العلوم الشرعية.
- 2/ هذا المنفذ أحدث تحول في تاريخ السودان إذ صاحب ذلك في أول دولة إسلامية في السودان وهي الدولة الإسلامية في سنار².
- 3/ عبر الشرق كان دخول عدد من العلماء والدعاة من شتي أقطار العالم الإسلامي للسودان مثل الشيخ تاج الدين البهاري والشيخ إدريس محمد الأرباب، وغيرهم .
- 4/ الحاجة إلي إبراز دور وجهود العلماء والمصلحين والدعاة الدعوية العلمية والعملية في الدعوة والأثر الأعظم الذي تركه هؤلاء العلماء.
- 5/ كشف الجهود الرسمية التي قامت بها الدولة السنارية في الدعوة إلي الله والاستفادة من هذه الجهود في الدعوة إلي الإسلام في عصرنا الحاضر.
- 6/ الرغبة في البحث في مجال الدعوة وتطويرها في السودان لما لها من امتداد تاريخي يشكل إرثاً الاستفادة منه والانتفاع به .

أهداف الموضوع :

- 1/ يهدف هذا البحث إلي استعراض الجهود الدعوية التي بذلها هؤلاء العلماء والمصلحين والدعاة في السودان .
- 2/ التعرف علي الجهود المبذولة في الدعوة إلي الإسلام في السودان .
- 3/ الإسهام في تطور الدعوة إلي الإسلام في السودان.
- 4/ الوقوف علي الآثار الايجابية لجهود العلماء والمصلحين والدعاة الدعوية في شرق السودان.

المنهج:

نهجت في هذه الورقة أكثر من نهج علي النحو التالي :

- 1/المنهج التاريخي : وهو المنهج الملائم لبيان التنصير والمراحل التي مرّ بها في مجتمعات إفريقية جنوب الصحراء.

- 2/المنهج الاستقرائي التحليلي : استخدمت هذا المنهج لاستقراء الدعوة الإسلامية وتحدياتها في هذه الفترة .

خطة البحث (الهيكل): اقتضت خطة البحث إلى تقسيمه لمقدمة وأربعة مباحث وخاتمة اشتملت على النتائج

والتوصيات.

1- أنظر : يوسف العالم – عميد كلية القرآن الكريم- صحيفة الخليج بتاريخ: 1986/6/11م.

2- صلاح محي الدين محمد – الشيخ عجيب والدولة الإسلامية في سنار دار الهلال ت-1995 ص15 .

المبحث الأول: موقع السودان المجاور لشبه جزيرة العرب

الصلات بين إفريقيا وجزيرة العرب قديمة قدم التاريخ يشهد على ذلك الإعداد الكبيرة من السود الذين حفل بذكرهم تاريخ العرب وأدبهم؛ كما تشهد المجموعات العربية السامية التي انتقلت من شبه الجزيرة العربية إلى أجزاء مختلفة من إفريقيا خاصة في شرقها وشمالها ووسطها منذ أقدم العصور؛ ومن ثم لم يكن مستغرباً أن يجد الإسلام في إفريقيا ملجأه الأول في العام الخامس من البعثة؛ حيث بعث رسول الله ﷺ ببعض أصحابه في هجرتهم الأولى إلى الحبشة¹.

ويقول د- عون الشريف قاسم: وقد وجدت أنا جاليات عربية بالمنطقة قاربهم للنيل من أسوان شمال إلى مروي جنوب². وقد تعمق العرب في رحلاتهم إلى داخل القارة ولم تقتصر على الساحل ووصل بعضهم إلى شواطئ النيل عن الطريق البري المار عبر سيناء واتجهت جنوباً إلى بلاد البجة والنوبة وأعجبتهم حياة الرعي والترحال التي تشابه بيئتهم التي جاءوا منها من جزيرة العرب سواء من نجد أو الحجاز. أو اليمن وهذا يؤكد أن السودان قد عرف العروبة قبل الإسلام بأزمان سحيقة في فترة الجاهلية³. وقد نشطت حركة التجارة والهجرات في فترة دولتي معين وسبأ وراجت التجارة في الفترة ما بين 1500 ق م - 300 م وتقدم العرب غرباً في وادي النيل خاصة في فترة

البطالمة والرومان، واستوطنت أعداد منهم في حوض النيل ولحق بهم قاربهم. وقد عبرت أعداد من الحميريين النيل الأزرق ونهر عطبرة واستقر بعضهم في بلاد النوبة واتجهت مجموعات منهم إلى المناطق الغربية لسودان وادي النيل - وتؤكد الروايات حملات الحميريين العسكرية على بلاد السودان، ومن هذه الحملات حملة أبرهة ذو المنارين ذي القرنين الحميري على بلاد السودان وبلاد النوبة والمغرب في أوائل القرن الأول قبل الميلاد ثم حملة أخرى قادها ابنه أفريقي على شمال إفريقيا.

ومن المؤكد أن بعض من هذه الحملات قد تخلف منها بعض واستوطنوا في هذه الأنحاء واندمجوا هناك مع المواطنين الذين كانوا في البلاد سواء كانوا من النوبة أو البجة أو غيرهم من الجماعات الوطنية؛ ثم تأتي الأخبار وتؤكد هجرة جماعات من الحضارة في القرن السادس الميلادي عبر البحر الأحمر واختلطوا مع البجة، وعرف الهجين الذي تولد من ذلك باسم الحراري أو الحرارية، الذين أسسوا مملكة البني عامر (البلو) في إقليم طوكر ويتحدثون اللغة النوبية وهي لغة من اللغات السامية ومن هذه اللغات السامية اللغة الهزية التي تسود في شرق أفريقيا⁴. ومما يشار إليه أن استعانوا حين إعادة بناء الكعبة بنجار قبضي قبل البعثة المحمدية. وتشير المصادر إلى وجود قديم لجاليات حبشية ونوبية وسودانية في بعض مناطق الحجاز. وقد تعلم بعض صحابة رسول الله ﷺ بعضاً من لغات النوبة والحبشة، وعليه دين ثابت، وحنظلة بن الربيع ابن صيض التميمي الأسدي رضوان الله عليهم يترجمان للنبي ﷺ من القبطية والحبشية وقد تعلمها من أهلها بالمدينة⁵. الصلات بين إفريقيا وجزيرة العرب قديمة قدم التاريخ يشهد على ذلك الإعداد الكبيرة من السود الذين حفل بذكرهم تاريخ العرب وأدبهم؛ كما تشهد المجموعات العربية السامية التي انتقلت من شبه الجزيرة العربية إلى أجزاء مختلفة من إفريقيا خاصة في شرقها وشمالها ووسطها منذ أقدم العصور؛ ومن ثم لم يكن مستغرباً أن يجد الإسلام في إفريقيا ملجأه الأول في العام الخامس من البعثة؛ حيث بعث رسول الله ﷺ ببعض أصحابه في هجرتهم الأولى إلى الحبشة⁽¹⁾.

إما عن علاقة العرب بالبجة بعد الإسلام، فمن الثابت إن جماعة من العرب (هوا زن) عبرت البحر الأحمر إغقاب فتح مصر واستقرت في أرض البجة⁶ وتلت هذه الجماعة جماعة أخرى، قدمت من حضرموت أيام ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي سنة 73 هجرية واستقرت بين البجة وأصبحت جزاً منهم. كما أن جماعات من الأمويين لجأت إلى بلاد البجة في منتصف القرن الثاني الهجري هرباً من مذابح العباسيين واستقر عدد منهم في ميناء باضع (مصوع) يذكر (بلوس في مؤلفه قصة سواكن) أنه عثر في ميناء باضع (مصوع) على مقابر للأمويين أثناء قيامه بحفريات هناك - كما أن الآثار دلت على وجود شواهد قبور إسلامية وعلى أثر لمسجد في مدينة سنكات يستنتج أنها كانت طريقاً للفارين من الأمويين.

1- عون الشريف قاسم - الإسلام والعروبة في السودان - بيروت - لبنان - ت. ر. ط. 1 - ص 634.

2- محمد عوض محمد - السودان الشمالي سكانه وقبائله - القاهرة - 1951 م - ص 28 - وقد جاءت أبحاث تاريخية مؤكدة لوجود هجرات عربية من جنوب الجزيرة العربية واليمن عبر البحر الأحمر على إفريقيا ترجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد - شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي - معجم البلدان - بيروت - 1920 م - ج 2 - ص 634.

3- عوض محمد خليفات - مملكة ربيعة العربية - عمان - 1983 م - ص 47.

4- المقرئ - المواظ والأخبار في ذكر الخطط والآثار - القاهرة - المطبعة الأميرية - ت. 1970 م - ج 1 - ص 195.

5- أبو محمد بن عبد الملك ابن هشام - السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الستار وآخرين - مطبعة الحلبي - مصر - ت. 1355 - 1936 م - ج 1 - ص 205.

(1) د/ عون الشريف قاسم - الإسلام والعروبة في السودان - بيروت - ت. ر. ط. 1 - ص 634.

فبلاد البجة أذن مجالا حيويا لقبائل عربية مسلمة بعضها جذب ببريق معدن الذهب وبعضها تحت ضغط قبائل أخرى وبعضها تخلف بعد نجاح حملات تاديبية⁽⁰⁾ وبعضها عبر البحر الأحمر واستقر على الساحل الغربي وبعضها تعقبت موارد المياه والشعب لإنعامها وأغنامها وبعضها لجأ للصحراء متوغلا فيها خوفا من سيوف العباسيين⁽¹⁾ فلقد أدى استقرار القبائل العربية التي تدين بالإسلام ومنها قبيلة ربيعة إلى تسرب الإسلام إلى البجة⁽⁰⁾ والشاهد على ذلك تلك المساجد التي بنيت في بلاده والتي نصت المعاهدة المعقودة في (216 هجرى) بين ابن الجهم وكنون بن عبد العزيز رئيس البجة على حمايتها ورعايتها⁽²⁾.

كما يؤكد وجود بعض المجموعات القبلية كالبني عامر التي تتحدث لغة التقراي وهي لغة سامية وازدادت تلك الصلة أهمية وعمقا بظهور الإسلام الذي أعطاهما السند الروحي والمادي فتدفق العرب في أعداد كبيرة حتى وقفوا على أبواب النوبة والبجة⁽³⁾.

وذكر المقرئ في الشيء الكثير عن حياة البجة وعاداتهم وتقاليدهم. وذكر أيضا أنهم كانوا يقومون بنقل الحجاج من ثغر عيذاب عبر البحر الأحمر إلى جدة ومنها إلى مكة المكرمة وأنهم كانوا يستخدمون في ذلك الجلاب (السفن التي كانوا يصنعونها بأيديهم). عرفت القبائل البيجاوية عبر التاريخ بأنها قبائل محاربة وقد اهتم كثير من المؤرخين بإخبار العرب والمعارك الطاحنة التي خاضتها هذه القبائل ضد الفراعنة والبطالس والرومان وملوك اكسوم. استمرت هذه الحرب إلى أن دالت دولة الرومان على يد الجيش العربي الإسلامي في القرن السابع الميلادي، فكانت المعاهدات من أشهرها: معاهدة البجة مع الدولة العباسية.

اشتد هجوم البجة على ريف صعيد مصر في أوائل القرن الثالث الهجري وعندما رفع والي أسوان الأمر إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد، أمر بإخراج عبد الله بن الجهم (216 هجرية-831 م) فكانت له مع البجة حروباً مشهودة. ثم اتفقوا على الهدنة بينهم وكتب المعاهدة الشهيرة مع مكنون بن عبد العزيز عظيم البجة بأسوان. لا يسعنا ذكرها في هذا البحث: (هذا كتاب عبد الله بن الجهم مولى أمير المؤمنين صاحب جيش الغزاة عامل الأمير إسحاق ابن أمير المؤمنين الرشيد أبقاه الله. في سنة ستة عشرة ومائتين لمكنون بن عبد العزيز عظيم البجة بأسوان ... ولا تدخلوا المدن والقرى بحال ولا تمنعوا أحدا من المسلمين ولا أهل الذمة ولا تسرقوا المسلم ولا الذمي مالا، وعليكم أن لا تهدموا شيئا من المساجد التي بناها المسلمون في (هجر) 1.

المبحث الثاني:

أثر السودان الثقافي على بلاد الحجاز:

والعلاقة بين هذا المزاج وبين وجود السود بإعداد كبيرة في الحجاز أمر يسهل التدليل عليه. فارتباط الغناء والرقص بالسود أمر قامت عليه الشواهد فقد تأكد هذا الارتباط في أذهان العرب قبل الإسلام. جاحظ: (إن تمام آلة الزمر عندهم أن تكون الزامرة سوداء) وقد اشتهرت الحجاز من القدم بالغناء والرقص لطغيان العنصر الأجنبي؛ والمتأمل في أخبار المغنين والغيان الذين نبغوا في مدن الحجاز يجد أن معظمهم من العبيد؛ وأن معظم العبيد قبل البعثة المحمدية كانوا على وجه الإجمال من الحبشة أو الزنوج⁽¹⁾ فكان من الأحباش من يقوم بصناعة الرقص واللعب بالحراب في الحفلات والأعياد في الجاهلية وصدر الإسلام. ورؤى أن الحبشة لعبوا بحرابهم في المسجد فكان النبي ﷺ يستعرضهم مع السيدة عائشة واخذ المسلمون من الأحباش بعض أنواع الرقص وهو الحجل الذي صنعه جعفر احتفاء بالنبي ﷺ حين قدم من الحبشة. ولعل أصل بلال الحبشي لعب دورا في اختيار الرسول ﷺ له أول مؤذن في الإسلام كما أشار إلى ذلك العقاد⁽³⁾ واثر هؤلاء المغنين كان بعيد في الجاهلية والإسلام. فقد تواترت الروايات عن اكتشاف النابغة الإقواء في بعض شعره حين غنته إياه إحدى الغيان في المدينة⁽⁴⁾ وقد اشتهر من السود أعداد غفيرة

(1) محمد سعد ناود - العروبة والإسلام في القرن الأفريقي ص 39

(2) المصدر نفسه ص 41

(3) د/ يوسف فضل - مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان ط جامعة الخرطوم ت 2003 ص 9

1 1- ويعرفها محمد سعيد ناود (يقول: وهي عاصمة البجة تقع هجر في محافظة الساحل من ارتريا وعلى مقربة من الحدود السودانية الارترية. ولا تزال تعرف حتى

الآن بهذا الاسم) محمد سعيد ناود - العروبة والإسلام في القرن الأفريقي ص 40

(1) د/ عون الشريف قاسم - الإسلام والعروبة في السودان ص 379.

(3) المصدر السابق - ص 379.

(4) الأصفهاني - الأغاني - دار الثقافة - بيروت - لبنان - 1401 هجرية. - 11/10

في الجاهلية والإسلام. فكثرت عند ابن المعتز حتى نبه أبو جعفر في نقايض جرير والفرزدق [إلى إن عبد الله بن حازم إسلامي يعد من الأغربة، ولو عدناه لوجدنا مثله في الإسلام كثير وذكر منهم الجاحظ لقمان الحكيم وسعيد ابن جببر أعظم أصحاب ابن العباس في الحديث قتله الحجاج في فتنة ابن الأشعث. وبلال الحبشي وعطاء ابن أبي رباح المحدث. ومنصور ابن المعتز السلمي من خيار التابعين. ومنهم عفج وهو أول قتل بين الصنفين في سبيل محمد صليل مقدار وهو أول من عدى به فرسه في سبيل الله؛ ومنهم وحشي الحبشي قاتل مسيلمة الكذاب؛ وكان يقول قتلت خير الناس يعني حمزة بن عبد المطلب؛ وقتلت شر الناس يعني مسيلمة. ومنهم اسلم العدوي مولى أبي بكر اشتراه سنة 11هـ وروى الحديث عن الصحابة. ومنهم أبو رافع وصالح شقران الحبشي مولى رسول الله ﷺ وبريرة الحبشية جارية عائشة؛ ومنهم مكحول الفقيه وعبيد الله ابن أبي بكر وكان شديد السواد ولاه الحجاج سجستان سنة 78هـ (1) ومنهم جليبيب (2) الذي استشهد في غزاة وافتنقه الرسول فوجده بين سبعة قتلهم ثم قتل فقال النبي هذا مني وأنا منه. (2) عرفت الشواطئ الغربية للبحر الأحمر لدى المؤرخين العرب بأسماء مختلفة منها بلاد الطراز الإسلامي أي تبرز الساحل الإفريقي بالدين الإسلامي كما يقول المسعودي في كتابه (معجم البلدان) عرفت أيضا (بلاد الذيل) و(بلاد الجبرته) واليه ينتسب المؤرخ المصري المشهور عبدا لرحمن الجبرتي. ويتفق المؤرخون إن باب المندب كان من أقدم الأبواب التي ولجتها العناصر الآسيوية في هجرتها إلى إفريقيا. وإن العرب لم يطلقوا عليه اسم باب إلا لأنه مدخلهم للقارة السوداء. ولا تزال الآثار الثقافية على جانبيه تقوم شاهدة على الاتصال القديم بين آسيا وإفريقيا. مما استمر باب المندب مدخلا للمهجرات البشرية عبر القرون المتعاقبة وظلت الصلات بين جانبي البحر الأحمر متصلة. كما كان العرب أول من عرف كل الموانئ الواقعة في الشاطئ الغربي للبحر الأحمر وتحديدًا موانئ عيذاب - سواكن - عقيق - مصوع - زيلع - بربرة - مقديشو - زنجبار - دار السلام في أعالي تنزانيا حتى موزمبيق وكل هذه المناطق كانت جزءا هاما لكل الحضارة العربية الإسلامية. ولا تزال تقف شاهداً على تاريخ الإسلام وحضارته الراسخة في تلك الأنحاء.

إضافة إلى ذلك فالأثر السودان الثقافي والعقلي على أهل الحجاز أمر يسترعى النظر؛ وتحقيقه مبنى على المشاهدة وملاحظة طبيعة أهل الحجاز.... وقد تحدثت المصادر كثيرا عن ظرف أهل الحجاز؛ واستجابتهم الطبيعية لدواعي الطرب؛ وكثرة المقارنة بينهم وبين أهل العراق الذين اشتهروا بالتزمت والصرامة؛ كما تدل على ذلك قصة المحدث الحجاز ابن جريج مع المغنى بن تيزن في حضرة بعض فقهاء العراق. (2) وقد قال أبو نافع الأسود وكان آخر غلمان بن جريج المغنى وأحدقهم: (إذا أعجزك أن تطرب القرشي فغنة غنا ابن جريج في شعر عمر فانك ترقصه). (3)

المبحث الثالث: أثر السودان في انتشار الدعوة واللغة العربية في إفريقية جنوب الصحراء

منذ عصور خلت كانت توجد صلة بين الجزيرة العربية وشرق إفريقية لأن باب المندب قد تحول في بعض فترات الجفاف إلى معبر أرضي سلكته الهجرات القديمة، من جنوب الجزيرة العربية إلى شرق إفريقيا والبحر الأحمر. وبصورته الحالية لم يكن كما كان عليه الاتصال بين الجزيرة العربية وشرق إفريقية في القديم. والمتتبع للرحلات والهجرات إلى شرق إفريقية بعد إشراق الدعوة الإسلامية يستطيع أن يميز ثلاثة مراحل:

1/ مرحلة الرحلات التجارية.

2/ مرحلة الإقامة في الجزيرة الساحلية.

3/ مرحلة إنشاء المدن الساحلية.

(1) ابن حجر العسقلاني - تهذيب التهذيب - ط1 - مطبعة دار المعارف النظامية - 261/1

2 إن النبي صلى الله عليه وسلم كان في مغزى له فقال هل تقفونهم من أحد قالوا نفقد فلان وفلان قال : ولكني أفقد جليبيب - انظر ابن حجر - الإصابة في تمييز الصحابة صفحة 242ت 1179

(2) د/ عون شريف قاسم - الإسلام والعروبة في السودان - ص 386

(2) أبو الفرج الأصفهاني - الأغاني - دار الثقافة ، بيروت - ﷺ

(3) المصدر السابق - ج 1 - ص 163.

وتعتبر مرحلة إنشاء المدن الساحلية من أهم هذه المراحل الثلاث، وقد بدأت هذه المرحلة بعد ان تعرف العرب على طبيعة السواحل الإفريقية عن قرب، وثروة هذه المنطقة فتخبروا المواقع الساحلية الهامة وانشأوا العديد من المدن.¹

وقد أدت هذه الحركة الواسعة إلى اشتهاار عدد من الطرق والمسالك في بلاد النوبة أهمها.

- 1- طريق ينحدر من أسوان باتجاه الجنوب الشرقي عبر أوطان البجة إلى ساحل البحر الأحمر إلى انه نادرا ما تسلكه القبائل وذلك لجفافه وقلت مياهه وفقر مراعيه.
- 2- الطريق الذي يتبع مجرى النيل إلى دنقلا.
- 3- الطريق الذي يتفرع من مدينة دنقلا باتجاه الغرب عن طريق وأدى العقب ثم يتفرع نحو الأراضي المحيطة به.

- 4- طريق يبدأ من كورتى على طول وأدى المقدم وعبر مدينة الدبة على طول وأدى الملك إلى كرد فان 0
- 5- ومن كرد فان يتفرع منه طريق إلى دار فور ثم إلى برنو ثم إلى بلاد الهوسة بغرب إفريقيا².
- 6- وطريق آخر ينحدر من أبو حمد شمالا باتجاه الجنوب ويصل حتى التقاء نهر عطبرة بنهر النيل ثم يمضى حتى التقاء النيل الأبيض والأزرق³.

وفي الفترات المتقدمة أصبحت بعض القوافل التجارية تصطحب معها بعض الفقهاء إذ أن بعض القبائل المسلمة إذا أدركت أن في القافلة فقيها وشيخا عالما لم يصيبوا القافلة بأي سوء⁴.

أخذت المنطقة تستقبل جماعات حامية من الشرق والغرب، وجماعات مصرية من الشمال... ظهرت آثار هذا الخليط بوضوح في مخلفات المجموعة الثقافية... أما عن حضارتهم، فهم مجموعات ثقافية تدل آثارهم على أنهم قوم مارسوا الزراعة بوصفها حرفة أساسية تساندها حرفة الرعي.

ثم أن لغتهم ذات اصل حامي، ثم دخلتها بعض المؤثرات الزنجية، وأن وجود الشبه بين اللغات وبين سكان هذه المناطق لا يعني أنهم يرجعون إلى أصل واحد- بل يرجع إلى هجرة هذه الجماعات حيث تركت بعض الآثار اللغوية، وربما كان للاتصال التجاري بين تلك المناطق وغيرها أثر في نشر اللغة والثقافة بينهم⁵.

مدرسة أرباب العقائد

الذي اشتهر بعلم العقائد ولبراعته فيه سمي بأرباب العقائد، ويذكر ود ضيف الله أن طلابه في حلقة علم الكلام والتصوف كانوا يزيّدون عن ألف طالب جاؤوا إليه من دار الفونج ودار برنو⁶. وكان مسجد الفقيه أرباب العقائد (مسجد الخرطوم الكبير) تضم حلقاته طلاب من التكاير والبرنو⁷.

بين النيل والنيجر . ضوء جديد على شخصية الفلاني المهدي محمد الدايري⁸. ومعلوم ان محمد ببلو الابن الأكبر لمحمد الدايري كان قد درس في نفس المدرسة القرآنية (الخلو) التي درس فيها الخليفة عبد الله في مكان أطلق عليه اسم كاكا وربما يكون ذلك المكان الكلكا... وقد كان يربط بين محمد الدايري أسرة الخليفة عبد الله بحثهما المشترك عن المهدي⁹.

الجامعة الإسلامية:

تقرر تحويل المعهد العالي إلى كلية إسلامية تخرج علماء يجمعون بين الثقافة الإسلامية والثقافة العربية... يعملون على نشر الإسلام ودرء الشبهات عنه. ويقومون بدور بارز... وقد كان نجاح تجربة التطوير دافعا لتطوير هذه الكلية إلى جامعة، وقد وجدت هذه الفكرة قبولا من الهيئات والاتحادات والأساتذة والمسؤولون. حتى كون وزير التربية والتعليم لجنة لتطوير الكلية إلى جامعة إسلامية في أبريل 1965م وأصدر قراراً برقم 390 بتاريخ 6/ 8

1- علي عمر مزي - أوضاع اللغة العربية في زنجبار - معهد الخرطوم الدولي للغة العربية- 1983م - ص-11

2- مصطفى مسعد - الإسلام والنوبة في القرون الوسطى - مصدر سابق - ص- 194

3- صلاح الدين الشامي - السودان دراسة جغرافية - مصر - ط1 - ت- 2000م - ص- 252

4- محمد عوض محمد - السودان الشمالي سكانه وقبائله - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ط1 - ت- 1951م - ص- 160

5- مصطفى محمد سعد - الإسلام والنوبة في القرون الوسطى - ص- 221

6- يحيى محمد إبراهيم - تاريخ التعليم الديني في السودان- دار الجيل-بيروت - لبنان - ط1 - ت- 1987م - ص- 134

7- يحيى محمد إبراهيم - تاريخ التعليم الديني في السودان- - ص- 202

8- هذا عنوان بين النيل والنيجر- بحث نشر في مجلة دراسات إفريقية - العدد العشرون - يناير 1999م

9- جون هنريك- وآخرون- بين النيل والنيجر- بحث نشر في مجلة دراسات إفريقية - العدد العشرون - يناير 1999م

1965م والذي يقضي بتطوير كلية ام درمان الإسلامية إلى جامعة إسلامية . وقد جاء في تحديد رسالة الجامعة أنها ترتبط ببناء الشخصية السودانية عن طريق إثراء الحياة السودانية بمقومات الحضارة الإسلامية والعربية وتوظيف خصائصها لخدمة المجتمع السوداني ، ودراسة اللغة العربية ونشر الحضارة الثقافية العربية الإسلامية في القارة الإفريقية ، وعقد الصلات والتعاون مع المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي¹. المركز الإسلامي الإفريقي 1966م.(جامعة إفريقيا العالمية- السودان)

تضم جامعة إفريقيا العالمية أكثر من ثلاثين كلية تضم عشرة ألف طالب وطالبة من شتى أنحاء افريقية اضافة إلى أحد عشر معهدا او كلية تتوزع بين كينيا والصومال وزنجبار وغانا ونيجيريا. بها وافدين من حوالي خمس وسبعين دولة.

لقد كان لسلطنة وداي دور بارز في نشر الإسلام واللغة العربية في المنطقة بوجه عام، فقد كانت العربية لغة الحكام والرعية، تستخدم في الشؤون العامة والرسمية ويتحدث بها السكان من عرب ومستعربين، وكانت مملكة وداي على صلات وثيقة بمراكز الحضارة الإسلامية في دار فور وطرابلس والقاهرة، وكان سلاطين هذه السلطنات يولون عناية فائقة بالمساجد والمؤسسات الإسلامية ويخصون العلماء والطلاب بالأعطيات والمنح ولم تكن رعايتهم مقصورة على رعايتهم أو اهتمامهم منحصراً على حدود ملكهم، ومما تورده المصادر التاريخية في هذا الصدد، أن السلطان محمد صالح دود مرة سلطان وداي ، كان قد أرسل ستة عشر قنطاراً من العاج فبيعت بينغازي وأمر بثمنها فأرسلت أربعين أحماسه إلى جوامع مكة والمدينة، وأرسل خمسه لمعاونة طلاب وداي وسنار ودارفور بالأزهر، وإلى جوامع مصر المحروسة. ومن العوامل التي ساهمت في اتساع هذه الهجرات أن حكام هذه الدول الإسلامية التي قامت في هذه المنطقة كانوا ينتسبون إلى أصول عربية، يحكمون بشريعة الإسلام ويتخذون العربية لغة في دواوينهم ومجالسهم ومكاتباتهم ومعاملاتهم وفي كل شأن من شئون معاشهم، وكان من جراء ذلك، أن غدت اللغة العربية هي اللغة المشتركة لجميع السكان، بالرغم من وجود عدد كبير من الجماعات غير العربية التي تحتفظ بلهجاتها... ويجدر بنا أن نشير إلى أن هذه المجموعات قامت بدور هام وأساسي في التمكين للثقافة العربية، وحسبنا أن نذكر في هذا المقام أن العناصر غير العربية كانت قوام الممالك في هذه المنطقة، فدولة وداي كانت تحكمها أسرة المابا ودولة كانم - برنو، كانت تحكمها أسرة من البرنو ثم من الكانمبو.

وفي عام 1960م جملة سكان افريقيا وقدرهم 275 مليوناً فإن 90 مليون منهم من المسلمين. وجاء في

تصريح للداعية المسيحي المشهور: بلي قراهام أنه في زيارته المتعددة لأفريقيا قابل عدداً من الناس أكد له أن مستقبل أفريقيا أن تكون مسلمة... ويقول كثير من المعنيين بهذا الأمر أن الانتشار المنتظر في افريقيا سيظهر كل من سيشهده كما فعل انتشار الإسلام في القرن السابع الميلادي ... والمهم أن في هذا الأمر أن نسبة المسلمين في افريقيا جنوب الصحراء وصلت درجة لم تصلها في التاريخ أبداً².

الفلاني:

قوم مسالمون، هادئون ، بارعون في زراعة القطن والقمح ، كرماء متعاطفون، يشبهون التماثيل المصرية القديمة ... ثم كان انتشارهم على هيئة مروحة في الغرب الإفريقي وإن كانت يد هذا المروحة- كما قيل -تمثلت في نهر (الجمبيا) ثم بعد ذلك في نهر (النيجر) وقد عرفوا بالتغلغل السلمي في كافة تقدمهم، وكان هذا التغلغل كأوضح ما يكون في إمارات(الحوصة)ذلك لأنه لم تكن هناك نظرية تحكم حياتهم، أو حركة قومية تلم شتاتهم... وقد جاءتهم قوة كبيرة يخشى خطرهما، وإن كل ما يحتاجونه الزعيم الذي يقودهم ويظهر عقيدتهم... وقد توفر لهم هذا على يد الشيخ (عثمان بن فودي)... كانت دعوة لأن يلامس الإنسان أعماق دينه وأعماق نفسه، وأعماق الحياة... ومن هنا نراه يندفع بتعاليمها إلى الناس ونرى الناس يسارعون بالانضمام إليه، كلما اندفع بهم إلى جوهر الأشياء، كلما طرح عن الدين قشوره، وطرح عنهم في الوقت نفسه زيف الحياة، والتافهات الصغيرة التي تأكل طموحهم، وتقضم أشواقهم، وتقيدهم عن حركة الاندفاع في الوجود... نجد عدداً وفيراً من الفلانيين كانوا موجودين في الإمارات، وكانوا يشكلون جانباً كبيراً من ملامحها ... وعلى كل فقد انتقل من فترة كفاح إلى فترة كفاح أخرى حتى وضع بصماته القوية على ما يشكل الآن نيجيريا الشمالية، وبعض الأجزاء المجاورة لها³. وقد أمتد نشاط جهاد الفلاته على غلى بعض الأقاليم اللوثنية مثل يوربا والورين ونوبي وبوشي وبه محمد بلو أميراً للمؤمنين.

1- يحيى محمد إبراهيم - تاريخ التعليم الديني في السودان - مصدر سابق - ص- 405-408-بتصرف

2- الصادق المهدي -مسألة جنوب السودان -ص-46

3- عبده بدوي - مع حركة الإسلام في افريقيا -الهيئة المصرية للتأليف والنشر -1970م -ض-171

وكان لنجاح عثمان بن فوديو وأتباعه أثر كبير على سائر بلاد السودان والوسطى والغربية إذ سار على نهجه ثوار آخرون ففي ماسينه، قاد الشيخ حمد بري ثورة مماثلة (1810-1818م) أدت إلى إنشاء حكومة إسلامية تقارب الصورة المثلى التي يصبو إليها المصلحون المسلمون. ولكن هذه الدولة سقطت أمام موجة أخرى من الجهاد قادها الحاج عمر بن سعيد، من مريدي الطريقة التجانية، وقد استهل دعوته بجهاد قبائل البامبو الوثنية حتى سيطر على معظم إقليمي السنغال والنيجر¹.

اليوروبا: يذكر المؤرخون أن (اليوربيين) من الكنعانيين، ويذكرون أنهم قدموا على نيجيريا الحالية من الجزيرة العربية. وقد استمر هؤلاء في سيرهم حتى وصلوا إلى مدينة (يوربا) بمعنى أن رحلتهم كانت من نهر إلى نهر، أو بمعنى آخر كانت من النيل إلى النيجر.

شهد العام 1895م تسلط الانجليز التام على كافة إمارات اليوربيين، وفي القرن العشرين كان المسلمون يعتصمون (بالمدين المسورة) ويمثلون طبقة من التجار الزراع... وبمعنى آخر كان الإسلام يقف عند حدود المنطقة الاستوائية، والمنطقة شبه الاستوائية.

ومع أن جل أهل افريقيا كانت تسود فيهم عادات وطبائع البداوة، إلا أن الإسلام قد طبع هذه القبائل بطابعة ووسمها بميسمه... وحينما صاهرت هذه القبائل وتزوجت من نساء النوبة أحدثت واقع اجتماعي جديد جعل النظام الاجتماعي القديم يأخذ في التلاشي والاندثار، لأن الحضارة الإسلامية الوافدة أصبحت تمثل فكرة البديل وإعطاء الحياة معناها الروحي، الذي يبارك في العمر ويبدد الحيرة، إذ لا نظام للدول مع اختلال التوازن في المجتمع، ولا نظام للمجتمع مع اختلاف التوازن في الأفراد². ونرى أثر التدين ظاهراً في فئة جمعت بين علم الظاهر والباطن وانقطعت للعبادة، وأحد هؤلاء كان يسد خلوته بالطوب شهوراً يجيء أولاده الصغار يكون عنده لرؤيته دون جدوى، وفوق ذلك لم يكن يقبل هدية ولا جاهاً ولا شفعة عند سلطان، ولا كان له حرفة من زراعة أو تجارة، وكان أحدهم يلزم الخلوة قائم الليل صائم النهار، ملازم أذكار الله كلها. ويتلو صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ليلة أربعين ألفاً، وبالنهار ثمانية عشر ألفاً، وكل ما تم مائة ينتقل بعدها من سارية إلى سارية. ومنهم من تتشقق يداه من كثرة الوضوء والغسل فيشتهر بالخشن لذلك. وكما رؤي أن أحدهم حج أربعاً وعشرين حجة، اثنتي عشر ذهاباً وإياباً واثنتي عشر جواراً³. وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحج المبرور ثواب إلا الجنة"⁴ وبهذه الصفات وغيرها ارتفعت مكانتهم عند العامة والخاصة. ومن ثم تسنى لهم أن يودوا أدواراً هامة في حياة البلاد الاجتماعية. فصار العلماء والفقهاء أدلة العامة وقادتهم في سبيل الدين، كما كان هذا الوقت نفسه هو عصر الانتقال باللغة العربية من مكانتها الأولى كلغة فاتحين، إلى موقعها الراسخ كلسان للعامة والخاصة على حد سواء. وقد أفرز هذا الانتقال الحضاري علاقات دينية واجتماعية جديدة في شكلها ومضمونها، إذ كانوا حديثو العهد والمعرفة بالدين الإسلامي الجديد. يعتمدون اعتماداً تاماً على الفقهاء والعلماء لشرح أمور دينهم وممارسة شعائره، فاكتمسبوا بذلك مكانة وموقفاً رفيعين في نفوس الناس، باعتبارهم قادة الروح وأصحاب المعرفة الواسعة بشئون الدين والدنيا على حد سواء. ومع توسع الدولة وازدياد الملة المسلمة، زادت رغبة الناس في معرفة الدين وتعلمه، وأصبح الفقهاء والمتصوفة في حاجة إلى من يعينهم على تعليم جموع العامة، فنشأت طبقات من الشيوخ الفقهاء الذين ورثوا المعرفة والفقه من شيوخ أعلى. عرف مثل هذا التسلسل في النظام الصوفي "بسلوك الطريق" إذ يسلك الطريق الفقيه على يد شيخه ثم يقوم هو بتعليم غيره ليسلكوا بدورهم الطريق. وقد نشأت من ذلك سلسلة من الأتباع المساعدين للفقهاء على بث العلم والثقافة الدينية وسط العامة وصارت جماعات من تلاميذ وأتباع الفقهاء والشيوخ هم الصلة الواصلة بين الفقيه والعامة... ثم

1- يوسف فضل حسن - انتشار الإسلام في افريقيا - دار جامعة الخرطوم للنشر - 1979م - ص- 24

2- حسن مكي الثقافة السنارية المضمون والمغزى، دار المركز الإفريقي الإسلامي، السودان، 1410هـ، ص-21

3- يحيى محمد إبراهيم، مرجع سابق، ص204

4- أخرجه الترمذي، 175/3. والنسائي، فضل المتابعة بين الحج والعمرة، 878/5.

أنضاف إليها تلامذة الشيوخ وأتباعهم هالة جعلت من أولئك الفقهاء حقيقة أو تهويلاً ذوي خوارق وكرامات¹. بهذه الصفات وغيرها ارتفعت مكانتهم عند العامة والخاصة، ومن ثم تسنى لهم أن يودوا أدواراً هامة في حياة هذه المجتمعات الاجتماعية .

ومهما يكن من شيء فإن أحداً لا ينكر تلك (الوحدة) التي حققها الإسلام للقبائل ، وكيف أنه أحدث نوعاً من الرخاء بسبب التجارة وفتح الأسواق، وكيف أنه اهتم في كل مكان حل فيه بالقراءة والكتابة والنظافة النفسية والجسمية ... وأنه كان دعا لاحترام الذات واحترام الحياة، وحقق نوعاً من المصالح بين الإنسان ونفسه وبينه وبين مجتمعه، وبين المجتمع والعالم كله. ومن هنا أعطى الإفريقي الإحساس بالحرية ، والكرامة والمسؤولية عن الحياة. فهو لم يقف عند كسر الصحراء بل تعداها إلى إقامة عشر دول إسلامية خلف هذه الصحراء في وقت مبكر. وإن كان الإسلام لم يقوم فيها بالدور الفعال مثل ما كان في الشمال والشرق والغرب، لأنه لم يحمل إليها من العرب ولا من الأفارقة أنفسهم، وإنما حمل حملاً من العمال المسلمين الذين كانوا يستقدمون من جزر الهند الشرقية والذين يعرفون باسم (الملايا) مع أن عدداً وافراً من الهنود المسلمين قد دخلوا البلاد واستطاعوا أن يطرقوا بالإسلام أبواب (الهوتنتوت) إلا أنهم لم يستطيعوا أن يكسبوا للإسلام أرضاً كبيرة، وذلك لأن الأوربيين كانوا لهم بالمرصاد. وكانوا يمثلون طبقة مجهدة من العمال. رغم أنهم قد شهد لهم بالسلوك الحسن واحترام الأديان الأخرى². وعلى كل فما كان يريده هؤلاء المسلمون كان لا يخرج من الآية الكريمة التي تقول: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) ³ إن الدعوة واللغة العربية في مسيرتهما التاريخية التي بدأت منذ منتصف القرن السابع في القارة الإفريقية استطاع أن ينتشر في معظم النصف الشمالي من القارة بين أغلبية سكانه، كما نفذ من الساحل الشرقي لإفريقيا إلى يوغندا وكينيا وتنزانيا، وتسرب مع بعض المهاجرين للكنغو ومنطقة البحيرات ووفد، إلى إفريقية الجنوبية مع بعض الهنود المسلمين، وما زال يكتسب أفقاً جديدة يوماً بعض يوم⁴.

المبحث الرابع: الحلول لإشكاليات الدعوة واللغة العربية في إفريقية جنوب الصحراء:

الدين الإسلامي بوصفه ديناً نابضاً يحمل معه إشعاعاً قادراً على اجتذاب الأمم وبلوغ الآفاق. ويمتاز بقدرته على تشكيل الحياة ونظمها بما يفيض به من قيم وتشريعات تصلح لأن تهتدي بها نظم الحياة. أولاً: إيماننا بالكتب السماوية والأنبياء والرسل. قال تعالى: (أَمَّا الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)⁵. واعترافنا للأديان الكتابية بقيمة روحية، ويعزز هذا الفهم قول النبي ﷺ: (الأنبياء إخوة من عللات أمهاتهم شتى ودينهم واحد)⁶ إن الفهم المتسامح لهداية الإسلام هو الذي يطابق مقاصد الشريعة وهو الذي يواكب ظروفنا المعاصرة، وهو وهو الذي يخدم مصلحة الإسلام لأن في مناخه صار الإسلام أوسع الأديان انتشاراً في كل القارات. ولعل من المميزات والخصائص التي جعلته أوسع انتشاراً:

ثانياً: الدين الوحيد بين الأديان العالمية يقبل التعددية الدينية من حيث المبدأ لا كأمر واقع. فالأديان الكبرى الأخرى مكبلة بقيود لا تسمح لها بالحركة إلا على حساب إسقاط بعض عقائدها.

الإنسانية محتاجة للدين ولكن الدين الذي يناسبها هو الذي ينطلق من قيم روحية وخلقية تقوم على مقاييس غير ذاتية، وفي نفس الوقت نتعامل مع الحياة الدنيا بإيجابية ونتطلع لدين لا يحصر القيمة الدينية حصراً طائفيًا. وهذان الشرطان لا يتوفران إلا في الإسلام، مما يعطيه خصوصية استيعابية لا خصوصية انطوائية.

ثانياً: الإسلام ومن مرجعية نصوصه يعترف بالتعددية الدينية تعددية تقتضي التعايش ، والتسامح، والحوار. فالإنسان مجبول على فطرة دينية إيمانية. فديننا مفطور على ذلك في سعة وصدق. قال تعالى: (فَطَرَهُ اللَّهُ أَتَتْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيُّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)⁷ وسعة صدر المؤمن التي يباهي بها

1- خنوم شقير، تاريخ السودان، بيروت، دار الجيل، بيروت ، لبنان ، ت 1967م، ص 103.

2- عبده بدوي - مع حركة الإسلام في إفريقيا- مصدر سابق ص-9

3- سورة النحل - الآية -125

4- يوسف فضل حسن - انتشار الإسلام في إفريقيا - ص-28

5- سورة البقرة - آية-285

6- رواه البخاري - ومسلم وأبو داود.

7- سورة الروم - آية-30

بها الله سبحانه وتعالى. وفي الحديث القدسي (لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين من الوادع)1

صلح الحديبية: ولنا في رسول الله أسوة حسنة بالصلح: حتى في كتابة نص الوثيقة واعتراضهم على بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، بقول سهيل ممثلاً قريش: لا أعرف هذا ولكن أكتب (باسمك اللهم) وأعترض على محمد رسول الله، فقال سهيل لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك. ولكن أكتب اسمك واسم أبيك... ولما فرغ الحبيب المصطفى ﷺ من أمر المصالحة، وكان من بنود وثيقة الصلح أن يعود محمد رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة على أن يعتمروا من العام المقبل، من هنا أمر الناس بالتحلل من الإحرام ليعودوا إلى المدينة، فكبر عليهم ذلك ولم يفعلوا، فدخل على أم سلمة رضي الله عنها فقالت له: انحر هديك وتحلل، فسوف يفعلون ما تفعل. وكانت رضي الله عنها سديداً للرأي، فنحر النبي ﷺ هديه وحلق رأسه، وتحلل من إحرامه، فما أن رآه أصحابه حتى فعلوا فحلق بعض وقصر بعض، فقال ﷺ (يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله؟ قال يرحم الله المحلقين. قالوا والمقصرين؟ قال: يرحم الله المحلقين، قالوا والمقصرين يا رسول الله؟ وفي الرابعة قال: والمقصرين. ويسألونه لم ظهرت الترحيم للمحلقين - أي قويته - أي دون المقصرين؟ قال (لم يشكوا). وقفل رسول الله ﷺ عائداً إلى المدينة مع أصحابه. وأثناء مسيره نزلت عليه سورة الفتح (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا)2 إلى آخر السورة وقد اشتملت على جل أحداث غزوة الحديبية مما تم فيها وما لحق بها من فتح خيبر وفوز المؤمنين بغنائم خيبر، والبشائر بعمره القضاء وتمامها على الوجه الأكمل بعد عام واحد من تلك الأيام، وبذلك صدق الله ورسوله رؤياه المبشرة له وللمؤمنين بدخولهم مكة آمنين غير خائفين3.

والإسلام يعترف بقيمة إيجابية للأديان الأخرى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)4

ثالثاً: التسامح الديني. إن التسامح الديني بالنسبة للمسيحيين جزء من مبادئ حرية الرأي التي عمت الدعوة إليها أنظارهم بعد عهد الإصلاح وعهد اليقظة وعهد الثورة الصناعية والديمقراطية فهو إذن مبدأ زمني ولا مجال له في أصل اعتقادهم الديني. أما الإسلام فيحترم ويعترف بالأديان الكتابية وتسامحه نحو أنصارها، تسامح ينشأ من أصل عقيدة المسلم، والتشريع الإسلامي يعترف بالعلاقات المدنية التي تقوم بين المسلم والنصراني واليهودي في الزواج وفي أكل طعامهم وما إلى ذلك من المسائل المدنية والمعاملات، ومثل هذا الاعتراف غير موجود في الأديان الكتابية الأخرى نحو الإسلام، ومهمة التسامح وإتاحة الحرية الدينية أشق على المسيحيين. إن أصلح بيئة ينتشر فيها الإسلام هي بيئة التسامح الديني، وحرية الأديان وقد كان الاستعمار في أشكال متعددة يحول دون هذه الحرية.

نحن كمسلمين نثق في مستقبل الإسلام وثقتنا من مصدر اعتقادنا أنه الحق وأن لغير المسلم أن يرى ما يشاء، ولا نريد الدخول في حجج، ولكن نورد الأسباب العقلية التالية:

1/ وضوح العقيدة الإسلامية فإن الله واحد وأن محمداً عبده ورسوله الذي اصطفاه ليهدي الناس سبل الخير والحياة الكريمة في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة، وأن يوضح لهم سبيل الشر لاتقائه. فلا جدال حول طبيعة الله ولا جدال حول طبيعة الرسول. أما المسيحية فإن عقيدة الثالوث، وطبيعة المسيح الإلهية البشرية تلبس على الناس.

2/ إنه بالرغم من وجود مرارة في إفريقية نحو العرب والمسلمين بسبب تجارة الرقيق واستغلال المستعمرين لذلك في أغراضهم إلا أن حنق الإفريقي على الأبيض أبعد غوراً وأكثر فعالية وإن اندمل جرح كينيا بعض الشيء وطابت بعض النفوس بجلاء الاستعمار عن أقطار إفريقية فإن روديسيا وجنوب إفريقيا وزنوج الولايات المتحدة سيشتع مرارة نحو الرجل الأبيض، ودين الرجل الأبيض، في طول وعرض إفريقية السوداء وهذا الشعور سوف يعمل لجانب الإسلام في إفريقية.

3/ أن من أكثر مسائل اليوم مسألة التعايش ما بين الأجناس المختلفة (الألوان) وقد دلّ الإسلام على أنه أكثر الأديان فعالية في هذا الصدد.

1 - الحديث: أورده العجلوني = في كشف الخفاء.

2 - سورة الفتح - آية 1-

3-أنظر: أبو بكر جابر الجزائري - هذا الحبيب يا محب - دار الفجر للتراث - القاهرة ط2- 2013م - 279-281

4- سورة البقرة - آية 62

4/ البيئة الإفريقية بيئة متأثرة بالوجود العربي والإسلامي إلى حد كبير فإن حوالي 70% من جميع العرب يسكنون في إفريقية كما أن الممالك الإسلامية التي نشأت في غرب إفريقية جعلت الإسلام ديناً مستوطناً في إفريقية¹. نعم هناك الجيوش الجرارة والأجهزة الظاهرة وغير الظاهرة، لتلك الدول المتقدمة في القوة كما كان الأمر من قبل مع فارس والروم، ولكن لا بد من المسلم الذي يعرف العالم بالإسلام لا خطباً ولا كلاماً طويلاً بل سلوكاً إسلامياً صحيحاً يترجم الإسلام ويقدمه نموذجاً مطبقاً في الحياة.

إن خيار المسلمين ينبغي أن يكون واضحاً ، باتجاه الحوار وتنقية الأجواء ، وعلينا أن نقف دوماً مع التواصل الحضاري الذي يقود إلى ما فيه النفع بإذن الله ، وتلافي الصدام الذي يلك الحرث والنسل.

الخاتمة: واشتملت على النتائج والتوصيات.

أولاً: النتائج: من خلال الدراسة ظهرت لي بعض النتائج أذكر منها:

1/ الدوافع الدينية القوية وارتباط العلاقات الثقافية والتجارية مع الدول الإسلامية والعربية، هذه الدوافع والعلاقات زادت من الحاجة لتعليم اللغة العربية.

2/ التنصير عبر المستعمرين عمل على محاربة هذه المجتمعات بمحاربته للإسلام وعقيدة الإسلام، كانت محاربة للغة العربية وهي لغة القرآن المصدر الأساسي للإسلام.

3/ يقع على حكومات دول إفريقية جنوب الصحراء ، عبء تنفيذ الخطط والتوصيات التي وضعت للتعليم، وانتشار هذه اللغة بصدق وإخلاص.

4/ إن مجتمعات إفريقية جنوب الصحراء كانت على صله بمراكز الثقافة الإسلامية في العالم الإسلامي، وكان سلاطين هذه المجتمعات يولون عناية فائقة بالمساجد والمؤسسات الإسلامية، ويخصون العلماء والطلاب بالهبات والمنح، ولم تكن رعايتهم مقصورة على حدود سلطاتهم، بل كانوا يرسلون الهبات لمساجد مكة والمدينة ودار فور وسنار والأزهر.

5/ التسامح والتعاضد وإتاحة الحرية الدينية، أصلح بيئة ينتشر فيها الإسلام، واللغة العربية.

التوصيات:

1/ أوصي حكومات مجتمعات إفريقية جنوب الصحراء خاصة وكل المجتمعات الإسلامية على العمل على تنفيذ الخطط والتوصيات التي وضعت للتعليم وانتشار هذه اللغة بصدق وإخلاص.

2/ إقامة علاقات تبادل بين مفكري العالم الإسلامي، تسهم في تطور الثقافة الإسلامية والعربية في مجتمعات إفريقية جنوب الصحراء، وتتصدى لكشف المؤامرات التي تحاك ضد الإسلام والمسلمين.

3/ غزالة الامتيازات التي أعطيت للتبشير المسيحي، إبان عهد الاستعمار.

4/ التسامح ما بين معتنقي الأديان الكتابية المختلفة.

المصادر والمراجع

أولاً القرآن:

1- صلاح محي الدين محمد – الشيخ عجيب والدولة الإسلامية في سنار-دار الهلال ت-1995.

2- عون شريف قاسم – الإسلام والعروبة في السودان 0- بيروت – لبنان - ت1989م

3- محمد عوض محمد – السودان الشمالي سكانه وقبائله – القاهرة -1951م

4- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي – معجم البلدان – بيروت – ت1920م

5- عوض محمد خليفات – مملكة ربيعة العربية – عمان -1983م

1- أنظر: الصادق المهدي – مسألة الجنوب – شركة الطبع والنشر – الخرطوم – ت-1964م ص-47-48

- 6-المقريري - المواعظ والأخبار في ذكر الخطط والآثار - القاهرة - المطبعة الأميرية - ت- 1970م
- 7- أبو محمد محمد بن عبد الملك ابن هشام- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الستار وآخرين- مطبعة الحلبي- مصر ت- 1355هـ -1936م
- 8-محمد سعد ناود - العروبة والإسلام في القرن الأفريقي
- 9- د/ يوسف فضل - مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان ط جامعة الخرطوم ت 2003م.
- 11- أبو الفرج الأصفهاني - الأغاني - دار الثقافة ، بيروت -1401هـ.
- 12- ابن حجر العسقلاني - تهذيب التهذيب - ط1- مطبعة دار المعارف النظامية- 1326 هجرية.
- 13- ابن حجر- الاصابة في تمييز الصحابة- عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد مفوض -دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ت 1179
- 14 - علي عمر مزي - أوضاع اللغة العربية في زنجبار - معهد الخرطوم الدولي للغة العربية- 1983م
- 15 - صلاح الدين الشامي - السودان دراسة جغرافية - مصر- ط1- ت- 2000م
- 16 - محمد عوض محمد - السودان الشمالي سكانه وقبائله - لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة - ط1- ت- 1951م
- 17 - يحيى محمد إبراهيم - تاريخ التعليم الديني في السودان- دار الجيل-بيروت - لبنان - ط1- ت- 1987م
- 19-مجلة دراسات إفريقية - العدد العشرون - يناير 1999م
- 20 - الصادق المهدي -مسألة جنوب السودان -شركة الطبع والنشر - الخرطوم- ت- 1964م.
- 21 - عبده بدوي - مع ركة الإسلام في افريقيا -الهيئة المصرية للتأليف والنشر -1970م
- 22 - يوسف فضل حسن - انتشار الإسلام في افريقيا - دار جامعة الخرطوم للنشر- 1979م
- 23 - حسن مكي الثقافة السنارية المضمون والمغزى، دار المركز الإفريقي الإسلامي، السودان ،1410هـ،
- 24-نعوم شقير، تاريخ السودان، بيروت، دار الجيل، بيروت ، لبنان ، ت1967م.
- 25- أبو بكر جابر الجزائري -هذا الحبيب يا محب - دار الفجر للتراث - القاهرة ط2- 2013م
- 26 -يوسف العالم - عميد كلية القرآن الكريم- صحيفة الخليج بتاريخ: 1986/6/11م.

موقف المستعمر الإيطالي من اللغة العربية عند استعمار له الصومال
معهد المكارم لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها- التابع لجامعة المكارم العالمية (-مقدشو- الصومال)

د: إبراهيم محمد نور

مدير جامعة المكارم العالمية بالصومال

2021م الموافق 1443هـ

مستخلص البحث:

يهدف هذا البحث الي بيان موقف المستعمر الأوروبي من اللغة العربية في الصومال لدى استعمار له ، وحرصه على عزل الصومال عن محيطه العربي والإسلامي وقطع كل صلات مجتمع الصومال بالمجتمع العربي ثقافياً ودينياً . اللغة العربية كانت لغة التواصل بين شعوب جزيرة العربية والصومال كما ذكر الرحالون مثل (ابن بطوطة) وغيره ولكن المستعمر الأوروبي كان حريصاً على فرض اللغة الإيطالية في جنوب الصومال كلغة رسمية، والإنجليزية في شمال الصومال كلغة رسمية وفتح مدارس تبشيرية لتحقيق ذلك العرض ولكن يلقى رفضاً قاطعاً من المجتمع المسلم الغيور.

وكان الصوماليون يكتبون لغتهم بالحرف العربي ولكن بدون قواعد ثابتة حياً بلغة القرآن الكريم قبل وصول المستعمر الأوروبي إلي الصومال وقبيل الرحيل المستعمر طالب كل من الأحزاب السياسية وشيوخ القبائل أن تكون اللغة العربية اللغة الرسمية للصومال ،وكانت لجمهورية مصر العربية موقف شريف في ذلك ، وقتل مندوب مصر الداعم الأول لهذه الفكرة في مقدشو واضحة النهار على يد شاب صومالي الجنسية مستعمر الفكر والإنتاج. وتظهر أهمية هذا البحث في دارسته حقبة تاريخية مهمة للصومال وعلاقته باللغة العربية ومحاربة المستعمر للغة العربية لقطع كل مايبث بصلة للإسلام والعرب

ويشمل هذا البحث تمهيداً، وثلاثة محاور، تناول التمهيد تعريفاً مختصراً بالصومال ، ودخول الإسلام إليه ، والعلاقة بين اللغة العربية واللغة الصومالية. أما المحاور يتناول أولها علاقة الصوماليين بالعرب ، والثاني مقاومة الصوماليين لأهداف المستعمر ، والثالث موقف المستعمر من اللغة العربية ومحاربتها اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

وتوصل الباحث بعد دراسته للموضوع إلي نتائج أهمها:

- 1/ الشرق الأفريقي كان معروفاً لدي العرب قبل الإسلام وبعده
- 2/ حارب المستعمر الأوروبي اللغة العربية في الصومال ظناً منه أنه إذا نجح في كبح انتشارها وإبعادها عن الصومال سهل تنصير المجتمع الصومال لعدم معرفة المستعمر أن الإيمان إذا خالط بشاشته القلوب لا ينفك.
- 3/ كان المجتمع الصومال يعتبر اللغة العربية لغته الدينية ولها مزيته، ويعني المساس بها مساس بدينه ولذا نفر عن المدراس التنصيرية التي أسسها المستعمر واعتبر كل من يدرس فيها كفاراً.
- 4/ تأثرت اللغة الصومالية باللغة العربية تأثراً كبيراً في كل الجوانب (الصوتية- والصرفية -والنحوية)

مقدمة البحث:

لا تخفى على أحد علاقة القرن الإفريقي بالجزيرة العربية واليمن بالحكم الجغرافي ومعرفة العرب بهذه المنطقة من العالم قبل الاسلام ومابعده فما هجرة الصحابة رضوان الله عليهم إلى الحبشة إلا تدويجا لتلك العلاقة ، ومما يؤكد ذلك هجرتهم الي لتلك المنطقة وإرشاد النبي ﷺ بالهجرة الي الحبشة بقوله¹(إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم عنده أحد، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه، فخرجنا إليها أرسالاً) (رواه البيهقي بسند حسن) وارسال قريش رسلها إلي ملك الحبشة على رأسهم عمر ابن عاص لصداقة بينه وبين الملك قبل الاسلام فتعنى علاقة العرب بالقرن الإفريقي علاقة اللغة العربية بالمنطقة أما بعد الاسلام فصارت اللغة العربية هي اللغة الرسمية لكل المسلم ولغة التعليم ولغة الماليك والامارات الاسلامية التي قامت في المنطقة على يد المهاجرين من العرب وعلماء المسلمين من الصومال والعفر فازدهرت العلاقة بين الشعبين ، وانتشرت اللغة العربية وصارت اللغة العربية في الصومال ولغة التعليم ولغة التواصل بين الصومال وبين العرب وصلت طلاع مستعمر الأوبي إلي القرن الأفريقي ولقي مقاومة من الشعب الصومالي الغيور على دينه وبتفوق الاعتاد والعدة استولي المستعمر الأروبي على المدن الساحلية لكونها عامرة ذات حضارة نافذة متصلة بالعالم وتوزعو على ثلاث دول الأوربية ودولة إفريقية تجمع معهم العقيدة النصرانية وبدأو محاربة الإسلام واللغة العربية على حد سواء واستبعاد الناس وتنصيرهم ، وشمل هذا البحث تمهيداً، وثلاثة محاور، تناول التمهيد تعريفاً مختصراً بالصومال ، ودخول الإسلام إليه ، أما المحاور الثلاثة يتناول أولها علاقة الصوماليين بالعرب وللغة العربية واللغة العربية بالصومال، والثاني مقاومة الصوماليين لأهداف المستعمر ، والثالث موقف المستعمر من اللغة العربية ومحاربتها وخاتمة والمصادر والمراجع .

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة هذا البحث بكونه يدرس حبة تاريخية قلت فيها الدراسة التي تبين موقف مستعمر الإيطالي من اللغة العربية في الصومال ومحاربته للإسلام واللغة العربية اعتقاداً منه أنها تمثل عقبة امام أهدافه الاستعمارية والتنصيرية.

أهداف البحث :

- يهدف هذا البحث إلي بيان موقف المستعمر الإيطالي من اللغة العربية في الصومال ومقاومة الشعب الصومالي .
- 1/ بيان حب الصوماليين للغة العربية واعتبارها لغة الاسلام
 - 2/ بيان موقف العلماء الصومال وشيوخ القبائل من المستعمر الأروبي ومقامتهم له
 - 3/ كشف موقف المستعمر من اللغة العربية ومحاربته لها
 - 4/ بيان تأثير اللغة العربية باللغة الصومالية:
- أهمية البحث :**

تظهر أهمية هذا البحث بالنقاط التالية:

- 1/ يدرس علاقة العرب بالصومال قبل الاسلام .
 - 2/ يبين علاقة الصومال بالعرب وباللغة العربية .
 - 3/ يكشف موقف مستعمر الأروبي من اللغة العربية ومساويه لصد الشعب الصومالي المسلم ويوضح مكانة اللغة العربية لدي الشعب الصومالي .
- أسئلة البحث:**

- 1/ ما العلاقة التي بين الصومال والجزيرة العربية؟
 - 2/ مامواقف الشعب الصومال من المستعمر الأروبي وكيف قاوم الشعب الصومال لهذا المستعمر ومادور علماء طرق الصوفية في مقاومة المستعمر؟
 - 3/ ماموقف المستعمر الإيطالي من اللغة العربية في الصومال؟ وكيف حارب المستعمر الإيطالي للغة العربية؟
- فروض البحث :**

- 1/ ترجع علاقة الصومال بالجزيرة العربية وأهلها إلي ما قبل الاسلام.
- 2/ كان موقف الشعب الصومال رافضاً للإستعمار الأروبي وكان علماء المسلمين أول الرافضين والمقاميين له ، وكل غيور لدينه ووطنه.
- 3/ حارب المستعمر الأروبي الاسلام واللغة العربية على حد سواء لأنه يرى أن بقاء اللغة العربية في الشعوب الاسلامية غير العربية يعني بقاء الاسلام .

4/ استخدم المستعمر الايطالي أساليب عدة في محاربة اللغة العربية كمنع استخدام اللغة العربية كلغة رسمية وفرض اللغة الإيطالية كلغة رسمية للبلاد وتأسيس مدارس إيطالية غربية تنصيرية وتهميش المدارس العربية واهلها واعتبارهم غير متعلمين

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الوصفي لكونه مناسباً لهذا الموضوع .

محاور البحث:

تمهيد:

الصومال دولة إسلامية تقع في القرن الشرقي لقارة إفريقيا المطل على المحيط الهندي. ولها ساحل طويل يشرف على هذا المحيط ويمتد لمسافة 2,160 كم، كما أن ساحلها الشمالي يطل على خليج عدن بطول قدره 1,000 كم .

يحد الصومال غرباً إثيوبيا ومن جهة الشمال الغربي جمهورية جيبوتي، كما يجاورها من الجنوب الغربي كينيا، وتبلغ مساحة الصومال 637,000 كم²، ويقدر عدد سكانها بنحو 7 ملايين نسمة كلهم مسلمون. وكثافة السكان تتفاوت من منطقة إلى أخرى، فقد تبلغ في بعض المناطق 4 أشخاص/كم² كما هو الحال في إقليم ميجورتين، في حين تبلغ كثافة السكان نسبة أكبر في المدن الكبيرة مثل مقديشو وبربرة وغيرها. وعاصمتها مقديشو وعملتها الرسمية الشلن الصومالي..

ينتمي شعب الصومال إلى مجموعة العناصر الحامية ذات الثقافة الحامية الشرقية. ومن المعتقد أن هذه العناصر قدمت أصلاً من شبه الجزيرة العربية واختلطت بعناصر الجلا وهم عنصر حامي وكذلك بزنج البانتو، وكما يوجد هناك عدة جاليات استوطنت الصومال من الهند والفرس والباكستانيين والعرب والإيطاليين والعرب، ونتج عن هذا الاختلاط شعب الصومال الحالي. حوالي 75% من الصوماليين بدو يعملون بالرعي والباقون يعملون بالزراعة وتربية الحيوان. ويشمل هذا البحث على ثلاث محاور وخاتمة

المحور الأول: علاقة الصوماليين بالجزيرة العربية واليمن ودخول الاسلام فيها : كان للعرب علاقات تجارية مع الشرق الإفريقي ووصلوا لسواحل الشرقية بعدة قرون

قبل أن يصل إليها الأوروبيون المستعمرون، فقد جاء العرب الي هذا الساحل من الجزيرة العربية، خاصة من الأقاليم الساحلية المواجهة لهذا الساحل الإفريقي الشرقي، واستقروا في هذه المناطق الإفريقية وأصبحت لهم تجارة زاهرة، وكونوا إمارات اسلامية في شرق إفريقيا شهد بعظمتها وبتحضرها كل من زارها من الرحالة العرب والمصريين القدماء. ولا شك أن عامل الجوار ونشر الإسلام والفرار من ظلم الكفار والملوك والتجارة وكذلك عامل المناخ دفع العرب لإقامة علاقات تجارية مع شرقي إفريقيا وبالتالي الإقامة والاستقرار فيها.

ولاسيما عرب الجزيرة العربية وعرب اليمن وعمان ، ويذكر المؤرخون أن العرب استطاعوا منذ أقدم العصور أن يعبروا مضيق باب المندب وان يكتشفوا البلاد الواقعة إلى الجنوب من هذا المضيق، ومما يؤيد ذلك هجرة الصحابة رضي الله عنهم إلى الحبشة لكونها معروفة لديهم من قبل لقربها من بلاد العرب ولوجود ملك لا يظلم عنده أحد.

ومن الملاحظ أن مضمون الاتصال بين عرب شبه الجزيرة العربية وبين شرقي إفريقيا، كان التبادل التجاري وتسويق منتجات المنطقة في شتى الأسواق العالمية،

وخبرة العرب الكبيرة في ركوب البحار وإحاطتهم بأسرار الملاحة في تلك الرقعة المائية الشاسعة بين سواحل الهند، بالإضافة إلى معرفتهم بعلم الفلك وتحديد الاتجاهات بالشمس والكواكب، وهذا يؤكد دور العرب في نجاح الرحالة والمكتشفين الأجانب الذين كانوا يعتمدون على البحارة وإدلال العرب لهم والبحارين الأجانب.

ومما يجدر ذكره أن المصريين القدماء أطلقوا على بلاد الصومال منذ أقدم العصور اسم أرض العطور وجابوا سواحلها الشمالية لجمع البخور والنباتات العطرية، وفي عصر ما قبل الإسلام كانت هناك صلات تجارية بين بلاد

اليمن والساحل الشرقي للصومال، وبعد ظهور الإسلام هاجر كثير من عرب قريش من شبه الجزيرة العربية خلال القرن السابع الميلادي إلى الصومال بقصد التجارة ونشر الدعوة الإسلامية ومن أشهرهم عقيل بن أبي طالب ابن عم الرسول عليه الصلاة والسلام.¹

وأياً ما كان الأمر، فإن اللغة العربية هي اللغة المستخدمة في الحياة العامة في بلاد الصومال، بالإضافة إلى أن الصوماليين جميعهم مسلمون سنيون على المذهب الشافعي، ويعتزون بتوكيد نسبهم العربي.

الصومال ودخول الإسلام:

بدأ الإسلام ينتشر في أوائل القرن السابع الميلادي، وانطلق الدعاة والوعاظ ينشرون الإسلام في شرقي إفريقيا، فأقبل الناس على الإسلام ؛ لأنه دين الفطرة ودين العدالة والمساواة، فالدعوة الإسلامية النقية الصافية تنسجم مع الفطرة البشرية. فقد اعتمدت الدعوة الإسلامية على المساواة بين بني البشر ومحاربة الظلم أينما وجد.

ولا شك أن شرقي إفريقيا كان من أول المناطق التي وصل إليها المسلمون في هجرتهم الأولى إلى الحبشة، وبعد تثبيت أركان الإسلام في الجزيرة العربية وتوحيدها وقيام الدولة الإسلامية، انطلق المسلمون إلى شرقي إفريقيا حيث نشروا الإسلام في تلك المناطق وأنشأوا إمارات إسلامية في الساحل الشرقي للقارة الإفريقية كان لها دور بارز في نشر الإسلام في تلك القارة.

ومما لا شك فيه أن العرب المهاجرين إلى هذه الجهات قد حملوا معهم حضارتهم الزاهرة، ونجم عن ذلك رقي وحضارة الإمارات العربية الإسلامية في إفريقيا مثل مقديشو، ومالندي، وكلوة وحمبسة، وسقالة وغيرها. وقد أشار الرحالة ابن بطوطة إلى رقي هذه الإمارات وتقدمها خلال زيارته لهذه الإمارات عام 734هـ، 1333م. كما شهد الرحالة الأوروبيون بذلك كما ذكر كوبلاند الذي يقول "إن الرحالة الأوروبيين شاهدوا مجتمعاً متحضراً في هذه المجتمعات لا يقل عن المجتمع الأوروبي في ذلك الوقت في حضارته

تأسست خلال القرن السابع إمبراطورية زيلع، وبلغت أقصى اتساع لها في القرن الثالث عشر، فشملت المسافة الممتدة من خليج عدن إلى مدينة هرر .

باسم إمبراطورية عدل وفي القرن السادس عشر الميلادي انتقلت عاصمة إلى هرر، وكان أشهر حكامها الإمام أحمد بن إبراهيم 912-950هـ، 1506 - 1543م الذي نجح في اجتياح إثيوبيا، واضطر إمبراطور إثيوبيا أن يلجأ إلى الجبال بعد هزيمة قواته، واستعان بالبرتغاليين الذين استطاعوا هزيمة قوات إمام إمبراطورية عدل مما أدى إلى نهاية الإمبراطورية.¹

بعد زوال إمبراطورية عدل، صارت زيلع وغيرها من الأقاليم التي كان يحكمها زعماء صوماليون، تابعة لليمن، وبالتالي أصبحت جزءاً من الدولة العثمانية، وبالرغم من أن المناطق الساحلية كانت تحت حكم العثمانيين، إلا أن الأجزاء الداخلية كانت مستقلة تحت حكم زعماء صوماليين. وفي مطلع العصر الحديث تعرضت هذه البلاد للاستعمار البرتغالي بعد نجاح فاسكو داجاما في الوصول إلى الهند..

ومن الممكن القول إن مجيء العرب إلى ساحل إفريقيا وإقامتهم به إقامة دائمة كان بمثابة بدء لعهد جديد في تاريخ شرقي إفريقيا، وهو عهد اتسم بظهور تغيرات واسعة في العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ورغم ازدهار المدن والإمارات العربية في ساحل إفريقيا الشرقي، إلا أنها كانت تفتقر إلى قوة حربية منظمة. ولم تكن الأسلحة التي يتقلدها أهل هذه المدن والإمارات تتعدى السيوف والخناجر. ويمكن تعليل افتقار تلك المدن والإمارات لقوة حربية منظمة، بأنها لم تقم أصلاً على الفتح بل على التجارة، إذ أن التجار العرب والمهاجرين هم الذين أسسوها، وهم الذين امتلكوا الأراضي الزراعية فيها وتولوا تصريف السلع التي تأتي من داخل القارة في الأسواق العالمية. ونتيجة لعدم قوة هذه السلطنات العربية.

المحور الثاني: المستعمر الأوربي للصومال وتقسيم الصومال إلى خمس مناطق:

تعرضت الصومال للغزو الاستعماري البرتغالي في أوائل القرن السادس عشر الميلادي، وازدادت أهمية منطقة شرقي إفريقيا للدول الكبرى الاستعمارية بعد افتتاح قناة السويس عام 1286هـ، 1869م. لذا فإن الدول الأوروبية تسابقت للسيطرة على قارة إفريقيا عامة وساحلها الشرقي خاصة، فاستولى الفرنسيون على جيبوتي واحتل البريطانيون شمال الصومال وإيطاليا في منطقة جنوب الصومال. كما حاول كل منها كسب أرض جديدة في الصومال وساحل إفريقيا الشرقي، فاستولت فرنسا على منطقة أوبوك على خليج تاجورا عام 1299هـ، 1881م، وفي الوقت نفسه استولت إيطاليا على منطقة عصب القريية منها في نفس العام.1

وتم تقسيم الصومال بين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا والحبشة وكينيا. وسمى كل قسم باسم الدولة المستعمرة، فهناك الصومال البريطاني ويشمل زيلع وبربرة والصومال الإيطالي يشمل كل المدن الساحلية المهمة في جنوب الصومال ويشمل الصومال الفرنسي منطقة جيبوتي؛ وهي أوبوك وتاجورا. وأما الحبشة فقد ضمت إقليم هرر ومنطقة الأوجادين. وأخذت كينيا جزءاً من أرض الصومال سمي بالصومال (إنفدي). وأصبحت خريطة الصومال مصنوعة بعدة ألوان يرمز كل منها إلى الدولة التي تسيطر على هذه المنطقة

استعمار بريطانيا وسياسته الاستعمارية:

يرتبط تاريخ الصومال الحديث ارتباطاً وثيقاً بتاريخ التوسع الأوروبي في قارة إفريقيا والتنافس الاستعماري الذي كان قائماً بصفة خاصة بين كل من إنجلترا وفرنسا وإيطاليا، ففي عام 1255هـ، 1839م، فرض البريطانيون حمايتهم على عدن، وفي العام التالي عقدوا معاهدات مع سلطان تاجورا وحاكم زيلع، وكانت تحت السيادة الاسمية للأتراك العثمانيين. وأخذت بريطانيا تدعم نفوذها في المنطقة بالتدريج، وفي سنة 1303هـ، 1885م احتلت بريطانيا ميناء بربرة بجانب زيلع على خليج عدن، واتخذت منهما قاعدتين للتحكم في مدخل البحر الأحمر من الجنوب لقربهما من باب المندب على الطريق البحري الموصل إلى مستعمراتها في الهند، وقد عقد البريطانيون مع إيطاليا اتفاقية لتعيين الحدود بين مناطق نفوذ كل منهما في الصومال.1

اتبع الاستعمار البريطاني جميع الأساليب الإرهابية، منها منع وصول الماء إلى المواطنين أيام الجفاف، ومنع كل الغيورين من انتقاد المستعمر، وإهمال التعليم ومحاربة اللغة العربية والدين الإسلامي، واعتقال أفراد الشعب وتحرير الاجتماعات العامة، وإعدام المواطنين وتزييف الانتخابات وإهمال النواحي الصحية، والاستئثار بثروات البلاد وخيراتها وحرمان الشعوب من ثروات بلادهم، بالإضافة إلى التفرقة العنصرية بين المواطنين، واستمرت بريطانيا في مقاومة الدعوة الإسلامية عن طريق الجمعيات التنصيرية، علاوة على محاولة نشر المخدرات والمسكرات والثقافة الغربية.

وقد لجأت بريطانيا إلى نظام الحكم غير المباشر، أحد المظاهر المميزة للحكم البريطاني في إفريقيا، بخلاف فرنسا التي تتمسك بالحكم المباشر. فقد وجدت السلطات البريطانية أن استمرار تعاون الرؤساء وسكان المستعمرات مع الإدارة البريطانية الحاكمة بحيث يصبحون جزءاً من هذه الإدارة، هو أسهل وأنسب نظم الحكم وأقلها تكلفة، في الوقت الذي يكفل فيه ولاء المحكومين للسلطات الحاكمة

مقاومة الشعب الصومال لحد المستعمر البريطاني:

كان للسياسة الاستعمارية وتمزيق الصومال وقع في نفوس المواطنين الذي عرّ عليهم أن تذهب بلادهم فريسة للأطماع الأجنبية، وظهرت حركة وطنية ترمي إلى تخليص الصومال من هذا المستعمر، وإيقاظ الشعور الوطني حتى يقاوم المصير السيء الذي ينتظر الصوماليين على أيدي الدول الاستعمارية وعملت هذه العناصر أيضاً على تعبئة الشعب لمواجهة الموقف بما يستحقه من كفاح ونضال..

ولم تلبث أن اندلعت الثورة عام 1317هـ، 1899م، وظلت مشتعلة أكثر من عشرين عاماً حتى انتهت عام 1340هـ، 1921م. تزعم حركة المقاومة محمد عبدالله حسن، وهو في الأصل من قبيلة عربية هاجرت لهذه المنطقة في القرن السابع الميلادي واستوطنتها. وقد لقب هذا الزعيم (بمهدي الصومال) تشبهاً بمهدي السودان، ونادى بتكتل الصوماليين للجهاد ضد المستعمر، وتوحيد قواهم، وألغى انتسابهم إلى القبائل، وأطلق على أتباعه جميعاً اسم الدراويش، وقسمهم إلى فرق بغض النظر عن أنسابهم المختلفة، وأطلق على كل فرقة اسماً خاصاً يميز دورها في المعارك مثل الرماة والمغيرين 1.

بدأ محمد عبدالله حسن ثورته في مدينة بربرة وانتشرت فيها واستغرقت ثورته فترة تزيد على عشرين عامًا، وقد أرق السلاطات البريطانية، واثارت حفيظة هذا المجاهد منذ قدوم المنصرين الموفدين من الكنيسة الإنجيلية إلى الصومال الذين أخذوا يتصلون بالناس لإغرائهم على الارتداد عن الإسلام، واعتناق النصرانية نظير هبات وعطايا للمعوزين والفقراء. فثار محمد عبدالله حسن، وقام بمهاجمة مراكز هؤلاء المنصرين،¹ وأثار الناس ضدهم وقطع عليهم طرق الاتصال بالسكان، فاضطروهم إلى الرحيل..

وأعلن محمد عبدالله حسن الجهاد، ودعا إلى تحرير الصومال من ربة الاستعمار ودعا الشعب الصومالي إلى قتل الجواسيس الخونة المتعاونين مع بريطانيا وأخذ في محاربة القوات الإنجليزية، وقد تمكن من السيطرة على الأجزاء الداخلية في الصومال، واستطاع أن يُوقع بالقوات الإنجليزية هزائم متعددة، حتى لقبوه بالملأ المجنون. وشنت بريطانيا أربع حملات عسكرية ضده وفشلت تلك الحملات العسكرية. .

وحين نشبت الحرب العالمية الأولى (1333-1337هـ، 1914-1918م) واشتركت القوات العثمانية في الحرب ضد الحلفاء، أعلن محمد عبدالله حسن الجهاد ضد دول الحلفاء الغربيين، واستمر يناضل حتى انتهت الحرب، ثم تمكنت قوات الحلفاء من القضاء على ثورة المهدي الصومالي بعد أن رسم للصوماليين طريق الجهاد وحدد هدفه للطرد المحتل من الصومال.

الاستعمار الإيطالي وسياساته :

أخذ الإيطاليون يتطلعون إلى سواحل المحيط الهندي التي تطل عليها ممتلكات سلطان زنجبار، وكانت الدول الاستعمارية الأخرى، وفي مقدمتها إنجلترا وألمانيا، قد زادت نشاطها في هذه الجهات حتى عرفت هذه الفترة بسنوات اغتصاب إفريقيا عن طريق إجبار السلاطين والشيوخ المحليين على توقيع اتفاقات تمنح الشركات الأجنبية أو الدول حقوقًا تصل إلى حقوق الملكية الكاملة، وفرض الحماية على الأراضي التي تحت نفوذ هؤلاء السلاطين أو الشيوخ.

فقد كان الإيطاليون يحومون حول الصومال منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر الميلادي، ففي عام 1303هـ، 1885م قدمت بعثة إيطالية إلى إقليم نهر جوبا، وعقدت معاهدة تجارية مع سلطان زنجبار. وفي عام 1307هـ، 1889م، تمكنت إيطاليا من أن تقيم محميات في المناطق الشمالية التي كانت خاضعة لسلاطين جوبا وميجورتين. وفي سنة 1310هـ، 1892م تنازل سلطان زنجبار عن حقه في حكم مقديشو ومركا وبرواة إلى إيطاليا، وتبعًا لذلك امتد النفوذ الإيطالي على أجزاء الصومال الممتدة من نهر جوبا إلى الشمال حتى خط عرض 6° شمالاً. ولم تستطع إيطاليا حكم الصومال كله حكمًا مباشرًا حتى عام 1326هـ، 1908م. وقد ساعدت بريطانيا إيطاليا في تنفيذ مآربها خبيثة ، ثم تقاسمت الدولتان معًا ميناء كسمايو.

استطاعت إيطاليا أن تقيم حكمًا إداريًا موحدًا في جميع أنحاء الصومال الإيطالي، كما عملت على الاستيلاء على أخصب الأراضي وسلمتها للإيطاليين المهاجرين، ومنحتهم الامتيازات لتشجيعهم على الهجرة والاستقرار. وبالإضافة إلى ذلك فقد استولى الإيطاليون على ثروات البلاد وخيراتها وحرمو الشعب من التعليم والصحة حتى تفشى الجهل والمرض والفقر، علاوة على أنهم كانوا هم السادة وغيرهم العبيد، فلا يخالطونهم ولا يؤاكلونهم ولا نصيب لهم في الحكم، بل يعتبرونهم عبيدًا وخدمًا لهم.

مقاومة الشعب الصومالي المستعمر الإيطالي:

ثار الشعب الصومالي وكذا الجاليات العربية وكل الغيورين في شرق إفريقيا على تدخل الأجانب في شؤون بلادهم ومحاولاتهم لاستغلالها، ونظروا للمعاهدات التي يعقدها الشيوخ مع الشركات الأجنبية على أنها باطلة وتدل على خيانة هؤلاء الحكام لبلادهم، فاضطرت إيطاليا ومعها بريطانيا إلى فرض حصار بحري على السواحل الشرقية لإفريقيا محافظة على مصالحها الاستعمارية في هذه الجهات. وكانت إيطاليا قد فقدت جزءًا من ممتلكاتها في الصومال نتيجة الثورات المستمرة إبان الحرب العالمية الأولى، ولم تستعد سيطرتها على كافة الأراضي إلا عام 1344هـ، 1925م بعد أن استولى الفاشيون على السلطة في إيطاليا .

المحور الثالث: موقف المستعمر الإيطالي عن اللغة العربية:

إن الاستعمار الأوروبي¹ جاء بويلات كبرى على شعب الصومال كغيره من الشعوب الإسلامية والإفريقية حيث أساء المعاملات مع السكان وانتهك حقوق الإنسان وكرامته ومن تلك المساوي الاستعمارية في الصومال.¹

- 1/ تجزئة المنطقة حيث اقتسمت المنطقة إلى ثلاثة دول أروبية بالإضافة إلى إشراك التقاسم بعض الدول المنطقة حيث تناولت بريطانيا للحبشة إقليم الصومال الغربي وكنيا بإقليم انفي مما يثير القلاقل والتنازع بين شعوب المنطقة
- 2/ بث الفتن وإثارة الشقاق بين الناس على القاعدة الاستعمارية (فرق تسد)
- 3/ استخدام بعض السلاطين وشيوخ القبائل والعلماء وأهل النفوس الضعيفة لمراقبة الشعب كوسيلة لتنفيذ سياسته الاستعمارية.
- 4/ مواجهة الثورات وإخماد الإنتفاضات الوطنية بكل عنف وقسوة
- 5/ التفریق العنصري والتمييز بين الجاليات والصوماليين وبين البيض في الحقوق والواجبات حيث يقع عباً العمل على السود والمسلمين والحظ الوفير للبيض إضافة إلى احتقار المواطنين وتسخيرهم لمصلحته دون مراعات حقوقهم بحيث أصبح المواطنون غرباء في ديارهم.
- 6/ إجبار الشعب على التجنيد عندما انفجرت حرب بين الدول الإستعمارية كما فعلت إيطاليا عام 1936م عندما جندت خمسين ألف من الصوماليين في حربها مع الحبشة كما جندت مائتي ألف صومالي يتراوح أعمارهم ما بين 18-40 سنة أصبحوا ضحية عام 1941م للحرب العالمية الثانية ضد بريطانيا وحلفائها ولم يرجع منهم إلا القليل وكذلك فعلت بريطانيا أثناء الحرب 1.
- 7/ نشر لغة المستعمر وثقافته بين الناس وفرضها عليهم .
- 8/ محاربة التعليم والثقافة العربية لينتشر الجهل ويسود التخلف حتى لا ينهض بمقوماته الأساسية ليكون عالة على المستعمر حتى بعد الرحيل.
- 9/ إضطهاد الأحرار والمثقفين وذوي الميول الدينية والوطنية وتعذيبهم وتوديعهم في السجون والمعتقلات أو إعدامهم أونفيهم عن البلاد .
- 10/ الإكثار من إرسال بعثات تبشيرية لنشر النصرانية في منطقة القرن الإفريقي داخل الشعب المسلم وبث آراء الكنيسة.

خاتمة البحث:

نتائج البحث:

توصل الباحث بعد دراسة للموضوع إلى نتائج أهمها:

- 1/ الشرق الإفريقي كان معروفاً لدى العرب قبل الإسلام وبعده، واللغة العربية لها جذور في الصومال.
- 2/ حارب المستعمر الأوبي اللغة العربية في الصومال ظناً منه أنه إذا نجح في كبح انتشار اللغة العربية وابعادها عن الصومال سهل عليه تنصير المجتمع الصومال لعدم معرفة المستعمر أن الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب لا ينفك.
- 3/ كان المجتمع الصومال يعتبر اللغة العربية لغته الدينية ولها مزيته، ويعني المساسة مساسة لدينه، ولذا نفر عن المدراس التنصيرية التي أسسها المستعمر واعتبر كل من يدرس كفاراً.
- 4/ قلة المهتمين والمتخصصين في دراسة تاريخ اللغة العربية في القرن الإفريقي
- 5/ عدم الاهتمام بالتراث الاسلامي والعربي بي القرن الإفريقي مع كثرته

توصيات البحث:

يوصي الباحث بعد دراسته هذا الموضوع إلى التوصيات التالية:

- 1/ اللغة العربية في الصومال بحاجة الي دعم من الجهات الداعمة والمهتمة باللغة العربية.
- 2/ إنشاء مؤسسات متخصصة في تعليم اللغة العربية والثقافة العربية في القرن الإفريقي
- 3/ إنشاء الأوقاف لدعم تعليم اللغة العربية والأدب العربي في الصومال.
- 4/ جمع التراث الاسلامي والعربي في القرن الإفريقي

المصادر والمراجع :

- 1/ آدم شيخ سعيد البردالي/ المنارة الهادية إلى تاريخ إمارة بارطيري الاسلامية / دارزيع للطباعة والنشر/ 2015م ط/ 1 / ص/ 77
- 2/ السيد أحمد يحيى /الصحة الاسلامية في إفريقيا الاسلامي/ص123
- 3/ الشريف عيروس ابن شريف على العيروس/ بغية الآمال في تاريخ الصومال/ط1

/ 1954م

- 4/ عبد الرحمن عبدالله (باديو) تاريخ الصومال- رؤية تحليلية جديدة /مكتبة دارالعلم الحديث/ 2015/ج1/ ط1/ ص
- 5/ مبارك أحمد محمد/ التعليم الاسلامي في جمهورية الصومال الديمقراطية/ ندوة التعليم الاسلامي /جامعة إفريقيا العالمية/ الخرطوم/1988م
- 6/ محمد حسين معلم / الثقافة العربية وروادها في الصومال / ط1/1/2011م
- 7/ محمد حاج مختار حسن / تاريخ الاستعمار الإيطالي في الصومال حتى عام 1908م ط1/ ص 133
- 8/ الشيخ جامع عمر عيسى / الصراع بين الإسلام والنصرانية في شرق أفريقيا، ص /14-17

تأثير المصطلحات الإستراتيجية الغربية
في نظرية الأدب العربي الإفريقي
د. إدريس بكري

Dr IDRIS BAKARY

Faculté des Arts, Lettres et Sciences Humaines

Cameroun /Université de Maroua

idrissbakry@yahoo.com

ملخص:

إن هذا المقال من الدراسات المقارنة التي تعنى بالشكف عن تأثير الآخر في ثقافة الذات؛ ولذا، تم تدوينه تحت هذا العنوان: "تأثير المصطلحات الإستراتيجية الغربية في نظرية الأدب العربي الإفريقي"، ومن خلال الدراسة كشفنا بعضا من المصطلحات التي صنعها المستعمر الغربي، وتركت بعد أثر سلبي في الأدب العربي الإفريقي من حيث التنظير، ومن أبرزها هذان المصطلحان: "إفريقيا جنوب الصحراء" و"الزنوجة"؛ ولا شك أن أثرهما واضح في تحديد بعض مفاهيم الأدب العربي في القارة الإفريقية، مثل مفهوم "الأدب العربي الإفريقي"، و"الأديب العربي الإفريقي" وعلاقته ببيئته الثقافية والاجتماعية. **الكلمات المفتاحية:** تأثير، الإستراتيجية، نظرية، المستعمر، جنوب الصحراء

Résumé:

Le présent article a pour but de traiter un sujet qui est considéré comme l'un des sujets les plus importants des études comparées, c'est-à-dire, découvrir l'influence de l'autre sur la culture de soi, par conséquent, l'article a été écrit sous ce titre : « **L'impact de la terminologie stratégique occidentale sur la théorie de la littérature arabo-africaine** » au cours de l'étude, nous avons découvert les terminologies créée par le colonisateur occidental et ayant affecte négativement sur la littérature arabo-africaine en termes de théorisation, tels que : « Afrique subsaharienne » et « Negralisme », qui ont affecte négativement sur la définition des concepts de base dans la littérature arabo-africaine.

Mots-clé: Influence, Stratégique, Théorie, Colonisateur, Subsaharienne

مفهوم نظرية الأدب:

تعرف نظرية الأدب بأنها مجموعة من الأفكار والآراء القوية المترابطة المستندة إلى المعرفة والفلسفة، والمهتمة أساسا بالبحث عن نشأة الأدب وطبيعته ووظيفته، ومن خلال هذا التعريف ندرك أن مجالات نظرية الأدب تتلخص أمام هذه النقاط:

- البحث في نشأة الأدب من خلال النظر إلى العلاقة بين الأدب والمبدع.
 - البحث في طبيعة الأدب من خلال دراسة خصائص النصوص الأدبية وبنائها الفني.
 - البحث في وظيفة الأدب بالنظر إلى العلاقة بين الأدب والمتلقي.
- إذن فنظرية الأدب تدرس الظاهرة الأدبية بعامة، من منطلق شمولي في سبيل استنباط وتأسيس مفاهيم عامة تبين حقيقة الأدب وأثاره، وهذا ما يميزها عن غيرها من مجالات الدراسة الأدبية الأخرى وهي تحاول تقديم إجابات متسقة ومتكاملة حول الأدب، لأننا قد نجد كثيرا من الأفكار الجزئية لكنها لا تستند إلى فلسفة محددة، ولا ترقى إلى مستوى النظرية، ذلك أن اللبنة الأولى لأفكار النظريات قد عرفت منذ القدم (د. أحمد العدواني، دت). ومن خلال النظريات

تتفتح لنا الطرق — من حيث التطبيق — نحو كشف بعض الثنائيات التي تمتلئ بها الحياة، بل إنها ضرورة من ضروريات الحياة على هذه البسيطة، مثل: الثقافة والبنية، التغير والاستقرار، الديناميات والاستاتيكيات، الفردية المنهجية والجمعية، الطوعية والجبرية، الطبيعية والرسمية، الموضوعية والذاتية، الحقائق والقيم، الوحدات الصغرى والكبرى، المادية والمثالية، العقلانية واللاعقلانية وغيرها (مجموعة من الكتاب، عالم المعرفة — الكويت، 1997: 55)

وبناء على هذا المفهوم لنظرية الأدب يتبين لنا أن المقصود بـ"النظرية" في عنوان المقال: كل التحديدات المتصلة بالأدب الإفريقي، مثل التعريفات العامة والخاصة، ومثل التأريخ وكشف بعض الظواهر الإبداعية من حيث نشأتها وتطورها، والحديث عن تأثير الأدب بالبيئة الاجتماعية وتأثيره فيها داخل القارة الإفريقية، وقد يتطرق الحديث عن الجانب النظري للأدب الإفريقي إلى محاولة تحديد الأديب العربي الإفريقي، بوضع تساؤلات حوله، مثل: هل هو الإفريقي المبدع باللغة العربية أو هو العربي المبدع عن إفريقيا، بصرف النظر عن اللغة... علما بأن التساؤلات قد طرحت ولا تزال تطرح حول ما يعرف بـ"الأدب العربي الإفريقي" في بعض مصطلحاته النظرية التي لم تستقر استقرارا كاملا حتى الآن، نتيجة خضوعها للمصطلحات الإستراتيجية التي وضعها المستعمر الغربي لهدف الوصول إلى المعاملة الفردية لأجزاء القارة الإفريقية، لكي يستفيد على حسابها في قيمها الثقافية وثوابتها التاريخية!

الاستعمار الثقافي للقارة الأفريقية

الاستعمار الأوربي للقارة الإفريقية من الناحية الثقافية واضح للعيان، وهو في واقع الحال يوازي الاستعمار المادي، ولعل ذلك هو الذي صنع عنصر الانبهار الملازم للإنسان الإفريقي تجاه الإنسان الأوربي عامة منذ عهد الاستعمار حتى الآن، مما جعل كثيرا من الإفريقيين لا يحسون بقيمتهم الثقافية والحضارية في التعامل مع الأوربيين؛ ومن القضايا التي صنعها الفكر الأوربي ووظفها للوصول إلى هدفه المنشود — وهو تحويل العقول عن الأهمية الحضارية للأفارقة — مصطلح إفريقيا جنوب الصحراء، وقضية الزنوجة وقضية اللغة، ويتمثل من هذه القضايا وأمثالها غزو الغربيين الثقافي للقارة الإفريقية، وذلك من خلال تضعيفها ثقافيا وحضاريا.

إفريقيا جنوب الصحراء

منطقة جنوب الصحراء في القارة الإفريقية، هي التي وصفها أحد الكتاب بقوله: وإنما هو البطاح الذي يتكون من أرض تكسوها الحشائش وتتخللها بصورة غير منتظمة الأشجار، أو ينساب في داخلها عرضا نهار بطنة الجريان... (دونالد ويدنر، الوعي العربي — القاهرة، 1962: 11) واستغل الاستعمار هذه الصحراء الإفريقية الكبرى التي كانت حاجزا طبيعيا بين جزئي القارة، لصنع مصطلحات هادفة، مثل جنوب الصحراء وشمال الصحراء...

إذا حكمنا التاريخ تحكيما علميا نجد أن الصلة كانت قائمة منذ القدم بين شطري القارة، وتعود هذه العلاقة إلى عدة قرون قبل الميلاد، بل إن هناك علاقة تلاحم بين شعوب القارة الإفريقية ظلت ردحا من الزمن، حتى أتى الأوروبيون فكانوا هم أول من أصاب هذه العلاقات بنوع من الوهن، ورغم ذلك فما زالت بصمات الثقافة العربية دينا ولغة بارزة في مواضع شتى من القارة، كما نجد في بعض البلدان العربية الإفريقية خصائص ثقافية والحضارية للشعوب الإفريقية جنوب الصحراء، وبصفة خاصة تلك الدول الجامعة وبين العروبة والأفرقة.

وظل الأوروبيون في التاريخ الحديث يعتقدون أنهم أول من اكتشف جنوب الصحراء الإفريقية، فقام بالتجارة معه، حتى أثبتت الدراسات العلمية الموضوعية من جانب الكتاب الأجانب ذاتهم قدم العلاقات العربية الإفريقية وقوتها، ثم عادوا مرة أخرى لتشيع بينهم تسميات عديدة: مثل إفريقيا السوداء L'Afrique Noir وإفريقية البيضاء L'Afrique Blanche، وما زال الفرنسيون بشكل خاص يستعملون هذه التسميات، بينما تشيع في كتابات الإنجليز ألفاظ أخرى مثل إفريقيا جنوب الصحراء Africa South of the Sahara أو إفريقيا المدارية Tropical Africa، والزنوجة. بل وأخذ بعضهم يرسم خطأ بين الأفريقيتين، وتحولت التسميات في الفترة الأخيرة إلى إفريقيا السوداء وإفريقية العربية، وكان المقصود بإفريقية إفريقيا جنوب الصحراء أو إفريقيا الزنجية، وكان القسم الشمالي من القارة ليس جزء منها؛ وإذا حاولنا التعرف على الخط الفاصل الذي يقولون به فسنجد أنهم لا يتفقون عليه (د. محمد عبد الغني السعودي، الكويت، 1980: 49)

أزعم أن هذه المصطلحات كلمة حق أريد بها الباطل؛ ولعل من العجيب أن يستقر هذا المفهوم الغربي في أذهان كثير من الأفارقة في شمال القارة (داخل الأوطان العربية)، بل حتى في أذهان المفكرين منهم، "وهناك العديد من

المفكرين العرب يستبعدون هذه الدول العربية ذات الحضارة العربية الإسلامية عند الحديث عن الإفريقي، حيث يرون أن الإفريقي هو الإنسان ذو البشرة السمراء (مقياس اللون)، أو الذي يسكن جنوب الصحراء (مقياس جغرافي)، أو الذي خضع للاستعمار الأنجلو فوني أو الفرنكفوني أو حتى الليزفوني (مقياس حضاري)، وإن كان هذا المقياس الأخير يتسم بعدم الدقة أكثر من غيره من المعايير السابقة عليه؛ لأنه يركز على التي خضعت للاستعمار جنوب الصحراء فقط، في حين يتجاهل الدول العربية في الشمال، والتي خضعت لأنظمة استعمارية مختلفة... ولا شك أن هذه النظرة أو الصورة الذهنية غير صحيحة، وتترتب عليها آثار سلبية فيما يتعلق بمدركات كل طرف عن الآخر، وهو ما ينعكس بدوره على الممارسات العملية في شتى المجالات السياسية والاقتصادية وغيرها" (د. بدر حسن شافعي، القاهرة، 2011: 61)

ووصل الأمر ببعض المفكرين العرب في شمال إفريقيا إلى دعوة دولهم إلى أن تولي ظهرها للشرق عموماً بما فيه إفريقيا، والانضمام إلى ما يسمى بحضارة البحر المتوسط، فمثلاً يقول الدكتور طه حسين في سياق حديثه عن العلاقة التاريخية بين مصر وأوروبا: "إذا أردنا أن نلتصق المؤثر الأساسي في تكوين الحضارة المصرية، وفي تكوين العقل المصري، وإذا لم يكن بد من اعتبار البيئة في تقدير هذا المؤثر، فمن اللغو والسخر أن نفكر في الشرق الأقصى أو في الشرق البعيد، ومن الحق أن نفكر في البحر الأبيض المتوسط، وفي الظروف التي أحاطت به، والأمم التي عاشت حوله" (د. طه حسين، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2014: 22). وفي هذا الكلام للدكتور طه حسين نلمس خيوطاً لدعوة مصر إلى إعطاء القارة الإفريقية ظهرها والاتجاه نحو أوروبا؛ وأقول إن مصر إفريقية بامتياز، وجميع علاقاتها بأوروبا في العصر الحديث علاقة استعمارية، ويكفي كون مصر إفريقية ويجب أن تظل كذلك، أن مصدر الحياة في مصر الذي هو نهر النيل ينبع من البحرات العظمى في وسط القارة الإفريقية، وناهيك عن التاريخ المشترك والاعتماد المتبادل.

قضية الزنجية

نقصد بالزنجية أو الزنوجة تلك الأحوال المتعلقة بالزنوج، والزنوج جمع زنجي، وهم سكان القارة الإفريقية، ويمتازون بسمرة اللون؛ ويطلق لفظ "الزنوج" في الوقت الحاضر على بعض السلالات المنحدرة من القبائل الإفريقية أنى استوطنت (مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق العالمية، 2004: 402). والجهل بتاريخ الزنوج القديم واختلاف العادات، ولوجود الحقد السلالي من قبل الأوروبيين نحو الزنوج الذين تقابلوا معهم أول مرة فضلاً عن الرغبة في الاستغلال، كل هذه العوامل هيأت العقل الأوروبي للحط من قدر الزنوج عقلياً وحضارياً، وأصبح الزنجي لديهم قريباً للتخلف والبدائية والانحطاط والقدرة العقلية المحدودة؛ ولما كان الإنسان لا بد له من تبرير لتصرفه، فقد ذهب الأوروبيون إلى أبعد من هذا، لأنه كان عليهم أن يبرروا استعمارهم لأوطان الزنوج، وأن يبرروا استرقاقهم في تجارة هائلة امتدت نحو أربعة قرون، ومن ثم كثرت كتاباتهم التي تستهين بقدراتهم وكفاءاتهم، وبذلك تسمت أفكار أجيال متعددة من الأوروبيين لتبلور في النهاية كحقيقة معترف بها بأن كلمة الزنوج ترادف "البشرية المتخلفة أو المنحطة"، ومن ثم يصير تبرير الاستعمار سهلاً، فهو لغرض وواجب إنساني وهو مسؤولية أخلاقية لا بد من القيام بها؛ لنقل فضائل ديانتهم حضارتهم لشعوب المستعمرات المتخلفة، فواجب الرجل الأبيض أن يرفع من مستوى أخوة له كانوا قليلي الحظ، ومع ذلك فهم رفاق البشرية الذين تعرض المسيح من أجلهم لضروب من الآلام، وعلى البعثات التبشيرية رفع الإنسان الزنجي إلى مستوى الآخرين، فقامت الرأسمالية الأوروبية بممارسة أبشع صور الاستغلال متخفية للإنساني الإفريقي وراء هذا الستار الأخلاقي المزعوم (د. محمد عبد الغني السعودي، الكويت، 1980: 156 - 157)

المصطلح "الزنوجة أو الزنجية" مرتبط تاريخياً بالعهد الاستعماري، ومن ثم ندرك أن له ارتباطاً وثيقاً بالمكر الغربي الذي يسعى دائماً نحو طمس تاريخ الشعوب وتشويه صورتها، وتحت شعار الزنوجة قدم الأوروبي الشعوب الإفريقية إلى العالم بصورة مشوهة؛ وهذا القهر التاريخي لازم الإفريقي قروناً عديدة متعاقبة، إلا أن هذه الصورة الذهنية التي صنعها الغرب إبان عهد الاستعمار قد تغيرت كثيراً في الوقت الحاضر؛ غير أنها ظلت عالقة — يا للأسف — في أذهان كثير من الأكاديميين العرب؛ لذا تشابه تصويرهم لإفريقيا مع الصورة الغربية النمطية عن إفريقيا والأفارقة، وكان أحرق بهؤلاء الأكاديميين أن يختلطوا بالأفارقة، بل يجب عليهم التوغل إلى عمق القارة السمراء، إذ ليس الخبر كالمعاينة، وبخاصة إنهم يشتركون تاريخياً مع الأفارقة في الآلام والأمال والطموحات (د. بدر حسن شافعي، القاهرة، 2011: 71).

قضية اللغة

ليس الدور الذي تلعبه اللغة في حياة الفرد والجماعة منحصرًا في القدرة على الإفهام وتوصيل المعاني المجردة، فتلك أهداف يمكن أن تؤدي حتى في غياب اللغة، ولكن اللغة هبة، تمثل أولى درجات تميز الكائن البشري على ما عدها من الكائنات، ولعل هذا يبدو في عدها الميزة الأولى التالية لخلق الإنسان نفسه، كما هو واضح في قوله تعالى: **(الرحمن. علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان)** 1، فالامتنان بالبيان جاء مباشرة بعد نعمة الخلق ذاتها" (د. أحمد درويش، نهضة مصر، 2005: 16)، وتلعب اللغة دورًا ذا أهمية عظمى في الجماعة الاجتماعية، مهما كانت ومهما كان مقدار امتدادها، فاللغة أوثق العرى التي تجمع بين أعضاء هذه الجماعة، وهي — على الدوام — رمز ما بينهم من تشارك وحارسه الأمين، وأية آلة أفعّل من اللغة في توطيد وجود الجماعة؟ فاللغة بمرونتها، وتنوع حياتها، ولطف سريانها، واختلاف استعمالها، وسيلة للاتفاق بين الجماعة، وعلامة لأعضاء هذه الجماعة، بما يعرف بعضهم بعضًا، ويهرع بعضهم إلى بعض (د. عبد الغفار حامد هلال، القاهرة 1986: 224)

واللغة بهذه الأهمية تشكل عنصرًا رئيسيًا لبناء الهوية الإنسانية، وإذا فقد الإنسان لغته فقد فقد أبرز سماته الحضارية؛ إذ هي (لغة الأم) تشكل عاملاً رئيسيًا في هوية الفرد المنتمي إليها، وهي من خلال هذا تؤهل الفرد لكي يلتحق بجماعة أكبر تنتمي إلى اللغة نفسها، بدءًا من الجماعة الصغيرة في الأسرة الواحدة، وامتدادًا إلى الجماعات الأكبر في القرية أو المدينة أو الإقليم أو الولاية أو الدولة أو غيرها من مسميات التجمعات البشرية (المرجع السابق 19).

قد استطاع المستعمر الأوربي من فرض لغاته على الشعوب الإفريقية، استغل بذلك طبيعة اللغات الإفريقية المتمثلة في كثرتها وتباينها وعدم كتابتها؛ إذ تعتبر إفريقية من الناحية اللغوية من أشد المناطق تعقيدًا في العالم. وربما لا ينافسها في ذلك سوى سكان أمريكا الجنوبية، ويقدر عدد اللغات في إفريقية عادة 800 لغة، بينما تقدرها خريطة مدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن بنحو ١٥٠٠ لغة (د. محمد عبد الغني السعودي، عالم المعرفة، الكويت، 1980)، ومن ثم نجد الأديب الإفريقي من حيث التجربة يكتنفه جو من الشعور بالغربة المزدوجة: داخل الوطن نتيجة الاستئثار المستعمر بكل شيء، وداخل اللغة نتيجة الاضطراب الكاتب الإفريقي إلى التفكير بلغة الأم، والكتابة بلغة المستعمر، (د. علي شلش، الكويت، 1993: 22)؛ إذن المستعمر الأوربي هو الذي لعب هذا الدور المزدوج.

العلاقة العربية الإفريقية ومحاولة الغرب تفتيتها

عما قبل، نشير إلى أن هذا العنوان قد لا ترى فيه النظرة العجلى العلاقة الوثيقة بينه وبين محتوى هذا المقال، لكننا بالتأني نجد أن الحديث تحته يدور حول العلاقة التاريخية بين شطري القارة الإفريقية: الجنوبي والشمالي، تلك العلاقة التي نجح المستعمر الأوربي في تفتيتها وتفكيكها لصالحه، وذلك من خلال صنع القضايا التي ذكرناها تحت العنوان السابق. إن "العلاقة العربية الإفريقية علاقة ذات امتدادات تاريخية عميقة، منذ فجر التاريخ وقبل ظهور الإسلام وبعد ظهوره حتى العصر الحديث، على المستوى البشري والثقافي والتجاري؛ وقد أقام الإسلام روابط دينية وثقافية بين العرب ومعظم دول الجوار الإفريقي؛ وقد دعمت هذه العلاقات في العصر الحديث المقاومة المشتركة ضد المستعمر، ومحاولة قيام الدول المستقلة، والانضمام إلى دول عدم الانحياز، بالإضافة إلى الاهتمام بقضايا التنمية الاقتصادية — الاجتماعية (أ. نورا أسامة عبد القادر، قراءات إفريقية، 2011: 50).

في العصر الحديث، وبالتحديد في النصف الثاني من القرن العشرين، عادت العلاقات العربية الإفريقية قوية لسبب الآلام والأمال المشتركة بين الجانبين، وقد ربطت بين العرب والأفارقة في هذه الفترة مجموعة من العوامل والأسس المشتركة التي تؤكد تعزيز التواصل والتعاون العربي الإفريقي، وتتمثل في العوامل التاريخية والجغرافية والثقافية والدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وقد انطلق هذا التعاون تنفيذا لقرار القمة العربية الإفريقية عام 1977م، والذي أوصى بتعزيز التعاون في المجال الاجتماعي والثقافي والرياضي بين الهيئات الحكومية العربية والإفريقية (أدياب علي محمد علي، طرابلس — ليبيا 2010: 6).

مع الجدل في الاعتبار أن المتحدث عن العلاقة العربية الإفريقية مطالب بأن يكون على حذر؛ وذلك لوجود جزء كبير من الدول العربية في القارة الإفريقية، ومن ثم ندرك أن هذا الاصطلاح (العلاقة العربية الإفريقية) يقصد به في الأدبيات السياسية العلاقة بين الدول العربية الأعضاء في الجامعة العربية بشقيها الإفريقي والآسيوي مع الدول الأعضاء في منظمة الوحدة الإفريقية، والاتحاد الإفريقي فيما بعد، ومعنى ذلك أن الحديث لا ينصرف اصطلاحيا نحو العلاقة بين الدول العشر العربية ذات العضوية المزدوجة في المنطمتين، والدول الإفريقية؛ لأن ذلك يدخل في إطار

العلاقات الإفريقية الإفريقية التي تبحث في إطار المنظمة الإفريقية (أ. عبد الرحمن قدوري، السارة للدراسات الإسلامية، 2015: 42).

لكن الاستعمار بتكوينه تجمعات بأسماء معينة كان شديد الحرص على تقسيم القارة لسمراء بين دول الشمال العربي من ناحية، والدول الإفريقية جنوب الصحراء من ناحية ثانية. وبناء على هذا التقسيم تكون أوراق العلاقات قد اختلطت، وذلك لوجود نصف الدول العربية تقريبا في القارة الإفريقية؛ ثم إن هذا التقسيم الاستعماري يعمد إلى التمييز وإثارة النعرات بين أبناء القارة الواحدة، ويشير بالتالي، إلى أن العلاقات يجب أن تكون بين الدول الإفريقية بشقيها الشمالي والجنوبي من ناحية، والدول العربية لآسيوية من ناحية ثانية؛ وتوضيحا لهذه المسألة أرى في تلك العلاقات ما يلي: إن المصطلح "العلاقة العربية الإفريقية" غير صحيح؛ إذ لا ينطبق على ما يراد منه من الناحية الواقعية، لأن أكثر عدد العرب أفارقة موجود في القارة الإفريقية، كالمصطلح "العلاقة العربية الآسيوية" لكون الجزء الأكبر من الدول العربية في القارة الآسيوية، والمصطلحان غير واضحين ولا يتبين معناهما إذا أردنا أن نوفق بين تركيبهما اللغوي وما ينبغي أن يعنى به من الناحية الواقعية.

والصحيح الذي يجب التمسك به هو ما يلي: "العلاقة العربية العربية" و"العلاقة الإفريقية الآسيوية"، المصطلح الأول يشير إلى العلاقة بين الدول العربية بعضها مع بعض، والمصطلح الثاني يشير إلى العلاقة بين إفريقيا وآسيا مع وجود العرب في كل منهما. ولعل من الغريب أن نجد العرب أكثر ترحيبا بمثل هذه المصطلحات واحتفاء بها: "العلاقة الإفريقية" و"العلاقة العربية الآسيوية"، على الرغم من أن مفهومها اللغوي يخرج العرب من حسابي القارتين الإفريقية والآسيوية! وربما هذا الفهم مجرد الصورة الذهنية، مع مخالفتها للحقيقة والواقع.

الأدب العربي الإفريقي والإستراتيجية الغربية

نعود هنا إلى الحديث عن المصطلحات التي سبقت الإشارة إليها باعتبارها من أهم المصطلحات التي وظفها المستعمر الأوربي للوصول إلى هدفه المنشود، وهو السيطرة على القارة الإفريقية ماديا وحضاريا وثقافيا، وهي: إفريقيا جنوب الصحراء، وقضية الزوج وقضية اللغة، غير أن للأول منها علاقة مباشرة بمصطلح "الأدب العربي الإفريقي"، أو "الأدب العربي بالتعبير الإفريقي" كما يسمى في بعض المؤسسات التعليمية الإفريقية. لا شك أن تقسيم القارة الإفريقية قسمين، والحدود بينهما الصحراء الكبرى "قد وضع في إطار سياسي استعماري واضح الهدف، وهو تشطير القارة وتدعيم تجزئتها، ولانفراد بكل شطر على حدة، فلم تكن الصحراء الكبرى هذه فاصلا حقيقيا بين الشمال والجنوب قبل السيطرة الاستعمارية، بل كانت طريقا للهجرات والقوافل التجارية بين الشمال والجنوب، ولم يكن العرب أبناء الشمال في عزلة عن الزوج طوال القرون، حتى القرن التاسع عشر الذي تمت فيه السيطرة على شطري القارة؛ ولا كانت هذه الصحراء الكبرى حائلا دون دخول (إفريقيا السوداء) في الإسلام إبان العصور الوسطى، كما هو معروف" (د. علي شلش، الكويت، 1993: 11).

ومن المعلوم أن التجمعات البشرية موجودة في جميع القارات، بما في ذلك القارة الإفريقية، وتهدف هذه التجمعات إلى تنظيم الشؤون السياسية أو الاقتصادية أو القضائية أو الأمنية أو الثقافية... غير أن مثل هذا التقسيم الذي قسم به القارة الإفريقية إلى الجنوب والشمال، والذي يهدف به الغرب إلى التحكم على القارة؛ يشير إلى كونه مجرد صناعة صنعها الاستعمار لهدف السيطرة على الشعوب، من جهة، ومن جهة أخرى لكي يبني عليها المستعمر أمورا أخرى مثل التاريخ والثقافة والأدب؛ وذلك في سياق فكرته التي حظيت بقناعتته، ألا فهي "فرق تسد"؛ وإن صح استخدام مثل هذا التقسيم تجوزا في الأغراض السياسية والإستراتيجية، فلا يمكن الأخذ به على صعيد الأدب؛ لأن انتشار الثقافة مع الدين الإسلامي جنوب الصحراء وتغلغلها في ثقافات الشعوب الزنجية هناك قد شكلا مؤثرا مهما من المؤثرات في الثقافة والأدب، وهو ما تبين لنا اليوم بعد تحرير القارة واستقلالها وبداية البحث في تراثها الشعبي بصفة خاصة (المرجع السابق: 11 - 12).

من هنا نتطرق إلى الحديث عن الأدب العربي الإفريقي، حيث نؤكد على أنه لا يمكن أن نسحب الجزء على الكل فنقول إن الأدب الإفريقي يبدأ بعد الصحراء الكبرى، ونخرج منه الأدب العربي في الشمال بحجة أن (إفريقيا الشمالية) منطقة أدبية منفصلة تمام الانفصال، تنتمي إلى العالم الإسلامي والعربي... وحتى إذا سلمنا جدلا بهذه الحجة التي يدحضها وجود عالم إسلامي جنوب الصحراء أيضا، بل لا يمكن أن نسلم بأن المعنى الجزئي يشمل المعنى الكلي؛ لأن أدب أي قارة ينبغي أن يشمل أدب هذه القارة كلها، كقولنا: الأدب الأوربي، والأدب الآسيوي، والأدب الأمريكي، والأدب الأسترالي، والأدب الصيني، وهكذا... (د. علي شلش، الكويت، 1993: 12)، والحقيقة

التي لا يمكن دفعها، هي إن أفريقيا قارة كجميع القارات في العالم، تتكامل بجزئياتها، وتكون بعد تكاملها كلا لا يتجزأ.

إن التمييز المنطقي هو الهدف العلمي الوحيد في وضع المصطلحات للظواهر الثقافية والأدبية والفنية، واللغة في مادتها المعجمية هي عمدتنا الأولى في القيام بهذه المهمة؛ اللغة العادية التي يستعملها الناس في حياتهم اليومية غير قادرة على التعبير عن المدلولات العلمية والفكرية والأدبية، نتيجة لدقة هذه المدلولات وكثرتها، ونتيجة لطبيعة اللفظ اللغوي العام، الذي يكتسب دلالاته من خلال التجارب الحالية المستعملة، على نحو يجعل دلالة هذا اللفظ غير خالصة من الظلال العاطفية التي تُستدعى عند النطق به أو عند الاستماع إليه؛ ومن ثم فلا بد أن نكون على حذر شديد عند وضع مصطلحات كهذه في المجالات التي تهمننا، وإلا لا نَسلم من وضع مصطلحات لا تجمع وتمنع.

لا شك أن المصطلح "الأدب العربي الإفريقي" يعاني إشكالية في تحديد مدلوله، ولعل ذلك ناجم عن كونه قد وُضع تحت ظرف من الارتجالية، أو الخضوع للعاطفية، أو تحت سيطرة الصورة الذهنية المستقرة في النفوس. وفي الواقع الأدبي يُعنى بـ "الأدب العربي الإفريقي" تلك النصوص الشعرية والنثرية التي انتُجت باللغة العربية في إفريقية جنوب الصحراء؛ ومن الناحية اللغوية قد احتوى في طياته أكثر مما أريد له، وذلك لكونه يشير في تركيبه اللغوي إلى كل ما أبدع باللغة العربية داخل القارة الإفريقية، في الوقت الذي أريد له أن يكون مصطلحا لما أبدعه الأفارقة باللغة العربية في منطقة جنوب الصحراء الإفريقي؛ ولعل واضعي المصطلح أرادوا منه أن يكون مجرد مصطلح ليس إلا؛ مع غض الطرف عما يعنيه هذا التركيب اللغوي!

وأظن ظنا أن هذا المصطلح (الأدب العربي الإفريقي) جاء موازيا لما أجمع عليه جمهور المستقرين من أن "الأدب الإفريقي" مصطلح يعني أدب المناطق التالية جنوبا للصحراء الإفريقي الكبرى حتى التقاء القارة بالمحيط الجنوبي؛ وهذا الإجماع قد نشأ بدوره من الإجماع السابق من قبل جمهور المستقرين أيضا من تقسيم القارة قسمين كبيرين: القسم الشمالي الإسلامي والقسم جنوب الصحراء؛ بمعنى أن القارة الإفريقية، تقسمها الصحراء الكبرى قسمين مختلفين كل الاختلاف: قسم يقع شمال الصحراء يسمى "إفريقيا العربية الإسلامية، وقسم يقع جنوب الصحراء، ويسمى إفريقيا جنوب الصحراء أو إفريقيا السوداء (د.علي شلش، الكويت، 1993: 10)، ثم زاد الباحثون في الأدب الصادر باللغة العربية في جنوب الصحراء الإفريقي كلمة (العربي) ليعني لهم ما يريدون، ضاربين صفحا عن كون الأدب العربي في شمال الصحراء أدبا إفريقيا أيضا.

واضح أن هذا التقسيم الصادر من قبل المستقرين تقسيم ذو طابع استعماري، يهدف إلى تجزئة القارة الإفريقية، لكي يسهل التعامل معها، من باب "فرق تسد" الذي تبناه الفكر الاستعماري، ولا بد أن يتعاطاه الباحثون الأفارقة بحذر شديد؛ ولا بد أن يُرد على عدد من التساؤلات قبل التعامل معه، من قبيل: من واضع هذا التقسيم، وما هدفه في وضعه، وهل الصحراء الإفريقية الكبرى كانت حدا فاصلا بين جزئي القارة قبل الاستعمار؟

وبناء على ما سبق ندرك أن إشكالية المصطلح (الأدب العربي الإفريقي) بدأت أصلا من مصطلح (الأدب الإفريقي) الذي يعني — من الناحية اللغوية — تلك الآداب المكتوبة باللغات الإفريقية الأصلية، بما في ذلك اللغة العربية، في حين نجده من الناحية الاصطلاحية مضطربا، فمرة يُعنى به ما كتبه الأفارقة داخل القارة الإفريقية باللغات الوافدة من وراء البحر الأبيض، مثل اللغات: الإنجليزية والفرنسية والأسبانية... ومرة يعني الآداب والفنون الشعبية الإفريقية غير العربية، ويتساءل الباحث: لماذا لا تدخل العربية؟ ولا يكاد يجد جوابا مقنعا، بل أعلى ما يكون الجواب هو: لأن الأدب العربي قد حظي بدراسات كافية، وهو — كما ترى — جواب غير علمي!

وإذا عدنا إلى المصطلح "الأدب العربي الإفريقي" نجد هذا الاضطراب ما زال مستمرا معه، وسنجد أن التساؤلات التي أثّرت حول المصطلح الأول هي التي تثار حوله، والرد سيكون بالجواب نفسه! يمكن القول عن المصطلح الأخير إنه مجرد مصطلح كما سبقت الإشارة إليه.

ورغم كونه مجرد مصطلح كما أراد منه أصحابه، فإنه لا يزال يثير تساؤلات لدى الباحث من قبيل: هل الأدب العربي الإفريقي هو ما أنتجه أبناء القارة الإفريقية من النصوص الأدبية باللغة العربية، أو هو ما أنتجه القاطنون في جنوب الصحراء الإفريقي، بصرف النظر عن أصلاتهم في المنطقة أو هجرتهم إليها من شمال القارة، أو هو النصوص الأدبية التي أنتجها السود الأفارقة باللغة العربية، وماذا يطلق على النصوص الأدبية العربية التي أنتجها السنغالي أو الكاميروني الذي يعيش في مصر أو المغرب والتي أنتجها المغربي أو المصري الذي يعيش في السنغال أو الكاميرون؟... وهكذا ظلت هذه التساؤلات وأمثالها تطرح نفسها على الساحة الأدبية والنقدية، ولم تجد ردا مقنعا حتى اللحظة!

وفي حقيقة الأمر أن هذا المصطلح من المصطلحات الأدبية التي تعاني كثيرا من الاضطراب وعدم التحديد الحاسم، مما يستوجب طرحه في مائدة الحوار والتداول للعمل على الخروج بمصطلح علمي جامع مانع يستحقه هذا

الحقل من الدراسات الأدبية (الأدب العربي في جنوب الصحراء الإفريقي)؛ وخاصة بعد أن ندرك أن صيغة المصطلح الحالية (الأدب العربي الإفريقي) تشير ضمنا إلى أن الأدب العربي داخل القارة الإفريقية ليس أدبا عربيا أفريقيا مما يستلزم كون الجزء الشمالي الشرقي العربي من القارة ليس من أفريقيا فنيا وثقافية على أقل تقدير، ذلك الذي يرفضه المنطق السليم ويُقصيه.

والغريب في الأمر أن كثيرا من العرب الأفارقة قد استقر هذا المفهوم الخاطئ في أذهانهم أكثر من غيرهم من شعوب القارة، فمثلا لو لقيت جزائريا أو مغربيا أو مصريا ووجهت إليه هذا السؤال الفضولي، قائلا له: هل أنت عربي أو إفريقي؟ سيرد عليك بكل بساطة قائلا لك: أنا عربي، ولا يجد في هذا الجواب بأسا؛ مع أنه بهذا الجواب يثبت ضمنا أنه غير إفريقي؛ ولعل مثل هذا المفهوم الذي استقر في الأذهان من هاهنا وهنا يمكن أن ينضم إلى الدوافع القوية المسببة في وضع مثل هذا المصطلح (الأدب العربي الإفريقي).

ومع كل التفاصيل التي نجدها حول المصطلح "الأدب العربي الإفريقي"، فسيظل غير مستقيم من حيث الدلالة في محتواه العام، ولكي يستقيم المصطلح لا بد أن نضيف في التعريف هذا التركيب: "في جنوب الصحراء"؛ وذلك عند دراسة هذا القسم من الأدب العربي داخل القارة الإفريقية، وإلا سيظل يعني بمفهومه أن الأدب العربي في القسم الشمالي الإفريقي ليس إفريقي الانتماء، وهذا أمر مرفوض عقلا لأن حدود القارة الإفريقية معروفة جغرافيا، والشعوب التي تقطن داخلها هي الشعوب الإفريقية، بصرف النظر عن ألوانهم وطولهم وقصرهم... هذا هو المنطقي. وبعد كل ما قلناه من محاولة إثبات ما يعانيه الأدب العربي الإفريقي من الاضطراب من حيث المصطلح، نعود لنؤكد أن هذا الحقل من الأدب العربي يعتبر حلقة مهمة من حلقات الأدب العربي خارج الوطن العربي، قد عاد بالكاد إلى الأدب العربي بعدما أوشك على فقدان تحت غطاء كثيف من غبار التاريخ، وتحت ظلال من إهمال العرب وعدم وعيهم الكامل بزحف ثقافات شمال البحر الأبيض على ثقافتهم؛ مع كل ذلك ظلت النصوص الأدبية المسجلة باللغة العربية في جنوب الصحراء الإفريقي مثبتة بوجودها داخل ساحة الأدب الإنساني، إنها — في حقيقة الأمر — نصوص أدبية حوت في طياتها خصوصياتها المميزة من حيث الشكل ومن حيث المضمون على حد سواء، بما يكفي أن يشد الباحثين نحوها للدراسة والتحليل والتحصيص لهدف الوقوف على القيم الإنسانية والفنية.

كلمة الختام

لقد حمل الميراث التاريخي للعلاقات الأوربية الإفريقية الكثير من الدلالات والمضامين، والتي أثرت سلبا وإيجابا في طبيعة العلاقات بين الجانبين، خاصة بعد الحملات التبشيرية وحركة الكشوفات الجغرافية، وموجة الاستعمار الأوربي الحديث على القارة الإفريقية، فقد ظلت الدول الإفريقية مستعمرات أوروبية لمدة قاربت القرنين، ومع حصولها على الاستقلال ظلت مخاوف الدول الإفريقية قائمة، وظل الجدل قائما ومستمر حول ما إذا كانت العلاقات التي تربطها بأوروبا تمثل استعمارا جديدا للقارة، أم أنه يدخل في إطار الشراكة والتعاون بين الطرفين.

هذا تساؤل ظل مطروحا، والرد عليه بات غامضا حتى الآن، بعد مضي ما يزيد على نصف قرن من الزمان من استقلال البلدان الإفريقية، وذلك لأن تصرفات أوروبا ظلت موضع الشك والريبة لدى أذهان الأفارقة، ومن داخل امتداد هذه الفترة قد أحدث الأوروبيون أمورا يستفيد منها على حساب القارة الإفريقية ثقافيا وحضاريا؛ ومن القضايا التي صنعها الفكر الأوربي ووظفها للوصول إلى هدفه، وهو تحويل العقول عن الأهمية الحضارية للأفارقة: مصطلح إفريقيا جنوب الصحراء وقضية الزنجية وقضية اللغة، ويتمثل من هذه القضايا وأمثالها غزو الغربيين الثقافي للقارة الإفريقية، وذلك من خلال تضعيفها ثقافيا وحضاريا، ويبدو أن المستعمر قد أصاب هدفه المنشود، مما جعل الإفريقي محاصرا في زاوية مظلمة لا يستطيع منه أن يتحكم على حركته فضلا عن حركة العالم من حوله؛ وتذكرني هذه الحالة قول الشاعر:

ويقضى الأمر حين يغيب تيم ولا يستعمرون وهم شهود

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- د. أحمد العدوانى، توصيف نظرية الأدب، دت.
- د. أحمد درويش، إنقاذ اللغة إنقاذ الهوية، نهضة مصر، 2005
- أدياب علي محمد علي، منتدى التعاون العربي الإفريقي، طرابلس – ليبيا 2010
- د. بدر حسن شافعي، قراءات إفريقية، القاهرة، 2011
- دونالد ويدنر، تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، ت: د. راشد البراوي، الوعي العربي 1962
- د. طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2014
- أ. عبد الرحمن قدوري، السارة للدراسات الإسلامية، 2015
- د. عبد الغفار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، القاهرة 1986
- د. علي شلش، الأدب الإفريقي، عالم المعرفة، الكويت، 1993
- د. محمد عبد الغني السعودي، القضايا الإفريقية، عالم المعرفة، الكويت، 1980
- مجموعة من الكتاب، نظرية الثقافة، عالم المعرفة – الكويت، 1997
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، معجم الوسيط، مكتبة الشروق العالمية، 2004
- أ. نورا أسامة، العلاقات العربية الإفريقية، قراءات إفريقية، 12011، القاهرة 1986

الإبداع الفني لدى الشعراء التشاديات في مرحلة المعاصرة

دراسة تطبيقية على نماذج مختارة.

إعداد الباحث - الدكتور/ الحبو تجاني مصطفى - عضو هيئة التدريس بجامعة الملك فيصل بتشاد

مقدمة

تعد اللغة العربية أقدم لغة حضارية عرفت شعوب أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، وما تزال، وشأنها هو الداعي إلى القول والرسم لدى الكتاب والمنتديات في أفريقيا وغيرها، ولكونها لغة حضارة وعلم اقتضى الأمر بحثاً فيها فوق ما عندها لبيان مكانتها لذا رأى الاتحاد العام لمؤسسات دعم اللغة العربية في تشاد إقامة مؤتمر علمي دولي بعنوان: (اللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء بين متطلبات الانتشار وتحديات الانحسار) يناقش فيه قضاياها بالإشارة إلى مكتسباتها ومحاوله دعمها، والتعرض لمعوقاتهما مع وضع حلول لها ما أمكن. وبناء على ذلك رأى الباحث المشاركة ببحث في هذا المؤتمر في المحور الخامس (اللغة العربية والإبداع الأدبي والفكري) بعنوان: (الإبداع الفني لدى الشعراء التشاديات في مرحلة المعاصرة؛ دراسة تطبيقية على نماذج مختارة).

قسم الباحث ورقته إلى مقدمة وثلاثة مباحث.

يتناول في المقدمة ظهور اللغة العربية في تشاد وما صاحبها من عوامل التأثير والتأثر.

وفي المبحث الأول: ظهور الشعر العربي في تشاد.

وفي المبحث الثاني: الشعراء في تشاد وموضوعات شعرهم.

وفي المبحث الثالث: الخصائص الأسلوبية في شعر الشعراء.

المنهج المتبع: يتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسة شعر الشعراء من حيث النشأة والتطور، والمنهج التطبيقي في دراسة النص وتطبيق القاعدة عليه.

ثم خاتمة تحوي النتائج التي يمكن أن يتوصل إليها البحث، وتوصيات يمكن أن تظهر من خلال الدراسة.

مع فهرس للمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة.

مدخل:

شهدت أرض ما يعرف بتشاد الآن هجرات القبائل العربية إليها في وقت مبكر من التاريخ الهجري حيث وفدت قبائل إلى مناطق الشمال في منتصف القرن الأول الهجري حاملة معها ثقافتها فاحتكت بسكان تلك المناطق فنشأ منها التأثير والتأثر.

لقد تأصلت اللغة العربية في تشاد منذ فجر الإسلام، وذلك لدخوله المبكر إليها مع أفواج القبائل العربية، وبسط نفوذه فيها فشرع الناس في اعتناقه، وتعلم لغته، وحفظ قرآنه، وانتشرت العلوم الدينية واللغوية بينهم الأمر الذي ساعد على انتشار اللغة العربية في تلك البقاع، فبرع من أبنائها رجال في مختلف فنون الثقافة العربية، وبرز العديد من العلماء الذين أجادوا قرض الشعر العربي في جل أغراضه.

ظهور الشعر في تشاد:

كانت بلاد كانم ذات حضارة أفريقية متقدمة، ونشاط اقتصادي ملحوظ، ولها اتصال بمحيطها الخارجي مع حواضر العالم الإسلامي آنذاك، وخاصة الجهة الشمالية والشرقية، وحين دخلوا في الإسلام سعوا إلى تطبيق أحكامه، والتخلق بأدابه، ومن ذلك الحج، فحين بدأت رحلات الحجيج منهم ازداد ارتباطهم بالعالم الإسلامي المشرقي والمغربي، فتأثروا أولاً بثقافة الوافدين والفاثحين العرب، وببيئة الحجاز أرض الدعوة، ونتيجة لهذا التأثير الإيجابي تجاوب معه أهل تلك المناطق، وحين توسعت مملكة كانم-أقدم مملكة قامت على الأراضي التشادية 1 - أقامت علاقات تجارية وصلات ودية ودبلوماسية تمثلت في ابتعاث أناس يمثلونها لدى حكام تلك الإمارات التي تتعامل معها، وكان من نتائج ذلك ظهور الشاعر الكانمي لدى البلاط المغربي حين مدح أهله فأكرموا وفادته، وسجل التاريخ ذلك.

تعد وفادة الشاعر إبراهيم بن إسحق الكانمي إلى أمير مراکش إبراهيم بن يعقوب بن يوسف بداية ظهور الشعر العربي التشادي المكتوب في تلك الحقبة، وهو حتماً ليس أول شاعر ولا واحداً، ولكن لحسن حظه ذكره التاريخ فناله الشرف. فشعره ليس ركيكا ولا ضعيفا مما يوحي بانتشار العربية بين أفراد المملكة وخاصة سراة القوم 1.

ومنذ تلك الفترة أخذ الشعر ينتقل بين الممالك والسلطنات التي قامت على الأراضي التشادية، فصار لمملكة كانم شعراؤها ولسلطنة وادي شعراؤها، ومثلها سلطنة باقرمي وبقية السلطنات التي نشأت بعدها على فترات متقطعة، حتى جاء العصر الحديث فكثر الشعراء لعوامل عديدة.

يعتبر الشعر العربي في تشاد امتدادا للشعر العربي من حيث الشكل والمضمون، وقد عرفت تشاد عبر مراحلها الشعرية الماضية التزام الشعراء بالوزن والقافية حتى ظهور الشعر التجديدي في فتر المعاصرة، حيث ظهر شعراء اعتمدوا الأسلوب التجديدي في نظم الشعر، فظهر لنا الشعر الحر.

تأخرت دراسة الشعر العربي في تشاد لأسباب عديدة، وحين اتجهت الدراسة إليه كان نصيب الشعراء منه كثيرا مقارنة بالشاعرات.

ظهور الشاعرات التشاديات على الساحة الأدبية

لم يكن ميدان الشعر في العصر المعاصر مقصورا على الرجال كما كان من قبل، إذ العصور السابقة لم تشهد ميلاد شاعرة واحدة حسب علم الباحث، بينما شهد العصر المعاصر ميلاد شاعرات لهن نتاج أدبي مقدر يمثل جانبا من ثقافة المجتمع التشادي. ظهر الشعر النسائي في الساحة التشادية متأخرا عن شعر الرجال لأسباب عديدة، وبالجمله فإنه متأخر عن شعر الرجال في الخصائص والموضوعات والأغراض. وعليه فإن دارسه ينبغي أن يضع في الاعتبار هذه المقاييس أثناء تعرضه له.

فظهرهن في الساحة الشعرية التشادية في الآونة الأخيرة أعطى توازنا في المعادلة. فبين يدي الآن دواوين لشاعرات يؤرخن للحظة فارقة في تاريخ الشعر العربي المعاصر في تشاد بظهور شاعرات تشاديات رفعن أسماءهن لمصاف كبار الشعراء التشاديين مثل الشاعرة ساكنة محمد أحمد ومريم أبكر نكور، غيرهما.

وتعد زلفى البوصيري أول شاعرة تشادية في العصر الحديث تقول الشعر حسب علم الباحث، فقد قالت قصيدة في الزعيم الليبي معمر القذافي أثناء زيارته لتشاد في نهاية القرن العشرين جاء فيها:

والله لو أن الجوارح كلها شكرتك يا معمر مدى الأزمان
ما كنت إلا عاجزة ومقصرة في جنب شكرك صاحب الإحسان
أيدتنا ونصرتنا وحفظتنا من كل ذي حقد وذئ شنان¹

فالقصيدة رغم ضعفها الفني تعد ذات قيمة تاريخية لنشأة الشعر النسوي في تشاد، ومن ثم تلتها محاولات صبورة أرمياء قمبرو، وتماضر الخنساء محمد أحمد، وإيمان حامد هارون، وفاطمة محمد جدي.

وكانت البداية في نهاية الألفية الثانية ومطلع الألفية الثالثة، وشهدت حراكا ثقافيا عاما، وفي العاصمة على وجه الخصوص، مثلته المؤسسات الأكاديمية والمنديات الثقافية، وكن ضمن من شارك فيه بقصائد متنوعة في موضوعات مختلفة. فتلك هي بداية ظهور الشاعرات التشاديات الناطقات بالعربية.

موضوعات شعرهن

تناولت الشاعرات التشاديات موضوعات شتى يخص بعضها الشأن التشادي وبعضها الآخر ذو طابع عالمي.

إن أغراض شعرهن توزعت بين الأغراض التقليدية القديمة والموضوعات الجديدة التي تعالج قضايا أنية، إضافة إلى مقدرتهن في إحداث تغيير في الصياغة الشعرية لا تخرجها عن إطارها الموروث، ولكن تصبغها بصبغة التجديد.

وأهم ما يميزهن عن غيرهن من شعراء المعاصرة الصدق الفني، إذ ابتعدن كثيرا عن الخيال المسرف، والمبالغة المذمومة واقتربن من الواقع في تصويرهن أو معالجتهم للقضايا، فحين نجد الشاعر التشادي نظيرهن يغالي أحيانا أو يغض الطرف أحيانا عن قضايا مهمة أو يتشائم أو يتمرد على الواقع نجدهن أقرب إلى المتلقي من حيث الطرح.

لم يكن شعر هؤلاء الشاعرات بمعزل عن الأغراض الشعرية المطروقة لدى نظرائهن من الشعراء، فقد سايرن الركب، ووقفن في محطات الحياة متأملات قضايا مجتمعهن مع ميل قليل إلى شأنهن أحيانا، أي أفراد المرأة برسائل تحضها على التمسك بقيمها ومبادئها بسرد يحوي صورا جمالية تنم عن نضج الشاعرة ومعرفة دورها في معالجة قضايا مجتمعها والإسهام في تنميته ثقافيا وفكريا.

لم يشرن إلى مناسبة قصائدهن، وأحيانا يأتين بعناوين غير دالة على الغرض كما هي الحال في قصائد مريم أبكر نكور.

لم يتعرض الدارسون لنتاج الشاعرات من الناحية النقدية والفنية، وربما مرد ذلك راجع لكثرة الشعراء الذكور، ونضج التجربة لديهم بخلاف ما لديهم.

اتصف شعرهن في تلك المرحلة بالقلّة والضعف الفني، حيث يقول عنهم د. حامد هارون: (أما العنصر النسائي فإن زلفى البوصيري وتماضر الخنساء ينتهجان فيه الاتجاه المحافظ، في حين صبورة أرمياء قمبرو، وإيمان حامد تعتبران من المزوجات بين المحافظة والتجديد على الرغم من أن عمودهما الشعري لم يستقم على حال بعد)¹.

إن كثيرا من الجهود التي اتجهت نحو دراسة الشعر العربي في تشاد ركزت على وصف إنتاج الشعراء، فحين سردت نماذج من شعرهم، ووقفت على أغراضهم وخصائص شعرهم، اقتصرنا على الذكور دون النساء، فالشاعرات على غرار نظرائهن خضن ساحة الشعر، وصار لهن فيه حضور رغم قلتهم، وعليه جاءت هذه المشاركة لتكون دراسة لهذا الجهد المنسي أو المهمل إن صح التعبير لتقف على الجانب الفني فيه من حيث النسيج والتأليف.

نماذج لشاعرات تشاديات معاصرات

اقتصرت الدراسة على ثلاث شاعرات يمثلن العنصر النسائي في الساحة الأدبية التشادية المعاصرة، وهن على الترتيب الشاعرة/ ساكنة محمد أحمد زائد، ومريم أبكر نكور، وصبورة أرمياء قمبو، لما لهن من نتاج شعري مقدر يستحق دراسة للوقوف على ما فيه من صور جمالية فنية، فقد دُرِس نتاج بعضهن دراسة أدبية تاريخية نقدية، وتأتي هذه الدراسة لتتناول الجانب الفني الجمالي ببيان الصور البلاغية فيه من خلال التصوير والتشخيص لحال المجتمع التشادي وبقيّة الأغراض الأخرى.

التعريف بالشاعرات:

اتبع الباحث في التعريف بهن مبدأ الأقدمية من حديث النشأة وقول الشعر.

أولاً: صبورة أرمياء

هي صبورة أرمياء قمبو، من مواليد عام 1980م بأنجمينا.

نالت تعليمها الأولي حتى الثانوي في مدارس العاصمة أنجمينا.

التحقت بكلية الدراسات العربية والإسلامية ونالت منها الشهادة الجامعية.

التحقت بجامعة الملك فيصل بتشاد لنيل درجة دبلوم الدراسات المعمقة.

والآن تعد لمرحلة الدكتوراه¹.

إنتاجها الأدبي

لها ديوان شعر غير مطبوع باسم ديوان الأبرار، وهو الديوان الثاني لها حسب قولها، ويحوي عشرة قصائد قصار

تتراوح بين العشرة إلى عشرين بيتاً، يعد إضافة إلى الشعر التشادي المعاصر قطاع الشاعرات.

لها قصائد متفرقة غير مطبوعة.

آراء النقاد فيها:

يقول عنها الدكتور/ محمد فوزي: (يتسم شعرها بالحس الديني والوجدان الثائر، والنفس الطويل، المخافضة على عمود

الشعر العربي)¹

ديوان الأنوار

ومع كونه تجربة في هذا الاتجاه إلا أنه يحتاج لرعاية وتوجيه ليؤدي رسالته المناطة به ويضاف إلى الأدب العربي

التشادي.

موضوعات شعرها

يأتي شأن الفتاة المسلمة في مقدمة الموضوعات المطروقة، فلقد ركزت جل قصائدها في هذا الاتجاه بنسبة 50% من

مجموع القصائد، وهذا سعي فريد عند الشعراء التشاديين المعاصرين. وينبئ عن تدين الشاعرة واتجاهها.

تعد تجربتها غير ناضجة، وهذا ما أشارت إليه في مقدمة ديوانها بقولها (هذا الديوان المتواضع) فلم تسع خلال

مسيرتها إلى تطوير ذاتها، حيث حبست نفسها في إطار ضيق دون أن تحلق إلى فضاء الإبداع الرحب، فالشاعر مرآة

صادقة عن مجتمعه.

معجمها

معجمها ديني، حيث جاءت قصائدها حاوية المفردات الإسلامية خاصة في حديثها عن الفتاة المسلمة وما ينبغي أن

تكون عليه، إلا أن ذلك صار على حساب بقية الأدوات.

أما من حيث المعجم اللغوي فليس بالقوي، فالمخالفات النحوية وأحيانا الصرفية بارزة وكثيرة مما ينبئ عن ضعف

في الموروث اللغوي.

وفي نظرة عامة نجمل ما في الديوان:

قصائدها قصيرة في شكل نتف لا تفي بالغرض المطلوب، وتخلو من ذكر المناسبة، فبعض القصائد عناوينها غير دالة عليها مباشرة، فلا يهتدي بها القارئ إلى المراد.

تزاوج بين الأساليب الخبرية والإنشائية.

ليس في القصائد صور إبداعية تمثل قيمة فنية تستحق الدراسة.

تميل إلى أسلوب السرد.

لغتها ركيكة لا ترقى إلى مستوى النظم، وتكثر فيها المخالفات العروضية، وهذا ملموس في كل قصائدها.

ثانياً: مريم أبكر نكور:

هي مريم أبكر نكور ولدت عام 1990م بمدينة (فيا) حاضرة الإقليم الشمالي التشادي. انتقلت منذ صغرها مع أسرته إلى ليبيا، حيث نشأت هناك، ودرست المراحل الدنيا، ثم عادت إلى الوطن فالتحقت بجامعة الملك فيصل بكلية تقنية المعلومات وتخرجت في العام 2015-2016م¹.

نالته لقب شاعر الجامعة عام 2015م، وذلك ضمن الأنشطة الثقافية التي تقيمها جامعة الملك فيصل بتشاد سنوياً. حصلت على المرتبة الأولى في مسابقة شاعر الوطن التي نظمتها منظمة النهضة الشبابية. حصلت على المرتبة الثانية في مسابقة شاعر العاصمة التي أقامها الاتحاد العام لمؤسسات دعم اللغة العربية في تشاد عام 2016م¹.

نتائجها الأدبية

لها ديوان شعر باسم (على موعد مع الشروق) يضم أربعة عشر قصيدة بعضها عمودي وبعضها الآخر من شعر التفعيلة.

طبع الديوان مرتين عام 2016م وعام 2017م.

شعرها

يمتاز شعرها عن غيرها من الشاعرات بصدق العاطفة، وعمق الصورة، وجزالة الأسلوب، والقدرة على التعبير المناسب، ويتعد عن التكلف والتصنع، ويميل إلى الأسلوب القصصي في طرح القضايا ومعالجتها.

النصوص الشعرية لديوان "على موعد مع الشروق" يطغى عليها ما يمكن أن نسميه بـ "التناقض المنسجم" في ألفاظها.. معانيها، لكنها استطاعت أن تتحكم في المزج بين كل هذه الألوان المتباينة باحترافية فائقة، واستخرجت منها اللون المميز لها.

الألفاظ قريبة المتناول، بعيدة الدلالات هي قريبة بعيدة.

الأسلوب يتسم بالرمزية الموحية، تشرك المتلقي في تحديد أبعاد المرامي والمقاصد، فالمعاني عند الشاعرة ليس بالضرورة أن تصعد عمودياً بقدر ما تتمدد أفقياً.

الشكل الشعري محافظ متمرد، حافظت على الشكل الموروث للشعر العربي، لتتمرد حيناً عليه وتعود ... إن ضاق التعبير عن الأوزان الخليلية، ففي الشعر الحر مندوحة لإرخاء العنان له¹.

أما القافية لديها فهي غالباً ما نجدها موفقة في اختيارها، وقد وفقت في كثير من قصائدها بهذه القواعد التي وضعها علماء هذا الفن¹.

أغراض شعرها؛ تتمثل في المدح والثناء والغزل والوصف والهجاء والشكوى والحنين.

آراء النقاد فيها

يقول فيها الشاعر الدكتور/ محمود شريف؛ هي رائدة الشعر الرمزي في تشاد في العصر الحديث. وقال عنها د. القاسم محمود: (استطاعت ... أن تصنع من نفسها شاعرة كبيرة، وأن تجعل لنفسها موطئ قدم على الساحة الشعرية بتشاد)¹

مقولة الراجعي: "لا يهولك كثرة أسماء النساء اللاتي قلن شعراً، فعمود الشعر عندهن الرثاء، وليس لهن إلا المقاطيع والأبيات القليلة...¹" غير أنها لم تعد قاعدة مطردة تتغير العصور ولا تتغير.

ثالثاً: ساكنة محمد أحمد

- هي الشاعرة ساكنة محمد أحمد زايد ولدت بطرابلس بتاريخ 1992/7/27م درست المراحل الدنيا (ما قبل الجامعة) بلبيبا. انتقلت إلى تشاد فالتحقت بجامعة الملك فيصل بكلية الآداب والإعلام والفنون، فدرست فيها اللغة العربية، وتخرجت عام 2016م - نالت لقب شاعر الجامعة عام 2013م.
- حصلت على المرتبة الثانية في جائزة الإمام مهدي فضلة للقرآن الكريم والبحث العلمي والأدب التي أقامها الاتحاد العام لمؤسسات دعم اللغة العربية عام 2016م.
- حصلت على المرتبة الثانية في مسابقة الشعراء والخطباء التي نظمتها منظمة النهضة الشبابية في تشاد عام 2012م

إنتاجها الأدبي

- لها ديوان شعر باسم (ولي أمل) طبع مرتين عام 2016 و2017م. يضم ثلاثين قصيدة من الشعر العمودي وشعر التفعيلة.
- لها العديد من القصص القصيرة والروايات لم تطبع بعد1.

شعرها

تعد الشاعرة ساكنة محمد أحمد في طليعة الشاعرات التشاديات في العصر المعاصر، حيث ولدت في ساحة خصبة بالفن والفكر فوجدت لنفسها موطئ قدم بنتاجها. والمتصفح لديوانها يجد أن شعرها تميز كثيرا عن بقية الشعراء التشاديين المعاصرين لها، حيث يمتاز بفصاحة الكلام، وعذوبة الألفاظ، ورصانة الكلمات، ودقة التصوير، وجودة السبك، وحسن الديباجة. فإذا نظرنا إلى الألفاظ التي استعملتها نجد ألفاظا جزلة وسهلة في الوقت نفسه، وهذه ميزة امتازت بها، ووزنها مستقيم، حيث التزمت بعمود الشعر، إلا ما ندر. يمتاز شعرها بمعان مبتكرة، وإبداعات تصوغها في قالب فني بديع مناسب للمعاني، تظهر فيه الرقة والعذوبة والوضوح مع القدرة على التصرف، والبعد عن التكلف، مما أعطى لشعرها وقعا خاصا في قلوب سامعيها، وتأثيرا في نفوسهم1.

الأغراض التي تناولتها في شعرها هي: المدح والوصف والثناء والفخر والهجاء.

آراء النقاد فيها

يقول عن ذلك محمد طاهر النور: (ولعل ثقافتها وحسن منبتها ووعيها المبكر قد أضفى عليها هالة من التمييز جعلتها تنفرد عن فتيات جيلها، بل جاءت كظاهرة أنثوية - مع ظهور قريناتها- لم تشهدها الساحة الأدبية التشادية طوال عمرها المديد...)1

يقول د. القاسم محمود زكريا: (وديوانها ولي أمل بارقة أمل حقيقية في طريق الشعر العربي التشادي الفصيح، وهي حاكت أحلاما لامست أحلامنا والأمان، وجعلتنا على أمل في ديوانها ولي أمل)1.

الجانب التطبيقي

إن ما نعينه في دراستنا هذه هو السعي المتمثل في إبراز دور الذوق الأدبي في الطرح والمعالجة لما صاغته الشاعرة من فكر وشعور في قالب فني يبين حضورها في المشهد الثقافي.

وحتما أن الشاعرة عمدت إلى ركائز معينة جعلتها قوالب تصب فيها فكرها، وكان التصوير البياني في مقدمتها، وأوضح الأساليب لديهن، ولم يكن مبتذلا أو متكلفا، يل أتى وفق رؤية يرمين من خلالها الوصول بخيالهن وإبداعهن إلى المتلقي والأخذ بلبه.

إن الأساليب المستخدمة عندهن تتعدد بتعدد الموضوعات، ففي بعضها نجد قدرا كبيرا للصور البيانية حين تقوى العاطفة، وقد يقل التصوير ويضعف الخيال، لدرجة تقترب القصيدة إلى التقرير، وحيث يكثر الوصف نجد الأساليب البلاغية الأخرى من إنشاء وخبر تستحوذ على المشهد.

ومن خلال ما قام به الباحث من دراسة وإحصاء لعوامل الإبداع الفني عند الشاعرات التشاديات وجدها تقوم على الآتي: -

التشبيه

إن المتأمل في إنتاج الشاعرات يلحظ بروز التشبيه بصورة جلية، فهو الأكثر من بين وسائل التصوير البياني وقد اتخذته مطية للإبداع في أغراض متعددة.

تقول الشاعرة ساكنة محمد أحمد:

إليك تشاد لا تخشي فإننا وجدنا اليوم من يحمي العرينا

بجوف الحصن هم أعلام مجد وخلف الحصن أسد رابضونا¹

اتخذت من مكونات الوطن مثالا للتصوير، فهو يُحمى من قبل من ينتمون إليه حين جعلته عرينا في المناعة تشبيها له، فالأسد لبأسها تحمي عرينها، ولن يجرؤ كائن على الاقتراب منها لعلمه ببأسها، وكذا بنو تشاد في حماية العرض والدود عنه، ومنه قول الشاعر الحبو تجاني:

بلدٌ عليه من الفتوة أدرعُ منعت وعن شرفٍ أولئك ذادوا¹

فمن خلال مقدرة الشاعرة على التصرف في ضروب القول شبهت الوطن بالعرين تشبيها بليغا.

هم أعلام مجد؛ بإضافة المجد إليهم، واتخاذها الراية رمزا لهم دلالة على الظهور، وهي أمنية صاغتها في شكل قضية مسلمة، ودلالة على اقتدارها على التصرف.

وكذا "أسد رابضون" فهم في القوة أسود تحرس العرين، ومن تحرسه الأسود فقد أمن.

تقول في الفخر على لسان اللغة العربية في قصيدتها (أنا الضاد):

ما إن مدحت فلا شيء يقاربني أبدي المحاسن مثل الدر ينتشر

تلك اللغات على شتى مراكزها هي كالنجوم أنا من بينها القمر¹

لقد ضمنت هذه الأبيات صورا عديدة تبين مكانة اللغة العربية بين قريناتها، حيث استخدمت التشبيه لإظهار المكانة، وإجلال الصورة، فالمحاسن التي تحويها- لكثرتها وشرفها- كالدُر المنتشر، فلا تخطئه العين، ولا تشبع منه النفوس، فما إن يقربها مستأنس حتى يأنس بها لما تحويه من معان وجذور لغوية مقارنة بمثيلاتها.

تقول صبورة أرمياء في الفتاة المسلمة

والرعد من غيم الضلالة قاصف

شما لا يقوى عليها الجارف

أنت الثبات على الزعازع واقف¹

الشر نحوك يا عفيفة زاحف

وأراك بنت المسلمات منارة

أنت الثبات على المبادئ كلها

وقالت ساكنة في وصف نبي الرحمة

هو ربعة بين الخلائق إن مشى ومكحل العينين دون الإثم

والوجه بدر بل يعاب بوصفه بدر وبلى فاق الوميض العسجدي

والرشح مسك والروائح جمة عرق وطيب لست تدري المبتدي¹

الاستعارة

إذا انتقلنا إلى الاستعارة فالشاعرات أفسحن لها المجال، وجلبن لها الصور ليستقيم أمرها ومن يطالع شعرهن يجد ذلك واضحا.

تقول الشاعرة صبورة في الفتاة المسلمة أيضا:

أختاه دونك حاجز وستار ولديك من صدق اليقين شعار

غذي صغارك بالعقيدة إنها زاد به يتزود الأبرار¹

هذا التعبير الصادق إن دل على شيء إنما يدل على صدور الشاعرة من منبع أصيل يجافي الفحش ويبغض الرذيلة، حيث جعلت اليقين شعارا يلزم صاحبه ويميزه عن غيره، فهو به معروف وعنه يدافع، وكذا الفتاة التشادية.

ثم عادت الكرة محذرة إياها من غدر الزمان وأهله، فعليها الحرص على الأخذ بمبادئها وتوريثها أبنائها فهم امتداد لها وحصنها الذي تأوي إليه حين تكبر.

من الإبداع الذي وجد عند هذه الشاعرات تسخيرهن للاستعارة وتطويعها لخدمة ما يردنه، فاستمع إلى قول الشاعرة ساكنة تتحدث عن لغة الضاد وما نالها من أسي:

فكل وليد مات وهو يرضع

فلله حمدا ربنا نسترجع¹

أرى الضاد ثكلى من يقيل عثارها

لقد مات من كان المعيل أمتي

وقالت في رمز من رموز الوطن:

ألا يا والد الآلاف يا جد الملايين
ألا يا مسكنا الفواح ريحان الرياحين¹

يعد الماحي* من الرجال القلائل الذين لهم بصمة واضحة في التعليم العالي بتشاد نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين بمجهوده الجبار في التعليم العالي المتمثل في النهوض بجامعة الملك فيصل إدارة وتدريسا، وعندما انتقل إلى جوار ربه رثته الشاعرة بقصيدتين؛ (فقيد الأمة) و(ألا يا مسكنا الفواح).
الاستعارة في؛ مسكنا الفواح، لم تكثف أن جعلته مسكا، وإنما خصته بصفة تلازمه، فالمسك محبوب وإن لم يفح، فما بالك به وهو فائح الشذى، وكأني بها تشير إلى قول البوصيري في وصف الصحابة رضوان الله عليهم:
فالدرد يزداد حسنا وهو منتظم وليس ينقص قدرا غير منتظم¹

استعارة أخرى في" ريحان الرياحين؛ ففي تعداد مناقبه، وإطراء في جهوده جعلته ريحانة الرياحين، فلئن كان الريحان كله طيبا وأصلا للورود فإن الماحي ريحانة الرياحين.
وقالت مريم أبكر نكور في قصيدة لها بعنوان (بعيد قريب)
أناجي النجوم بليل بهيم أنادي بصمت عسى من يجيب
فليلي نهار ونور ظلام غنائي نحيب بلحن كئيب
فما لي إذا جئته باشتياق يلاقي اشتياقي بصد غريب¹

تطغى على شعر الشاعرة مريم أبكر النظرة الفلسفية والنشأوية، فأغلب قصائدها تصدر عن روح لها موقف من الحياة العامة، فهي ثائرة متمردة على الواقع في كثير من أمورها، ومرد ذلك ربما المواقف التي اعترتها في حياتها، حيث ولدت في تشاد، ونشأت في ليبيا، فواجهتها صعوبة في الالتحاق بالجامعة، ثم الظروف الأمنية التي مرت بها ليبيا بعد سقوط القذافي، حيث عادت إلى الوطن عام 2011م كل ذلك كان له الأثر الواضح في تقلباتها.
وقد أشار إلى ذلك الأستاذ الدكتور/ محمد عمر الفال في بحث له بعنوان:(التمرد والنفور في شعر مريم أبكر نكور) قدمه لمؤتمر التعريب الذي أقامه مجمع اللغة العربية في تشاد في الفترة ما بين 16- 17 ديسمبر 2020م - أنجمينا - تشاد.

فمناجاة الشعراء للأنجم قديمة ناتجة عن أحوال نفسية منها ما يتعلق بهم، ومنها ما يتعلق بظروف القاهرة تضطربهم إلى اللجوء إلى النجوم والكواكب ومناجاتها والاشتكاء إليها كما في قول النابغة الذبياني:
كليني لهم يا أميمة ناصب ليل أقياسيه بطيء الكواكب¹

يجد القارئ للأبيات أنها نابعة عن تصور لما يحيط بالشاعرة من أحوال، وقد عكست الحالة، فبدلا من أن تجري على المنوال لتشبه النهار بالليل ليس لتبدل الحال وكآبة النفس جعلت الليل نهارا، ونورها ظلاما. وهو أمر بخلاف حالها: غنائي نحيب بلحن كئيب، حيث تظهر الاستعارة بوضوح دالة على المراد، بلحن كئيب، فالكآبة خاصية يتميز بها الناطق، وليس من خصائص اللحن.

وقولها (ونور ظلام) ربما هو (ونوري ظلام)، وسقط عنها الضمير، ثم قالت:
وأضرمت في الوجد نارا تلظى بباب المساء تزيد اللهب
إن إضرام النار في الوجدان موضوع طرقة الشعراء من قبل، وفيه دليل على الأسى، ومقاساة النفس لأصناف من الآلام كما يقول الشاعر شرف الدين البوصيري:

ورأى وجدها به ومن الوجد لهيب تصلى به الأحشاء¹
فالاستعارة في(نارا) فالنار لا تضرم في الوجدان لامتناع ذلك حقيقة، ولما كان الأسى يحرق الأحشاء شبه بالنار بجامع الإيذاء في كل، والقرينة لفظية أضرمت، وهي استعارة مرشحة لذكر ما يناسب المشبه به(تلظى)
وفي (باب المساء) مجاز مرسل علاقته الاعتبارية، أي أن المساء يتلوه الليل ومدخل إليه فجعل له بابا وأصقه به، فالداخل إلى المقر يمر بالباب، وكذا المساء يصل من خلاله إلى الليل.

عمر مضى نار اللظى مترامية¹
مترامية، ممتد أثرها يصحبها سنين طويلة، فهي مرة تعبر بنار تلظى، ومرة بنار حامية، وكلها أحوال تبين حالها تجاه ما حل بها، وهي وظيفة الصورة.

الكناية

إن الكناية وسيلة تعبير ممتعة تليق بالشاعر المبدع أن يلج بابها، ويوشح نتاجه بألوانها، وإذا انتقلنا إلى شعر الشاعرات التشاديات نجد أمثلة حية لها يعبرن فيها عما يختلج في ضمائرهن، وأنها استغلت الاستغلال الأمثل من قبلهن، إذ وظفن هذه الأداة البيانية على ما ينبغي أن تكون عليه في الوصف والمدح.
تقول الشاعرة مريم أبكر نكور في قصيدة لها بعنوان (ملاح وطن):

إذا ما قرر التاريخ أن يمحو
أتيت بحرف قافيتي أذكره
ومن في لونها الملكي تأسرني
ومن في سحرها ناري وإخمادي
بها لا تسجن الأقالم حتى في
تمردتها على الألباب والضاد
بها شيدت مملكتي أزلت القيود عن شفتي بها حطمت أصفادي
بها عقد لقافيتي وحل غمــــــــــــوض أحجيتي بها موتي وميلادي¹

تحدثت الشاعرة بروح مفعمة بالوطنية حين تناجي الوطن متحدثة على لسانه دفاعا عنه، واستشرافا لمستقبله فجلبت كماً من الصور البيانية والأساليب التعبيرية في شكل حوار، فالتاريخ لن يقرر، وإنما يقع التقرير ممن يصح وقوعه منه، وكونه ظرفاً صالحاً للوقوع فيه نسب إليه، فهذا من باب التجوز في الكلام، ومثله المحو، فالإثبات والمحو للأشياء تدوينا ونسخا راجعة للقوم الذين هم في التاريخ، والواو هنا بمعنى أو ليصح التقسيم، فهو إما أن يمحو إن استطاع ذلك بطمس المعالم، وتغيير الوقائع، وتزييف الحقائق، وإما أن ينسى أي يتناسى حين يصعب عليه المحو. فنفي الحالتين منصب على التقسيم لا على العطف.

وللحماس الزائد أخفقت في التعبير حين قالت: إرث أحفادي، فالإرث الذي يخشى عليه الضياع إرث السابقين وهم الأجداد وليس الأحفاد.

بحرف قافيتي، وعقد قافيتي؛ حيث أطلقت القافية على القصيدة أو القصائد كلها، فالمعهود عند الشعراء إطلاق القافية على القصيدة تجوزاً.

والكناية في قولها: (بمن في صحنها، ومن في لونها، ومن في سحرها) أي تشاد التي أبدع الله صنعها، وفي ناري وإخمادي كناية عن موصوف، كناية عن الظهور والخفاء، والتقدم والتأخر، والتحضر والتخلف، ومثلها موتي وميلادي، فالموت مراد به اندثار الخبر، واختفاء الأثر، وكذا الحياة فهي الذكر الطيب والسيرة الحسنة للإنسان وإن كان ميتاً. يقول الشاعر:

عمرُ الفتى ذِكرُهُ لا طولُ مدَّتِهِ وموئته خزيه لا يومه الداني¹

وقد تريد بهما الموت والحياة الحقيقيين لعدم انتفاء ذلك، أو تعارضه في الواقع. أزلت القيد عن شفتي، وحطمت أصفادي، كناية عن نيل الحرية، وانتفاء الحجز. فليس القيد قيلاً ملموساً بحجم ومقدار، وإنما هو قيد معنوي تمثل في العوائق التي وضعها المحتل. تقول الشاعرة مريم أبكر نكور في قصيدة بعنوان الكابوس بكابوسي

أرى السكران يخضعنا يقسمنا ويعصرنا
ويشرب ماء عزتنا بكأس من كرامتنا
فلا من ذلنا نخجل ولا من شربنا نثمل

بكابوسي

أرى النعسان يحرسنا أرى فرعون يأسرنا

وهامان يؤازره ويسحقنا لينصره

تصور بريشتها المعاناة التي تعيشها الشعوب جراء تجاوزات المسؤولين منهم، فالسكران أو النعسان ومن في حكمهما إشارة لمن يتولى المسؤولية من غير أهلها بمحسوبية وولاء. وفرعون وهامان لبطش الحاكم وقهره، ومن ثم رمت باللائمة على الشعوب التي ترضى بالدون والذل:

أهم موتى؟ أهم حمقى؟ أم سذج؟ وكيف عساك تبصرهم؟¹

ولم تزل ترصد الأحوال في صور شتى حتى أتت على أغلب الأمراض التي تعاني منها الشعوب المختلفة، في صور موجية نابضة بالحركة تقتصر الطريق أمام المصلحين إن وجدوا. فهي بهذا قامت بدور المصلح الاجتماعي حين يشخص الداء ويصف الدواء.

أسلوب المحاوراة

نجد الشاعرة ساكنة كثيراً ما تتخذ أسلوب المحاوراة في طرح موضوعاتها ومعالجة قضاياها، فهو أسلوب يميل إلى الشكوى وبذل الحنين، ولكون مجتمع المسلمين في كوكبنا يخالجه الكدر ويعلوه الحزن نجد عدداً من شعراء العصر الحديث ينحون هذا المنحى، ومنهم الشاعرة ساكنة حيث جاءت مطالع قصائدها على هذا المنوال قائلة:

سطر أيا قلمي ورد جوابي
عن سائل عما يدور ببابي
سطر وأسهب في الحديث وقل لهم
أن ما رأوه هناك كان سراي¹

وقالت في قصيدة لها بعنوان (بلغ السيل الزبا)

عيناي جودا بالمدامع واسكبا قد بات بالحزن الضمير معذبا¹

يعتلج ضمير الشاعرة حزن دفين تجاه ما قام به المحتل الغاشم تجاه الشعب التشادي حقبة الاحتلال، وكان نتيجة ذلك أن أوقع مجزرة شهيرة عرفت بمجزرة الككب، و(هي حادثة شهيرة في بلاد وداي كلها باعتبارها تمثل أهم حدث أثر على الحضارة الإسلامية في وداي، حيث صُفي العلماء تصفية جسدية بالكامل تقريباً، وأحرقت كتبهم، ومُحي أي أثر للسلطنة الوداوية عملياً في تلك الفترة)¹ وهي جريمة نكل فيها بالعلماء وأعيان سلطنة دار وداي¹.

فلم يكن باستطاعتها فعل شيء سوى أن تطلب من عينيها أن تجود بالدموع أسفاً على ما حل بالمنطقة وأهلها من سوء التنكيل، وليس من باب الطلب والحث، وإنما من باب الأمر بأن تسكب الدمع مدراراً مكانة الشهداء، وهي في ذلك تستأنس بقول الشاعرة الخنساء في رثاء أخيها صخر:

أعيني جودا ولا تجمداً ألا تبكيان لصخر الندي¹

وهي صورة تعبر عما تعانيه من أسي، حيث كان المعتدي هو الطرف الأقوى ولم يجد عقاباً يردعه على فعلته تلك، وتُرد الحقوق إلى أصحابها.

ولكنها بثبات العاصي على الأعداء ورباطة الجأش لن تستسلم وتخبر الآخر بموقفها:

وإذا أشاكونا بشوكة مغزل نمضي لنجعلها عليهم كبكبا¹

فالمغزل كناية عن إصابة خفيفة منه يكون بإزائها ساطورا يقصم الظهر، ومهندا يبيري الرقاب، أي الجزاء بالمثل أضعافاً.

وكبكبا، مشتقة من الككب، أي الساطور، وهي كلمة معربة مأخوذة من الفعل الفرنسي (Coup, coup) اقطع اقطع، إشارة إلى تنفيذ الأمور بالأبرياء بسرعة وحسم.

المبالغة

إن المبالغة في الكلام محمودة إن كانت بغرض الإيضاح، وعثر على نماذج لها في تراثنا القديم، ولم يزل الشعراء يوقفون آثار سابقيهم في هذا المجال، ومن هنا نجد للشاعرات التشاديات حضوراً في هذه الصفة. تقول في ذلك ساكنة في قصيدة لها باسم (أنا الضاد):

ما إن مدحت فلا شيء يقاربني أبدي المحاسن مثل الدر ينتشر

عذب زلال حروفي حين تسمعها قد تنطق الماء بل قد ينطق الحجر¹

أخيراً:

بعد دراسة لنتاجهن تبين للباحث أنهن طرقت موضوعات عديدة جديرة بالدراسة، وأنهن أسهمن في تطور حركة الشعر العربي في تشاد، وما ينقصهن في غالب الأحوال عدم التمرس الكافي في معرفة قواعد نظم الشعر، حيث نجد الضعف الفني يتجسد في أغلب قصائد بعضهن، مع ذلك نجد الحس الوطني عالياً، تصحبه النزعة الدينية مع المحافظة على عمود الشعر إلا ما ندر.

وكانت الموضوعات المطروقة ذات اهتمام لدى المجتمع التشادي، مما يدل على أنهن لهن نظرة فيه، ومحاولة لسد الفجوة، ومشاركة في تعميره والذود عنه، وتبصير الآخرين به.

النتائج:

ظهر الشعر العربي في تشاد في فترة مبكرة من تاريخ تشاد القديم، ولم يعثر الباحث على إنتاج شاعرة فيه مما يدل على أنهن طرقت هذا الباب في فترة متأخرة.

الحراك الثقافي الذي شهدته تشاد مطلع هذا القرن مهد لظهور شاعرات تشاديات، ودفع بهن إلى التجويد، خاصة أثناء فترة الدراسة.

ضعف جذوة الشعر عندهن في الآونة الأخيرة نتيجة لقلّة الحراك الثقافي، وانصراف كثير منهن عن الساحة الثقافية واقتصارهن على التدريس، واشتغالهن بشؤون البيت وتربية الأسرة.

قلّة الشاعرات التشاديات في الساحة الثقافية مقارنة بالشعراء الذكور.

قلّة الدراسات النقدية لشعر الشاعرات قلل من أثره على القضايا الوطنية.

يمتاز شعرهن بالعاطفة والصدق الفني.

قاموسهن سهل ميسور، وموضوعاتهن تقليدية.

حافظن على عمود الشعر إلا قلّة منهن.

زاوجن كثيراً بين الأساليب الإنشائية والخبرية.

التوصيات:

- أفراد كل شاعرة منهن بدراسة مستقلة للوقوف على ما عندها من إبداع.
- توجيه الدارسين في المراحل العليا نحو دراسة الشعر النسوي.
- تشجيع المؤسسات الأكاديمية والثقافية لهن بالظهور على الساحة الأدبية ونشر شعرهن لتعميم الفائدة.
- إحياء المراكز الثقافية التي كانت تعنى بالشعر والشعراء لتنشيط الحركة الأدبية، وتهيئة البيئة لعودة الشاعرات إلى الساحة الأدبية.
- ظهورهن على وسائل الإعلام لتعريف الناس بهن وإنتاجهن الأدبي.

القيمة التنموية للغة العربية

الباحث أنس ملموس

جامعة مولاي إسماعيل بمكناس-المملكة المغربية

الملخص:

تسعى هذه الورقة إلى الكشف عن طبيعة العلاقة التي تربط بين اللغة والتنمية، فضلا عن كونها تروم تبيان القيمة التنموية التي تضطلع بها اللغة العربية، علاوة على أنها تحاول إبراز الدور التنموي الذي يمكن أن تلعبه اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء.

بناء على ما تقدم، فإن هذه الورقة تحاول الإجابة عن عدة تساؤلات مترابطة منها:

- هل يمكن تصور اللغة العربية لغة تنمية؟
- ما أبرز القيم والأسس التنموية التي تتبنى عليها اللغة العربية؟
- وما الدور التنموي الذي يمكن أن تلعبه اللغة العربية في إفريقيا؟

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية - لغة التنمية - العربية والتنمية - اللغة العربية وإفريقيا.

Abstract:

This paper seeks to reveal the nature of the relationship between language and development, as well as to show the developmental value of the Arabic language, in addition to trying to highlight the developmental role that the Arabic language can play in sub-Saharan Africa.

Based on the foregoing, this paper attempts to answer several interrelated questions, including:

- Is it possible to imagine the Arabic language as a language of development?
- What are the most prominent values and development foundations upon which the Arabic language is based?
- What developmental role can the Arabic language play in Africa?

Keywords: the Arabic language – the language of development – Arabic and development – the Arabic language and Africa.

تقديم:

تعمل اللغة كما هو معلوم على تحقيق عدة وظائف في حياة الأفراد والناس، وذلك في كونها تعد الوسيلة المثلى التي تساعد على التواصل والتفاهم فضلا عن نقل مشاعرهم وآرائهم وأفكارهم...، وهي بذلك -أي اللغة- وسيلة لا غاية يحقق بموجبها الأفراد العديد من الأغراض داخل مجتمعهم.

ولا تكاد تغيب اللغة عن مجالات الحياة إذ نجدها حاضرة بقوة فيها رغم اختلافها وتباينها، وأساس حضورها يتمثل في كونها تعكس وتطاولع المجال أو القطاع الذي توظف وتتداول فيه، وتكتسب كذلك قوتها وقيمتها بناء على مجموعة من العوامل والمؤشرات نجد من أبرزها العامل التنموي الذي يأخذ طابعا اقتصاديا بالأساس.

وبخصوص اللغة العربية فإننا نجدها لا تختلف عن باقي اللغات العالمية المعروفة، إذ أنها تتمتع كما اللغات الأخرى بمجموعة من المقومات والعوامل التي تجعلها لغة تنموية بالأساس، إلا أن هذا التعميم يصطدم مع ما يوجد في الواقع، فطالما تم خلق نقاش يتم فيه وصف اللغة العربية بالقصور ويتهمة بالعجز والضعف وعدم قدرتها على المواكبة والمسايرة لمستجدات المجتمع...، فضلا عن حصرها في الممارسات الدينية لا غير...

بناء على ما سلف، فإن ورقتنا هذه تتأسس على مجموعة من التساؤلات يمكن عرضها كالآتي:

- هل يمكن تصور اللغة العربية لغة تنمية؟
- ما أبرز القيم والأسس التنموية التي تتبني عليها اللغة العربية؟
- ما أهم الخصائص التي يمكن أن تؤهل اللغة العربية لتصبح لغة تنمية عالمية؟
- وما الدور التنموي الذي يمكن أن تلعبه اللغة العربية في إفريقيا؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة، سنحاول في البداية الحديث عن اللغة والتنمية وذلك من أجل الكشف عن طبيعة العلاقة التي تجمع بينهما، وبعد ذلك سنعمل على إبراز القيمة التنموية للغة العربية بناء على محدداتها وخصائصها التي تكسبها قيمتها التنموية، وفي الأخير، سنعمل على تقديم الدور التنموي الذي يمكن أن تلعبه اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء.

1- اللغة والتنمية

يحيل مصطلح التنمية مباشرة على التقدم والتطور وكذا الازدهار، ومعلوم أن اللغة تلعب دورا بارزا في هذا الصدد، خصوصا إذا ما تم الاستثمار فيها على اعتبار أنها رأس مال، لاسيما أن طبيعة العلاقة التي تربط اللغة بالتنمية هي علاقة متكاملة ومتلازمة.

ويصرح محمد عمر حساني (2019) بأن علاقة اللغة بالتنمية هي في حد ذاتها، علاقة انعكاسية بين اللغة

والقوة، تتأكد اليوم أكثر من ذي قبل، في ظل اقتصاد المعرفة وعولمة السوق.

وتتضح العلاقة الوطيدة للغة بالتنمية من خلال سطوة لغات المجتمعات المتطورة المنتجة في العالم، التي تسوق لغاتها خارجيا كما البضائع والسلع، وتمنحها الأولوية والأهلية داخليا في مجتمعاتها عبر توظيفها في كل

المجالات كالتعليم والإدارة والاقتصاد والإعلام... وتسعى إلى نشرها في العالم كما تضعها في مواقع تنافسية مع لغات عالمية أخرى، وهذا لسبب بسيط يتمثل في نظرتها الدقيقة للغة التي تعتبرها أساس وجوهر التنمية.

ويؤكد **بوجمعة وعلي (2018)** بأن اللغة أداة التنمية ووسيلتها، ولا يمكن أن تتم خارجها. وتؤكد التجارب

الدولية في التنمية بشكل حاسم أن هذه الأخيرة تتحقق إلا بواسطة اللغة الوطنية.¹

عموما، يمكن القول إن العلاقة التي تربط اللغة بالتنمية تتميز بالتكامل والترابط، وذلك نظرا لكون اللغة تعتبر قاطرة وأساس التنمية، إذ لا يمكن الحديث عن التنمية بدون لغة.

2- القيمة التنموية للغة العربية

تتمتع اللغة العربية كغيرها من اللغات على مجموعة من الخصائص المميزة التي يمكن أن تكسبها قيمة تنموية مهمة، وهذا ما يؤكد **بوجمعة وعلي (2018)** بأنه ليس غريبا أن تكون -ويجب أن تكون- اللغة العربية لغة التنمية في بلادنا، لما تملكه من رأسمال حضاري وثقافي وعلمي، وعائد اقتصادي ومعرفي، ولكونها أساس تحقيق الاستقلال الثقافي والفكري.¹

وبخصوص القيمة التنموية التي تعكسها اللغة العربية فإنه لا يمكن إنكار أو نفي حقيقة أن اللغة العربية تصلح أن تكون لغة تنمية بامتياز، لأنها لغة كسائر اللغات الأخرى تمتلك من المؤهلات والعوامل ما يجعلها لغة تنمية عالمية بل كونية إن صح القول، ومن بين هذه العوامل نذكر:

- أنها لغة رسمية في العديد من الدول.
- أنها لغة ذات حمولة ثقافية ودينية لا يستهان بها.
- أنها لغة مطلوبة من حيث التعلم والاكتساب.
- أنها تتوفر على العديد من الآليات التي تساعد على استقطاب وتوليد المفردات والتراكيب الجديدة.
- أبانت على قدرتها في استيعاب ومواكبة التطورات والمستجدات.

ويمكن للغة العربية أن تكون لغة تنمية جيدة إذا ما سخرت لها الجهود والقرارات في أقطارها العربية على وجه الخصوص، لاسيما وأبانت عن قدرتها الهائلة في نقل ووصف المستجدات ومواكبتها، رغم كل الانتقادات التي طالتها وأرادت النيل منها، والمناداة بتعويضها بلغات أجنبية خارجية تكون هي "لغات التنمية" في الأقطار العربية، علما أن تجارب الدول الرائدة في العالم في ميدان التنمية تحققت عن طريق لغاتها القومية (أمريكا، اليابان، الصين، ألمانيا، تركيا...).

عموما، يمكن القول إن اللغة تلعب دورا هاما وبارزا في عملية التنمية والرقى الاجتماعي كونها تعتبر ركيزة وأساس التنمية، خاصة إذا ما تم اعتماد اللغات الوطنية والقومية في مجالات وقطاعات الحياة.

3- الدور التنموي للغة العربية في إفريقيا

تتأسس اللغة العربية على عائد تنموي أساسي، نظرا لكونها تقوم على خلفية ثقافية وحضارية وعلمية ودينية مهمة، تخول لها أن تلعب دورا تنمويا رياديا جوهريا في دول إفريقيا جنوب الصحراء.

ويتمثل الدور التنموي الذي يمكن أن تلعبه اللغة العربية في إفريقيا في تسهيل عملية الاندماج والانفتاح على الشعوب العربية الناطقة بها والاستفادة من الخبرات والتجارب العربية الرائدة في مختلف مجالات الحياة سواء العلمية أم الاقتصادية أم الثقافية... والنهل منها، فضلا عن كونها -أي اللغة العربية- تعد أداة توحيدية للشعوب.

بالإضافة إلى هذا، فإن الدور التنموي البارز الذي يمكن أن تلعبه اللغة العربية في إفريقيا يتمثل في مد جسور التواصل والاندماج مع الدول العربية، فضلا عن الانفتاح على الأسواق الاقتصادية العربية والاستثمار فيها، نظرا لكونها تعتبر أداة مثلى للتبادل والتواصل بين الأمم والشعوب، إذ تشبه في ذلك النقود والعملات داخل الأسواق في القطاع الاقتصادي والتجاري.

خلاصة

تعتبر اللغة كما هو معلوم أداة تعين الأفراد على قضاء مطالبهم وحاجاتهم داخل مجتمعهم، وبواسطتها يتواصلون ويتفاعلون كما يعتمدونها في التعبير عن أفكارهم ونقل أحاسيسهم، وتعد اللغة في المجال التنموي ضرورة لا غنى عنها، إذ تعد أساسا ورافعة مهمة لتحقيق التنمية، وذلك نظرا لترابط وتلازم العلاقة التي تربط اللغة بالتنمية.

وتتطوي اللغة العربية على قيمة تنموية مهمة، نظرا لكونها تتأسس على مجموعة من الخصائص والمميزات الدقيقة التي تمكنها وتجعلها تلعب دورا تنمويا مهما سواء في الساحة المحلية أو الدولية.

لائحة المراجع المعتمدة:

- حساني عمر محمد، (2019)، "اللغة والتنمية: المعوقات والمحفزات"، مجلة آفاق علمية، المجلد 11، العدد 2.
- ناجي محمد وأنس ملموس، (2019)، "اللغة والتنمية الاقتصادية"، كتاب أعمال المؤتمر الدولي الأول: اللغة العربية وتحديات العصر، منشورات كلية الآداب مكناس.
- وعلي بوجمعة، (2018)، اللغة العربية والتنمية: الميسرات والمعوقات، e-Kutub، لندن.

دور جماعة أنصار السنة المحمدية في انتشار الإسلام واللغة العربية في تشاد

- إسم المشارك: بشر بن تياره بن صندل بن أبي

- الدرجة العلمية: دكتوراه - التخصص العلمي: أصول الفقه

- محاضر بجامعة أنجمينا - رقم الجوال: 00235 66 21 73 28

الملخص:

جماعة أنصار السنة المحمدية بتشاد تعريف موجز:

1- فإن جماعة أنصار السنة المحمدية بتشاد جماعة دعوية خيرية غير سياسية.

2- أعضاء مجلس الشورى

3- المجلس التنفيذي.

4- رؤساء الفروع.

5- ممثلي القطاعات – وممثلي مندوبيات في العاصمة

(أ) المجلس الشورى: هو عبارة عن مكتبة المؤتمر العام وممثلي ومرجع المكتب التنفيذي.

(ب) المكتب التنفيذي: هو الجهاز المنفذ لجميع الأنشطة والبرامج.

(ج) مراكز المحافظات والفروع في الأقاليم.

(هـ) لديهم – المجال الدعوي – والمجال الاجتماعي والمجال التعليمي ومجال المرأة والمجال الشبابي.

وهناك المراكز التعليمية والمشاريع الإنشائية.

تؤدي المشاريع دوراً مهماً في الدعوة إلى الله ووسيلة من الوسائل لنشر الإسلام واللغة العربية.

من الوسائل العصرية التي لا يمكن الاستغناء عنها:

بناء على ذلك اعتمدت الجماعة ونفذت عدة مشاريع دعوية من بناء المساجد والمدارس وترميم الفصول

الدراسية بالإضافة إلى حفر الآبار والإسكان، والدورات التدريبية، ومسابقات رمضانية، والمخيمات الرمضانية

والملتقيات الشبابية، وإغاثة اللاجئين والإفطارات الرمضانية وتوزيع الأضاحي وكفالة الدعاة وكفالة الطلاب وكفالة

الأسر، وكفالة الأيتام، وتوزيع الكتب العلمية، وتوزيع الكتب المدرسية والمصاحف، والقوافل الدعوية والدورات

الشرعية والحلقات النسائية والحلقات الشبابية والمدارس والندوات والمحاضرات، ومحاضرات للنساء دورات شرعية

للطلاب والمراكز النسائية ودروس تقوية وحلقات لتحفيظ القرآن الكريم ومراكز محو الأمية والمدارس النظامية،

وغيرها.

المبحث الأول: المجال الدعوي

المطلب الأول: المحاضرات والندوات

نظراً لأهمية الخطاب الدعوي وال جماهير وإيصال صوت الحق للجمهور فإن أمانة الدعوة بجماعة أنصار

السنة المحمدية نظمت العديد من المحاضرات والندوات العلمية والكلمات الإرشادية التي تنصب في إطار أهداف

الجماعة لتعريف المجتمع بالعقيدة الصحيحة ودينهم الحق، ومحاربة البدع والخرافات، تحقيقاً لهذه الأهداف السامية تم تنظيم 2018 محاضرة و151 ندوة علمية خلال الفترة 1434-1438 هـ والجدول التالي يوضح هذه الإحصائيات:

م	نوع النشاط	العام	العدد أنجمننا	الأقاليم
1	ندوة	2013-1434	15	6
2	ندوة	2014-1435	20	14
3	ندوة	2015-1436	12	5
4	ندوة	2016-1437	16	17
5	ندوة	2017-1438	23	23
العدد الكلي للندوات: 151 ندوة			86	65

م	نوع النشاط	العام	العدد أنجمننا	الأقاليم
1	محاضرة	2013-1434	240	105
2	محاضرة	2014-1435	297	170
3	محاضرة	2015-1436	112	85
4	محاضرة	2016-1437	350	94
5	محاضرة	2017-1438	457	108
العدد الكلي للندوات: 2018 ندوة			1456	562

المطلب الثاني: الدورات الشرعية للأئمة والدعاة

ولأهمية تأهيل الأئمة والدعاة سعت الجماعة لتنظيم الدورات الشرعية والتي تنصب في صالح أئمة المساجد وتهدف إلى رفع قدراتهم ومهاراتهم الدعوية والخطابية لمواطنة المستجندات العصرية وبحمد الله وتوفيقه إلتمسنا نتائج قيمة لما لاحظناه من إقبال الناس للصلاة في مساجد الجماعة لكفاءة أئمة ومواكبتهم للمستجدات وتحضيرهم لخطب تلامس قضايا وخير مثال على ذلك (المركز العام، ومسجد أبي ذر الغفاري الثاني، ومسجد خالد بن الوليد، ومسجد السنة .. الخ) المجتمع والجدول التالي يوضح عدد الدورات وتاريخ تنفيذها والمستفيدين منها:

م	نوع النشاط	التاريخ	عدد الدورات	المكان	التكلفة	المستفيدين
1	دورات شرعية	2013-1434	3	العاصمة	50 ألف	150
2	دورات شرعية	2014-1435	5	العاصمة	400 ألف	250
3	دورات شرعية	2014-1435	7	الأقاليم	400 ألف	240
4	دورات شرعية	2015-1436	4	العاصمة	100 ألف	250
5	دورات شرعية	2015-1436	5	الأقاليم	400 ألف	2700
6	دورات شرعية	2016-1437	4	العاصمة	150 ألف	240
7	دورات شرعية	2016-1437	8	الأقاليم	800 ألف	510
8	دورات شرعية	2017-1438	8	العاصمة	150 ألف	906
9	دورات شرعية	2017-1438	4	الأقاليم	250 ألف	410

مناهج الدورات الشرعية:

1- العقيدة، الفقه، السيرة، التجويد

2- التعريف بمنهج أهل السنة والجماعة.

3- منهج تطوير لتأهيل الدعاة

4- مراحل الدعوة السلفية في تشاد.

المطلب الثالث: الدروس العلمية

تعتبر الدروس العلمية الركيزة الأساسية للدعوة في الحاضر والمستقبل، وسعيها منها لتأهيل جيل قادر على حمل الراية السلفية في هذه البلاد، سعت الجماعة عبر أمانة الدعوة لتنظيم دروس علمية في شتى العلوم الشرعية لتأهيل الكادر الدعوي، ونشر العقيدة الصحيحة وفق فهم السلف الصالح، والجدول التالي يوضح عدد الدروس العلمية ومواقعها:

م	المكان	العام	الدروس
1	العاصمة	1434	15
2	الأقاليم		40
3	العاصمة	1435	20
4	الأقاليم		50
5	العاصمة	1436	30
6	الأقاليم		50
7	العاصمة	1437	30
8	الأقاليم		50
9	العاصمة	1438	40
10	الأقاليم		50

ملاحظات:

1- مقررات الدروس (تفسير، فقه، عقيدة، السيرة، الحديث، كتاب في الفنون)

2- عدد المستفيدين التقريبي في الدروس ما بين 60 إلى 500

3- يعتبر دروس الإلتقان من الدروس المنهجية الاستراتيجية لتخريج الدعاة.

المبحث الثاني: القوافل الدعوية ودعوة غير المسلمين

المطلب الأول: القوافل الدعوية

لأهمية ربط النشاط الدعوي في جميع أنحاء البلاد ومتابعة سيره في الأقاليم المختلفة نظمت جماعة أنصار السنة المحمدية قوافل دعوية تهجف إلى نشر العقيدة ولم شمل الدعاة وتبادل الخبرات وإصلاح ذات البين وتطوير العمل الإداري، والجدول التالي يوضح عدد القوافل وأماكن وتاريخ تنفيذها وعدد المستفيدين:

م	التاريخ	المكان	عدد القوافل	المستفيدين
1	2013-1434	ضواحي العاصمة	10	250000 فرنك
		ضواحي العاصمة	5	1250000
2	2014-1435	الأقاليم	20	800000
		الأقاليم	8	3200000
3	2015-1436	ضواحي العاصمة	16	400000
		ضواحي العاصمة	8	2400000
4	2016-1437	الأقاليم	20	1000000
		الأقاليم	7	210000
5	2017-1438	ضواحي العاصمة	15	250000
		ضواحي العاصمة	11	3300000

النتائج:

- 1- إقامة دروس وإنشاء حلقات لتحفيظ القرآن الكريم.
- 2- إقامة شعيرة الجمعة في بعض القرى.
- 3- إنشاء صناديق للدعوة في 6 مناطق في الأقاليم الشمالية

المطلب الثاني: دعوة غير المسلمين إلى الإسلام

(لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم)

انطلاقاً من هذا الحديث الشريف نظمت جماعة أنصار السنة المحمدية عدة برامج تهدف إلى دعوة غير المسلمين إلى الإسلام وتعد هذه البرامج في غاية الأهمية لما يطرح فيها من مفاهيم تنصب في إطار تعريف المجتمع بالإسلام ومعاملاته وأنه دين الحق، وسعت الأمانة خلال هذه الفترة بدعوتها في جنوب البلاد إلى نشر الدعوة وتصحيح المفاهيم الخاطئة لدى المجتمع الجنوبي (غير المسلمين) تجاه الإسلام والمسلمين، والذي نتج عنه إسلام أكبر عدد من إخواننا في الجنوب، والجدول التالي يبين عدد المهتدين وأعوام اعتناقهم الإسلام.

والجدول التالي يوضح عدد الدعوات وتاريخ وأماكن تنفيذها

م	التاريخ	المكان	عدد القوافل	المستفيدين	الملاحظات
1	2013-1434	مندول	123		من النساء 20
2	2014-1435	مندول	150	1550000 فرنك	
		تانجيلي	271	1800000 فرنك	

3	2015-1436	مندول	100	1200000 فرنك	من النساء 20
		تانجيلي	170	1800000 فرنك	
4	2016-1437	مندول	121	1200000 فرنك	من النساء 20
		تانجيلي	300	1800000 فرنك	
5	2017-1438	مندول	90	1200000 فرنك	من النساء 20
		تانجيلي	313	2200000 فرنك	

النتائج:

- 1- كفالة دعاة ثابتين عدد 5 في 5 مناطق لتعليم المهتمين الجدد.
- 2- كفالة عدد من أبناء المهتمين للدارسين في أنجمينا (13 بنين، 3 بنات)
- 3- تم تعليم 10 سور حفظاً وتفسيراً ومقتضيات الشهادات وأحكام الطهارة والصلاة.

المطلب الثالث: توزيع المصاحف والكتب

نظراً لدور أمانة الدعوة في نشر العلم والفضيلة في أوساط المجتمع فقد علمت الأمانة على توزيع المصاحف والكتب الإسلامية (حصن المسلم وغيره) للحلقات القرآنية والمساجد داخل العاصمة أنجمينا وكذلك في الأقاليم حيث بلغ عدد المصاحف التي تم توزيعها داخل وحارج العاصمة خلال الفترة من 1434-1438 هـ 85032 نسخة و33476 نسخة من حصن المسلم، والجدول التالي يوضح عدد المصاحف والكتب التي تم توزيعها خلال الفترة من 1434-1438 هـ:

الكتب	العدد	
	عربي	فرنسي
المصاحف	8842	1610
العشر الأخيرة	3100	1410
فتح المجيد ورياض الصالحين والأذكار	3210	
حصن المسلم	5036	

المبحث الثالث: المجال الاجتماعي

المطلب الأول: كفالة الأيتام

(انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة)

انطلاقاً من هذا الحديث الذي يبين فيه الرسول الكريم عظم أجر كفالة اليتيم فإن أمانة الشؤون الاجتماعية بجماعة أنصار السنة المحمدية بتوفيق من الله ودعم سخي من جمعية إحياء التراث الإسلامي بدولة الكويت كفلت 525 يتيماً خلال الفترة من 1436 - 1438 هـ ويدخل هذا العمل في إطار سياسة الجماعة لدعم الفئات الضعيفة في المجتمع وتحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي الذي دعى إليه الشرع الإسلامي الحنيف، والجدول التالي يوضح عدد كفالات الأيتام وتاريخ تنفيذها والجهة والداعمة:

م	نوع النشاط	التاريخ	العدد	التكلفة	الجهة الداعمة
1	كفالة أيتام	1436هـ	525 يتيم	69.000.000 فرنك	إحياء التراث
2	كفالة أيتام	1437هـ	1050 يتيم	253.127.284 فرنك	إحياء التراث
3	كفالة أيتام	1438هـ	26 يتيم	286.414 فرنك	إحياء التراث

المطلب الثاني: الكفالات (أسر، طلاب، دعاة)

نظراً للحاجة الملحة لبعض الأسر التشادية وتفشي ظاهرة الفقر سعت أمانة الشؤون الاجتماعية بجماعة أنصار السنة المحمدية بكافة 235 أسرة ودعمها مادياً عامي 1437هـ و1438هـ وذلك بدعم من جمعية إحياء التراث الإسلامي بدولة الكويت ويدخل هذا العمل في إطار مشروع الجماعة للوقوف مع الأسر الفقيرة والمحتاجة في داخل البلاد وخارجه وفي ذات السياق كفلت الأمانة خلال الأمانة خلال الفترة المذكورة أعلاه طلاباً ودعاة، والجدول التالية توضح عددهم وتوضح عددهم وتكاليف كفالتهم.

م	نوع النشاط	التاريخ	العدد	التكلفة	الجهة الدائمة	كفالة أسر
1	كفالة أسر	1437هـ	151 أسرة	16.733.000 فرنك	إحياء التراث	
2	كفالة أسر	1438هـ	151 أسرة	27.855.273 فرنك	إحياء التراث	

م	نوع النشاط	التاريخ	العدد	التكلفة	الجهة الدائمة	كفالة طلاب
1	كفالة دعم طلاب	1434هـ	12	1.050.000 فرنك	محسنون- تشاد	
2	كفالة دعم طلاب	1436هـ	21	1.287.100 فرنك	محسنون- تشاد	
3	كفالة دعم طلاب	1437هـ	21	695.000 فرنك	محسنون- تشاد	
4	كفالة دعم طلاب	1438هـ	19	1.100.000 فرنك	محسنون- تشاد	

م	نوع النشاط	التاريخ	العدد	المكان	الجهة الدائمة	كفالة دعاة
1	كفالة دعاة	1437هـ	6	أنجمينا	قسم الدعوة	
2	كفالة دعاة	1438هـ	10	جنوب البلاد	قسم الدعوة	
3						

المطلب الثالث: دعم الفئات الضعيفة في المجتمع

تحقيقاً لمبدأ التكافل الاجتماعي والوقوف مع المحتاجين من السكان نظمت أمانة الشؤون الاجتماعية بالجماعة العديد من البرامج من إطارات وتوزيع الأضاحي وإغاثة اللاجئين ودعم الأرمال والعجزة والتي تنصب في إطار أهداف الجماعة للوقوف مع الشرائح الضعيفة في المجتمع وإعانتها بقدر الإمكان وفيما يلي جدول يبين ما حققته الأمانة خلال الفترة من 1435 - 1438 هـ الموافق 2013 - 2018 م

م	نوع النشاط	التاريخ	العدد	التكلفة	الجهة الداعمة
1	ماكينة خياطة		6		-
2	إغاثة لاجئين	1435 هـ	120 أسرة	5320000 فرنك	الجماعة
3	زكاة نقدية	1436 هـ	221 فرد	14556000 فرنك	سفارة المملكة
4	زكاة الفطر	1437 هـ	1200 شوال	1814500 فرنك	إحياء التراث
5	زكاة الفطر	1438 هـ	192 شوال	14556000 فرنك	-
6	منبحة عنز	1435-1438 هـ	83	1375000 فرنك	
7	ذبح بعير	1437 هـ	8	1950000 هـ	
8	ذبح بقرة	1437 هـ	3	600000 فرنك	

م	نوع النشاط	التاريخ	العدد	التكلفة	الجهة الدائمة
1	توزيع الأضاحي	1434هـ	675	3500000 فرنك	إحياء التراث
2	توزيع الأضاحي	1435هـ	760	5320000 فرنك	إحياء التراث
3	توزيع الأضاحي	1436هـ	3472	19.905.000 فرنك	إحياء التراث – الندوة العالمية – فاعل خير سعودي
4	توزيع الأضاحي	1437هـ	190	6500000 فرنك	إحياء التراث

م	نوع النشاط	التاريخ	العدد	التكلفة	الجهة الدائمة
1	إفطارات	1434هـ	-	2000000 فرنك	إحياء التراث
2	إفطارات مخيم قوي	1435هـ	-	21215000 فرنك	إحياء التراث والندوة العالمية
3	إفطارات	1436هـ	-	12974775 فرنك	إحياء التراث والندوة العالمية
4	إفطارات	1437هـ	-	5000000 فرنك	إحياء التراث
5	إفطارات	1438هـ	-	6506000 فرنك	إحياء التراث

م	نوع النشاط	التاريخ	العدد	التكلفة	الجهة الدائمة
1	توزيع ملابس	1434هـ	80 جوال		الجماعة
2	دعم أرامل	1435هـ	108 أسرة	220500 فرنك	الجماعة
3	برامج التبرع بالدم	1436هـ	73 متبرع	220500 فرنك	الجماعة
4	إهداء دراجة نارية	1436هـ	1	220500 فرنك	الجماعة
5	إهداء دراجة هوائية	1436هـ	3	661500 فرنك	الجماعة
6	دراجة معاق	1436هـ	3	661500 فرنك	الجماعة

المبحث الرابع: المشاريع الإنشائية

المطلب الأول: المراكز التعليمية والمساجد

تؤدي المشاريع دوراً مهماً في الدعوة إلى الله ووسيلة من الوسائل العصرية التي لا يمكن الاستغناء عنها، بناءً على ذلك اعتمدت الجماعة ونفذت عدة مشاريع دعوية من بناء المساجد والمدارس وترميم الفصول الدراسية بالإضافة إلى حفر الآبار والإسكان وغيرها حيث تهدف هذه المشاريع إلى تسهيل الدعوة ومواكبة المستجدات، والاهتمام بدعوة المرأة المسلمة وحفظه كتاب الله.

م	اسم المشروع	العام	الميزانية	مكان التنفيذ
1	مركز خديجة بن خويلد	2016-1437	390000000 فرنك	حي قوز التور-أنجمينا
2	مركز حبيبة النسائي	2017-1438		حي وادي دوم-أنجمينا
3	قرية الأكواخ	2016-1437	970000000 فرنك	قيرا
4	مركز محو الأمية	2017-1438		حي أم سني-أنجمينا
5	مركز محو الأمية	2017-1438		حي دقيل رياض-أنجمينا
6	قاعة المناشط بالمركز العام	2017-1438		المركز العام-أنجمينا

المساجد

م	اسم المشروع	العام	مكان التنفيذ
1	بناء مسجد عبدالرحمن بن عوف	مسجد (8*6) متر + حمامات + بئر	أنجمينا
2	بناء مركز أم حبيبة الإسلامي	مسجد (8*10) متر + مظلة + حمامات + بئر	وادي دوم
3	بناء وقف ومسجد عبدالله بن عمر	مسجد (10*15) متر + دكان وقف + حمامات + بئر	فرشا - أنجمينا
4	مشروع إعادة بناء مسجد الأمير سلطان	مسجد (11*13) متر + حمامات + بئر	مدينة بوكورو
5	بناء مسجد خالد بن الوليد	مسجد (10*12) متر + حمامات	القيادة العسكرية رقم 4 أنجمينا
6	مشروع إعادة بناء مسجد الإمام مالك بن أنس	مسجد (10*12) متر + بئر	جورقونقا - وادي بسام - كانم
7	مشروع إعادة بناء مسجد أبي بكر الصديق	مسجد (8*10) متر + بئر	أرقع - وادي بسام - كانم
8	بناء مسجد أسامة بن زيد	مسجد (6*7) متر + بئر	الإليل - بحر الغزال
9	مشروع بناء مسجد الإمام أحمد بن حنبل	مسجد (12*10) متر + بئر + خلوة قرآنية	يقاي - بحر الغزال
10	بناء جامع رياض الصالحين	مسجد (16*16) متر + بئر	أنجاري دار السلام - أنجمينا
11	بناء مسجد غراس	مسجد (12*12) متر + حمامات	أنجمينا - حي السلطوم

ملاحظة: هذه المشاريع التي نفذت ما بين عام 1448-1449هـ، 2017-2018م

المطلب الثاني: المدارس – الإسكان – الأبار

بعد المؤتمر الثالث كان عدد المدارس التابعة للجماعة 18 مدرسة منها واحدة ثانوية وثلاثة إعدادية وأربعة ابتدائية، وبعد المؤتمر أنشئت مدارس منها اثنتان وإعداديتان وأربعة ابتدائية، والجدول التالي يوضح هذه المدارس وأماكنها وتاريخ تنفيذها :

م	إسم المدارس	المرحلة	المكان	تاريخ التنفيذ
1	الفجر المزدوجة	ابتدائية	أنجمينا حي قنيبور	1435هـ-2014م
2	الهدى	إعدادية	قرية دلقا، إقليم شاري باقرمي	1435هـ-2014م
3	مدرسة أبشة	إبتدائية	أبشة إقليم وداي	1438هـ-2017م

م	نوع البناء	العدد	تاريخ التنفيذ	التكلفة
1	كوخ	31	1434-1438هـ / 2013-2017م	7750000 فرنك

م	نوع البئر	التاريخ	العدد	التكلفة
1	بئر مع خزان صغير	1434-1438هـ / 2013-2017م	16	22400000 فرنك
2	بئر مضخة	1434-1438هـ / 2013-2017م	11	6600000 فرنك
3	بئر دلو	1434-1438هـ / 2013-2017م	17	10200000 فرنك

المطلب الثالث: المجال التعليمي

1- المدارس النظامية:

في إطار بامرج أمانة التعليم في الاهتمام بالتعليم النظامي وتكوين الكوادر الشبابية أنشئت الأمانة بتوفيق من الله ست مدارس نظامية خلال الفترة من عام 1435-1438هـ الموافق 2013-2018م داخل العاصمة أنجمينا وفي بعض الأقاليم، والجدول التالي يوضح ذلك:

م	إسم المدارس	المرحلة	المكان	تاريخ التنفيذ
1	الشيخ عبدالغفار	ابتدائية	قرية دار النعيم إقليم حجر لميس	2013
2	الإيمان	ابتدائية	مدينة بيري إقليم تنجلي	2014م
3	الفجر المزدوجة	إبتدائية	أنجمينا حي قنيبور	2014/09/15م
4	معهد الفجر الجديد	إعدادية	أنجمينا حي قنيبور	2016/09/01
5	الهدى	إعدادية	قرية دلقا، إقليم شاري باقرمي	2013-2014
6	مدرسة أبشة	إبتدائية	أبشة إقليم وداي	2017م

2- مراكز محو الأمية:

نظراً لأهمية حفظه كتاب الله ودورهم الفعال في الدعوة مستقبلاً عملت الأمانة إلى إنشاء مراكز لمحو الأمية وتأهيل الحفاظ وذلك لدمجهم مع الدراسة النظامية لمتابعة مسيرتهم التعليمية والجدول التالي يبين عدد المراكز وتاريخ إنشائها:

م	مكان المركز	تاريخ التأسيس	عدد الطلاب
1	حي أم سنيينة (خلوة ابن عباس)	2017/11/01م	45
2	حي دقيل رياض (حلقة الاعتصام)	2017/11/01م	22
3	حي أم رقيبة (مسجد الضياء)	2017/12/07	16

3- الحلقات القرآنية:

كان عدد الحلقات عام 2012م حوالي 200 حلقة تابعة للجماعة منها 150 حلقة في العاصمة وحدها، أما اليوم وبعد خمسة سنوات من المؤتمر الثالث فقد وثل عدد الحلقات 1273 حلقة يضم 3000 معلم ونحو 65000 تلميذ وتلميذة.

4- الحلقات النسائية:

تفعيلاً لدور المرأة في الدعوة إلى الله ومساهمتها في نشره بين أوساط النساء، أنشأت أمانة التعليم مركزين جديدين وهما مركز خديجة بنت خويلد ومركز أم حبيبة والجدول أدناه يبين تفاصيل المركزين:

م	إسم الحلقة	عدد الفصول	الحي
1	خديجة بنت خويلد	7 فصول	قوز التور
2	مركز ام حبيبة	7 فصول + مسجد + دكان	أمسينينة

5- مصاحف ومقررات دراسية:

نوع الكتب	عدد المستفيدين	
	مؤسسات	طلاب
المصاحف ومقررات دراسية	210	500

المبحث الرابع: مجال المرأة والشباب

المطلب الأول: مجال المرأة

بعون الله وتوفيقه وسعيًا من جماعة انصار السنة المحمدية في الاهتمام بتعليم المرأة وتأهيلها قام قسم شؤون المرأة في الفترة ما بين عامي 1434هـ إلى 1438هـ بإنجازات عديدة بالرغم من قلة الإمكانيات والظروف المحيطة بالدعوة السلفية وغير ذلك من المعوقات وهذه الورقة البحثية توضح بعض الإنجازات خلال هذه الفترة.

1- الدورات الشرعية:

خلال الخمس سنوات الماضية من 1434 – 1438هـ تمكنت الجماعة من إقامة 30 محاضرات كبرى، و140 زيارات توعوية، وخلال تلك السنوات كانت عدد المراكز النسائية 202 مدرسة، وقد بلغ عدد الدراسات في هذه المدارس 14500 طالبة.

والجدول التالي يوضح بعض الدورات التي أقيمت وعدد المستفيدين والمدة والمكان والمشايخ:

م	اسم الدورة	المستفيدين	المدة والعام	الميزانية	المكان	المشايخ
1	العقيدة والمعاملات والأخلاق السلفية	80	3 أيام – 1434هـ	250000 فرنك	مركز خديجة بنت خويلد	تجاني أحمد/ أبكر محمد الضي شقيفات
2	دورة شرعية نسائية (في التجويد)	50	15 يوم – 1435هـ		المركز العام	السيدة / عائشة صلاح
3	التجويد – طرق تدريس القرآن	60	3 أشهر – 1435هـ	بدون ميزانية	المركز العام	السيدة / آمنة علي
4	دورة في الحديث	38	15 يوم – 1438هـ	بدون ميزانية	المركز العام	السيدة / عائشة صلاح
5	دورة شرعية (السيرة النبوية)	38	15 يوم – 1438هـ	بدون ميزانية	مركز فرشا	السيدة / عائشة صلاح
6	دورة شرعية (طرق تدريس القرآن)	15	شهر – 1438هـ	بدون ميزانية	مركز خديجة	السيدة/ آمنة علي

1- الملتقيات:

م	نوع النشاط	المستفيدين	الميزانية	المدة	التاريخ	المكان
1	ملتقى توعوي	100	150000 فرنك	يوم واحد	1436هـ	مركز سودة – دقيل رياض
2	ملتقى توعوي	100	150000 فرنك	يوم واحد	1436هـ	مركز خديجة
3	ملتقى توعوي بقضية النقاب	300	150000 فرنك	يوم واحد	1436هـ	المركز العام

2- الدروس النسائية

م	الكتاب	المدرس	المكان	التاريخ
1	حفظ وتفسير جزء عم	الشيخ/ آدم محمد الأمين	مركز أم حبيبة	دروس مستمرة
2	شرح الأخضري	الشيخ/ آدم محمد الأمين	مركز دار الصحابييات	
3	شرح كتاب التوحيد	الشيخ / تجاني أحمد	مركز خديجة بنت خويلد	
4	أحكام التجويد	الشيخ / إبراهيم شريف	مركز خديجة بنت خويلد	
5	تفسير سورة الفاتحة والبقرة وملخص السيرة النبوية	الشيخ/ محمد إسحاق مكي	مركز أم عمارة	
6	شرح الأربعين النووية وأصول الثلاثة والأخضري	الشيخ/ محمد إسحاق مكي	مركز دار السلام	
7	شرح الأخضري والأجرومية	الشيخ/ محمد إسحاق مكي	مركز خديجة بحي دمبي	
8	حفظ وتفسير القرآن من سورة الزمر – الناس	الشيخ / علي موسى	مركز خديجة بحي دمبي	
9	شرح الأربعين النووية وكتاب التوحيد	الشيخ / عبدالله عمر	مركز خديجة بحي دمبي	
10	شرح الأصول الثلاثة والأخضري	الشيخ / عائشة أحمد	مركز عائشة بدمبي	
11	شرح بلوغ المرام ورياض الصالحين وأصول الثلاثة	الشيخ / محمد أحمد البشير	حلقة دار التوجيه	

المطلب الثاني: المجال الشبابي

في إطار أنشطة جماعة أنصار السنة المحمدية لاستقطاب الشباب وتوجيههم وتعريفهم بالمنهج السلفي الذي عليه الجماعة نظمت أمانة الشباب والإعلام عدد من المتعلقات الشبابية والمخيمات الرمضانية وتهدف هذه الأنشطة إلى تقوية علاقة الشباب بالمشايخ وتصحيح مفاهيمهم الخاطئة تجاه بعض المسائل الشرعية والارتقاء بالموهوبين منهم وتحفيزهم، وترجع أهمية هذه الأنشطة في ربط الشباب مع بعضهم وتقوية رابط الأخوة في الله وحب العمل الجماعي ونبذ التفرقة والعنصرية في أوساط الشباب.

م	نوع النشاط	التاريخ	المستفيدين	الشريحة المستهدفة	التكلفة
1	ملتقى الارتقاء الأول	2013م	40	طلاب الثانويات	30 ألف
2	ملتقى الارتقاء الثاني	2015م	45	طلاب الثانويات والجامعات	35 ألف
3	ملتقى الارتقاء الثالث	2017م	50	طلاب الجامعات	62 ألف

م	نوع النشاط	التاريخ	المستفيدين	الميزانية	المكان
1	مخيم رمضاني	1435هـ	40 شاباً	786300 فرنك	المركز العام
2	مخيم رمضاني	1436هـ	60 شاباً	1183000 فرنك	المركز العام
3	مخيم رمضاني	1437هـ	50 شاباً	797950 فرنك	المركز العام

م	نوع النشاط	المكان	التنفيذ	التاريخ
1	مسابقة رمضانية في أحكام الصيام	المركز العام	الشباب	1436هـ
2	مسابقة رمضانية في أحكام الصيام	المركز العام	الشباب	1437هـ
3	مسابقة رمضانية في أحكام الصيام	مسجد أبي ذر الثاني	الشباب	1437هـ
4	مسابقة رمضانية في أحكام الصيام	مسجد ابن باز	الشباب	1437هـ
5	مسابقات للأيتام في رمضان	قاعة المناشط	الاجتماعية	1438هـ

المطلب الثالث: الدورات التدريبية

في إطار سعي الجماعة إلى تأهيل الكادر الدعوي لا سيما الشبابي إدارياً نظمت أمانة الشباب والإعلام خلال العام 1435-1438 هـ عشر دورات مختلفة في الإعلام والإدارة والحاسب الآلي لصالح أعضاء الأمانة ومختلف مناديب الجماعة داخل العاصمة وضواحيها، ودورات شرعية لصالح حفظة كتاب الله من طلاب الخلاوي القرآنية، حيث تهدف هذه الدورات إلى تأهيل الكادر الدعوي والرقى بالعمل الدعوي ومواكبة المستجدات العصرية حيث لوحظ تغير ملموساً في الأداء الإداري للدعاة ونتج عن ذلك مواكبة الجماعة للأحداث واستغلالها المنابر الإعلامية الحديثة كوسائل التواصل الاجتماعي المختلفة لنشر الخطب والدروس والمحاضرات، والجدول التالي يبين عدد الدورات وتفاصيلها المختلفة:

م	اسم الدورة	المكان	المستفيدين	تاريخ التنفيذ	التكلفة
1	تنمية الذات والقيادة	المركز	100	28-23 محرم 1435 هـ	30 ألف
2	تنمية الذات والقيادة	المركز	150	10-8 جماد الآخر 1435 هـ	50 ألف
3	كن إعلامياً ناجحاً	المركز	25	12-05-2015 م	10 ألف
4	تعليم الفوتوشوب	المركز	15	28-25 شعبان 1434 هـ	5 ألف
5	تنظيم الإدارة	المركز	500	2016 م	20 ألف
6	استقبال شهر رمضان	المركز	50	1435 هـ	15 ألف
7	دورة شرعية للحفاظ	المركز	140	2016 م	40 ألف
8	رمضانية للشباب	المركز	80	16-24 يونيو 2014 م	25 ألف
9	دورة شرعية	المركز	40	16-13 رمضان 1436 هـ	8700 ألف

المطلب الرابع: مشروع رمضان يجمعنا

تعتبر الطاقة الشبابية من أهم العوامل في انجاح المشاريع الرائدة ونظراً لأهمية الشباب ودورهم في العطاء والتفاني في العمل، فإن قسم الشباب والإعلام بجامعة أنصار السنة المحمدية في إطار انشطته الموسمية نظم العديد من البرامج الشبابية التي تنصب في المجال التطوعي والاجتماعي والتربوي والدعوي، ولأن الشبيبة تعتبر الطاقة الكامنة للأمة والمحرك الأساسي لها فإن القسم وضع في أولوياته احتواء الشباب وتوعيتهم على تقديم كل ما لديهم لصالح الدعوة والعمل على بذل الخير للغير وإعانة المحتاج.

- اسم المشروع: رمضان يجمعنا
- عدد المواسم التي نفذت فيها المشروع: 7 مواسم
- مكان التنفيذ: دولة تشاد
- الجهة المنفذة: قسم الشباب والإعلام بالجماعة
- مكونات الوجبة: ماء + تمر + كيك
- سعر الوجبة: 500 فرنك سيفا.

فكرة عن المشروع:

مشروع رمضان يجمعنا عبارة عن مشروع موسمي يتم تنفيذه خلال أيام رمضان المبارك وذلك بتفطير الصائمين المتأخرين في الطرقات العامة، حيث يتم تقديم وجبة سريعة مكونة من: (ماء وتمر وكيك) للمتأخرين في الطرقات ويهدف إلى كسب أجر إفطار الصائم والمساهمة في تقليل الحوادث المرورية قبيل موعد الإفطار والجدول التالي يوضح عدد الوجبات التي وزعت خلال الفترة من 1434-1438هـ:

م	نوع النشاط	التاريخ	التكلفة	الجهة الداعمة	الوجبات
1	إفطارات	1434هـ	1000000 فرنك	محسنون من داخل تشاد	10 ألف
2	إفطارات	1435هـ	800000 فرنك	محسنون من داخل تشاد	8 ألف
3	إفطارات	1436هـ	300000 فرنك	محسنون من داخل تشاد	3 ألف
4	إفطارات	1437هـ	300000 فرنك	محسنون من داخل تشاد	3 ألف
5	إفطارات	1438هـ	207000 فرنك	محسنون من داخل تشاد	20700

الفرع الأول: المجال الإعلامي:

في إطار سعي جماعة أنصار السنة المحمدية لإيصال الدعوة إلى جميع شرائح المجتمع ونظراً للدور الإعلام الرقمي في سرعة النشر ومخاطبة أكبر عدد ممكن أنشأت الأمانة عدد من الصفحات الإلكترونية والصحف الورقية وقدمت مجموعة من البرامج الإذاعية وذلك في سبيل نشر الدعوة بأسلوب حديث ومواكبة للمستجدات العصرية فبتوفيق من الله تم إنشاء صفحة على الفيس بوك وقناة على اليوتيوب والتجرام ومجموعة من الصفحات عبر الوات ساب لنشر الدروس، كذلك أنشأت الأمانة صحيفة تصدر عن جماعة أنصار السنة كل أسبوع بمسمى صحيفة الهداية حيث تهدف هذه الأعمال إلى نشر الوعي الديني وتصحيح المفاهيم الخاطئة تجاه الإسلام ودعوة شعوب العالم عبر هذه المواقع والاستفادة من التطور التكنولوجي والتوجه نحو العالم الإلكتروني في الدعوة وكذا التواصل مع العالم الخارجي ولا سيما الجمعيات ذات الأهداف المشتركة وفيما يلي الأعمال التي نفذتها الأمانة خلال الفترة من 1435-1438هـ الموافق 2013-2018م:

صحيفة الهداية			
تاريخ الإنشاء	عدد الأعداد التي صدرت	عدد النسخ الذي وزعت	الأعمدة
19 ربيع الأول 1435هـ 30 يناير 2014م	54	10800 نسخة معدل 200 نسخة لكل عدد	- أخبار محلية - أخبار عالمية - مقالات - فتاوي - خطب جمعية - وغيرها من المواضيع الثقافية

الفرع الثاني: الإعلام الإلكتروني

- 1- قناة الجماعة على اليوتيوب: تاريخ التدشين 2016 (جماعة أنصار السنة بتشاد)
- 2- الصفحة الرسمية على الفيسبوك باسم الجماعة: تاريخ التأسيس 2016
- 3- الصفحة الرسمية على الشبكة العنكبوتية (موقع إلكتروني): تاريخ التدشين 2013
- 4- قناة الجماعة على التويتر: تاريخ التدشين 2016 (جماعة أنصار السنة المحمدية بتشاد)

البرامج الإذاعية:

م	برنامج	التاريخ	المحطة
1	برنامج مجتمع مسالم	1435هـ / 2015م	إذاعتي البيان والهدى
2	برنامج مسابقات رمضان	1436هـ / 2016م	إذاعتي البيان والهدى
3	برنامج مسابقات رمضان	1437هـ / 2017م	إذاعتي البيان والهدى

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة العلمية الطويلة الشاقة الممتعة في الوقت نفسه مع الشريعة ودورها الاساسي في توصيف القضايا وتشخيصها عبر اللغة العربية.

القران الكريم والاحاديث النبوية هما مصدران اساسيان للمحافظة على اللغة العربية يقول الشيخ عبدالله دراز فهو يرى (ان الاستنباط الاحكام الشرعية ركنين):

احدهما على لسان العرب

ثانيهما على اسرار الشريعة ومقاصدها الموافقات ج1، ص5

أ- اللسان العربي:

بنظرة المسلمين على دينه الاسلام الحنيف وعلى القران الكريم والسنة المطهرة والحضارة الاسلامية والتاريخ الاسلامي باعتبار ان اللغة العربية هي التي نفهم بها هذه الموضوعات وهي جزء لا يتجزأ منها والتي نفهم به النصوص والاحكام الشرعية المتعددة وتفرق لها بين القطعية والظنية ونستنبط بها الاحكام والمسائل الفقهية

للازمة لحياة المسلمين وفي كل زمان ومكان تظل صلاحية هذه النصوص باللسان العربي المبين كاللغة العربية كما هي معروفة هي شرط من شروط الاجتهاد وشرط من شروط تفسير الدراية وهي اداة الفقهاء والعلماء والمجتهدين ووسيلتهم في كل ما يجد من مسائل ومشكلات الى يوم القيامة.

ان هذا الربط بين اللغة العربية من الناحية الفكرية والروحية عند المسلم هو الذي يخلف لديه الدافع والرغبة الحقيقة للاهتمام بهذه اللغة وتعلمها ومحبتها ان محبته لهذه اللغة واتقانه اياها يزيد ارتباطاً لدسه وعقيدته في سنة نبية.

ان هذا التلازم بين اللغة العربية والدين يؤدي الى نهضة هذه الامة الاسلامية واعادتها الى الحياة من جديد قوية عزيزة تبني حضارة اسلامية وتنشود العالم الاسلامي الى بر الامان وتحقيق سعادة الانسان.

ب/ النتائج:

قائمة مساجد أنصار السنة المحمدية بتشاد في العاصمة انجمينا وفي الفروع الآتي:

الرقم	المدينة	عدد المساجد
1-	أنجمينا وضواحيها تقريبا	140
2-	مساقط	7
3-	مساكوري وضواحيها	17
4-	كيلو وضواحيها	5
5-	أم التيمان	3
6-	كنصرم	5
7-	أم برلي	5
8-	بنقور وضواحيها	22
9-	أدم وضواحيها	4
10-	قرضاية	2
11-	مندو وضواحيها	17
12-	مسورو وضواحيها	150
13-	مشمرة وضواحيها	39
14-	شجرة وضواحيها	42
15-	قوري وضواحيها	20
16-	بارو وضواحيها	22
17-	كانم (ماو) وضواحيها	105
18-	طينة	1
19-	وادي بسام وضواحيها	19
20-	أبشة وضواحيها	11
21-	منقو وضواحيها	15
22-	رق رق وضواحيها	17
23-	هربا وضواحيها	4

هذه إحصاء مساجد الجماعة في العاصمة وبعد فروع الجماعة في الأقاليم عددهم 668.

وقد قدمت الجماعة خدمات جليلة للمجتمع التشادي من محاضرات ودورات شرعية ودروس نسائية وملتقيات

وندوات علمية ومسابقات وغيرها، وسنرد بعض منها:

- إقامة محاضرات للنساء حوالي 14000 محاضرة.
 - إقامة 207 دورات شرعية للطلاب.
 - بناء ثلاثة (3) مراكز للنساء.
 - إقامة 1100 دروس نسائية
 - نظمة الجماعة أربعة (4) ملتقيات علمية.
 - نظمة الجماعة أربعة (4) دورات شريعة للنساء.
 - نظمة الجماعة (15) دروس تقوية للطلاب.
 - نظمة الجماعة حوالي 400 مسابقات للطلاب في المدارس والخلوي القرآنية والحلقات العلمية.
 - إقامة ثلاثة (3) دورات لتعليم اللغات الأجنبية.
 - وزعت الجماعة ما يقارب 19632 مقررات دراسية للطلاب في المدارس.
 - أنشأت الجماعة حوالي 18 مدرسة نظامية و 7 مراكز لمحو الأمية و17917 حلقة لتحفيظ القرآن الكريم.
 - وزعت الجماعة في 2021م عدد من القراءين والكتب الدينية بالغ قدرها 53508 كتاباً.
 - نظمت الجماعة سبعة (7) مخيمات رمضان، وعشرة (10) ملتقيات شبابية.
 - تكفلت الجماعة بإسكان 32 أسرة من الشرائح الضعيفة بالمجتمع، وكفالة 16 داعية و73 طالب و235 أسرة و1901 يتيماً وإغاثة 1200 لاجئ، كما نظمت حوالي 3000 إفطارات رمضان.
 - قامة الجماعة بتوزيع 24097 أضحية.
 - نظمة الجماعة 50 قافلة دعوية في شتى البلاد، واهتدى على أيديهم 1494 من المهتدين
 - نظمة الجماعة ما يقارب 12152 ندوات علمية و45129 محاضرة و800 ملتقيات علمية ودينية.
- تضمنت الخاتمة والنتائج التي تحصلت إليها.
- وأسأل الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا وإن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم إنه سميع مجيب، وإن يغفر لنا ولوالدينا وعليه توكلنا وإليه المصير.
- إعداد الدكتور / أبو محمد بشر بن تيار بن صندل بن أبي.
- أنجمينا يوم السبت 12 جماد الثاني 1443هـ الموافق 15 يناير 2022م

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- الحديث الشريف
- 1- الأحكام في اصول الاحكام محمد على احمد بن حزم تحقيق د/حامد عثمان دار الحديث القاهرة من شعبان 1418هـ 1997م
- 2- اقتضاء الصراط المستقيم المخالفة أصحاب الجحيم شيخ الاسلام ابن تيمية
- 3- تفسير الطبري المسمى جامع البيان في التأويل القرآن لابي جعفر محمد بن جرير الطبر المتوفي سنة 315هـ تحقيق هاني الحاج، عماد زكي البارودي – خيرى سعيد، د.ن. المكتبة التوقيفيه
- 4- جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى ط22 المكتبة للعصرية صيدر بيروت 1409هـ.
- 5- الرياض الناضرة الدقائق النيرة الزائرة في العقائد الفنون المتنوع الفاخره للشيخ عبدالرحمن ناصر السعدي المؤسسة سعية برياض فهد بن عبدالعزيز د.ن
- 6- طن واخواتها في البيع الثاني من القرآن الكريم بحث مقدم لنيل درجة ما جستير في اللغة العربية اعد الباحث الشاعر ادريس عبدالكريم اشراف الدكتور : بشرتيرة صندل عام الجامعي (2017-2018م).
- 7- الاعراب الفصل المفصل في كتاب المرسل لبهجة عبدالواحد صالح، ط2، دار الفكر عمان – الاردن.
- 8- ملخص سيرة سيدنا محمد ﷺ وامهات المؤمنين: اعداد سعيد مصطفى ط3 فهرست مكتبة فهد الوطنية 1434هـ
- 9- مصنف ابن أبي شيبة
- 10- الرسالة للإمام ممد ابن ادريس الشافعي تحقيق احمد شاكرا.
- 11- التقرير الدوري لجماعة انصار السنة المجدية بتشاد لعام 2017م

المصادر الشفهية:

- 1- مقابلة شخصية مع الدكتور يحيى ابراهيم خليل رئيس الجماعة، بتاريخ 08 يناير 2022م بمقر الجماعة
- 2- مقابلة شخصية مع الاستاذ زكريا محمد قونا رئيس المسؤول المندوبية بالعاصمة انجمينا وضواحيها وهو مسؤول عن المساجد التابعة للجماعة، بمكتبه في مقر الجماعة بتاريخ 08 يناير 2022م بمقر الجماعة
- 3- مقابلة شخصية مع استاذ محمد نور عمر احمد مسؤول الدعوة سابقا وعضو مجلس الشورى. بمكتبه في مقر الجماعة بتاريخ 08 يناير 2022م بمقر الجماعة
- 4- مقابلة شخصية مع محمد صالح ادم الامين، سكرتير بعثة المشاريع – مدير مجمع الرسالة وعضو جماعة انصار السنة ، ومسؤول الشؤون الاجتماعية، بمكتبه في مقر الجماعة بتاريخ 08 يناير 2022م بمقر الجماعة
- 5- مقابلة شخصية مع الشيخ التجاني احمد نائب رئيس جماعة انصار السنة المجدية في تشاد، بمكتبه في مقر الجماعة بتاريخ 08 يناير 2022م بمقر الجماعة

عوامل انتشار اللغة العربية في غرب إفريقيا وواقعها في ظل المتغيرات الراهنة.

الباحث: جمال حريشة. الجزائر

طالب دكتوراه تاريخ المغرب العربي الحديث.

البريد الإلكتروني: haricha2017@gmail.com

الواتساب: +213798509754.

محور المداخلة (المحور الأول): الأبعاد التاريخية والحضارية والاجتماعية للغة العربية في إفريقيا.

ملخص المداخلة:

لقد شهدت اللغة العربية خلال تاريخها فترات من الازدهار والانتشار تخطت فيها حدود مجالها العربي إلى آفاق ومناطق واسعة ، وقد كان للإسلام الدور الأبرز في انتشار اللغة العربية حيث سارت العربية مع الإسلام جنباً إلى جنب وحلقت معه أينما حل وحيثما ارتحل ، فاستخدمت اللغة العربية في أداء العبادات والشعائر الدينية لمن يعتنق الإسلام ، وازداد إقبال معتنقي الإسلام على تعلمها رغبة في التعمق في الدين بالرجوع إلى مصادره الرئيسية المدونة باللغة العربية، وانتشرت اللغة العربية في أقطار العالم ومن بينه هذه الأقطار غرب إفريقيا أو ما يسمى قديماً بإقليم السودان الغربي.

يعتبر إقليم السودان الغربي من أهم أقاليم الصحراء الكبرى ، وذلك لما يمتاز به وما يتوفر عليه من إمكانيات جعلته يختلف عن باقي الأقاليم الأخرى ، ويعد هذا الإقليم كذلك من بين أكبرها في إفريقيا حيث يضم عدة ممالك وإمبراطوريات ، هذا ما مكنه من ربط علاقات تجارية و اقتصادية مع دول الشمال، وقد أثمرت تلك العلاقات التي كانت في بداية القرن الثاني هجري ما يوافق الثامن ميلادي إلى انتشار الثقافة العربية على يد التجار في منطقة غرب إفريقيا ، فبدخول الإسلام واللغة العربية أحدث منعرجاً حاسماً في تاريخ هذه المنطقة ، فبعدما كان المجتمع الإفريقي يعيش حياة بدائية تحكمها الوثنية إذ كان فكره منحصراً في طقوس معينة.

وأصبح الفرد الإفريقي يسعى جاهداً من أجل النهوض إلى حياة يسودها العلم والمعرفة، وهذا بفضل تأثير الإسلام على فكرهم، وقد أبدى الأفارقة رغبتهم الشديدة من أجل تحصيل العلم والتعمق فيه، وأصبحت ممالك غرب إفريقيا آنذاك تعج بالعلماء و الفقهاء والأئمة وكذلك بالمدارس التعليمية التي تعقد فيها حلقات الدروس وبذلك عرفت ممالك غرب إفريقيا ومدنها حركة علمية متطورة وبالتالي أمد هذا الإقليم للحضارة الإسلامية والعربية بعداً سودانياً، لكن بظهور الاستعمار الأوروبي في المنطقة سعى إلى تشتيت المسلمين الأفارقة، وإحداث القطيعة بين المسلمين العرب والأفارقة.

وفي هذه المداخلة سنتطرق إلى أهم عوامل انتشار اللغة العربية في غرب إفريقيا بالتفصيل والتحليل وذكر أهم الشخصيات التي ساهمت في انتشار هذه اللغة في غرب إفريقيا ورسوخها بين السكان وواقع هذه اللغة اليوم في ظل المتغيرات الراهنة.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، السودان الغربي، إفريقيا، المجتمع الإفريقي.

Abstract :

the Arabic language has witnessed periods of prosperity and ‘Throughout its history spread in which it crossed the boundaries of its Arab domain to wide horizons and as ‘ and Islam had the most prominent role in the spread of the Arabic language ‘regions Arabic went side by side with Islam and flew with it wherever it came and wherever it so the Arabic language was used in performing acts of worship. The religious ‘traveled and the demand of those who embrace Islam to learn it ‘rites for those who embrace Islam increased with a desire to delve deeper into the religion by referring to its main sources recorded in the Arabic language.

The Western Sudan region is considered one of the most important regions of the due to its distinctive features and the capabilities available to it that made ‘Sahara Desert it different from the rest of the other regions. This region is also among the largest in which enabled it to link trade and ‘ as it includes several kingdoms and empires ‘Africa which were at the ‘ and those relations ‘economic relations With the countries of the North resulted in the ‘beginning of the second century AH corresponding to the eighth AD spread of Arab culture at the hands of merchants in the West African region. The advent of Islam and the Arabic language brought about a decisive turning point in the history of after the African society was living a primitive life. It is governed by ‘this region and the African individual ‘ as his thought was confined to certain rituals ‘paganism and this is ‘became striving to advance to a life dominated by knowledge and knowledge it was teeming with ‘thanks to the influence of Islam on their thought. At that time as well as the educational schools in which the lessons were ‘ jurists and imams ‘scholars and thus the kingdoms and cities of West Africa knew a developed scientific ‘held and thus this region extended to the Islamic and Arab civilization with Except ‘movement it sought to ‘ but with the emergence of European colonialism in the region ‘for Sudan and to create a estrangement between the Arab Muslims ‘disperse the African Muslims and the Africans.

we will discuss the most important factors of the spread of the ‘In this intervention Arabic language in West Africa in detail and analysis and mention the most important personalities who contributed to the spread of this language in West Africa and its consolidation among the population and the reality of this language today in light of the current changes.

African society. ‘ Africa ‘ Western Sudan ‘**Keywords:** Arabic language

مقدمة:

شهدت اللغة العربية خلال تاريخها فترات من الازدهار والانتشار تخطت فيها حدود مجالها العربي إلى آفاق ومناطق واسعة ، وقد كان للإسلام الدور الأبرز في انتشار اللغة العربية حيث سارت العربية مع الإسلام جنبا إلى جنب وحلقت معه أينما حل وحيثما ارتحل ، فاستخدمت اللغة العربية في أداء العبادات والشعائر الدينية لمن يعتنق الإسلام ، وازداد إقبال معتنقي الإسلام على تعلمها رغبة في التعمق في الدين بالرجوع إلى مصادره الرئيسية المدونة باللغة العربية، وانتشرت اللغة العربية في أقطار العالم ومن بينه هذه الأقطار غرب إفريقيا أو ما يسمى قديما بإقليم السودان الغربي.

يعتبر إقليم السودان الغربي من أهم أقاليم الصحراء الكبرى ، وذلك لما يمتاز به وما يتوفر عليه من إمكانيات جعلته يختلف عن باقي الأقاليم الأخرى ، ويعد هذا الإقليم كذلك من بين أكبرها في إفريقيا حيث يضم عدة ممالك وإمبراطوريات ، هذا ما مكنه من ربط علاقات تجارية و اقتصادية مع دول الشمال، وقد أثمرت تلك العلاقات التي كانت في بداية القرن الثاني هجري ما يوافق الثامن ميلادي إلى انتشار الثقافة العربية على يد التجار في منطقة غرب إفريقيا ، فبدخول الإسلام واللغة العربية أحدث منعرجا حاسما في تاريخ هذه المنطقة ، فبعدما كان المجتمع الإفريقي يعيش حياة بدائية تحكمها الوثنية إذ كان فكره منحصر في طقوس معينة، و أصبح الفرد الإفريقي يسعى جاهدا من أجل النهوض إلى حياة يسودها العلم و المعرفة، وهذا بفضل تأثير الإسلام على فكرهم وقد أبدى الأفارقة رغبتهم الشديدة من أجل تحصيل العلم والتعمق فيه، وأصبحت ممالك غرب إفريقيا آنذاك تعج بالعلماء و الفقهاء و الأئمة و كذلك بالمدارس التعليمية التي تعقد فيها حلقات الدروس ، وبذلك عرفت ممالك غرب إفريقيا ومدنها حركة علمية متطورة و بالتالي أمد هذا الإقليم للحضارة الإسلامية والعربية بعدا سودانيا ، لكن بظهور الاستعمار الأوروبي في المنطقة سعى إلى تشتيت المسلمين الأفارقة ، وإحداث القطيعة بين المسلمين العرب والأفارقة.

وهذا ما جعلنا نتساءل:

- ماهي عوامل انتشار اللغة العربية في غرب افريقيا؟
- ماهي اهم الشخصيات التي ساهمت في نشر اللغة العربية في غرب افريقيا؟
- ماهي اهم التحديات التي تواجه اللغة العربية في غرب افريقيا؟
- ماهي المقترحات المتوفرة لمواجهة هذه التحديات؟

ومن اجل الإجابة على هذه التساؤلات والاشكاليات تم تناول هذه الورقة البحثية في ثلاثة محاور وهي كما يلي:

- المحور الأول: عوامل انتشار اللغة العربية في غرب افريقيا.
- المحور الثاني: أبرز الشخصيات التي ساهمت في نشر اللغة العربية في غرب افريقيا
- المحور الثالث: التحديات التي تواجه اللغة العربية في غرب افريقيا ومقترحات لمواجهتها
- المحور الأول: عوامل انتشار اللغة العربية في غرب افريقيا.

ساهمت العديد من العوامل في نشر وانتشار اللغة العربية في غرب افريقيا ويمكن ايجازها فيما يلي:

- 1- التجارة: لعبت القوافل التجارية دورا كبيرا في نشر الاسلام واللغة العربية عبر الصحراء، حيث ازدهرت هذه التجارة بفضل دخول الإبل وكانت القافلة السالكة لهذه الطريق الطويل والشاق تحمل دليلا يقود القافلة كما ذكر بن بطوطة، وقد ساهم التجار في عملية التواصل مع منطقة غرب افريقيا نتيجة التعاملات التجارية التي نشأت بينهم عبر قرون طويلة فكانت الاسواق مرتعا لعملية التواصل اين احتل المترجمون اغلب الاماكن، واذ أملت الضرورة إيجاد لغة للتواصل بينهم.1

كما لعبت العلاقات التجارية بين شمال افريقيا ومنطقة الغرب الافريقي دورا في ربط الشعوب ببعضها، وكان الفضل لتطور نظم التجارة وطرقها في العهد الاسلامي لعقبة بن نافع الفهري الذي حفر الابار التي تصل بين واحات افريقيا ومنطقة أدغشت وهو ما مهد الطريق امام القوافل التجارية للتوغل في غرب افريقيا بعد ان كانت محصورة في الساحل.1

تعتبر الطرق التجارية من اهم العناصر في توصيل الافكار والثقافات بين اقليم واخر، لذلك تعتبر الطرق الرئيسية بين السودان الغربي والمناطق المجاورة لها الشرايين التي نقلت الثقافة العربية الاسلامية، ولذا نجد ان ولاية القيروان قد سعوا الى احكام العلاقات بين المغرب وديار المسلمين ببلاد السودان بان حفروا الابار.1

2- جهود الملوك وحكام غرب أفريقيا: كان للجهود التي قام بها كل من التجار وقع كبير في نشر العلم والثقافة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا بالإضافة إلى دور ملوك وسلاطين غرب أفريقيا في تطوير وازدهار الحركة العلمية والفكرية وفي مقدمتهم نذكر منسى موسى ملك مملكة مالي والذي يذكره الفتاش على أنه من أعظم ملوك السودان الغربي وأكثرهم شهرة وكرما¹، وقد عرف بموكب الحج وبرحلته لأداء المناسك الدينية حيث ساهم في تشجيع الحركة العلمية وجلب معه الكتب لبلاده معظمها كتب الفقه¹، ولهذا تعتبر رحلته مادة غزيرة للأدب كما حرص على بناء المساجد واعتبرها مدارس تعليمية ودينية، وشيد قصره وبنى مسجد غاو، كما أرسل موسى منسى بعثات طلابية سودانية للدراسة في الأزهر¹، إذ أنشأ للطلاب السودانيون بالقاهرة نزل لوكائدة صغيرة من أجل الإقامة فيه واقتنى العديد من الكتب الدينية ليوفرها لطلبة مملكته¹.

ومن بين ملوك مالي الذين كان لهم دور بارز في نشر التعليم والثقافة العربية الإسلامية المنسى سليمان أخ المنسى موسى والذي حذا حذو أخيه في اهتمامه بهذا المجال¹، إذ في عهده زار الرحالة بن بطوطة مالي، حيث احاط سليمان نفع بالعلماء والفقهاء والأئمة والقضاة والكتاب، وعمل على نشر المذهب المالكي كما اعتمدت الممالك السودانية اللغة العربية لغتها الرسمية في المراسلات والتدوين بين الملوك والسلاطين داخل حدود المملكة أو خارجها، كممالك برنو وباقرمي في تشاد والممالك السكتية¹.

3- دور الطرق الصوفية في نشر اللغة العربية:

- **الطريقة التيجانية:** تنتسب هذه الطريقة إلى الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد المختار بن السالم التيجاني بقرية عين ماضي بالجزائر¹، رأى اتباع هذه الطريقة أن الجهاد لنشر الإسلام والثقافة العربية واجب وأن التسامح القادري لم يثمر في بعض الجهات الصحراوية لذلك عملوا على تربية مريديهم على فنون الحرب، كما اعتمدوا شن الحروب والغارات في نشر طريقتهم والإسلام¹، وانتشرت الطريقة التيجانية في السودان الغربي على يد عمر الفتوي والذي استوطن بلاد السنغال¹.

- **الطريقة القادرية:** كانت أولى الطرق التي انتشرت في غرب أفريقيا وهي تنسب إلى عبد القادر الجيلالي¹، وكان انتشار هذه الطريقة في القرن 15 م على يد مهاجرين من التوات (ولاته، تومبكتو) وانتشرت من السنغال إلى غاية مصب نهر النيجر، ومما زاد في انتشار هذه الطريقة هو ما كان يراه كل مسلم أنه واجب عليه أن يرتبط بإحدى الطرق فكانت القادرية ملاذا للعديد من المسلمين¹ هذا بالإضافة إلى ظهور مجموعة من العلماء والفقهاء الذين قادوا جموع القادريين ومن أولئك أحمد البكائي¹.

المحور الثاني: أبرز الشخصيات التي ساهمت في نشر اللغة العربية في غرب أفريقيا

1- عبد الكريم المغيلي:

- **مولده ودراسته:**

وُلِدَ الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي في مدينة مغيلة بتلمسان، لكن المصادر التي ترجمت لحياته أغفلت تحديد تاريخ مولده بالضبط، غير أن وفاته كانت سنة 909 هـ، و"لعل المغيلي لم يعتن كما اعتنى غيره بترجمة تاريخ حياته، أو لعل جهاده المتواصل ونضاله المستمر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحمل في سبيل ذلك المشاق والصعاب، ورحلاته في قلب القارة الإفريقية لنشر الإسلام ومحاربة المنكرات والبدع والأباطيل الوثنية"¹، كل هذا لم يفتح له فرصة تدوين ذلك، وهذا مبرر معقول، بالإضافة إلى أنه من المعلوم أن الكثيرين في تلك الفترة لم يعتنوا بتدوين تواريخ الميلاد، مثل ما هو عليه الحال في هذا العصر.

ونشأ بين أحضان عائلته المشهورة بالعلم والتقوى، وبخاصة والده الشيخ عبد الكريم، وشيخ مغيلة محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب، الذي حفظ عليه القرآن الكريم، كما أخذ عنه مبادئ الفقه وأمّهات الكتب الفقهية للمذهب المالكي كالرسالة، ومختصر خليل وابن الحاجب وابن يونس¹، ورحل إلى بجاية والجزائر وغيرها من الحواضر لطلب العلم.

ليس من السهل حصر شيوخ الإمام المغيلي؛ لكثرة رحلاته لطلب العلم، ومع ذلك فقد حفظ لنا التاريخ أشهرهم، الإمام عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي الجزائري المتوفى سنة 875 هـ¹ وأبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي المتوفى سنة 895 هـ، وقد وُصِفَ بالعلم والتقوى والزهّد، واعتُبر ممّن جدّد لهذه الأمة أمر دينها في القرن التاسع

الهجري. والشيخ يحيى بن بدير التدلسي الذي وصفه أحمد بابا في نيل الابتهاج بقوله: "الفقيه العالم العلامة قاضي توات" وغيرهم من العلماء ، وقد خلف الإمام المغيلي العديد من المؤلفات زادت عن عشرين مؤلفاً. دوره في بلاد السودان الغربي

وجد الشيخ المغيلي اليهود يشاركون بنشاط كبير في حركة اقتصاد "توات"، وبخاصة حركة القوافل التجارية السودانية، ويتصرفون بحرية تامة، وبنوا معابد لهم في ديار المسلمين، بل تناولوا على الإسلام والمسلمين، وتمتعوا -إلى جنب الحرية الاقتصادية والتجارية- بحرية دينية جعلتهم يقيمون شعائهم وطقوسهم بأمان داخل البلاد، ويتصلون بأبناء ملتهم المقيمين بالخارج، وحملت إليهم مرة باخرة إنجليزية في جملة ما حملت من بضائع - ستة وعشرين صندوقاً ممتلئة بنسخ التوراة 1 فانكر عليهم ذلك وحاربهم ثم غادر الشيخ المغيلي "توات" قاصداً بلاد السودان الغربي بعد فشله في إقناع الحُكَّام بخطورة يهود "توات" على تجارة المسلمين، فدخل بلاد "آير"، وبالأخص بلدة تغدا (في شمال شرق النيجر) ومكث فيها مدة من الزمن، ونشر العلم بين أهلها، وأقرأ أهلها وانتفعوا به، وكان يمارس فيها التدريس والوعظ، وأفاد أهل تلك البلاد كثيراً 1

وبنى في قرية من قرى "أغاديس" مسجداً لتدريس أهلها الدين الإسلامي واللغة العربية ثم توجه إلى مدينة كانو (في شمال نيجيريا)، والتقى بحاكمها محمد رمفا، وكتب له المغيلي رسالة في أمور السلطنة، ويحضه على اتباع الشرع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلم أهل المدينة أمور الدين الإسلامي الصحيحة، وعلاوة على ذلك فقد اتخذهُ السلطان مستشاراً وولاه القضاء والإفتاء بمدينة "كانو" في الفترة التي قضاها في بلاده. وأخذ عنه العلم علماؤها، واستفادوا منه الكثير؛ حيث أحضر معه كتب الفقه المالكي، مثل: الموطأ للإمام مالك، والمختصر للخليل بن إسحاق، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني ودرّسها لهم.

وبعد أن أرسى قواعد الشريعة الإسلامية، وتوجيه الحكام إلى العمل بها وطبع المجتمع عليها ونشر لغة الإسلام فيها، وكوّن طلاباً من أهل "كانو" الذين يؤمنون بمنهجه في الدعوة إلى الإسلام ونشره، بعد ذلك كله رحل الإمام المغيلي، واتجه إلى مدينة كتنشا (في شمال نيجيريا) وظل بها مدة يدرّس أهلها، وعقد لهم حلقات للدراسات الفقهية والقرآنية، وتأثر به السلطان إبراهيم ماجي الثاني¹ سلطان كتنشا، ونصحهُ الإمام المغيلي إلى ما فيه صلاح الأمة وحفظ الدين من كل الشوائب.

ثم اتجه إلى بلاد سنغي، ووصل إلى عاصمتها مدينة غاو عام 1498م في عهد سلطانها الحاج أسكيا محمد، ورحب به، وجرى على طريقته من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واتخذهُ أسكيا محمد مستشاراً له، ووجه إليه أسئلة عديدة متعلقة بالمشاكل الاجتماعية والسياسية والدينية التي كانت تواجهه في بلاد السودان الغربي، فأجابهُ المغيلي عليها في رسالة أوضح له فيها حكم الله ورسوله في الموضوعات التي أثارها السلطان في أسئلته إجابة شافية كافية.

وفي أثناء إقامة المغيلي عند الحاج أسكيا محمد في عاصمة سنغي غاو، بلغه نبأ قتل ولده من قبل اليهود بـ"توات"، وقد انزعج المغيلي لهذا النبأ حتى طلب من سلطان سنغي القبض على اليهود من أهل "توات" المقيمين في غاو فقبض عليهم، وأنكر ذلك القاضي محمود بن عمر؛ مؤكداً أنهم لم يفعلوا شيئاً. وحجّة المغيلي في ذلك أن أهل القرية تأمروا على قتل ابنه ولكن السلطان رجّع عن القبض عليهم بعد إنكار القاضي ذلك، وأمر بإطلاقهم، عندئذ غضب المغيلي ورجع إلى "توات"؛ حيث توفي هناك سنة 909هـ- الموافق 1503م، وقيل 910هـ- الموافق 1504م 1 ويظهر دوره في بلاد السودان بفتحهُ مدرسة قرآنية للصغار، وحلقة علمية للكبار لتعليمهم علوم الدين واللغة العربية، وذلك في مدينة تغدا، التي بقي فيها فترة قبل مواصلة رحلته إلى كتنشا وكانو، وتتلّمذ على يديه كثيرون، وكذلك من الطلاب الذين كوّنهم.

ويظهر دور الإمام المغيلي في السودان الغربي بصورة أخرى، في أنه ارتبط بحُكَّام البلدان التي زارها لرفع راية الإسلام والتعليم، مثل: أسكيا محمد كما مرّ معنا. وسلطان مملكة سنغي الذي استشار الإمام المغيلي في أمر العادات والتقاليد التي تمارسها شعوب بلاده ومدى مطابقتها للإسلام أو مخالفتها له؛ فبيّن له حكم ذلك في رسالة كتبها له، واستشاره كذلك في أمر الأمم المجاورة له من الوثنيين والكفار، وحُكم جهادهم؛ فبيّن له فضل ذلك في الإسلام، فقام أسكيا محمد حينذاك بفتحها ونشر الإسلام فيها، وفتح مراكز لتعليم القرآن والدين واللغة العربية في بعض المدن والقرى النائية.

وكذلك سلطان كانو محمد رمفا، وسلطان كتنشا؛ حيث كتب لهما فتاوى في أمور الدين والسياسة وغيرهما؛ مما جعلهما يهتمان بنشر العلم والدين، والعناية بطلاب العلم أكثر من ذي قبل، وزادوا في فتح مدارس في المدن الكبيرة والقرى.

ثم إنَّ دور المغيلي في السودان الغربي لم يقتصر على زمنه ووقته، بل امتد أثره واضحاً جلياً بعد ثلاثة قرون من رحلته إلى السودان الغربي في تفكير وجهاد الشيخ عثمان بن فوديو وأتباعه وقيّاده، وقد أخذ الشيخ عثمان برأي الإمام المغيلي في تصنيف مَنْ يجب على المسلمين جهادهم وقتالهم وهم: الكافر، والمرتد عن الدين الإسلامي، ومن يدّعي الإسلام ويخلط بينه وبين الوثنية¹

وفي الحقيقة فإنَّ لهذا العالم الجليل أثراً كبيراً في النهضة العلمية في بلدان السودان الغربي في تلك الفترة، وما صاحب هذا الأثر من تغيير ثقافي واجتماعي وسياسي، ونشر الإسلام والدعوة الإسلامية ونَبذ الكفر، مع الاهتمام بالعلم والعلماء.

ويجب علينا أن نستفيد من دوره دروساً لنشر العلم الصحيح في غرب إفريقيا؛ لتتقدم بلداننا، وتلحق بركب الدول المتقدمة، كما كانت قبل الاستعمار الغربي لها.

2- احمد بابا التمبكتي التكروري:

هو ابو العباس احمد بابا بن احمد بن عمر بن محمد بن اقيت بن عمر بن علي بن يحيى بن كدالة بن مكى بن نيق بن لف بن يحيى بن نشت بن تنفر بن حيراي بن النجر بن ابي بكر بن عمر الصنهاجي الماسني السوداني التكروري التمبكتي. ¹

ولد ونشأ في تومنبكتو عام 1556 من أسرة بني اقيت المسوفين المعروفين بالعلم والثقافة وكانوا ذا مكانة مرموقة في المجتمع وبين سكان الاقليم، اذ اشتغلوا في القضاء والتعليم والدين والافتاء والشورى، وقد تلقى احمد بابا تعليمه في البيئة السودانية على يد والده الذي اخذ عنه الحديث والمنطق، واخذ النحو من عمه ابي بكر بن اقيت. ¹ يعد احمد بابا من أشهر علماء التكرور في الفقه والادب والحديث، وكان مسكنه في تومنبكتو حيث مارس فيها التدريس والتأليف، وقد تم اسره ونفيه الى مراكش عام 1591 في حملة المنصور الذهبي على السنغهاي إثر التوسع الذي قامت به الدولة السعدية لضم الصحراء وبلاد السودان اليها، وقد كان من انعكاسات ذلك على هذا العالم الجليل انه فقد أكثر من 1600 مجلد من كتبه ولم يتبق الا القليل حوالي اربعين كتابا. ¹

3- احمد السعدي:

هو عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر بن الحاج المتوكل ولد في عام 1004هـ، نشأ وتربى في عائلة اشتهرت بالعلم والفقه، فاخذ عن والده الفقيه عبد الله بن عمر البيان والمنطق¹، وحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ احمد بابا التمبكتي (الذي سبق ذكره)، وغيره من العلماء والفقهاء، وقد اشتغل السعدي طوال حياته بالدعوة والارشاد في عدة مناطق وجهات من السودان الغربي، فبدأ من مدينة جني، واشتغل كامام في جامع سكرني بمدينة جني سنة 1627م، واستمر في ذلك لعقدين من الزمن، عينه محمد بن عثمان فودي حاكم تومنبكتو ناظراً لخارجيته واستمر في ذلك حتى توفي 1655م بمدينة جاو، وهو ما سمح له بالتنقل في انحاء مملكة سنغاي لمعالجة مشاكل الدولة ومختلف القضايا ومجريات الامور¹ ولعل من ابرز مؤلفاته كتابه تاريخ السودان¹.

المحور الثالث: التحديات التي تواجه اللغة العربية في غرب افريقيا ومقترحات لمواجهتها

1- التحديات التي تواجه اللغة العربية في غرب افريقيا:

تواجه اللغة العربية في غرب افريقيا مجموعة من التحديات يمكن ايجازها فيما يلي:

- صعوبة التوظيف بالنسبة لخريجي المعاهد العربية او حاملي شهادات باللغة العربية: وجد طالب العلم الراغب في التخصص في اللغات الاجنبية بغرب افريقيا نفسه محتاراً كونها نقطة انقال تحدد مستقبله في الحياة، حيث كان المسلمون قديماً يرسلون ابناءهم الى مدارس عربية ليجيدوا اللغة العربية لاتقان تلاوة القرآن الكريم وحفظه، فيحفظون منه ما تيسر، ولقد حفظ منهم الكثير القرآن الكريم بكامله، فكان الغرض في البداية لمعرفة الدين والتفقه فيه ولكن مع مرور الزمان وجد هؤلاء انفسهم في سوق العمل امام تحديات، فبعد ان امضوا حياتهم في طلب العلوم الاسلامية وتعلم اللغة العربية حصلوا على شهادات لا تتيح لهم فرص العمل في حكومة بلادهم وبالتالي لم يتعلموا مهنة معينة في صغرهم تساعد في كسب القوت في الكبر وهو ما اوقعهم في حيرة من كسب القوت ¹.
- نظام التعليم لا يتناسب مع متطلبات العصر: اذا ما سلطنا النظر على غرب افريقيا اليوم ومدارسها فنجد انه لا يزال في بعضها الى يومنا هذا، مطابقاً لمقررات بعض البلدان العربية حيث يدرس طلابهم جغرافية تلك الدول العربية ومناخها وثقافتها فيعرفون عنها اكثر مما يعرفونه عن بلدهم الذين ولدوا فيه او يعيشون فيه، فكان منه تلك المدارس تركز على اللغة العربية والعلوم الاسلامية اكثر من اللغة الرسمية للبلد، فنجد فيها اللغة الانجليزية لغة

اضافية تدرس مرة في الاسبوع بينما يجعلون اللغة العربية لغة رئيسية بها يتم التعليم وبها يتم الحوار فيحفظون المقامات واشعار الشعراء الستة والمعلقات، فتراهم عمالقة وعباقر في اللغة العربية ويجيدونها اكث من بعض العرب، غير انهم في هامش قائمة المتعلمين كونهم لا يجيدون اللغة الرسمية للبلد الذي يعيشون فيه. 1

- التصاق تهمة الارهاب باللغة العربية:

من بين التحديات التي واجهت اللغة العربية في المدارس العربية وفي غرب افريقيا الحرب التي يحملها الغرب في افريقيا، حيث يعمل الغرب اليوم في افريقيا على تمجيد اللغات اللاتينية ويسعون الى محاربة اللغة العربية لما يجدونه من الغرب من تمويل ودعم، ومن التحديات ايضا ربط الارهاب باللغة العربية في وقتنا هذا، حيص يشكو بعض سكان غرب افريقيا اليوم في بعض المتعلمين الذين تعلموا اللغة العربية او العلوم الاسلامية طانا او متهما اياهم بالإرهابيين وانهم يحملون افكارا متطرفة. 1

- المساجد وسوق العمل:

امتألت مساجد غرب افريقيا اليوم بخريجي الجامعات العربية والاسلامية الذين طرخوا ابواب المكاتب ولم تفتح لهم، بدعوى عدم اعتراف الحكومة بشهاداتهم او بسبب عدم اتقانهم اللغة الرسمية لبلادهم فرجع معظمهم الى المساجد يتدافعون في محاربيها ولم يبق للجدد مكان، فلجأ البعض الى المدارس التي تخرجوا فيه للتدريس برواتب ضئيلة ومبكية بيد ان الواقع يتطلب شيئا يعيش به ذو عيال، هذا بالإضافة الى ان الهدف الاول لتعلم اللغة لعربية خدمة دين الاسلام. 1

- تحدي اللغة العربية واللغات الاجنبية:

تعاني اللغة العربية في غرب افريقيا انه يتم توظيف حامل شهادة فرنسية في منصب عال وراق في الحكومات وان لم يكن يجيد اللغة العربية، وهذا بدعوى ان فائدة اللغة العربية قليلة في هذه الدول، لكن إذا ما رجعنا الى الواقع نجد ان الناطقين باللغة العربية يفوق المتكلمين باللغة الفرنسية بأضعاف، ولكن يبدو ان القضية قضية سياسية وتجارية واتخذ القرار حسب علاقات الدول الافريقية او مع الدول العربية، كما يلاحظ في غرب افريقيا ان معظم سفارات الدول العربية التعامل باللغات اللاتينية بدلا من اللغة العربية. 1

2- مقترحات لمواجهتها:

يتطلب الواقع الاجتماعي في غرب افريقيا اليوم ما يستعان به في مواجهة صعوبة العيش والمعيشة، لذا يلجأ الكثير الى تخصصات يرحب بها في سوق العمل وعند الكلام عن سوق العمل في غرب افريقيا نجد المتخصص في اللغة العربية يتجول فيها بملفه حاملا شهادته في الشوارع يدخل المكاتب ويخرج منها دون ترحيب او تبجيل وسبب ذلك ان اللغات الرسمية في معظم هذه البلدان غير اللغة العربي، لذا اصبح ينظر الى اللغة العربية كلغة دين لا غير واذا ما اريد البقاء للغة العربية وجب تطبيق ما يلي حسب رأي الباحث:

- ايجاد لغة ثانية اضافية الى العربية:

لابد من ايجاد لغة رسمية ثانية غير اللغة العربية للمتخصص في اللغة العربية وهذا ليرفع رأسه حيث يدخل وينصت اليه اذا اراد الكلام او شرع فيه، وان الحظوظ لتتزايد لمن يجيد لغة اجنبية اضافية الى اللغة العربية التي يجيدها او تخصص فيها، حيث نجد ان الداهية اليوم اصبح بأمس الحاجة الى اللغة الفرنسية لسمع صوته في جميع نواحي البلاد، لان معظم الناس في الطبقات العليا او الطبقة المتعلمة يفضلون الحديث والكلام باللغة الفرنسية اكثر من اللغات المحلية ، وكذلك من اراد ان يعمل في مؤسسة ما لا بد له ان يجيد احدى اللغات اللاتينية ليقبل والا فاللغة العربية وحدها لا تكفيه لتوظيفه. 1

لذلك بات الزاميا تغيير نظام التعليم حيث يتم ادماج مواد غير دينية ولغات غير اللغة العربية يتزود بها المتخصص الى جانب ما يتعلمه من علوم اسلامية واخرى قرآنية، وضرورة انشاء جمعيات تواجه تلك الجمعيات التي تسعى لتدمير اللغة العربية والعلوم الاسلامية ومنها الفرنكفونية التي تدعو الى فصل الدين عن الدولة.

- تطوير نظام التعليم: استيقظ الكثير من العلماء المسلمين والمستغربين في غرب افريقيا بعد تحديات

الحصول على الوظيفة والعمل وعدم امكان المستغرب للتوظيف في معظم حكومات افريقيا الغربية بدعوى انه لا يجيد اللغة الرسمية او بدعوى ان خلفياته دينية، او انه لا يعرف الكثير عن ثقافة الدولة لان معظم الخريجين من الدول العربية.

- **جهود الحكومات والمنظمات العربية في تعليم اللغة العربية:** نلاحظ اليوم في غرب افريقيا بعض المحاولات من الدول لنشر اللغة العربية وتعليمها والاهتمام بالمدارس العربية، حيث سعت الى توحيد نظام هذه المدارس وحاولت تغيير برامج هذه المدارس وفرض اللغة الفرنسية التي تعتبر لغة رسمية لمعظم دول غرب افريقيا ، ونظمت التعليم في معظم المدارس وجعلتها تعمل على تسيير نظام الحكومة ، كما تترك للطلاب المتخرج في هذه المدارس الحرية في اختيار تخصصه بعد اكمال مرحلة الثانوية، فله الخيار اما ان يواصل في جامعات بلده في تخصص ما او يسافر ويعبر البحار بغية التخصص في العلوم الاسلامية واللغة العربية في بلدان عربية او اسيوية في بلدان تفتح ابوابها لطلاب العلم من جميع نواحي العالم.1

- **الوقوف في وجه اعداء اللغة العربية في غرب افريقيا:**

ان بقاء اللغة العربية على صعيد غرب افريقيا مرتبط بالدين، فهي باقية ما دام الدين في قلوب ابنائها ، وما دخل الاسلام بلدا الا واستقر فيه، وبهذا يمكن القول ان اللغة العربية باقية الى الابد لان دين السلام في تزايد يوميا في غرب افريقيا، ولكن الصعود باللغة العربية والمستعربين الى قمم الحكومة وتولي مناصب متوقعة في الحكومات كالرئاسة والوزارة مرتبط بتغيير او تطوير نظام التعليم، حيث تتخذ اللغة العربية لابد منها في المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية الى جانب اللغات اللاتينية ليتيح للطلاب فرصة الاختيار او الجمع بين تخصصات عندما يكبر، فهو بذلك يكون ملم بدينه ومتعلم لا يشق له غبار في اللغة الرسمية لبلده.1

الاستخلاص:

- شكل غرب افريقيا ميدانا ومجالا خصبا لانتشار الثقافات العربية والاسلامية نتيجة القرب الجغرافي مع شمال افريقيا الاسلامي، وكذا نتيجة الاحتكاك المتبادل بين المغاربة والأفارقة عن طريق وسائل ووسائط عديدة اهمها التجارة والاسلام والعلماء والفقهاء والطرق الصوفية.
- ساعد وصول الثقافة العربية الى غرب افريقيا على التعريف بالمنطقة أكثر واعطى دفعا ومحفزا للشعوب الافريقية الواقعة جنوب الصحراء ويعتبر هذا من أكثر الاحداث الهامة في تاريخ قارة افريقيا.
- كان موقف سكان غرب افريقيا ايجابيا حيث تقبلوا مناهج التعليم العربي الاسلامي وهذا بسبب سهولة دراسته.
- شكلت اللغة العربية احدى اهم مظاهر الحضارة العربية في افريقيا، ومع مرور الوقت انتجت لنا ثقافة جديدة عرفت لدى المؤرخين بالثقافة العربية الافريقية نتيجة التزاوج بينها وبين الموروثات الحضارية الافريقية.
- لا يزال حضور اللغة العربية في غرب افريقيا ماثلا في الواقع المعاش وان تفاوت الحضور من اقليم لآخر ومن بلد لآخر، واهم ما يمكن ملاحظته هو الترابط القوي بين الاسلام واللغة العبية وهو ما ضمن بقاء اللغة العربية ببقاء الاسلام والذي ظل مستقرا في النفوس.
- نلاحظ ان حضور اللغة العربية لا يعني جريان العربية على الالسنه وفهمها وتداولها بشكل موسع في كافة اماكن تجمعات المسلمين فحضور العربية في غرب افريقيا حضور ديني في الغالب وتعليمي في المرتبة الثانية باعتبار العربية اللغة الاساسية في التعليم الاسلامي الاهلي.
- تعاني اللغة العربية في غرب افريقيا من مجموعة من التحديات منها ما ارتبط بمنهج التدريس ومستقبل خريجي المعاهد العربية كونهم يعانون من بطالة ومنها ما يتعلق بالصاق اللغة العربية بالإرهاب.

قائمة المصادر والمراجع:

1. Henri Barth Voyages et découvertes dans l'Afrique septentrionale et central pendant 1863، Paris، Bruxelles yp. de A. LACRO، Tome 1، les années 1849 à 1855 .
2. ابن بطوطة، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، د.ن، ط1، 1322هـ، ج2
3. ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب اللبنانية، د.ط، بيروت، 1982.
4. أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المسالك والممالك، مكتبة الجيني، د.ط، القاهرة، مصر، 1999
5. أبوبكر ميغا، دعوة الإمام المغيلي العلمية والإصلاحية في السودان الغربي، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد السابع، أكتوبر 1992م.
6. احمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط1، طرابلس، 1989، ج1
7. أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت
8. أيوب شرقي، انتشار اللغة العربية في غرب إفريقيا، مجلة مدارات تاريخية، المجلد الثاني، العدد الخامس، مارس 2020، الجزائر
9. خير الدين الزركلي، الاعلام - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، د.م.ن، ط3، دب، دب، ج7
10. د. مهدي رزق الله، حركة التجارة والإسلام والتعليم في غرب إفريقيا قبل الاستعمار، دار النهضة العربية، مصر، 1992
11. دنيس بولم، الحضارات الأفريقية، دار التقريب بين المذاهب، د.ط، 2004
12. سبنسر ترمينجهام، الفرق الصوفية في الإسلام، تر: عبد القادر البحراوي، دار المعرفة الجامعية، د.ط، 1994
13. عبد الرحمان سيدي، وضع اللغة العربية في جمهورية مالي، 2006
14. عبد الله سالم بازينة، انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، جامعة 7 أكتوبر للنشر، ليبيا، ط2010.
15. عطاء الله شوقي الجمل، الأزهر ودوره السياسي في غرب إفريقيا، دار مصر للنهضة، د.ط، 1998
16. عمر السيد عبد الفتاح، واقع اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء، المؤتمر الدولي للغة العربية والعولمة وجها لوجه، اندونيسيا، 2008
17. الفاتح الشيخ يوسف، مظاهر الحضارة الإسلامية في الممالك الإفريقية، مجلة قراءات إفريقية، العدد 14، ديسمبر 2012.
18. فيج جي دي، تاريخ غرب إفريقيا، دار المعارف للنشر، مصر، 1982.
19. القاضي محمود كعت، تاريخ الفتاش في اخبار البلدان والجيش واکابر الناسلطفة بن عميرة، الرحلة التجارية بين تلمسان وممالك بلاد السودان، حولية المؤرخ، العدد 5، جامعة الجزائر، دار الطباعة
20. القاضي محمود كعت، تاريخ الفتاش في اخبار البلدان والجيش واکابر الناس، دار هوداس، د.ط، 1964.
21. لطيفة بن عميرة، الرحلة التجارية بين تلمسان وممالك بلاد السودان، حولية المؤرخ، العدد 5، جامعة الجزائر، دار الطباعة.
22. محمد ابي بكر الصديق البرتلي، فتح الشكور في معرفة اعيان علماء التكرور، تح: محمد ابراهيم الكتاني، محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1981.
23. محمد السعيد القشاط، اعلام من الصحراء، دار الملتقى، ط1، 1997، بيروت

24. مصطفى محمد سعد، الإسلام وحركة الفلان الإصلاحية في غرب إفريقيا. مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، العدد الأول 1968م
25. يحيى بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق
26. يوسف أبو بكر الخليفة، اللغة العربية في إفريقيا- في اللغات في إفريقيا مقدمة إفريقيا، جامعة إفريقيا العالمية، السودان ، 2006
27. يوسف أبو بكر الخليفة، أوضاع اللغة في السودان، سلسلة الدراسات اللغوية ، العدد العاشر، معهد الدراسات الإفريقية والاسيوية، جامعة الخرطوم.

الأجناس الأدبية و مراحل فنّ القصة العربية في نيجيريا
الدكتور حامد محمود إبراهيم
محاضر بكلية آدم أوغي للتربية، مدينة أرغغ، ولاية كَب، نيجيريا
+2347031272478

alhijry1@gmail.com

مقدمة:

تضاربت مفاهيم مصطلح القصة، مثلما تداخلت التعاريف بينها وبين الرواية، كذلك حدثت تناقضات في بعض الأجناس الأدبية التي تعتبر فرعاً متفرعاً من القصة، كالمسرحية، والحكاية، والأسطورة، وأدب الرحلة، والسيرة الذاتية، ويجب على الباحث التوضيح للمنهج المتبع في وضع هذه الإبداعات في مظانها، فقد كانت الأجناس الأدبية النثرية التي نالت رواجاً لافتاً للنظر عند الأدباء النيجيريين، هي المسرحية، فالسيرة الذاتية، وشبه الرواية، أو المتعارف عليها بالقصة، ثم أدب الرحلة.

فالباحث يحاول في هذه الورقة أن يسلط الضوء على مفهوم الأجناس وأهمية فهمها في تصنيف الأعمال الفنية العربية في نيجيريا، كما يسعى في رسم معالم مراحل فن القصة العربية في المنطقة، ذلك لما تميز بها هذا الفن في صعيد الأدب العربي النيجيري من الانتشار اللافت للنظر في أوساط الأدباء والنقاد على السواء في هذه الآونة الأخيرة. إنها مرحلة تفجرت باقتحام المبدعين رقاب الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية مثل الإنجليزية واليورباوية والهوساوية، ولما توهجت هذه الهمة في صدورهم، وتوقدت في أفكارهم تولدت مرحلة أخرى وهي محاولة الإبداع المباشر في الفن الأدبي العربي، وهذه هي مرحلة الإبداع، والتي كادت أن تبلغ أوج مجدها، وتستوي على سوقها في أقرب وقت ممكن.

الكلمات المهمة:

تداخل الأجناس، الرواية، القصة، المراحل.

الأجناس الأدبية وتداخلها.

جرت عادة بعض الباحثين إلى إدراج تلك الأجناس المذكورة في المقدمة تحت عنوان القصة، وإن كانت بعضها قد نال استقلالاً تاماً كالمسرحية، وأدب الرحلة، مما جعل الباحث لم يدرجها تحت حظيرة القصة، واعتمد على الأجناس الثلاثة الأخرى، ومما أيد منهج الباحث هو بعض تعاريف الباحثين لهذه الأجناس وطرق تناولهم لها، فقد أدرج "الفصل" في موسوعته¹ فن القصة القصيرة، والحكاية، والأسطورة، والسيرة، والمقامة، في اهتماماته، لعلاقة تربطها جميعاً مع القصة، مع أن الباحث رأى استقلالية فن المقامة أيضاً عن فنون القصة، كالمسرحية، وأدب الرحلة، أما الحكاية والأسطورة فلم تتناولها أيدي كتابنا النيجيريين، إلا ما جرى مجرى الترجمة من الأدب الشعبي، كقصص السلحفاة للبروفيسور أوغنيبي، وكتاب الصيد المحفوظ حكايات شعبية من نيجيريا الجنوبية¹، وغيرها، حسب علم الباحث، لذلك اكتفى الباحث بإدراج السيرة الذاتية والقصة القصيرة ضمن المصادر التي يدرسها في هذه الرسالة.

وقضية التجنيس، أو تصنيف الأعمال الأدبية النيجيرية إلى الجنس الذي ينتمي إليه، وبخاصة ما يتعلق بالأعمال النثرية منها، هي من الأهمية بمكان، وقد تطرق إليها بعض الباحثين¹ وإن كان تطرقاً طفيفاً، وليس من بد إذن أن يتحدث الباحث عنها قبل الخوض في موضوع القصص العربية في نيجيريا، ليتضح المنهج الذي سار عليه الباحث في تصنيف الأعمال القصصية العربية النيجيرية في بحثه.

تعريف الأجناس:

والأجناس جمع جنس، والجنس أعم من النوع، ومنه المجانسة والتجنيس. ويُقال: هَذَا يُجَانِسُ هَذَا أَي يُشَاكِلُهُ، وَقُلَانْ يُجَانِسُ الْبَهَائِمَ وَلَا يُجَانِسُ النَّاسَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ تَمَيُّزٌ وَلَا عَقْلٌ¹. والجنس الأدبي هو "اصطلاح عملي، يستخدم في تصنيف أشكال الخطاب، وهو يتوسط بين الأدب والآثار الأدبية"¹، وبعد ما أكد التونجي على ضرورة قواعد خاصة ومفاهيم معينة لا يجوز أن يخرج عنها كل جنس من الأجناس الأدبية، ذكر أنه قد "ظهرت ثورة على الأجناس الأدبية في أواخر القرن التاسع عشر أساسها التحلل من هذه القواعد والمفاهيم"¹ مما يبرر تداخل هذه الأجناس الأدبية في العصر الحديث. والتداخل بمعناه الأدبي هو "حضور تقنيات جنس أو تقنيات أجناس أدبية داخل نص ينتمي إلى جنس معين في مجال الأدب، ويكون هذا الجنس على علاقة بالأجناس الأخرى التي تمارس تأثيراً

مباشرا أو غير مباشر على الجنس الأصلي"1. وعلى الرغم من هذا التداخل فثم هناك بعض ضوابط ومميزات تجعل كل جنس مستقلا عن غيره، ولو شكليا.

لا يختلف الاثنان في أن جنس الشعر يمتاز بالوزن والقافية، لكنه لم يعد مقتصرًا عليهما كما كان في مرحلة طفولته، وإنما تطور ليأخذ من النثر بعض خصائصه، كي يواكب العصر الذي ينظم فيه، وللمدارس الأدبية الجديدة باع طويل في هذا التداخل، وبخاصة في انفتاح المدرسة الرومانسية وتمردها على الكلاسيكية، ولئن كانت قضية تداخل الأجناس حديثة العهد في الطرح والدراسة إلا أننا نلمس بعض التلميحات لهذه القضية في التراث النقدي القديم، كما في موازنة الأمدي، ومقابسات أبي حيان التوحيدي، وعيار ابن طباطبا، والوشي المرقوم في حل المنظوم لابن الأثير"1.

أما الأجناس النثرية فهي ميدان تتضارع فيها بقية الأجناس والأنواع الأدبية، ذلك أن أكثر عناصرها متقاربة ومتداخلة، وغالبا ما يميزها المضمون وأسلوب التعبير لا غير. لأن أهم ما يحول دون تحديد أي جنس أدبي تحديدا صارما وحصر مفهومه حصرا دقيقا، هو ما للأجناس الأدبية من مرونة وما تتسم به من ظاهرة التداخل فيما بينها.

مراحل القصة العربية في نيجيريا:

- مرحلة الترجمة

الترجمة هنا نقل الرواية من اللغة الإنجليزية أو اللغة المحلية مثل اليوروبية أو الهوسوية إلى اللغة العربية.

ومن باكورة محاولات أدبائنا في فن القصة اتجاههم إلى نقل القصص المحلية أو اللغات الغربية إلى العربية كالقصص اليوروبية والهوساوية والإنجليزية، كما أسهم بعضهم في نقلها من العربية إلى الإنجليزية مثلما ما قام به الدكتور أولاليري أديغن عند ما قام بترجمة رواية إحسان عبد القدوس "ثقب في الثوب الأسود" بعنوان "Holes in Black Garnent" بعد ترجمة رواية إنجليزية إلى العربية وهي "African Night Entertainment" بعنوان ليلة سمر إفريقية، عام 1994م،1

ورواد عملية الترجمة القصصية في نيجيريا نوعان:

النوع الأول:

رواد من أبناء العرب ومن أمثالهم:

- عبد الحليم السيد منسى، ومن أعماله " نيجيريا ثقافتها وقصصها الشعبية"

- المرحوم الدكتور علي شلش، الذي له عدة تأليفات ومترجمات في الأدب

- الدكتورة انجيل بطرس سمعان، قامت بترجمة الرواية النيجيرية الأكثر شهرة

Things Fall Apart للكاتب تشينو أتسيبي (Chinua Achebe) بعنوان "الأشياء تتداعي"، 1971م.

- دنيا فرحات، في ترجمة: Folk Stories From Southern Nigeria، (الصيد المحظوظ، حكايات شعبية

من نيجيريا الجنوبية) للكاتب: Dayrell Elphinstone، 2009م.

هؤلاء من أوائل من استخدموا الترجمة كوسيلة لنقل الرواية النيجيرية إلى اللغة العربية وأكثرهم عرب ليسوا مواطني نيجيريا.

النوع الثاني

فهم من أبناء نيجيريا لأن هذا العمل (الترجمة) لم يكن مقصورا على الأجانب فقط، فقد استخدمه نيجيريون أحسن استخداما ومنهم:

- البرفيسور شيخ أحمد عبدالسلام، الذي ترجم رواية (Ireke Onibudo) لـ "دي. أو. فاغوا إلى اللغة العربية

بعنوان " قصب المخيم. 1994 "

- البرفيسور مشهود محمود جمبا الذي نقل رواية (Ogboju Ode Ninu Igbo Irunmole) أولي روايات دي. أو.

فاغوا إلى اللغة العربية عام 1995م تحت عنوان : الصيد الجريء في غابة العفاريت.

- البروفيسور مسعود راجي، قام بترجمة رواية أنجليزية "The Burning Grass" للكاتب الروائي الكبير سيبران انكويبيسي Cyprian Enkwensi تحت عنوان " أعشاب ملتهبة 1999م .

وحاول بعض الأدباء الخوض في غمار كتابة القصة أساسا باللغة العربية أي بنقل الفكرة نقلا مباشرا إلى اللغة العربية. منهم:

- الأستاذ إسحاق أوغبنيه ومن مؤلفاته، القصص الشعبية عن السلحفاة عند اليربانيين - سكان غرب نيجيريا- وقد حشد في الكتاب عددا كثيرا من القصص الشعبية وصاغها في لغة عربية فصيحة.
- البروفيسور زكرياء حسين، له مؤلفات عديدة في تاريخ الأدب العربي، والمسرحية والقصة. ومن أعماله، " قصص خط الإستواء" وهي مجموعة إحدى وعشرين قصة نشرها في 1999م.

- مرحلة الإبداع الفني:

كانت هذه المرحلة تركز على فن السيرة الذاتية، وليس غريبا أن تنهض القصة على هذه الصورة في نيجيريا، وقد كانت الدول العربية التي تجعلها مثلها العليا في الكتابة الأدبية ركزت على هذا الجانب أيضا، وبخاصة في الأدب المعاصر، وقد صرح به باحث حيث قال : إن " هذا الشكل الروائي في كتابة التراجم أكثر تواترا في الأدب العربي الحديث بين الأشكال الأخرى، ثم إن أشهر نصوصها وأرقاها إبداعا هي النصوص التي كتبت بأسلوب الشكل الروائي ابتداء من النص التأسيسي الأول "الأيام" للدكتور طه حسين وكذلك يعد في هذا الشكل كتاب "الخبز الحافي" لمحمد شكري، و"أوراق.. حياتي" لنوال السعداوي وغيرهم من الكتاب.1

وقد طرق بابيه الشيخ آدم عبد الله الإلوري في كتابه "من هنا نشأت" وإن كان الكتاب يفتقد كثيرا من جماليات فن السيرة الذاتية، لأن صاحب النص لم يضعه إلا على ضوء التاريخ، أو مجرد سيرة حياته، ذكر فيه رحلته العلمية والأساتذة الذين تتلمذ على أيديهم، ثم نال هذا الفن تطورا ملموسا عند البروفيسور أول أبوبكر في قصته "مذكرات إمام وخطيب في مناخ جامعي"، قبل أن يصدر الدكتور الحقيقي قصة "السنة"، والشيخ الفلاني "على الطريق"، والهجري "خادم الوطن"، والدكتور العسلي "الرحلة"، والدكتور أكويبيدي "في سبيل المجد"، وغيرهم مما أسهم بكثير في فن السيرة الذاتية.

واختلف النقاد في تصنيف السيرة الذاتية في مظان الرواية، فمنهم من يرى أنها فن مستقل لا يستند أو يستمد من فن نثري آخر، ومنهم من يرى أنه فن مستقل لكنه يستمد أو يستعير من فن الرواية كثيرا،1 وأطلق على مثل هذه السيرة الذاتية أحيانا برواية السيرة الذاتية، أو السيرة الذاتية الروائية، وإن كان الباحث لا يرى غضاضة في استخدام مصطلح موحد يجمع بين المصطلحين وهو "السيرة الروائية".

كما يرى أن هذه الأعمال الأدبية الذاتية لدى كتّاب نيجيريا، يمكن حصر بعضها في السيرة الروائية، لما فيها من عناصر وشخصيات وأحداث تعكس صورا فنية، للرواية العربية الحديثة، ويبقى بعضها في أصله الفني؛ لأنه لم يستعير من الرواية شيئا ملموسا، والتي يمكن حصرها في السيرة الروائية.

وعلى هذا المنهج سندرك أن أكثر القصص العربية النيجيرية لم تنضج بعد، ولم تغعم بالخصائص الفنية التي تدعونا لحصرها في مظان الرواية، إلا روايات " ادفع بالتي هي أحسن، للكنوي، وفي قبضة العمال لإسحاق نمادي، وراعي الغنم، وأهل التكرور، وجامعة الأرواح للفلاني، وعبث الطفولة للعسلي.

ولعل السبب الذي جعل نهوض الأدباء وانجذابهم لفن السيرة الذاتية كونه أولا لا يرغم المبدع بأفكار عميقة المدى، ولا بخيالات بعيدة الإدراك. ثانيا أنه يشبه بحر الرجز أحيانا "حمار الشعراء" لدى الكتاب النيجيريين" ولا يكلفهم إلا ملكة التعبير، وقليل من القدرة على الوصف، ثم الإبداع في ترتيب الأحداث وتصنيفها قبل عرضها على القارئ.

أما القصة التي يبتكرها القصصيون الفنيون، فترغمهم على الأفكار المبدعة الواسعة، والخيالات البعيدة الهادفة، وهي بحاجة إلى إعداد فطري كبير، مع كثرة الاطلاع للروايات الراقية، وليس كل كاتبنا يقرءون مئات من الروايات العربية، بل وعشرات، قبل أن يتصدروا لكتابة القصة.

على الأرجح، إن الشعر العربي هو أول فن أدبي تربع في عرش الأعمال الأدبية النيجيرية، وقد وجد قبولا مرموقا لدى أدبائنا القدماء، وإن كان المنهج التقليدي هو السائد في الميدان، ولم يجد النثر الفني منفذا للتعبير عن

مشاعرهم، إلا الخطب المنبرية مع قيمتها الفنية الضيئلة في فترتها الأولى، وبعض الرسائل الفنية المتداولة في العصر الفودي.

أما النبوغ في فن القصة، فقد بدأ ينهض ويقوم على ساقيه في أواخر القرن العشرين، ولعلّ الاهتمام الذي قدّمه أدباؤنا في ترجمة القصص المحلية التي كتبت بالإنكليزية والهوساوية، واليورباوية، مما ساعد على بداية الرواية العربية في ديارنا، وكان من رواد هذه الحركة الترجمة البروفيسور شيخو عبد السلام، في كتابه "قصب المخيم" المترجم من اليورباوية، ثم البروفيسور مشهود جمبا في رسالته "الصيد الجري في غابة العفاريت"، كذلك كتاب "أعشاب ملتية" للبروفيسور مسعود راجي، و"ماء الحياة" للدكتور عتيق.

أسباب تأخر ظهور فن القصة في نيجيريا

قديمًا يناقش النقاد أسبقية الشعر على النثر في الأدب العربي، ذلك للبعد الزمني، والإشكالات التاريخية، لكن الأدب العربي في نيجيريا لم يعيش أكثر من قرنين أو أقلّ مما لا يضع مجالاً للشك في أسبقية الشعر على النثر، وبخاصة النثر الفني، اللهم إلا تلك الخطب التي اخترعها بعض الأئمة في أيام الجمعة والعيدين، أما الفنون النثرية الأخرى أمثال القصة والمسرحية والسيرة الذاتية والمقالات الأدبية فلم يكتب لها الظهور إلا في أواخر القرن العشرين، ولم تقترب إلى ذروة النضوج إلى في مقتبل القرن الحادي والعشرين، فما هي الأسباب التي أدت إلى هذا التأخر؟

بعد ما أقر "أونييريتي" في بحثه بأن فن الرواية لا يقل شأنًا عن غيره في تهذيب أخلاق المجتمع النيجيري، وفي توجيهه إلى القيم النبيلة، وحسن التصرف بجانب توفير المتعة والتسلية. "1 ذكر أربع نقاط سببت تأخر ظهور فن الرواية في مسرح تأليف الأدب العربي في نيجيريا، وهي:

- 1- قيام الاستعمار الإنجليزي بحصر اللغة العربية في المساجد والمدارس العربية الأهلية، وقد نجح في تحقيق ذلك إلى مدى بعيد حيث جعل اللغة الانجليزية اللغة الرسمية في الدولة، فأصبح الأغلبية الساحقة من الناس يؤمنون أن المثقف بالثقافة العربية والإسلامية مهمته الأولى والأخيرة هي القيام بالتدريس في المدرسة العربية والدعوة إلى الله والوعظ والإرشاد، في المدن والقرى، وفي الحفلات والولائم، فلا دخل له بكتابة الرواية لأن الغرض من ذلك كله في نظرهم وربما في نظر المثقف نفسه هو المتعة والتسلية لا غير.
- 2- عدم وصول الثقافة العربية في هذه البلاد في زمن مبكر إلى مستوى يتطلب فيه المثقفون بالثقافة العربية الاعتناء البالغ بإنتاجاتها الأدبية المعاصرة.
- 3- اهتمام المدارس العربية الأهلية بالأدب العربي القديم شعرا ونثرا، وعدم مبالاتها بالأدب العربي الحديث، لعل ذلك له أثر في الذوق والتوجيه الأدبي، مما دفع الطلبة إلى إثارة الشعر العربي القديم على الشعر العربي الحديث قراءة وحفظًا، وكذلك الحال في النثر بأنواعه المتنوعة.
- 4- ومن تلك الأسباب أن القصص القليلة التي وصلت إلى نيجيريا هجرها الأدباء الذين هم العلماء لشدة تأثيرها بالثقافة والحضارة الغربية.

وأثبت باحث آخر تأخر نشأة القصة العربية في نيجيريا، وتعجبه من هذا التأخر، حيث تردد وقال مشيرًا إلى فن القصة: كأن أدباءنا "ما راقهم كما راقهم الشعر وفنون النثر الأخرى، مثل الخطابة والرسالة والمقالة"1 لكن الباحث يرى أن النقطة الثانية التي تنص على عدم وصول الثقافة العربية مبكرًا في نيجيريا، يجانبها الصواب، ذلك أن هذه الإنتاجات الأدبية كالشعر مثلاً في نيجيريا تفنّد إلى هذه الثقافة، وربما أراد الكاتب هنا عدم وصول المنشورات من القصص العربية إلى نيجيريا، كذلك تعميمه في النقطة الثالثة أن المدارس العربية في نيجيريا لا تهتم بالأدب العربي الحديث، لا يتناسب مع بعض المدارس العربية وبخاصة في شمال نيجيريا.

الخاتمة:

دارت هذه المقالة العلمية حول قضية تداخل الأجناس الأدبية وبخاصة في إبداعات الأدب العربي النيجيري، مع التركيز على مراحل تطور فن القصة العربية في نيجيريا. فكانت النتيجة هي:

- أن الأجناس الأدبية ما زالت متداخلة في جلّ الفنون الأدبية النثرية في نتاج الأدب العربي النيجيري.

- أن فن القصة في نيجيريا مر بمرحلة الترجمة من اللغات الإنجليزية والهوساوية واليورباوية قبل أن تستقر في الإبداع الخالص.
 - وأن مرحلة الإبداع عانت صعوبات تنهضية شأن كل فنّ جديد في المجتمع الإنساني.
 - تبين أن هناك أسباب عديدة لتأخر ظهور فن القصة العربية في الأدب العربي النيجيري حتى أواخر القرن العشرين.
 - فعلى الرغم من هذه الصعوبات فقد حاول إبداع الأدب العربي النيجيري أن يرتقي ويعانق أمثاله من الإبداع القصصي في الدول العربية اليوم تألقا وإتقاناً.
- قائمة المصادر والمراجع**
- ابن منظور، لسان العرب، (ط : 3 ، لبنان - بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، 1999).
 - أبو مصطفى، أحمد تداخل الأجناس الأدبية في القصيدة العراقية المعاصرة، رسالة الماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2015م.
 - أونيريتي، لطيف إبراهيم، دور الأدب العربي في إصلاح مجتمع نيجيريا، مجلة اللسان، تصدر عن جمعية مدرسي اللغة العربية وآدابها في نيجيريا (نتال)، العدد الخامس، المجلد الثاني، 2012م..
 - أونيساي، عبدالله الشيخ/ الرواية العربية في نيجيريا قضايا وآراء. جامعة إلورن، عام 2009م.
 - إلفينستون داريل، ترجمة : دنيا فرحات، الصياد المحفوظ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (الكلمة) ط:1، 2010م.
 - التونجي، محمد، المعجم المفصل في الأدب ، (ط : 2 ، لبنان - بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1999).
 - زيتزني، لطيف، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان، لبنان، ط: 1، 2002م.
 - سامر صدقي، محمد موسى، رواية السيرة الذاتية في أدب توفيق الحكيم، دراسة نقدية تحليلية، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2010م.
 - حسين لون بللو، إشكاليات تجنيس السرديات العربية النيجيرية،
 - <http://www.qiraatafrican.com/home/new/>
 - عبد الدايم، يحيى إبراهيم (الدكتور)، "الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د، ت).
 - عبد الغني أديبايو ألي (الدكتور)، القصة والمسرحية: تاريخ وأصول، مطبعة وعس، جوس، ولاية بلاتو، نيجيريا، ط: 1، 2004م.
 - الفصيل، سمر رويحي، (الدكتور)، الرواية العربية ومصادر دراستها ونقدها. (د، بيانات النشر).

وضع اللغة العربية في جمهورية جيبوتي (التحديات والرؤى المستقبلية).

د. حسن عثمان سجال

أستاذ مدرب بدرجة محاضر بمركز تكوين معلمي التعليم الأساسي
بوزارة التربية الوطنية والتكوين المهني بجيبوتي.

ملخص البحث :

يتناول هذا البحث وضع اللغة العربية في جمهورية جيبوتي والتحديات المستقبلية انطلاقاً من نشأتها في ضوء تحولات التي حصلت خلال التاريخ.

وتبلغ مساحة جمهورية جيبوتي 23,200 كم²، ويُقدر عدد سكان جمهورية جيبوتي في آخر إحصاء أجري في عام 2009م بنحو 818,159 نسمة، ويعيش أكثر من نصف سكان جمهورية جيبوتي في جيبوتي العاصمة.

ويهدف الباحث في هذه الدراسة إلى كشف وضع الراهن للغة العربية وتحديات التي تواجه في مستقبلها على مدى المتوسط والبعيد، كما تهدف رفع الثقافة الإسلامية العربية، في المجتمع الجيبوتي وبالتالي مستقبل تطوير اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي بجمهورية جيبوتي، وتستند هذه الفكرة معرفة مدى وجود اللغة العربية في أوساط السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإعلامية ومساهماتها في هذه المجالات، ومن المأمول أن تساعد هذه الدراسة على بناء رؤية إستراتيجية لتطوير التعليم اللغة العربية في جمهورية جيبوتي، على أسس علمية؛ لضمان استمرار مسيرة تعريب مؤسسات الدولة؛ في ضوء رؤية مستقبلية بعيدة المدى بوصفها عضواً في جامعة الدول العربية؛ لمواجهة التحول الاجتماعي المتسارع في الوطن العربي، ومنطقة شرق إفريقيا؛ ومن أهم النتائج لهذه الدراسة، ضرورة صياغة رؤية إستراتيجية مستقبلية تحظى بتداول واسع من النخب الوطنية في جمهورية جيبوتي؛ خاصة مثقفي اللغة العربية للقيام رفع مكانة اللغة العربية وبالتالي قيام بعبء تعريب مؤسسات الدولة، وتطوير التعليم العربي والإسلامي في جمهورية جيبوتي؛ بالاستفادة من خبراء التربية والتعليم، والمهتمين بمجالات التنمية المستدامة، ليتم تطوير التعليم اللغة العربية في جمهورية جيبوتي من خلال رؤية موحدة لجميع مثقفي اللغة العربية وخريجي الجامعات العربية في شتى مواقعهم في جمهورية جيبوتي.

الكلمات المفتاحية : اللغة العربية، جمهورية جيبوتي، التحديات، الرؤى المستقبلية

المقدمة:

تعد جمهورية جيبوتي إحدى الدول العربية والإسلامية الواقعة في الشرق الإفريقي، وانضمت إلى جامعة الدول العربية بعد استقلالها من فرنسا مباشرة عام 1977م، كما انضمت في نفس التوقيت إلى منظمة المؤتمر الإسلامي. وترسخت الثقافة العربية في واقع الشعب الجيبوتي نتيجة لتواصل ثقافي وتجاري واجتماعي قديم وأزلي بين الشعبين العربيين في ضفتي البحر الأحمر (شبه الجزيرة العربية ومنطقة القرن الإفريقي)؛ ونتيجة لذلك أدخلت جمهورية جيبوتي بعد الاستقلال اللغة العربية في مدارسها الحكومية كلغة وطنية، وعينت خريجي الجامعات العربية في المدارس الحكومية، كما وظفت مستشارين فنيين في المؤسسات الحكومية خاصة في وزارة التربية والتعليم، ووزارة الخارجية ووزارة العدل وغيرها من الوزارات؛ وذلك رغم وجود السياسات الرسمية للدولة بوصفها إحدى المستعمرات الفرنسية؛ حيث ظلت فرنسا تتحكم في جميع مفاصل الدولة الوليدة؛ ومع كل ذلك سمح رئيس الجمهورية السابق الحاج حسن جولييد أبتدون؛ بافتتاح المدرسة السعودية والمدرسة العراقية ومن هنا استعادت اللغة العربية وجودها في أوساط الشعب الجيبوتي وبدأ التنافس بين الثقافة العربية والثقافة الفرنسية في جميع المستويات: سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وتعليمياً وما زال التنافس حتى الآن قائماً؛ حيث مازالت اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية للدولة على مستوى دواوينها الحكومية والمعاملات الرسمية¹.

نشأة اللغة العربية في جمهورية جيبوتي:

عرفت جمهورية جيبوتي اللغة العربية كغيرها من مناطق سواحل البحر الأحمر منذ قدم التاريخ وكانت اللغة العربية في جيبوتي لغة كتابة العهود والمواثيق والتجارة والثقافة ولكن بعد مجيء الاستعمار الأوربي إلى سواحل شرق إفريقيا ووقوع جيبوتي تحت وطأة الاستعمار الفرنسي، الذي بدء جاهدًا للعمل على إضعاف اللغة العربية وإحلال اللغة الفرنسية محلها وطول فترة الاستعمار التي استغرقت أكثر من قرن نجح الاستعمار في تنفيذ خطته الهادفة لتشويه اللغة العربية تجاه أبناء جيبوتي لتفتقد اللغة العربية قداستها واحترامها وحلت اللغة الفرنسية محلها وأصبح التحدث باللغة الفرنسية دليلاً على التمدن والتحضر في حين أصبحت اللغة العربية دليلاً على التخلف والفقر وأصبح المتحدث باللغة العربية لا يعتبر مثقفاً ولو بلغ من العلم مبلغاً وهذا يرجع لقلة المعرفة لذوي مثقفي اللغة الفرنسية باللغة العربية من جراء تعرضهم للغزو الفكري الأوربي¹.

وإن الإسلام زاد انتشار اللغة العربية بين جيبوتيين كغيرهم من الشعوب المسلمة الأخرى منذ نزول القرآن الكريم وقد ارتبط دخول اللغة العربية في جيبوتي بوصول الإسلام إليها وانتشاره بين أهلها ومنذ ذلك حين اهتم الشعب جيبوتي اللغة العربية لانتمائهم بالإسلام من جهة وبالعرب من جهة أخرى¹. وفي عهد الاستعمار لم يكن في جيبوتي مدارس عربية لنشر اللغة العربية سوى مدرسة واحدة وهي مدرسة النجاح الإسلامية التي تأسست عام 1953م، والتي تدرس فيها اللغة العربية والثقافة الإسلامية، كما وجدت أيضاً الكتابات للقرآن الكريم بجانب الحلقات العلمية في المساجد لدراسة العلوم الشرعية؛ واللغة العربية بالطريقة التقليدية¹.

مكانة اللغة العربية في المجتمع الجيبوتي:

أولاً : مكانة اللغة العربية في جيبوتي قبل الاستعمار:

لم تعرف المنطقة الجيبوتي التعليم الحديث أو التعليم النظامي إلا عند وصول الاستعمار الفرنسي إلى البلاد حيث أسس الاستعمار بعد فترة من استعمار لهذه المنطقة عدد من المدارس كنسبة ابتداء من أبوك وصولاً إلى جيبوتي، ولكن كان يعتمد الشعب الجيبوتي في تعليم أبنائه تعليماً إسلامياً دينياً يشمل العلوم الشرعية من القرآن والتفسير والحديث والفقه والتوحيد والسير، أو من العلوم اللغوية العربية من الأدب والبلاغة والنحو والصرف أو وما إلى ذلك من العلوم الاجتماعية والثقافية المختلفة وكان يتم هذا التعليم من خلال الوسائل والمناهج ذات طابع التقليدي تتم في داخل الجوامع والمساجد أو الملعماط أو الكتابات ولا نستطيع أن نسميها مدارس بل هي خلاوي القرآنية وكانت تنقسم إلى قسمين: أ) الكتابات والخلاوي أو (الملعماط) ب/ وحلقات العلوم الشرعية واللغة العربية.

ويمكن القول بأن الكتابات قامت دوراً كبيراً في تحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية وإثبات مكانتها في المجتمع الجيبوتي حتى أصبحت لغة رسمية في جمهورية جيبوتي، ولا يشترط للمعلم الملعماط الحصول على شهادة أو مؤهل علمي معين غير معرفته للقراءة والكتابة بجانب حفظه للقرآن، وقد كان للمعلم دور كبير في تحفيظ الدارسين القرآن الكريم وتعليمهم القراءة والكتابة مع تأثرهم به بما يرونه من صفات وسلوك نبيلة يتحلى بها، وبما له من مكانة عند الناس الذين يعدونه مرجعاً لهم في علوم دينهم وديانهم¹.

وكان التعليم يبدأ بأن يأتي الطالب أو مجموعة من طلاب إلى المعلم أو الشيخ في الخلوة ويبدأ المعلم مع التلاميذ بتعليم الحروف العربية التي يرددها التلاميذ وراء المعلم بغية إتقانها ويحفظ التلاميذ هذه الحروف ثم ينتقلون إلى تعلم القراءة والكتابة وذلك لتسهيل حفظ القرآن الكريم وتعلمه وكان التلاميذ يبدؤون في الحفظ القرآن من السور القصيرة حتى يصلوا إلى السور الطوال ثم يحفظ القرآن على ظهر القلب وكان في هذه الفترة يتم تجويد القرآن الكريم وقراءته معرفةً وكتابةً وفهماً لمعانيه، وفي هذه المرحلة كان المعلم يأخذ أجر من هذا التدريس حيث كان هذا الأجر شاة أو مبلغاً من المال وكان يتم هذا غالباً أثناء استلام المعلم الولد أو البنت وهذا كان بمثابة رسوم التسجيل عند المعلم، وعندما يكمل الولد القرآن الكريم كله يعطي الأب المعلم ناقة أو بقرة أو ما يعادل من المال حسب استطاعة والد التلميذ إضافة إلى ما يقدمه الوالد إلى المعلم من إعانات مادية ومعنوية وذلك باعتقاد أولياء الأمور أن رضا المعلم من التلميذ ودعائه له يلعبان دوراً كبيراً من تعليم التلميذ وذكائه ومستقبل حياته العلمية¹.

ثانياً / مكانة اللغة العربية في عهد الاستعمار :

كان من أساليب الاستعماري الفرنسي طمس وهدم مقومات المجتمع المستعمر، ومن مقومات

المجتمعات الدين واللغة والثقافة وما تحتويها من عادات وتقاليد وقيم أخلاقية واجتماعية، واللغة من أهم الظواهر

الثقافية والاجتماعية وأنها وعاء الفكر والحضارة للأجيال المتعاقبة، وبما أن اللغة العربية تنطوي انطواءً عضوياً وجوهرًا روحياً ومقومات فكرية وحضارية عالمية بارتباطها الوحي الإلهي المتمثل في القرآن الكريم وسنة النبوية الشريفة بدأ الاستعمار الفرنسي بعد أن أحكم قبضته على البلاد في محاربة اللغة العربية وإبعادها عن واقع الحياة اليومية للأمة، وحكم عليها أن تظل لغة عقود الزواج والإرث والشئون الدينية، وقررت السلطات الفرنسية أن تكون لغة التعليم والإدارة والتعامل الرسمي في البلاد باللغة الفرنسية، وذلك إدراكاً من الاستعمار الفرنسي أن انتشار اللغة العربية في الإقليم الجبوتي له أثره ودور كبير في رفع وعي الشعب وربطه بالعالم العربي والإسلامي ولذلك استخدمت سلطات الاستعمار الفرنسي شتى الوسائل والأساليب لعزل الشعب الجبوتي عن محيطه العربي والإسلامي كما تعتبر الفئة المثقفة والمتعلمة في ذلك الوقت هي عربية اللسان والفكر إلا أنه أعطى نفسه حق التشريع والإطلاع على توجيه الشعوب واعتبر ثقافته النموذج الأمثل في الاقتداء به وإظهارها بمظهر اللغة الراقية المتحضرة التي لا غنى عنها في التعليم والمعاملات والاتصال بالعالم الخارجي المتقدم¹.

ومن هنا حاول فرض لغته وأيديولوجيته الفكرية على الشعب في حين وضع الطوق الخانق على اللغة العربية وانتشارها معللاً بذلك عدم تجاوبها مع متطلبات الحضارة والتطور والتقدم الحضاري، ثم القضاء على الهوية الإسلامية في البلد فشيّد المباني لمؤسسات تعليمية تابعة له منهجاً ولغة وإدارة وتديراً وتوجيهاً وإشرافاً ونادى بمجانبة التعليم والتوظيف الفوري لمن يحسن اللغة الفرنسية كتابةً وتحدثاً فكان هذا بداية التعليم النظامي في جمهورية جيبوتي.

وما فعل ذلك كله إلا لأنه على اعتقاد جازم بأن التربية الصالحة ستعود لأهلها يوماً، فما فعله إلا استحواد العقول بأيديولوجيته الفكرية ليزرع فيها عقولاً تدين له بالتبعية الكاملة وتقوم برعاية مصالحه، ورغم من كل هذه المحاولات المضنية الاستعمارية وما أنتجتها من سياسات الهيمنة والتنصير لقطع الصلة بين المسلمين وبين اللغة العربية _ لغة القرآن الكريم _ إلا أنها لم تجد أدنى اهتمام أو استجابة من طرف الشعب بل قوبل بمضاعفة الرغبة في التعليم والتعلم العربي ومقاطعة التعليم الفرنسي، وفي الساحة نفسها لم يغفل الدعاة والتجار من أهل الخير عن هذا الأمر، بل صمدوا أمام هذا التيار الثقافي الأيديولوجي العارم النازل، وجددوا دورهم الجبار في خدمة الدين، وتنشئة أبناء هذا الشعب المسلم تنشئة إسلامية انطلاقاً من إيمانهم الصادق بأن معرفة اللغة هي أساس كل شيء وهذا لا يتحقق إلا بالاعتصام بالكتاب الله (القرآن الكريم) والتعليم اللغة العربية الوسيلة المثلى لفهم الدين الإسلامي¹.

ومن سياسات التي اتخذتها فرنسا لمحاربة اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وإبعاد اللغة العربية من المؤسسات التعليمية التي أنشأها وتشجيع البعثات التبشيرية المسيحية، والعمل الدؤوب على نشر اللغة الفرنسية بشتى الوسائل والسبل، وكانت الحكومة الفرنسية تدرك تماماً مدى قوة الإسلام واللغة العربية في نفس المواطن الجبوتي فلذلك كانت جادة في كل خطواتها لمسح هذه الهوية منه، وهذا ليس بالغريب إذ أن الاستعمار كان يركز بصفة عامة في العمل على إضعاف الشعوب وطمس هويتها حتى يسهل له السيطرة والتحكم فيه ومن ثم استغلال موارده المادية والبشرية، ولتحقيق هذه الأهداف استعمل الاستعمار الفرنسي كل الأساليب القمع والبطش والتكيد لشعب الجبوتي وعمل على بث الخلافات والتفريق بينهم وخاصة قبيلتي الرئيسيتين في جيبوتي العيسى والعفر، إذ كان الفرنسيون

المبشرون يدركون تمام الإدراك مدى تأثير الإسلام في المنطقة فحاولوا أن تظل بعيدة عن التعليم اللغة العربية وأن يحولوا دون انتشار اللغة العربية وبدلوا جهوداً جبارة ووضعوا خطاً دقيقاً لتحقيق هذه الأهداف 1 :

أ) أن الحكومة الاستعمارية الفرنسية حظرت التعليم اللغة العربية في جمهورية جيبوتي .

ب) سعت الحكومة الاستعمارية الفرنسية منذ وصولها إلى المنطقة نشر لغتها بين المجتمع الجبوتي بكل الوسائل الممكنة.

ج) وضعت الحكومة الفرنسية الاستعمارية خطاً ومنهاجاً مستورداً من الفرنسي لازم لتعليم الأطفال والشبان تعليمياً ينشئ في نفوس هؤلاء حباً قوياً نحو الفرنسي وللأجل ذلك انتشرت اللغة الفرنسية وثقافتها في المجتمع الجبوتي .

د) منع فتح المدارس الأهلية لتعليم اللغة العربية في جميع مراحل التعليم في جيبوتي .

هـ) اعتبار اللغة العربية دليلاً على الفقر والتخلف حتى تلاشى بين أوساط المجتمع المسلم .

و) اعتبار حملة الشهادات العربية غير متعلمين وإدراجهم في خانة الأميين ورفض توظيفهم في الدوائر الحكومية .

ثالثاً / مكانة اللغة العربية في العهد الوطني :

وكانت استقلت جيبوتي عام 1977 م ، وفي العام نفسه انضمت إلى جامعة الدول العربية، وقررت جعل اللغة العربية من اللغات الرسمية في البلد، غير أن هناك عوائق وقفت أمام حركة التعريب في جيبوتي من أهمها عدم وجود كفاءات مؤهلة وقادرة على تطوير العربية أو استعمالها في المجالات المختلفة، ولكن الأمر تغير بعد أن صدر قرار حكومي يقضي أن يكون تدريس اللغة العربية في المدارس الحكومية إجبارياً، وأن تكون درجتها مساوية للفرنسية.

وإن وضع العربية منذ إنشاء دستور البلاد وإثر استقلالها من الفرنسي حيث اعتبرت لغة أولى في جيبوتي، ولها آثار واضحة في تدريس هذه اللغة من حيث هي لغة ثانية في النظام التعليمي الجبوتي ولقد صار من ضروري وأساسي باعتبار المجال الحيوي والحضاري واللساني والثقافي الذي يوجد فيه البلد واعتبار أيضاً الاختيارات والتوجهات التي تستدعيها هذه المجالات مع تحولات الكبرى التي يشهدها الوطن والمنطقة كلها، ومن هذه التصورات قررت قيادة الوطن بعد الاستقلال مباشرة أن يتعلم التلاميذ الجبوتيون التخاطب والتواصل باللغة العربية 1.

ومن هنا يلزم أن تسعى المدرسة إلى دعم تنمية المعارف والمهارات الأساسية الخاصة باللغة العربية وهي لغة الثانية في النظام التعليمي في جيبوتي وحسب، بل يلزمها كذلك أن تسهل استعمال هذه المعارف في جميع مجالات الحياة والأنشطة من دون استثناء ، وإن تعطي تعليم العربية مكانته المناسبة التي تليق به في النظام التعليمي الجبوتي.

كان تعلم اللغة العربية قبل إقرار برنامج 1978 م اختياريًا وكان المدرسون يعتمدون كتباً مدرسية ذات أصول تربوية ومعرفية ومنهجية مختلفة حيث لم تكن هناك مناهج وطنية موحدة بل كان يعتمد كل المعلم في تدريس ما يراه مناسباً وهذا ناتج عدم الوجود الجهات الإشرافية للعملية التعليمية 1.

وفي عام 1978 م تم توحيد البرامج التعليمية في المرحلة الابتدائية ثم المرحلة الإعدادية عام 1981 م وبقي تعليم اللغة العربية في المرحلة الثانوية تابعاً لتعليم النظام الفرنسي لا سيما السنة الأخيرة من المرحلة الثانوية حيث تأتي جميع البرامج التعليمية والامتحانات ومن ضمنها اللغة العربية من الفرنسية 1.

ومع استقلال جمهورية جيبوتي في عام 1977 م بدأت اللغة العربية تستعيد دورها الذي سلب منها الاستعمار منذ زمن طويل، فشرعت الحكومة الوليدة الجبوتية باهتمام اللغة العربية في خطوات واضحة وجلية تتمثل بالتالي 1:

أ) جعل اللغة العربية إحدى اللغات الرسمية في البلد إلى جانب اللغة الفرنسية.

بـ إقحام تدريس اللغة العربية في المدارس الحكومية وذلك بإصدار قانون في عام 1979م ينص على إجبارية تدريس اللغة العربية في كل المراحل التعليمية في المدارس الحكومية ابتداءً من الصف الخامس الابتدائي حتى نهاية المرحلة الثانوية العامة.

جـ رفع قيود والرقابة والضغط على المدارس الأهلية في جيبوتي وإعطاء الحرية الكاملة لمن يرغب بفتح مدرسة أو معهد لتعليم اللغة العربية،

أ_ مكانة اللغة العربية في المجال الاقتصادي:

ثم تطورت اللغة العربية في مجال استخدامها الاقتصادي والتجاري حيث كانت منذ الاستقلال البلاد بعض مؤسسات اقتصادية تعمل باللغة العربية رغم ضعف تأثيرها في المجتمع لكن في العقود الأخيرة ازدهر هذا المجال حيث حظي الاهتمام الحكومي والشعبي أخيراً وأدى هذا الاهتمام إلى إنشاء بنوك إسلامية عدة تعمل بالشرعية الإسلامية وهي تهتم في مجال التمويل المشاريع الصغيرة والمتوسطة كما تعمل بالمعاملات الإسلامية في خدماتها المقدمة إلى زبائنهم، كما توجد عدد من أسواق اقتصادية وتجارية تعمل باللغة العربية بالكامل وهذا يدعم وجود المكون الثقافي العربي في جمهورية جيبوتي حيث من ضمن هذا الوجود الجالية اليمنية في جيبوتي المؤثرة في اقتصادياً وتجارياً، وأن أهم المؤسسات البنكية في جيبوتي هي التالي:

جدول يوضح بنوك العاملة بالنظام الإسلامي في جيبوتي:

الرقم	اسم بنك	تأسيس	أصل البنك
1	بنك سبأ الإفريقي الذي كان يسمى سابقاً بنك سبأ الإسلامي	2006م	هذا البنك يمني الأصل حيث يوجد مقره الرئيسي في صنعاء.
2	بنك سلام الإفريقي	2008م	يملكه عدد من تجار صوماليين
3	بنك شرق إفريقيا، ذهب شيل سابقاً	2010م	يملكه تاجر صومالي

ب_ مكانة اللغة العربية في المجال الاجتماعي والثقافي :

تنتشر في جيبوتي العاصمة عدد من المكتبات العربية التي تتبع الكتب اللغة العربية والدينية والعلمية والفكرية والثقافية العربية إلى جانب الكتب المترجمة إلى العربية، ويعزى هذا التزايد في عدد المكتبات العربية في جيبوتي إلى الطلب المتزايد من قبل خريجي من الجامعات العربية العائدين إلى البلاد سنوياً بأعداد كبيرة¹. كما توجد العاصمة عدد من المكتبات خاصة وإما تكون لأحد خريجي الجامعات العربية أو لإحدى الجمعيات أو لمدرسة معينة من المدارس الأهلية العربية، وكانت هناك مكتبة ثقافية عامة متميزة تابعة لسفارة دولة ليبيا لكن اختفت بعد انهيار نظام القذافي.

كما توجد مكتبة تابعة للملحق الديني السعودي في جيبوتي، لكن قلّ ما تجد إقامة برامج ثقافية أو مهرجانات أو فعاليات علمية في المؤسسات الرسمية أو غير الرسمية، أما ما يتعلق في الأحوال الشخصية كالعقود الزواج والميراث ودفع الزكاة تتم باللغة العربية من قبل المحاكم الشرعية أو من المؤسسات التجارية.

ج_ مكانة اللغة العربية في المجال الإعلامي:

تأسست مؤسسة الإذاعة والتلفزيون الحكومية الوحيدة في جمهورية جيبوتي منذ ستينيات القرن الماضي وكان للغة العربية حيز ضيق جداً في العقود الماضية، لكن في العقد الأخير تبنت الحكومة سياسات داعمة للمؤسسة الإعلامية الوحيدة في البلاد حيث توسعت وأسس فيها عدد من القنوات يصل عددها سبع قنوات ومن هذه قنوات قناة خاصة باللغة العربية، ولذا ازدادت المساحة الإعلامية للغة العربية وتم التوسع في البث باللغة العربية في التلفزيون الرسمي حيث يبث الأخبار لكل رأس ساعة باللغة العربية يومياً، كما يفرد للبرامج الثقافية ساعات معتمدة بالعربية ليومين في الأسبوع، وللبرامج الدينية ساعات معتمدة بالعربية لثلاثة أيام أسبوعياً، أما الإذاعة فتبث ثلاث ساعات بالعربية في اليوم للبرامج المختلفة، بالإضافة إلى ساعة للأخبار بالعربية، هذا بالإضافة إلى إصدار جريدة "القرن" الحكومية الناطقة بالعربية والتي تأسست عام 1997م، وكانت في بدايتها تابعة لرئاسة الجمهورية ثم ألحقت بالوزارة الإعلام والاتصالات وهي تصدر مرتين أسبوعياً¹.

د_ مكانة اللغة العربية في المجال السياسي:

نالت جمهورية جيبوتي استقلالها يوم 27 يونيو 1977م وتكمن الأهمية الإستراتيجية لجيبوتي في موقعها الجغرافي المتميز، الذي ازدادت أهميته منذ افتتاح قناة السويس التي تربط بين البحر الأحمر والبحر المتوسط، إذ صارت بمثابة ميناء " ترانزيت " للمنطقة، خصوصاً لإثيوبيا التي تستورد ما نسبته 80% من احتياجاتها من السلع والمنتجات عبر ميناء جيبوتي.

وبعد الاستقلال جمهورية جيبوتي مباشرة سارعت جمهورية جيبوتي للانضمام إلى جامعة الدول العربية كما صارت العربية من اللغات الرسمية، حيث ورد في الدستور أن اللغات الرسمية في جيبوتي هي اللغة العربية والفرنسية لكن في الواقع اللغة العربية هي الثانية بعد الفرنسية بحسب الدواوين الإدارية والحكومية، وقد عملت الحكومات المتعاقبة على المحافظة على هويتها العربية والإسلامية. وشهدت العلاقات الجيبوتية مع معظم الدول العربية تطوراً ملحوظاً -وتحديداً في العقد الأخير- أفضى بدوره إلى تنوع مجالات التعاون والتواصل كالتبادل التجاري والتواصل الثقافي والعلاقات البيئية¹. وإن الباحث لم يقف على وثائق تدل مستوى اعتماد اللغة العربية في المجال السياسي بصورة رسمية لكن منذ استقلال الوطن من المستعمر الفرنسي توجهت السلطات الوطنية بصورة متعاقبة وبدون انقطاع إلى تعزيز العلاقات مع العالم العربية والإسلامي ودليل في هذا تعين عدد من خريجي الجامعات العربية مستشارين لرئاسة الجمهورية وعلى مستوى رئيس الوزراء وجميع الوزراء، كما أن عدد من الوزراء الحكومات المتعاقبة كانوا من خريجي الجامعات العربية وبالتالي دأب رئيس الجمهورية أن يعين وزير الأوقاف والشئون الإسلامية أحد مثقفي اللغة العربية، كما توجد في جسم الوزارة الخارجية والتعاون الدولية وحدة تسمى (الدائرة العربية) لتواصل مع العالم العربي والسفارات والمنظمات العربية في جيبوتي ويديرها ويعمل فيها خريجو الجامعات العربية، كما انتهج رئيس الجمهورية إتباع السفراء من فئة خريجي الجامعات العربية إلى العالم العربي والإسلامي في الغالب، وجدير بالذكر أن رئيس الجمهورية الحالي يتقن اللغة العربية والفرنسية والإنجليزية ويخاطب باللغة العربية في المحافل الدولية والإقليمية والمحلية.

رابعاً/ التحديات التي تعيق انتشار اللغة العربية في جيبوتي:

1_ التحديات أمام مؤسسات التعليم الأهلي في جيبوتي:

- على الرغم مما قدمته هذه المدارس من أعمال جليلة في سبيل إرساء دعائم الثقافة العربية ونشرها داخل جيبوتي، إلا أنَّ هناك المعوقات تقف حجر عثرة أمام المدارس الأهلية العربية بجيبوتي ونوجزها فيما يأتي:
- 1_ عدم وجود الدعم المالي الذي يُمكن هذه المدارس من منافسة المدارس التي تعتمد على المنهج الفرنسي.
 - 2_ غياب منهج تعليمي موحد؛ وهو أيضاً أحد أبرز المعوقات التي تواجه المدارس الأهلية العربية بجيبوتي.
 - 3_ عدم وجود كوادر إدارية مدربة تقوم بمهمة إدارة المؤسسات التعليمية العربية بصورة ملائمة.
 - 4_ مشكلة قلة المدرسين الأكفاء هي إحدى أبرز العقبات التي تعيق تقدم المدارس الأهلية العربية بجيبوتي.
 - 5_ افتقاد المدارس الأهلية العربية للمباني العصرية والملائمة للكثافة العددية المتزايدة للطلاب الراغبين في تعلم اللغة العربية في جيبوتي.
 - 6_ عدم قبول جامعة جيبوتي حاملي الشهادة الثانوية العربية (قسم العلمي) لأقسامها العلمي بمبررات واهية منها عدم تمكن الطلاب للغة الفرنسية.

2_ التحديات السياسية والثقافية أمام انتشار اللغة العربية في جيبوتي:

- 1_ العمل على تهميش الدور الحضاري والثقافي للغة العربية في جيبوتي.
- 2_ اعتبار اللغة العربية لدى مثقفي اللغة الفرنسية لغة دخيلة في المجتمع الجيبوتي.
- 3_ قلة المراكز البحثية، التي تدرس البعد التاريخي والحضاري للغة العربية في جيبوتي.

4_ تغييب اللغة العربية عن إدارة الشؤون الدولية في جيبوتي.

5_ إثارة المخاوف عن متلقي اللغة العربية حتى لا يتمكنوا في تقلد بمناسب عالية في دولة.

6_ انعدام الإعلام الموجّه، الذي يدعم رفع شأن اللغة العربية والدفاع عنها داخلياً وخارجياً.

خامساً / الرؤى المستقبلية للغة العربية في جيبوتي:

فإن مستقبل اللغة العربية في عقود الأخيرة؛ من عمر جمهورية جيبوتي كان واعداً حيث ساهمت سياسة رئيس الجمهورية السيد إسماعيل عمر جيله في إبراز مستقبل اللغة العربية بشكل الواعد، كما توفرت عدد من الفرص كإنتاج منهج اللغة العربية للمدارس الحكومية الفرنسية وإسناد بعض متلقي اللغة العربية إلى مهام إدارية وقضائية وعسكرية ودبلوماسية وإتاحة فرص عديدة أمام حاملي الشهادات العربية في مجال التوظيف. كما افتتحت عدد من المؤسسات عاملة باللغة العربية والشرعية كالبنوك والمصارف الإسلامية، ولكن منذ عام 2013م انحسرت الفرص أمام اللغة العربية ومتلقيها بسبب تكوين حزب سياسي من قبل رموز الحركة الإسلامية وانطواء هذا الحزب تحت لواء الأحزاب السياسية التقليدية المعارضة للدولة مما أدى إلى اعتقاد أن كل متلقي اللغة العربية ينتمون إلى هذا الحزب حتى انحسرت اللغة واتجهت الدولة لسياسات داعمة للغة الإنجليزية في المدارس الحكومية في جميع المستويات التعليمية، ومع هذا الانحسار أن للغة العربية مستقبل واعد بسبب وجود دستور يحمي مكانتها وجود مؤسسات عربية تعليمية في جيبوتي كالمدرسة السعودية التابعة لوزارة المعارف والمعهد السعودي التابعة لجامعة إمام بن سعود والمدرسة اليمنية بالإضافة إلى المدارس العربية الأهلية دون أن ننسى كوارها وخريجي الجامعات العربية والمعاهد العليا في العالم العربي وحتى من جامعة جيبوتي، كما تقرر أخيراً من قبل وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني عمل كتب وطنية عربية للمدارس العربية الأهلية جيبوتية حيث بعض من هذه الكتب رأت النور في عام 2021م.

ومما لا شك فيه أن رئيس الجمهورية يولي اهتماماً كبيراً للغة العربية ولذا نرى إنشاء مؤسسات عربية في جمهورية جيبوتي وهي مؤسسات تعليمية ومصرفية كالبنك سلام الإفريقي وسبأ الإفريقي وشرق إفريقيا وافتتاح قسم اللغة العربية والإعلام بكلية اللغات والعلوم الاجتماعية بجامعة جيبوتي والأكاديمية العربية للعلوم المالية والمصرفية ومركز الجامعي للعلوم التكنولوجية الصناعية كل هذا يدعو إلى التفاؤل إلى مستقبل واعد رغم وجود عدد من التحديات كبيرة.

المصادر والمراجع :

- 1_ حسن عثمان سجال وآخرون، استشراف تطوير مستقبل التعليم الإسلامي في جمهورية جيبوتي، دراسة تحليلية لقوائم خريجي جامعة إفريقيا العالمية، لاستشراف مستقبلهم في توظيف اللغة العربية في جمهورية جيبوتي، بحث مقدّم إلى ندوة التعليم الإسلامي في إفريقيا (2): الماضي والحاضر والمستقبل، كلية التربية، خلال الفترة من 9_11 يناير 2019م.
- 2_ حسن عثمان سجال، فعالية استخدام تكنولوجيا التعليم في تدريس قواعد اللغة العربية بجامعة جيبوتي، رسالة دكتوراه، جامعة الزعيم الأزهري، عمادة الدراسات العليا، كلية التربية، رسالة غير منشورة، 2014م.
- 3_ حسين أحمد سمر، منهج مقترح للغة العربية للمرحلة الابتدائية في المدارس الحكومية الجيبوتية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، 1999م.
- 4_ حامد سلطان عبده، تصميم برنامج مقترح للغة العربية في المرحلة الإعدادية في المدارس الحكومية في جيبوتي، رسالة دكتوراه، غير منشورة جامعة النيلين، كلية التربية، 2006م.
- 5_ عبد الله محمود علي، تطوير أساليب إعداد معلمي اللغة العربية في المدارس الحكومية الابتدائية في جمهورية جيبوتي، جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، ص32، 2004م.

- 6_ نور عبد الله عيه , واقع اللغة العربية في المجتمع والمؤسسات التربوية بجيبوتي , وزارة التربية والتعليم الوطنية والتعليم العالي, مفتش اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية , ص1, 2004م.
- 7_ عبد الرحمن مؤمن علي, عبد الرحمن مؤمن علي ,المشكلات التي تواجه تعليم اللغة العربية في المدارس الثانوية الحكومية في جيبوتي ,رسالة ماجستير غير منشورة ,جامعة الدول العربية ,المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ,معهد الخرطوم الدولي للغة العربية , 2004م, ص20, 2004م .
- 8_ حمد سلام , نظرة حول إصلاح مناهج وبرامج اللغة العربية بجمهورية جيبوتي, وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي,مفتش اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية, ص183, 2014م.
- 9_ محمد عبد الله , جيبوتي_ حضور قوي للثقافة العربية, ص5, 2013م, www.aljazeera.net/news/cultureandart
- 10_ محمد عبد الرحمن عريف: في يومها العالمي, ماذا عن حضور اللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء؟, ص8, بدون تاريخ, <https://www.raialyoum.com>.

التأصيل العلمي لمفهوم العربية

إعداد الدكتور حقار محمد أحمد

رئيس المركز الثقافي للبحوث و الدراسات الإفريقية و العربية بننشاد

محتويات البحث:

- مقدمة
- تعريف العربية لغةً واصطلاحاً
- التأصيل العلمي لمفهوم العربية
- خصائص اللغة العربية
- من هو العربي
- أعلام اللغة العربية
- شهادات حسنة للعربية من بعض الإعلام في الغرب
- الخاتمة: التوصيات.
- المصادر

مقدمة:

إن اللغة العربية تعد من أقدم اللغات في العالم و تنقسم إلى عدة لهجات قديما وحديثا و لكن بسبب شعر المعلقات السبع في القرن السادس بعد الميلاد ونزول القرآن الكريم على لهجة قريش أصبحت للأمة العربية والإسلامية لغة عربية مكتوبة تتغنيهم عن اللهجات و اللهجات التي نزلت عليها الأحرف السبعة لم ترق إلى مستوى لغة قريش التي أصبحت الفصحى و العربية هي تنتمي إلى الأسرة السامية وشأنها شأن الكنعانية و الأرامية لغة إنجيل الله و اليبوسية و الكلدانية والأكادية و البابيلية و الأشورية و الفينيقية والسريانية والعبرية و الهيرغلانية والحبشية والنبطية إلى آخره و ماتت كل هذه اللغات إلا العربية التي حافظت على حيويتها و شبابها و بريقها و متحدية الأزمان و الحقب التي لا يصمد أمامها أحد من مخلوقات الله و هي من أغنى اللغات بالمفردات و موطنها الجغرافي الأول هو جنوب غرب آسيا في شبه جزيرة العرب في البداية ثم وصلت إلى العراق و بلاد الشام و أجزاء من تركيا اليوم في منطقة لواء اسكندرونة ثم إلى إفريقيا عبر الهجرات العربية الكبيرة إليها بعد انهيار سد مأرب في عام ٥٧٥ بعد الميلاد الذي ورد ذكره في القرآن الكريم (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين و شمال كلوا من رزق ربكم و اشكروا له بلدة طيبة و رب غفور، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم و بدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خبط و أثل وشي من سدر قليل) (سورة سبأ الآية ١٧) و انتشرت العربية في شرق و شمال و أجزاء من وسط إفريقيا و بوصول الإسلام إلى مصر عام ٦٠ من الهجرة انتشرت العربية في القارة حتى سمي البرتقاليون عام ١٤٩٧م القارة كلها بدار المور أي دار العرب لأن لغة القارة المكتوبة أصبحت هي العربية و الأمهرية ذات الكتابة لم تغط من القارة إلا الهضبة الإثيوبية و تغطي العربية اليوم شمال و شرق و جنوب شرق و أجزاء من وسط و غرب إفريقيا و ٢٥% من العربية في آسيا و ٧٥% في إفريقيا في منطقة تمثل قلب الكرة الأرضية.

و قسمت هذا البحث إلى مقدمة و ست مباحث منها تعريف العربية لغةً و اصطلاحاً و التأصيل العلمي لمفهوم العربية و خصائص العربية و من هو العربي و أعلام اللغة العربية و شهادات حسنة للعربية من بعض الأعلام من الغرب خاتمة و توصيات و مصادر و لكن ألا يحق لي القول أليس من الخجل و العار أن يكون مالك هذه اللغة الأقوى و الغنى بالمفردات يهملها و يتعلق بلغات أقل أهمية و فقيرة بالمفردات و قواعدها الصرفية و النحوية و الإملائية و الصوتية لا تصمد أمام الأزمنة إلا خمسين سنة كأقصى حد؟

و بعد هذه المقدمة التي عرضت فيها تصوراً عاماً عن موضوع البحث فأذهب إلى تناول مباحث موضوع

البحث و هو التأصيل العلمي لمفهوم العربية حسب تقسيم المواضيع التي تمت الإشارة إليها في المقدمة وهي:

المبحث الأول: تعريف العربية لغةً و اصطلاحاً

العربية هي اللغة التي نطق بها يعرب بن معمر جد العرب من اولاد سام ابن نوح عليه السلام ولها ٢٨ او ٢٩ حرفاً مع الهمزة ولها قواعد صرفية نحوية واملائية وصوتية وتركيبية لا تتغير عبر الزمان وتسمى ايضاً بلغة الضاد لانفرادها بهذا الحرف دون سواها من اللغات في العالم و بلغة القرآن الكريم لنزول القرآن الكريم عليها وتنقسم قديماً إلى فرعين رئيسيين هما عربية الجنوب في جنوب الجزيرة العربية التي استخدمت خط المسند في القرن الثامن قبل الميلاد وعربية الشمال في الجزء الشمالي من جزيرة العرب التي استخدمت الخط الحجازي في القرن السادس قبل الميلاد ولها ٢٥ لهجة في العصور القديمة والعربية لغة عالمية من لغات الأمم المتحدة و هي لغة العلم و الأدب الرفيع و الشعر الراقي و لغة القرآن الكريم و لا يفهم القرآن الكريم بشكل المطلوب إلا بها و لغة أهم العبادات لمليار و تسعمائة مليون مسلم في العالم وكما أنها لغة التحكيم والمواثيق والأحكام لثبات مداليلها مهما طال الزمان والدهور بعكس الإنكليزية و الفرنسية و الاسبانية و الألمانية و الروسية و الايطالية إلى آخره و تعريفها لدى المجتمع المسلم في العالم بأنها اللغة التي اختارها الله تعالى للمسلمين لأن القرآن الكريم عربي فالمسلمون كلهم ينتمون إلى القرآن الكريم كما قال تعالى (إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) (يوسف ٢) و العربية تعرف بأنها أقوى و أغنى اللغات بالمفردات العالم و في لغات الأسرة السامية و هي الأرامية لغة الإنجيل و اليبوسية و الكنعانية و الكلدانية و الأكادية و البابلية و الآشورية و الفينيقية و السريانية و العبرية و السومرية و الهيرغلافية و الحبشية و النبطية و دليل قوتها أن كافة اللغات المذكورة من الأسرة السامية ماتت منذ زمن بعيد إلا العربية صاحبة الفخامة كما قال عنها المجلس الدولي للغة العربية و هو محق في ذلك.

المبحث الثاني: التأصيل العلمي لمفهوم العربية

إن كلمة التأصيل تعني بصفة عامة الشيء جعله ذا أصل ثابت و في مجال اللغوي هو علم البحث في تاريخ الصيغ اللغوية من أول نشأتها مع تحديد التطورات التي مرت بها وفي المجال الديني بيان الأصل عبر النصوص المنزلة هذا بصفة عامة وعند فقهاء المسلمين هو بيان الأصل من الكتاب و السنة (٢) و أما مفهوم العربية لغة من العرب بضم العين و سكون الراء و العرب بفتح العين و الراء و العربي بفتح العين و الراء و كسر الباء تعني المكتمل بغير عوج و الأصلي بغير خلط و الأعلى و الأفضل الذي لا يفوقه جودة و التام و الكامل و الخالي من النقص وتاماً خالياً من العيب و تقول العرب قديماً عند الإشارة إلى الشيء الذي يريدون شرائه (هل هذا عربي) أي هل هو أصيل بغير الخلط و كامل الجودة بغير نقص و عيب و تفوق العربية على كل اللغات في العالم كما وصفها القرآن الكريم (قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون) (٣) أي بلا عيب و نقصان و هذا واحد من أسرار اختيار الله للعربية دون سواه من اللغات و لو نزل القرآن الكريم على لغة ضعيفة لتعرض القرآن الكريم إلى التصحيف و تغيير المعاني كما حدث لبعض الكتب المقدسة و غير المقدسة

في تاريخ البشر وهناك أنواع كثيرة من التأصيل ومنها التأصيل الشرعي و التأصيل النظري و التأصيل اللغوي الذي نحن في صدد و التأصيل العلمي لمفهوم العربية ينطلق من تاريخ العربية من حيث التطور و اللهجات المنبثقة منها واشكالها من حيث الفصحى والعامي أو الدارجي و من حيث الكتابة و النحو و الصرف و الإملاء و حروف الهجاء و الصوتيات و التراكيب و تأثيرات اللغات الأخرى عليها من حيث تبني بعض المفردات من اللغات الأخرى مثل تبني العربية لكلمة الزمرد و الاسطبرق من اللغة الفارسية و المشكاة من الحبشية على سبيل المثال و مفهوم التأصيل العلمي على هذا الصعيد تم الإشارة إليه في مقدمة البحث و في المبحث الأول و في هذا المبحث يتم التركيز على التأصيل العلمي لمفهوم العربية من خلال النصوص المنزلة القرآن و السنة النبوية و أقوال بعض صحابة النبي الاسلام محمد المسلم عليه الصلاة و السلام و بعض علماء الأمة و قلت يتم التركيز على التأصيل النصوص المنزلة الإسلامية بالرغم من أن العربية لغة للعرب المسلمين و مسلمين غير العرب حسب الفهم السائد و لغة العرب المسيحيين و اليهود العرب في اليمن و العراق و سوريا

و لبنان و الأردن و فلسطين المحتلة و مصر و المملكة المغربية و ليبيا و تونس و الجزائر و البحرين إلى آخره و ذكرت النصوص المنزلة الإسلامية و لم أذكر النصوص المنزلة اليهودية (التوراة) و لا المسيحية (العهد القديم و الجديد) و ذلك للأسباب التالية :

- بسبب نزول القرآن الكريم بالعربية.
- التطور الذي وصلت إليه العربية وانتشارها واستخدامها الواسع تم بفضل الله ثم بفضل القرآن الكريم والتوراة والإنجيل أو الاناجيل نزلاً على العبرية و الأرامية و ليس لهما و النصوص المنزلة اليهودية و المسيحية ليس لهما نفس دور القرآن الكريم

و السنة النبوية في تطوير العربية و النصوص المنزلة اليهودية عند عرب اليهود اليوم تستخدم العبرية الجديدة و المسيحية عند عرب المسيحيين تستخدم إما السريانية عند إقامة القداس أو الكلدانية أو اللاتينية أحياناً و استخدام العربية عند هؤلاء العرب قليل لا كونهم لا يحبون العربية و لكن بحكم التأثير الديني عليهم ومن هؤلاء فارس الدفاع عن لغة الضاد بطرس البستاني (1819) صاحب المعاجم العربية (محيط المحيط و مفتاح الصحاح و دائرة المعارف إلى آخره و بعد هذا التفصيل نعود إلى موضوع تأصيل مفهوم العربية رجوعاً إلى النصوص الإسلامية المنزلة.

المبحث الثالث: خصائص اللغة العربية

باتفاق جميع اللغويين المختصين ليس هناك لغة تشبه اللغة العربية من حيث القوة و الغنى بالمفردات و ثبات قواعد النحو و الصرف و الإملاء و دقة المداليل و وضوحها و عدد الكلمات حيث بلغت كلمات العربية غير المكررة ١٢٣٠٢٩١٢ كلمة و عند عقد المقارنة مع اللغات الحية الأخرى يتضح تفوق العربية في هذا المجال و عدد كلمات اللغة الانجليزية ٦٠٠٠٠٠٠ كلمة و الفرنسية ١٥٠٠٠٠ كلمة و الألمانية ١٦٠٠٠٠ كلمة و الروسية ١٣٠٠٠٠ كلمة و التركية ١١١٠٠٠ كلمة و من هذه الخصائص:

- ١ - ثبات قواعدها النحوية و الصرفية و الإملائية و هي اللغة الوحيدة التي قواعدها لا تتغير عبر الدهور كما هو الحال في اللغات الأخرى.
- ٢ - الغنى بالمفردات حيث بلغت عدد كلمات العربية غير المكررة ١٢٣٠٢٩١٢ كلمة وهذا ما انفردت به العربية.
- ٣ - الكمال و الإعجاز (قراناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون)
- ٤ - الترادف و التضاد و هو حالة إطلاق عدة الفاظ للمعنى الواحد.
- ٥ - دقة التعبير و الفصاحة و الرصانة و الرخاوة و سلامة التركيب.
- ٦ - التعريب و هو عملية تهذيب الكلمة و إخراجها وفقاً للأوزان.
- ٧ - الاشتقاق و هو اقتطاع فرع من أصل و أخذ صيغة من صيغة و شيء من شيء و لفظ من لفظ و معظم الفاظ العربية تتكون من ثلاثة حروف أصول و إمكانية التصرف في تلك الأصول الثلاثة بحيث يتولد منها عدد غير قليل من الكلمات التي تدور في محيط واحد من المعنى و هذا الأمر لا نجده في أية لغة من اللغات في العالم.
- ٨ - الإعراب و هو تغيير الحالة النحوية للكلمة بعد تغيير العوامل التي تدخل عليها و تتمثل أهميته في نقل المفاهيم و التعبير عن الذات و فهم المراد.
- ٩ - تزويد أهم اللغات في العالم بالمفردات و الحروف الهجائية

نطاق جغرافي الأوسع و الأهم في العالم في القارات القديمة و أشار القرآن إلى قيمة العربية في عدة آيات من سوره من ذلك ما ورد في سورة الزمر الآية 28 وصف فيها العربية بأنها لغة يتصف بالكمال و ليس فيها نقص و لا إعوجاج و عيب و تفوقها على اللغات الأخرى (و لقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون، قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون) و من هذه الآيات ما ذكره القرآن الكريم في سورة فصلت الآية ٣ (كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون) و تفصيل مكنون القرآن و إعراب أسرار و معجزاته يتطلب لغة قوية و غنية بالمفردات و ثبات قواعدها النحوية و الصرفية و الإملائية مثل العربية و منها ما ورد في سورة يوسف الآية ٢ (إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) و منها ما ورد في سورة الزخرف الآية ٣ (إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) و منها ما ورد في سورة طه الآية ١١٣ (و كذلك أنزلناه قرآناً عربياً و صرفنا فيه من الوعيد) وجاء في سورة الرعد الآية ٣٧ (و كذلك أنزلناه حكماً عربياً لعلكم تعقلون) و من خلال هذا التأصيل العلمي القرآني للعربية أدرك العالم بأن اللغة العربية أفضل لغة للتحكيم و وضوح ما وثق به حتى بعد المرور عليه ألوف سنين و ذكر الله في سورة الشورى الآية ٣ (وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) من ذلك ما ورد في سورة الشعراء (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) و مهمة إنذار نبي و رسول من الأنبياء و الرسل للأمم و الشعوب يتطلب لغة شديدة الإعراب و البيان و قوة التركيب و الغنى بالمفردات و ثبات القواعد مثل العربية و منها ما ورد في سورة فصلت الآية ٤٤ : (و لو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لو لا فصلت آياته أعجمي و عربي قل هو للذين آمنوا هدى و شفاء) و الآية أشارت إلى أن العرب مدركين منذ ذلك الوقت أهمية العربية وقوتها و تفوقها على اللغات الأخرى المحيطة بالمنطقة العربية و التأصيل العلمي لمفهوم العربية لم يقف في حدود لهجة قبيلة قريش و لكن هذا التأصيل العلمي لمفهوم العربية امتد إلى باقي اللهجات الهامة في جزيرة العرب و حولتها من لهجة

محصورة فقط في بيئة قبيلتها إلى آفاق الأمم و الشعوب التي اعتنقت الاسلام و أصبحت أساس القراءات السبعة أو العشرة لقرآن الكريم و القرآن الكريم و السنة النبوية جعلاً العالم يكتشف القيمة العلمية و القدسية الدينية و القوة البيانية و البلاغية و ثبات قواعدها النحوية و الصرفية و الإملائية و هذه اللهجات هي:

- ١ - لهجة قريش.
- ٢ - لهجة كنانة.
- ٣ - لهجة أسد.
- ٤ - لهجة هذيل .
- ٥ - لهجة تميم .
- ٦ - لهجة قيس عيلان
- ٧ - لهجة حمير.

و عدد اللهجات العربية المعروفة في ذلك الوقت ٢٥ لهجة و لكن حظيت باهتمام التأصيل العلمي لمفهوم العربية من القرآن و السنة النبوية الكريم سبعة منها و ذكرها النبي محمد ﷺ باسم الحروف السبعة الشهيرة و أصبحت هي وعاء القراءات السبعة الشهيرة و كما ورد في الحديث الذي رواه مسلم عن من حديث أبي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال أن ربي أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه ان هون على أمتي فأرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرفين فرددت إليه ان هون على أمتي فأرسل إلي أن أقرأه على سبعة أحرف و هذه القراءات السبعة الشهيرة للقرآن الكريم هي روايات القرآن الكريم المختلفة التي نسبت إلى أشهر قرائها المشهورين وهم:

- ١ - الإمام نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني.
- ٢ - الإمام عبد الله بن كثير المكي
- ٣ - الإمام ابو عمرو بن الزيات بن العلاء البصري
- ٤ - الإمام عبدالله بن عامر الشامي.
- ٥ - الإمام عاصم بن أبي النجود الكوفي.
- ٦ - الإمام حمزة بن حبيب الكوفي.
- ٧ - الإمام علي بن حمزة الكسائي الكوفي و بنسبة من يرى أن القراءة عشرة و ليست سبعة فقط يزيد عليها
- ٨ - الإمام يزيد المدني
- ٩ - الإمام يعقوب الحضرمي
- ١٠ - الإمام خلف البغدادي.

و تعرف هذه القراءات السبعة الشهيرة للقرآن الكريم هي روايات القرآن الكريم وجه من وجوه النطق بكلمات القرآن الكريم يختص به أحد الأئمة مخالفاً غيره في طريقة و كيفية النطق بالحروف أو البيئة المتعلقة بالنطق مع اتفاق الطرق و الروايات عنه فالقراءة ما ينسب لأحد أئمة القراءات السبعة المتواترة أو العشرة لقرآن الكريم.

و بعد هذا العرض أختتم هذا المبحث ببعض أقوال النبي محمد ﷺ و بعض أقوال صحابته الكرام رضي الله عنهم و من ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال النبي ﷺ (قال في ذلك أم إسماعيل هي تحب الانس فنزلوا معهم حتى إذا كان اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب فلما أدرك زوجته امرأة منهم فماتت ام إسماعيل) رواه البخاري.

و من ذلك عن أبي ذر رضي الله عنه قال (تعلموا العربية في القرآن كما تتعلمون حفظه) رواه ابن الانباري أو كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال قال (أحب اللغة العربية لثلاث لأنني عربي و القرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي) رواه العقيلي في الضعفاء و الطبراني في الكبير و الحاكم في المستدرك و البيهقي في شعب الإيمان وقيل أنه حسن لغيره باعتبار مجموع الطرق وقيل فيه ضعف خفيف يجوز روايته في الترغيب والترهيب. أو حديث علي رضي الله عنه (أول من فتق لسانه العربية الميمنة إسماعيل) لعله يقصد أقوى لهجات العرب و هي لهجة قريش و إلا فالعرب موجودون في جزيرة العرب قبل وصول السيدة هاجر جدة الرسول ﷺ المصرية إلى جزيرة العرب و الحديث حسن سنده ابن حجر في الفتح و صححه الألباني رحمه الله وأخرج ابو يعلى في مسنده ان عثمان بن عفان رضي الله عنه قال و هو على المنبر اذكر الله رجلاً سمع النبي ﷺ (أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف) و أعتقد ما تم عرضه من موضوع هذا المبحث يكفي لتوضيح مسألة التأصيل العلمي لمفهوم العربية من القرآن و السنة النبوية و من الواقع المعاش للغة العربية عبر تاريخها المجيد.

المبحث الرابع من هو العربي؟

ورد في إحدى التعريفات عن العربي (هو جنسية شعورية غير مكتوبة على الجواز و شهادة ميلاد) و ورد أيضاً (العربي هو الساكن جزيرة العرب و ينطق بلغة الضاد من الأمم السامية) و كلمة العربي تعني شديد الصفاء و شديد الجريان و العربي يكون إما من أولاد قحطان بن عابر بن شالخ بن أفعشذ بن سام بن نوح و هم عرب الجنوب و من أولاد قحطان يعرب وجرهم و غاصب و نباتة و الحرث و العاصي و ظالم و السالف و يعفر و المود و جديس و حضرموت و خبار و المتنم و يامن و يغوث و هذرم. و إما من أبناء عدنان بن نبات بن إسماعيل بن إبراهيم و من أبناء إسماعيل نابت و عدنان و أدبيل و بسام و مشمع و ذوما و مسار و حراه و قيما و بطور و نافس و قدما و قبل هذين الفرعين من العرب مما يسمى بالعرب العاربة و المستعربة أو القحطانية و العدنانية يوجد فرع ثالث فهو فرع العرب البائدة أو العرب الذين قبل الإسلام بأزمنة طويلة و هلك بعضهم بعقاب من الله لرفضهم لرسائل أنبياء الله و رسله عليهم السلام و أشهر هذه القبائل العربية البائدة ثمود بن غاثر بن ارم و عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح و بعد هذا التعريف للعربي في الصياغ التاريخي العام نتناول المفهوم العربي تأصيلاً من القرآن الكريم و السنة النبوية و هذا المفهوم للعربي نطاقه أوسع و أكبر و أشمل من المفهوم السابق و هذا المفهوم مفهوم حضاري إنساني يشمل كل من اعتنق الاسلام و آمن بالقرآن الكريم ككتاب من الله فهو عربي لأن العربية أصبحت لغة أداء الصلاة و أهم العبادات لمليار و تسعمائة مليون مسلم في العالم اليوم و أصبحت العربية لغة المسلمين باختيار من رب العالمين

و لذلك أصل القرآن هذا المفهوم في عدة سور من القرآن الكريم و منها في سورة فصلت الآية ٣ (كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون) و سورة يوسف الآية ٢ (إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) و منها ما ورد في سورة الزخرف الآية ٣ (إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) و منها ما ورد في سورة طه الآية ١١٣ (وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً و صرفنا فيه من الوعيد) و جاء في سورة الرعد الآية ٣٧ (وكذلك أنزلناه حكماً عربياً لعلكم تعقلون) و المقصود من العربي هنا هو لسان العربي الذي أصبح لغة للأمة الإسلامية التي تعبد الله واحداً أحداً لا شريك له باستخدام هذه اللغة

و في السنة النبوية ذكر رسول الله ﷺ (إنما العربية للسان) أي كل من تكلم العربية فهو عربي و كل مسلم فهو عربي بمعناه الإيماني و الحضاري و الإنساني و انطلاقاً مما تقدم يمكن القول بأن العربي هو (كل من كان من نسل قحطان أو عدنان أو عرب البائدة و نطق بالعربية و له شعور الانتماء إليها و الاعتزاز بها و من أصل الجزيرة العربية أو من أصل أية منطقة شملها التعريب أو الاستعراب أو كل من آمن بالقرآن الكريم كوحى من عند الله و له الحب و التقدير و الاحترام

و الإجلال للغة القرآن الكريم و له شعور صادق بالانتماء إليها). و هذا الأخير هو الذي خدم لغة القرآن الكريم أكثر من الأبناء الصليبيين لقحطان أو عدنان فالعربي بعد نزول القرآن الكريم لم يعد عرقاً ولا موقعاً جغرافياً محدوداً و أختتم هذا المبحث بحقيقة تاريخية ذكرتها الملاحم التاريخية القديمة و غفلها المؤرخون المتأخرون إلا بعض الجهات الأكاديمية العراقية و هذه المسألة التاريخية تلغي مسألة العرب المستعربة حيث اعتادت الناس على القول أن العرب المستعربة هم العجم الذين التحقوا بالعرب من نسل عدنان الذي ينتهي إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام و يسميهم ابن خلدون في مقدمته بالعرب التابعة فورد في كتابات السومريين في الألف الثالث قبل الميلاد أن الأقوام الغربية تهاجم و يقصدون بالغربية هنا القادمون من جهة الغرب و كان قد تم مهاجمة السومريين من قبل القبائل الساكنة في شمال شرق الجزيرة العربية و هم الأكاديون

و البابليون و الكنعانيون الذين ينتمي إليهم سيدنا إبراهيم عليه السلام و كان ذلك أول ظهور لكلمة العرب في الكتابات القديمة و إذا أخذنا بعين الاعتبار فحوى هذه الكتابات فليس هناك مبرر للقول بأعجامية سيدنا إبراهيم عليه السلام و أنا أقترح تناول هذه المسألة من خلال رسائل جامعية من قبل الطلبة الباحثين والاساتذة. فأنا عربي بقراني العربي إن لم يكن لي نسب إلى قحطان أو عدنان مهما يكن من لوني و وطني

المبحث الخامس: أعلام اللغة العربية.

لقد جند علماء عظام من أبناء الأمة أنفسهم لخدمة اللغة العربية نحواً و صرفاً و بياناً و بلاغة منذ صدر الإسلام إلى العصر الحديث و أسهموا في تطوير لغة الضاد و القرآن الكريم و لغة الأمة الإسلامية و نذكر من هؤلاء العلماء:

١ - أبو الأسود الدؤلي هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن عبد بن عبد مناة (١٤-٩٩) من أهل البصرة و عرض على رضي الله عنه ما اجتهد فيه من فنون اللغة العربية فقال له علي رضي الله عنه (ما احسن النحو الذي

نحوت) وهو أول من وضع باب الفاعل والمفعول وحرف الجر والنصب والجر والجزم والمضاف وهو من أئمة النحو والصرف.

٢ - الخليل بن أحمد الفراهيدي وهو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري وقيل ان ميلاده كان في عام ١٠٠ الهجري وعاش ١٦٠ عاما لقد اخذ عنه سبويه والنصر بن شميل وهارون بن موسى ووهب بن جرير والاصمعي وله معجم العين.

٣ - سيبويه هو عمرو بن عثمان يكنى بابي البشر مولى بني الحارث ولد في قرية البيضاء من قرى شيراز في عام ١٤٨ هجر وتوفي في ثمانين ١٨٨ الهجري واخذ النحو عن الفراهيدي وعن الخطاب الاخفش وله أعظم كتاب في النحو سموه قرآن النحو.

٤ - عبد القهار الجرجاني الملقب بإمام أئمة العربية واخذ النحو من ابن اخته ابي علي الفارسي ولم يكن له شيخ غيره لأنه لم يخرج من بلدته الجرجاني مات في عام ١٧١ الهجري ومن كتبه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ووضع فيه أسس البلاغة وفي الإعجاز أسس علم المعاني.

٥ - ابن الفارس هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني والمعروف بالرزاز وتوفي عام ٣٩٩ الهجري وله معجم مقاييس اللغة والمجمل ومن روات الحديث.

٦ - ابن جني : هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي احد أئمة العربية وكان اباه روميا مملوكا لسليمان فهد الموصلي ومن كتبه سر الصناعة وكتاب اللمعة وكتاب التصريف وكتاب التلقين في النحو وكتاب التعاتب وكتاب الخصائص.

٧ - الزمخشري: هو الإمام ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي نسابة العرب والعلامة المفسر النحو واحد رؤس المعتزلة من أعظم مؤلفاته كتاب الكشاف في تفسير القرآن الكريم والمفصل في اللغة والاعراب والنحو وكتاب متشابه اسماء الرواة ولم يذكر التاريخ ولادته وتوفي ٥٣٨ الهجري

٨ - المبرد: هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري ابو العباس كان عالما بالنحو والاعراب وله كتابة الكامل في التاريخ (٢٠٦-٢٨٦ الهجري) اخذ العلم عن أبي حاتم السجستاني و أبو بكر الخرائطي وابو بكر الصولي وهو اية في النحو وقال إسماعيل القاضي (ما رأى المبرد مثل نفسه)

٩ - ابن منظور: هو محمد بن مكرم بن علي بن أحمد ابي القاسم بن حنبل بن منظور بن أحمد الأنصاري الافريقي (٦٣٠-٧١١ الهجري) و من كتبه معجم لسان العرب و معاجم التهذيب و المحكم و الصحاح و مختار الأغاني في الأخبار و التهاني ، و مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر و ثبار الأزهري في الليل والنهار ومختصر ابن البيطار.

١٠ - القلقشندي: هو أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الفزاري القلقشندي القاهري و كنيته أبو العباس (٧٥٦-٨٢١ الهجري) ومن أشهر كتبه صبح الاعشى.

١١ - الجوهري: هو أبو النصر إسماعيل بن حماد بن التركي الاتراري و ميلاده مجهول ووفاته سنة ٣٩٣ من الهجرة و كان إماما في اللغة وواحد من الذين يضرب فيهم المثل في ضبط اللغة وجودة الخط واخذ العربية عن السيرفي و أبي علي الفارسي و ابي ابراهيم الفارابي ومن أشهر كتبه معجم الصحاح في اللغة. و هؤلاء هم من أهم علماء اللغة العربية و خدامها في قرون صدر الاسلام. و أما من أشهر علماء اللغة العربية و خدامها في القرون الحديثة هم:

١ - الاستاذ كمال بشر هو أول من أسس علم اللغة الحديث ويعد مناهم علماء اللسانيات بالعصر الحديث كما انه أول من وضع اللغة العربية ضمن الأبحاث العالمية.

٢ - الاستاذ محمد رفعت باشا وهو أول رئيس للمجمع الخاص باللغة العربية و انضم لمدرسة الأندلس وتوفي في عام ١٩٤٤م.

٣ - الدكتور شوقي ضيف: عالم لغوي وهو رئيس سابق لمجمع اللغة العربية في القاهرة لقد ولد بمحافظة دمياط عام ١٩١٠ وكتب كثيراً من الكتب وهي كتاب تجديد النحو و كتاب تيسيرات لغوية.

٤ - الشيخ الظاهري: هو أديب من أصل سعودي عالم بالتفسير وعلم الكلام ودرس في جامعة محمد بن سعود الإسلامية وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة و عضو مجمع اللغة العربية في مكة المكرمة.

٥ - الدكتور عبد العزيز الحربي: هو أستاذ القراءات في جامعة أم القرى كما أنه قد أسس مجمع اللغة العربية في مكة المكرمة و كما له الفضل في تطوير التجويد و القراءات و عين عام ١٤٢٥ الهجري مديراً لمركز إحياء التراث.

٦ - الدكتور حسن الشافعي: هو رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة و يعد أول أزهري يعتلي هذا المنصب و هو ولد في عام ١٩٣٩م و حفظ القرآن الكريم و هو صغير و له كتاب تجديد علم الكلام.

٧ - الأستاذ حسني سبيح: هو الأستاذ اللغة العربية و من أصل سوري و أول من بادر إلى تعريب العلوم الطبية و كان رئيساً لمجمع اللغة العربية في دمشق و من مؤلفاته المصطلحات الخاصة للغة العربية.

٨ - الدكتور محمد عبداللطيف رفاعي: هو من أشهر علماء العربية في العصر الحديث لقد تم انتخابه رئيساً لمجمع اللغة العربية في القاهرة و عمل كثيراً من أجل اللغة العربية و هو أيضاً عضو مجمع اللغة العربية في مكة المكرمة. و أختتم هذا المبحث بعلوم اللغة العربية التي كانت مجالاً لفرسان خدمة اللغة العربية و تطويرها و هذه العلوم هي :

١ - علم البيان.

٢ - علم البديع.

٣ - علم النحو.

٤ - علم الصرف .

٥ - علم المعاني.

٦ - علم العروض.

٧ - علم مفردات اللغة.

٨ - علم الشعر.

٩ - علم القوافي.

١٠ - علم الاشتقاق.

١١ - علم النثر.

١٢ - علم الخط.

١٣ - علم الخطابة والمحاضرات والتعبير والانشاء

و هؤلاء قد خدموا العربية و تركوا لنا تراثاً ثرياً يعين على المحافظة على اللغة العربية ولكن أين نحن اليوم من هؤلاء وهل أخرجنا ما أبدعوه من جواهر العلوم العربية من الإدراج و النسيان إلى الاستخدام و أين إضافاتنا نحن اليوم إلى ما أبدعوه؟

المبحث السادس: شهادات حسنة للعربية من بعض الأعلام في الغرب.

بالرغم من ان اللغة العربية أصبحت لغة روائع الشعر العربي في الجاهلية المتمثلة في المعلقات السبعة في القرن السادس بعد الميلاد ولغة القرآن الكريم في القرن السابع الميلادي و البداية الحقيقية لتطورها بعد نزول القرآن الكريم عليها ظلت شبه مجهولة لدى عالم الغربي قبل فتح الأندلس في عام ٧١١م و بداية الحروب الصليبية عام ١٠٩٦-١٢٩١م وفتح القسطنطينية في عام ١٤٥٣م و ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللاتينية من قبل روبير كيتون (Robert de Ketton) عام ١١٤٣م و ترجمة بير المبجل (Pierre le vénérable) عام ١١٥٦م و من خلال هذه الأحداث وانتصارات الاسلام و المسلمين في أوروبا جعل من الغربيين يبحثون عن أسباب انتصار المسلمين و هزيمة الغربيين و اكتشفوا ان السبب الاساس هو قوة إيمان المسلمين التي مصدرها القرآن الكريم فقرروا فهم القرآن الكريم عبر ترجمة معاني القرآن الكريم و لكنهم ادركوا بانهم لا يمكنهم فهم مكنون القرآن الكريم عبر ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغاتهم الفقيرة بالمفردات فقرروا عدد منهم تعلم لغة القرآن الكريم نفسها فأتقنوها كما ينبغي و اكتشفوا قوتها و بلاغتها و بيانها و غناها بالمفردات و قيمتها و معجزاتها و عدم إمكانية مقارنتها بغيرها من اللغات في العالم فتحو اقساماً لها في جامعاتهم و معاهدهم لأغراض متعددة و بعد التأصيل العلمي لمفهوم العربية من خلال النصوص التاريخية بصفة عامة و النصوص المنزلة من القرآن الكريم و السنة قصدت ان اختتم هذا البحث المتواضع بتأصيل علمي لمفهوم العربية من خلال شهادات بعض خبراء اللغة العربية في الغرب المسيحي وهم :

١ - المستشرق الألماني نولدكه. قال عن العربية (إن العربية لم تصر حقاً عالمياً إلا بسبب القرآن و الإسلام و قد وضع أماناً علماء لغة العرب بالتفاهم أبنية اللغة التقليدية و كذلك مفرداتها في حالة كمال تمام و أنه لا بد أن يزداد تعجب المرء من وفرة مفردات اللغة العربية عندما يعرف أن علاقات المعيشة لدى العرب بسيطة جداً و لكنهم في داخل هذه الدوائر يرمزون للفرق الدقيق في المعنى بكلمة خاصة و العربية التقليدية ليست غنية فقط بالمفردات و لكنها غنية أيضاً بالصيغ النحوية و تهتم العربية بربط الجمل ببعضها و هكذا أصبحت العربية البدوية لغة للدين و المنتديات و شؤون الحياة الرفيعة و في شوارع المدينة ثم أصبحت لغة المعاملات و العلوم و أن كل مؤمن غالباً ما يتلوا يومياً في الصلاة بعض أجزاء من القرآن و معظم المسلمين يفهمون بالطبع بعض ما يتلون أو يسمعون و هكذا كان لا بد أن يكون لهذا الكتاب من التأثير على لغة المنطقة المتسعة ما لم يكن لأي كتاب سواه في

العالم و كذلك يقابل لغة الدين و لغة العلماء و الرجل العادي بكثرة و يؤدي إلى تغيير كثير من الكلمات والتعابير في اللغة الشعبية إلى الفصحى).

٢ - المستشرق الفرنسي رينان: (و من أغرب المدهشات تبني تلك اللغة القومية تصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمة من الرجل تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها و دقة معانيها و حسن نظام مبانيها و لا يعرف لها في كل أطوارها و حياتها طفولة و لا شيخوخة و لا نعلم من شأنها إلا فتوحاتها و انتصاراتها التي لا تبارى و لا شبيها بهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج و بقيت حافظة لكيانها من كل شائبة).

٣ - المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون. فقال عن العربية (استطعت العربية أن تبرز طاقة الساميين في معالجة التعبير عن أدق خلجات الفكر سواء كان ذلك في الاستكشافات العلمية و الحسابية أو وصف المشاهدات أو خيالات النفس و أسرارها و اللغة العربية هي التي دخلت في الغرب طريقة التعبير العلمي و العربية من أنقى اللغات فقد تفردت بتفرد لها في طرق التعبير العلمي و الفني و الصوفي إن التعبير العلمي الذي كان مستعملاً في القرون الوسطى لم يتناوله القدم و لكنه وقف أمام تقدم القوى المادية فلم يتطور أما الألفاظ المعبرة عن المعاني الجدلية و النفسانية و الصوفية فإنها لم تحتفظ بقيمتها فحسب بل تستطيع أن تؤثر في الفكر الغربي و تنشطه ثم ذلك الإيجاد الذي تنسم به اللغة العربية و الذي لا شبيهة له في سائر لغات العالم و الذي يعد معجزة لغوية كما قال البيروني).

٤ - المستشرق الألماني زيفر هونكة: فقال عن العربية (كيف يستطيع الإنسان أن يقاوم جمال هذه اللغة و منطقتها السليم و سحرها الفريد ؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة فلقد اندفع الناس الذين بقوا على دينهم في هذا التيار يتكلمون اللغة العربية بشغف حتى أن اللغة القبطية مثلاً ماتت تماماً بل إن اللغة الأرامية لغة المسيح قد تخلت إلى الأبد عن مركزها لتحتل مكانها لغة محمد ﷺ).

٥ - الدكتور جورج سارتون: فقال عن العربية (وهب الله اللغة العربية مرونة جعلتها قادرة على أن تدون الوحي أحسن تدوين بجميع دقائق معانيه و لغاته و أن تعبر عنه بعبارات عليها طلاوة و فيها متانة).

٦ - المستشرق الألماني كارلبر ليمان: فقال عن العربية (بلغت العربية بفضل القرآن الكريم من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى في الدنيا و المسلمون جميعاً مؤمنون بأن العربية وحدها اللسان الذي أحل لهم أن يستعملوها في صلاتهم).

٧ - المستشرق النمساوي جوستاف جرونوم: فقال عن العربية (ما من لغة في العالم تستطيع أن يتناول اللغة العربية في شرفها فهي الوسيلة التي اختيرت لتحمل رسالة الله النهائية و ليست منزلتها الروحية هي وحدها التي جعلها تسمو بها على سائر اللغات و لكنها أيضاً قوتها البيانية و السعة فالأمر فيها واضح و من يتتبع جميع اللغات لا توجد لغة تضاهي اللغة العربية و يضاف إلى ذلك جمال الصوت و ثروتها المدهشة في المفردات.

و أية شهادة جميلة و منصفة للغة الضاد من علية القوم في الغرب الذي يرى نفسه من العالم الأول و هل علية القوم في ديار العربية على مستوى ٥٧ دولة اليوم على نفس المستوى من الإدراك و الوعي بقيمة لغة القرآن الكريم.

الخاتمة: في ختام هذا البحث المتواضع اوصي بما يلي:

١ - القيام بحملة عالمية مستدامة لإفهام و رفع وعي أبناء الأمة العربية و الإسلامية بأن اللغة العربية هي لغة لكل من اعتنق الاسلام بعد نزول القرآن الكريم عليها. و ليست لغة من انتسب إلى قحطان أو عدنان فقط.

٢ - على أبناء الأمة المطالبة بترسيم اللغة العربية في البلدان التي فيها أغلبية مسلمة مثل نيجيريا و إندونيسيا و باكستان إلى آخره.

٣ - إنشاء منظومة عالمية للغة العربية على غرار كومونولث و الفرانكوفونية من قبل الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي أو تحويل المجلس الدولي للغة العربية لذلك الغرض لما له من خبرة.

المصادر:

١ - القرآن الكريم

٢ - صحيح البخاري

٣ - مصطفى البغا الواضح في علوم القرآن الطبعة الثانية دمشق دار الكلم الطيب ص ١١٨-١١٩

٤ - الشعر الجاهلي د شوقي ضيف الطبعة الأولى القاهرة البلاق ص ١٤

٥ - تقرير الهيئة التركية ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٦

6 - د جون بريفو الاستاذ في جامعة سيرجي بونتواز. العربية لغة أجدادنا العرب مطبعة لاتيس باريس ص ٦-٤٦

7 - الدكتور صلاح حمريش في كتابه الكلمات الفرنسية من أصل عربي مطبعة سبيا باريس ص ٨-١٩

وقفه نقدية على مراحل تاريخ الادب العربي التشادي أ.د. محمد عمر الفال كلية اللغات والآداب والفنون والاعلام – جامعة انجمينا – تشاد

ملخص البحث

يهدف هذا البحث الى الوقوف على بعض مواطن الخلل والقصور في مراحل تاريخ الادب العربي التشادي التي وضعها الدكتور. عبد الله حمدنا في نهايات القرن العشرين وصارت عصورا في عرف الطلاب والباحثين منذ ذلك الزمان الى يومنا هذا، وهي ليست كذلك، يصطحب الباحث في سيره المنهج التاريخي والوصفي والنقدي بغية الوصول الى النتائج المرجوة القابلة للتطبيق من هذا البحث.

فالادب وتاريخه يشكلان المرآة الصادقة العاكسة لسمات المجتمع وخصائصه العرقية والاجتماعية و الدينية والسياسية والفكرية ، لذا فإننا لا نستطيع الحديث عن تاريخ الادب العربي في تشاد من خلال مراحل قصيرة أو فترات متقاربة أو متداخلة أو منقطعة، دون أن نتعرض لدخول الإسلام في تشاد وانتشاره فيها، ودون أن نتحدث عن وضع اللغة العربية وانتشارها وتمدها في تشاد، ودون أن نلم بما يجري في تشاد وحول تشاد، وخاصة بما يجري في العالم العربي والإسلامي، وأثر ذلك كله في حركة سير تاريخ الأدب العربي التشادي شعرا ونثرا على مر العصور.⁽¹⁾

مقدمة

تعتبر تشاد جزءا من العالم العربي الإسلامي قديما وحديثا، وامتدادا له نحو أفريقيا جنوب الصحراء، وخاصة بعد سقوط بغداد، زمن الخليفة العباسي المستنصر بالله، عام 656 هجرية الموافق 1258 ميلادية، وتوزع الدولة الإسلامية الكبرى على عدد من الممالك والسلطنات التي كانت الممالك الإسلامية التشادية، جنوب الصحراء بعضها منها⁽¹⁾

وتحمل تشاد اسمها الحالي، من بحيرة (الشط) التي تقع في حدودها الغربية حسب الحدود السياسية في عالم اليوم. وتعد بحيرتها سادس بحيرة في العالم من حيث المساحة التي تبلغ حوالي (20000) كيلو متر مربعا⁽¹⁾. ونظرا لعذوبة مياه هذه البحيرة واتساع مراعيها وحمايتها الطبيعية من كل الجهات، جذبت إليها كثيرا من العناصر البشرية العربية وغير العربية من الشرق والغرب ومن الجنوب والشمال على مر العصور والأزمان⁽¹⁾.

دخول الاسلام في تشاد وقيام مملكة كانم

وكانت تشاد تعرف في السابق بالسودان الأوسط⁽¹⁾، ودخل الإسلام إليها بواسطة طلائع المسلمين بقيادة عقبة بن نافع الفهري، في القرن الأول الهجري، السابع الميلادي (46 هجري) الموافق (666 ميلادي)⁽¹⁾. وتكونت في تشاد أول مملكة اسلامية لها نظمها الإدارية والعسكرية والقضائية في القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي. وانتشر الإسلام واللغة العربية فيها زمن الملك حماني. وصارت تعرف باسم مملكة كانم الإسلامية في زمن السلطان دونامة الأول الذي حكم ما بين (467 – 478 هجري) الموافق ما بين (1075 – 1087 ميلادي). وتطورت سياسيا وعسكريا وفكريا في زمن السلطان دونامة ديبلاما الثاني الذي حكم ما بين (618 – 657 هجري) الموافق ما بين (1221 – 1259 ميلادي)⁽¹⁾

ازدهار مملكة كانم وتطورها

لقد نمت مملكة كانم الإسلامية وقويت شوكتها وتوسعت سياستها، وازدهرت علميا وفكريا زمن السلطان دونامه ديبلاما الثاني الذي حكم ما بين (618-657 هـ)، لأن (المعارف والآداب وسائر الفنون امور تنمو وتتطور بنمو المجمعات التي تصدر عنها وهي في نموها وتطورها تتأثر بما سبق وتؤثر فيما ياتي)⁽¹⁾، وكانت مملكة كانم الإسلامية في قوتها وتوسعها وازدهارها، تضم أربعة أقاليم رئيسية هي⁽¹⁾.

1- **الإقليم الشمالي.** (إقليم كاوار) ويمتد من شمال البحيرة، حتى الكفرة، وفزان شمالا على الحدود الليبية، والى الشمال الشرقي حتى بلاد النوبة مع الحدود المصرية الجنوبية الغربية والحدود السودانية الشمالية. وعاصمة هذا الإقليم، (نجيمي).

2 - **الإقليم الغربي.** (إقليم برنو)، ويقع غربي البحيرة وعاصمته مدينة (كاكا).

3 - **الإقليم الجنوبي.** (إقليم باقرمي) ويقع جنوب بحيرة تشاد، وهو الذي استقل عن كانم فيما بعد عام 1513 ميلادي، وصار مملكة قائمة بذاتها، أطلق عليها اسم مملكة باقرمي الإسلامية. وعاصمتها (ماسينيا).

4 - **الإقليم الشرقي.** (إقليم وداي)، ويقع شرقا من مملكة كانم وكانم - برنو، متاخما لسلطنة دار فور السودانية. وعاصمته (وارا)، ثم استقل عنها عام 1615 ميلادي وصار مملكة قائمة بذاتها عرفت تاريخيا، باسم مملكة وداي الإسلامية العباسية. وعاصمتها (وارا).

هكذا انتظم في تشاد، مع التدرج - تباعا - ثلاث ممالك إسلامية عريقة، كانت اللغة العربية فيها هي اللغة الرسمية في الدواوين الحكومية، والإدارات الرسمية، والتبادل التجاري، والمراسلات الإقليمية والدولية، وخاصة مع العالم العربي والإسلامي، كما صارت اللغة العربية فيها عامل ربط قوي، وعنصر توحيد مهم في جمع شتات القبائل المتفرقة، والعشائر المتباينة، والأصول المتنوعة⁽¹⁾، وحتى غدت اللغة القومي الأولى للممالك الإسلامية التشادية جميعها⁽¹⁾ يتعامل معها الناس في التخاطب والتعليم وفي الدواوين الحكومية وفي الثقافة والفن والأدب على حد سواء⁽¹⁾.

عوامل انتشار اللغة العربية في تشاد قديما وحديثا

لقد وصل العرب واللغة العربية الى حوض بحيرة تشاد قبل الاسلام⁽¹⁾، وتعززت اللغة العربية في تشاد، وتمددت، وانتشرت بعد دخول الاسلام وقيام الممالك الإسلامية التي جعلتها لغة رسمية لها، ثم قيام الدولة التشادية الحديثة التي جعلتها أيضا لغة رسمية بجانب اللغة الفرنسية⁽¹⁾. لقد ساعد على انتشار اللغة العربية في تشاد بالإضافة الى كونها اللغة الرسمية في الممالك الإسلامية القديمة وفي الدولة التشادية الحديثة عدة عوامل أهمها: ⁽¹⁾

- انتماء الأسر الحاكمة في هذه الممالك إلى أصول عربية. فحكام (كانم) ينتسبون إلى سيف بن ذي يزن اليميني. وحكام (وداي) ينتسبون إلى العباسيين، كذلك ينتسب حكام (باقرمي) إلى اليمين، وهكذا الأمر في مملكة (البلا) التي ينتسب حكامها أيضا إلى اليمين.
- الهجرات العربية الكثيفة والمتعاقبة، إلى تشاد قبل الإسلام وبعد الإسلام.
- التعريب التلقائي الذي تقوم به القبائل العربية البدوية والمستقرة وسط القبائل العجمية في كل مكان وزمان.
- التعريب الذي تقوم به الممالك الإسلامية من خلال اللغة والتاريخ والنسب والانتماء.
- التجاور، والتزاوج والامتزاج بين القبائل العربية والقبائل غير العربية.
- البعثات الطلابية من هذه الممالك الإسلامية إلى كل من الأزهر الشريف بمصر وجامع القرويين بالمغرب، وجامع الزيتونة بتونس والأراضي المقدسة.
- تبادل البعثات الدبلوماسية بين الممالك الإسلامية التشادية والعالم العربي والإسلامي قديما.
- بعثات العلماء من دول المغرب العربي ومصر إلى الممالك الإسلامية التشادية للقيام بالواجب الدعوي والعلمي.
- البعثات الطلابية من الدولة التشادية الحديثة إلى العالم العربي والإسلامي .

- التعليم العربي بشتى أنواعه وتعدد أماكنه، القائم أساسا على اللغة العربية
- إنشاء المؤسسات التعليمية العربية في جميع مراحل التعليم في الدولة التشادية
- اعتماد اللغة العربية كلغة رسمية للدولة التشادية بجانب اللغة الفرنسية.
- إقامة الاحتفالات والمناسبات الاجتماعية والشعائر الدينية ومظاهر العبادة .
- التجارة والأسواق وحركة عجلة الاقتصاد والمنافع والمصالح المتبادلة
- المهن الفنية وغير الفنية، والحرف اليدوية. والصناعات التقليدية
- الخدم والحراسات في البيوت وفي مؤسسات الدولة الخاصة والعامة
- المواصلات العامة والخاصة والاتصالات والإعلام بجميع أنواعه

الحياة الثقافية والأدبية في مملكة كانم

الحديث عن الثقافة العربية ولغتها العربية وثمارها الأدبية في تشاد يعني الحديث عن جذورها التاريخية القديمة، ومدى أصالة هذه الثقافة في هذه المنطقة⁽¹⁾. لقد لمع اسم مملكة كانم الإسلامية خارجيا زمن السلطان دونامة الأول أعظم ملوك كانم آنذاك، وهو الذي عرف خارجيا باسم (محمد بن جبل)، وقد حكم ما بين (492 - 542هـ) الموافق ما بين (1089 - 1151م). وصارت مملكة كانم منذ ذلك التاريخ من أشهر سلطنات العالم الإسلامي آنذاك⁽¹⁾.

لكن هذه الفترة وما بعدها قد تزامنت مع ضعف الدولة الإسلامية الكبرى في الشرق، ثم سقوطها نهائيا بسقوط عاصمتها بغداد عام (656 هـ) بيد المغول والتتار، ومع بداية عصر جديد هو عصر المماليك، من (648 - 923 هـ) الموافق ما بين (1382 - 1517 م)، ومن بعده العصر العثماني ما بين (923 - 1213 هـ) الموافق ما بين (1517 - 1798 م)، حيث بداية العصر الحديث بدخول الحملة الفرنسية على مصر عبر ميناء أبي قير، بقيادة نابليون بنوبارت عام 1798 م.

وقد وصفت هذه الفترة الزمنية الطويلة، التي تشمل العصرين المملوكي والعثماني، بفترة العقم الفكري والجمود الأدبي، كما وصفت هذه الفترة بعصر الانحطاط وعصر الانحدار، وعصر الأعاجم والمغول والتتار. وقد وصفت هذه الفترة بهذه الصفات القاسية؛ لأنه من الناحية الفنية والأدبية، لم يكن هذا العصر من عصور الأدب الزاهية؛ لاعتلاء الأعاجم من المماليك والأتراك على سدة الحكم في كافة السلطنات الإسلامية. فكان الأدب فيها أدب ذكرى وثبات، وجمع وتكرار، لا أدب خلق وإبداع.⁽¹⁾

ففي الشعر، لم يقيض للعربية في عصر الانحدار، ظهور شعراء لامعين مبدعين، كأولئك الذين تألفت بهم سماء الشعر العربي في العصر العباسي. وأكثر شعر شعراء هذا العصر يدور في فلك القديم، وخاصة في الأغراض التقليدية كالمدح والهجاء والغزل والرثاء. ولم يبدع فيما طرق من أغراض جديدة، كالمناجاة النبوية وشعر الزهد والتصوف ورثاء المدن والمخمسات والموشحات، سوى ما نرى من ميل إلى زخرفة الكلمة، وتحلية العبارة بأصناف المحسنات البديعية، أو الإكثار من الألفاظ، والتقنن في التاريخ الشعري بحساب (الجمال)⁽¹⁾. أما النثر فقد اعتل فكره واختل نهجه وضعف أسلوبه، ذلك أن القوم قد فشا فيهم فساد الذوق، وتدن الإبداع، وآثر الكتاب تغطية ضعفهم في الكتابة بعرض قدراتهم اللغوية والبلاغية، في كتاباتهم المصنوعة وعباراتهم المسجوعة⁽¹⁾.

وإذا عاد الباحث إلى تشاد، يجد أن إمبراطورية كانم، ثم كانم - برنو منذ تأسيسها وما تفرع منها من مملكتي (باقرمي ووداي) حتى مجيء العصر الحديث، تقع في عصر الانحطاط فكريا وسياسيا. حيث طغى فيه تأليف الجمع والشرح والاختصار، في العلوم الدينية واللغوية، كما انتشر في ذلك العصر الشعر التعليمي، تسهيلا لحفظ العلوم بشتى أنواعها. بل كانت تقع في عصر انحطاط الانحطاط أدبيا؛ لنشأة الأدب فيها شعرا ونثرا متزامنا مع عصر الانحطاط الأدبي في الوطن العربي الكبير.

وهذا أمر طبيعي بالنسبة للممالك التشادية البعيدة نسبيا عن الوطن العربي المتواصل العصور أدبا وفكرا؛ لأنه لا يمكننا أن نتصور أن يخبو نجم الأدب أو يكاد في عقر داره - وهو الوطن العربي الكبير - ثم يسطع نجمه في دولة مجاورة له، تكثر فيها الرطانة على عربيتها آنذاك، والعجمة على سليقتها الفصيحة التي لم تتجاوز وقتئذ

القرارات السلطانية والكتابة الديوانية⁽¹⁾، والخطب الدينية، والابداع الادبي، الفني والتلقي العلمي في دور العلم المختلفة، والتواصل الشعبي إلى حد ما، إلى التعبير الفني الأدبي الذي يشترط فيه أن يفهم المتلقي لغة المبدع فهما تذوقيا لا فهما تواسليا.

لذلك كله قل الشعر إبداعا وإنتاجا، وضعف النثر فنا وأسلوبا، في مملكة كانم، ثم كانم - برنو، لاسيما في تلك العصور التي تسمى بعصور الانحطاط. وقد يؤكد ما ذهبنا إليه من قلة الأدب في مملكة كانم مع الجهد والاجتهاد والمعاونة المستمرة في قوله وإنتاجه، العمري احمد بن فضل الله - وهو يتحدث عن أهل كانم من الناحية العلمية والادبية حين قال: (وربما كان فيهم من أخذ في التعليم، ونظر في الأدب نظرة النجوم، فقال إني سقيم، فمزال يداوي علل فهمه، ويداري جامع علمه حتى تشرق عليه أشعتها ويطرز بديباجه امتعتها)⁽¹⁾ وقد اثبت التاريخ أن شمس العلوم قد أشرقت في هذه الديار⁽¹⁾، ولم تشرق عليها شمس الأدب إلا بالقدر اليسير كما سنبين ذلك من خلال حديثنا فيما بعد عن عصور الأدب العربي التشادي إن شاء الله.

تاريخ الادب وأهميته

تاريخ الأدب هو (علم يبحث عن أحوال اللغة، وما أنتجته قرائح أبنائها من بليغ النظم والنثر في مختلف العصور، وعما عرض لهما أي النظم والنثر من أسباب الصعود والهبوط والاندثار)⁽¹⁾.

مهمة تاريخ الادب تتجلى في تتبع الاثار الادبية عبر العصور، والاحوال التي مرت بها، والبيئة التي نشأت فيها، والظروف التي واكبتها⁽¹⁾. وتتأكد أهمية تاريخ الأدب لدى الامم في انه يعنى بنتاج أولئك المبدعين والناهين من أهل اللسان والكتابة والبلاغة والابداع الفني، وينقد انتاجهم ومؤلفاتهم التي الفوها، ويبين تأثير بعضهم في بعض بالفكرة او الاسلوب أو الصناعة على مر الأزمان وتعاقب العصور. ولتاريخ الأدب وأهميته فوائد كثيرة من أهمها: المحافظة على اللغة، لأن المحافظة على اللغة وما فيها من ثمار العقل والقلب إحدى الأسس المتينة التي تبني عليها الأمم تاريخها، وحضارتها ومجدها،⁽¹⁾ وهذا ما تحتاج اليه الامة التشادية الحديثة التي شرعت تبني حاضرها من خلال الرجوع الى اسسها الحضارية والتاريخية والثقافية .

ولكي نعرف تاريخ الادب العربي التشادي في عصوره ونذكر اهميته وفائدته للامة التشادية لابد لنا من تحديد وجود هذا الادب في تشاد قديما، مع الرجوع إلى الورا لننتعرف إلى تاريخ الأدب العربي بشكل عام من العصر الجاهلي الى الحديث؛ لنربط القديم بالحديث والماضي بالحاضر، والأصل بالفرع والوسط بالطرف.

لقد عرفت تشاد الادب العربي نثرا وشعرا منذ اقدم الازمان وان تعذر تحديد بدايته⁽¹⁾. و جهلت ظروف نشاته، لكنه بدأ ينتشر ادبا عربيا فصيحاً في نثره وشعره منذ دخول العرب والعربية الى تشاد قبل الاسلام، وتعزز بدخول الاسلام فيها الى قيام مملكة كانم عام 1087م⁽¹⁾ ثم بروز الشاعر الاسود إبراهيم الكانمي الذي ظهر اسمه ولمع في بلاد المغرب العربي الكبير⁽¹⁾ في القرن السادس الهجري، وهكذا دأب الادب العربي الفصيح في الانتشار في الممالك الإسلامية التشادية الأخرى، كمملكة باقرمي، ومملكة وداي، وما زال مستمر الى يومنا هذا ضمن عصور وفترات ومراحل تاريخية، يتراوح خلالها ما بين التطور والانحدار، والانقطاع والانفصال، والكم والكيف، والانغلاق والانفتاح، بالإضافة الى الخصائص الشكلية والموضوعية التي حملها هذا الشعر العربي للشعب التشادي العظيم.

فعصور الأدب العربي كما هو معروف هي: العصر الجاهلي، والعصر الإسلامي، العصر الأموي، والعصر العباسي، (عصر القوة والنضج والازدهار)، والعصر المملوكي والعصر العثماني (الذين أطلق عليهما اسم عصر الانحطاط، وعصر الانحدار، وعصر الظلام، وعصر الأعاجم)⁽¹⁾ (شوقي ضيف : تاريخ الادب الجاهلي)، والعصر الحديث الذي يبدأ بعام 1798 م أي عام الحملة الفرنسية على مصر، ويستمر إلى يومنا هذا. بالإضافة إلى العصر الآخر الموازي لكثير هذه العصور خارج الوطن العربي وما وراء المحيط الأطلسي غربا. ألا وهو عصر الأدب العربي الأندلسي الطويل.

مراحل الادب العربي التشادي

وبما أن قيمة اية أمة لا تدرك إلا من خلال تراثها وآدابها و فنونها وتراثها التي ترسخ قيمها وتعزز هويتها وتسجل أمجادها ومفاخرها بين الامم، فقد تضافرت جهود الباحثين والدارسين في إخراج الادب العربي التشادي الى الوجود بعد ان كان مطمورا منذ زمن بعيد. وكان الناس منذ وقت قريب يشككون في ان يكون لتشاد أدب أو شعر عربي فصيح، يضاهي ما لدى الدول العربية من شعر قديما وحديثا⁽¹⁾، إلى أن جاء الدكتور/ عبد الله حمدنا الله

الى تشاد مبتعثا من جامعة افريقيا العالمية بجمهورية السودان عام 1995م للتدريس في جامعة الملك فيصل وجامعة انجينا بجمهورية تشاد، فأظهره الى الوجود شعرا، وقسمه الى مراحل تاريخية ادبا⁽¹⁾. وقد كانت المراحل التي قام بها الدكتور. عبد الله حمدنا الله بتقسيمها كتاريخ لعصور الأدب العربي التشادي ما يلي⁽¹⁾

1- مرحلة البداية المنقطعة. وهي أول مرحلة في تاريخ الشعر العربي التشادي. ويمثلها الشاعر الاسود إبراهيم الكامي أقدم شاعر عرفته تشاد حسبما ذكرت المصادر التاريخية القديمة، وقد عاش الشاعر الأسود إبراهيم الكامي في النصف الثاني من القرن السادس الهجري الى أوائل العصر السابع الهجري. وعمر هذه المرحلة من حيث الزمان طويل جدا.

2- مرحلة البداية المتصلة. وتبدأ من القرن الثامن عشر الميلادي، وهي المرحلة التي أعقبت استقرار مملكة وداي في عصر (وارا)، وقد تسمى هذه المرحلة أحيانا باسم (مرحلة البداية والنشأة والنمو)، ويمثل هذه المرحلة من الشعراء محمد الأمين الكامي، ويعقوب أبوكويسة، ومحمد الوالي بن سليمان الباقرماوي. وعمر هذه المرحلة لا يتجاوز (60) عاما.

3 - مرحلة اليقظة والازدهار. "وتعني ان مرحلة يقظة الشعر التشادي جاءت بعد منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وتمركزت بصفة أساسية في منطقة وداي".⁽¹⁾ وتبدأ هذه المرحلة في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أي عقب انتقال عاصمة مملكة وداي من (وارا) الى مدينة (أبشة) عام 1858م، وتنتهي بمذبحة الككبب التي نفذها بها الفرنسيون عام 1917، ويمثلها من الشعراء: الطاهر بن التلب أو التلي، وعبد الحميد الراشدي، ومحمد حلو بن آدم جبر، وعبد الحق السنوسي الترجمي، والشيخ الرماسي. وعمر هذه المرحلة (59) عاما.

4- مرحلة الانحطاط. تبدأ مرحلة الانحطاط عقب مذبحة الككبب 1917، وتستمر حتى نهاية الثلاثينات من القرن العشرين. ولا يوجد شعراء بارزون يمثلون هذه المرحلة. وعمر هذه المرحلة لا يتجاوز (13) عاما.

5- مرحلة الانتباهة. تبدأ هذه المرحلة من الثلاثينات حتى الاستقلال 1960، وعمر هذه المرحلة (30) عاما، ويمثلها من الشعراء أولئك الشعراء الذين ولدوا في أوائل القرن العشرين، وبعد دخول الفرنسيين الى تشاد وهم: أحمد طبيق، ومحمد عليش عووضة، وأحمد البرعي، وأحمد عبد الله، وآدم دين كله، وعبد الله يونس المجبري.

6- مرحلة المعاصرة. وتبدأ هذه المرحلة بعد الاستقلال عام 1960، وتستمر إلى يومنا هذا، ويمثلها الشعراء الذين ولدوا أثناء الحرب العالمية الثانية وما بعدها، وبدا انتاجهم الشعري يظهر في أواخر الستينات فما بعدها. وأبرزهم: إبراهيم حسين أبو الذهب، وعباس محمد عبد الواحد، وعيسى عبد الله، وعبد القادر محمد أبه، وعبد الواحد حسن السنوسي، ومحمد عمر الفال، وحسب الله مهدي فضلة، وأحمد عبد الرحمن إسماعيل وغيرهم كثير.

انقد التقسيم المرحلي

للباحث الجليل الدكتور. عبد الله حمدنا جهود مضيئة في دراسة الادب العربي التشادي وتاريخه أدت الى كثير من النفع منذ ظهورها في أواخر القرن الماضي. من ذلك التاريخ المرحلي الذي قام به - مشكورا - لعصور الادب العربي التشادي. ونحن - مع تقديرنا له ولجهوده العظيمة في دراسته الجادة من أجل إبراز الأدب العربي التشادي الى الوجود - لا نوافق في ذلك وننقده على تاريخه للأدب العربي التشادي الى مراحل، أو فترات زمنية قد تقصر أحيانا وقد تطول؛ لأننا نعتقد أن كل دراسة جادة وموضوعية لأدبنا العربي بعامة ولشعرنا بخاصة ستعيد تقويم الأفكار الخاطئة التي اعتمد عليها بعض الادباء والمؤرخين⁽¹⁾.

وبما أن الاتباع الاعمى - في غير أمور الدين- مميت، والواقع مرير والامل في التغيير كبير والسعي حثيث؛ فلا بد من النقد والتصحيح حتى يستقيم الطريق ويعتدل المعوج⁽¹⁾، ويذلل الصعب، ويمهد الطريق للوصول الى ما هو مطلوب

ذلك أن التاريخ للأدب بكلمة "مرحلة" ليس دقيقا كدقة كلمة "عصر" فالمرحلة في اللغة تعني: المسافة يقطعها السائر في يوم.⁽¹⁾، وما زال العرب البدو في تشاد يستعملونها بهذا المعنى⁽¹⁾. والمرحلة: مسافة بين عمريين كمرحلة الشباب وغيرها. ومن هنا قالوا: مراحل العمر قصيرة.⁽¹⁾ أما العصر، فيعني: الزمن الذي ينسب الى ملك او دولة،

أو ينسب الى تطورات طبيعية او اجتماعية او سياسية. ولذلك يقال: عصر الدويلات وعصر الدولة الاموية، وعصر الدولة العباسية، أو عصر هارون الرشيد⁽¹⁾. اذن معنى العصر هو الانسب والاصح لتاريخ الادب، لا المرحلة. إن العمر الزمني للشعر بوجه خاص، أو للأدب بوجه عام ليس قصيرا، كالعمر الزمني للإنسان، أو أقل من عمره، كما هو الامر في عمر مرحلة الانحطاط (13) عاما، وعمر مرحلة الانتباهة (30) عاما، بل يمتد أحيانا فيشمل قرنا كاملا، أو عدة قرون من الزمان، كما هو الحال في تاريخ الادب العربي باستثناء العصر الإسلامي. - على راي من يقصره بعصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين - فيكون عمره بذلك (40) سنة فقط. ومع ذلك فإنه يستحق ان يكون عصرا مستقلا قائما بذاته؛ نظرا لكثرة أحداثه التي يتميز بها عن أي عصر آخر؛ لأنه عصر كان فيه ينتزل القرآن الكريم، وعصر كان الحكم فيه حكما شوريا عادلا؛ كما أنه كان عصر بداية تكوين الدولة الإسلامية الفتية الناشئة في المدينة المنورة وسط حضارات عظيمة، وامبراطوريات قديمة تصارع معها مدة من الزمن ليست بالطويلة حتى هزمها واستولى على جميع ممتلكاتها بواسطة حروب كثيرة متتالية سميت في عرف المسلمين بالغزوات والفتوحات الإسلامية.⁽¹⁾

من هنا كان التاريخ المرحلي للأدب العربي التشادي الذي ابتدعه الدكتور. عبد الله حمدنا الله وسار الباحثون من بعده عليه غير منضبط، لأنه عنوان تاريخ ادبي لا يكشف عن العصور الادبية بجميع حدودها وبيئاتها وشخصياتها الادبية والمؤثرات التي تأثرت بها واثرت فيها. وما كان غير منضبط من يحتاج نقد يضبطه ويصححه. لان التصنيف " كالعنوان ليس على الدقة المطلقة، بل على الايجاز والتقريب"⁽¹⁾

وتمشيا مع هذا كله، ومع ما رسخ في أذهان الطلبة والباحثين ل في الادب العربي من خلال عصوره المتعاقبة التي تبدأ بالعصر الجاهلي وتنتهي بالعصر الحديث، مروراً بالعصر الإسلامي والأموي والعباسي، والمملوكي، والعثماني كما ذكرنا سابقا، نسير نحن أيضا في تقسيمنا لعصور الادب العربي التشادي على النحو التالي، وان كانت بداية عصرنا الأدبي تختلف عما كان عليه البداية في الأدب العربي.

عصور الادب العربي التشادي التي ارتأيناها أربعة عصور:

عصر البداية والنشأة. يبدأ هذا العصر بدخول العرب واللغة العربية في تشاد قبل الاسلام، مروراً بدخول الاسلام اليها عام 46 هـ الموافق 666 م، ويستمر حتى عام 1089م. وهو عام قيام مملكة كانم الإسلامية على يد السلطان (أومي جلبي) وهو أول سلطان مسلم حكم هذه المملكة. وعمر هذا العصر حوالي (421) سنة. ويتزامن هذا العصر مع عصر بني امية ومعظم العصر العباسي. ولم تجد الدراسات لهذا العصر شعراء يمثلونه، ولعل البحوث والدراسات المقبلة ستكشف عن نماذج من الشعر والشعراء تمثل هذا العصر⁽¹⁾.

عصر النضج والازدهار. يبدأ هذا العصر بعام 1087م، ويستمر حتى نهاية حكم السلطان دونامة الثاني بن ديبلاما

عام 657هـ الموافق 1259م، أي بعد سقوط بغداد ونهاية الدولة العباسية بسنة واحدة. وفي هذا العصر حكم أعظم سلاطين مملكة كانم الإسلامية، منهم على سبيل المثال **دونامة الأول بن أومي جلبي** الذي حكم ما بين (1087 – 1151) والسلطان **دونامة الثاني** الذي حكم ما بين 618 – 657 هـ الموافق (1221 – 1259م). ويقع هذا العصر في أواخر العصر العباسي الذي انتهى عام 656هـ/ الموافق 1258م بيد هولوكو زعيم التتار الذي دخل بغداد وقتل الخليفة المنتصر بالله فيها وعاث في الأرض فسادا وتدميرا. وعمر هذا العصر حوالي (172) سنة. ويمثل هذا العصر الشاعر الأسود أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكانمي⁽¹⁾.

عصر الانحطاط. يبدأ هذا العصر بعام 657هـ الموافق 1259م وهذه البداية لعصر الانحطاط هي البداية الفعلية

لعصر الانحطاط للأدب العربي بعد سقوط بغداد. ويستمر هذا العصر حتى عام 1858م، وهو عام انتقال عاصمة مملكة وداي من (وارا) إلى مدينة (أبشة) الحالية؛ لأسباب عدة سنذكرها فيما بعد. وكان هذا الانتقال على يد السلطان **محمد شريف**. ويعد هذا العصر أطول عصور الادب العربية التشادي عمرا؛ إذ يبلغ عمره حوالي (600) سنة⁽¹⁾. ويمثل هذا العصر من الشعراء **محمد الأمين الكانمي**، و**يعقوب أبوكويسة**، و**محمد الوالي بن سليمان الباقوماوي**.

العصر الحديث. يبدأ هذا العصر الأدبي الحديث هنا في تشاد بعام 1858/ عام انتقال عاصمة مملكة وداي من (وارا) إلى (أبشة)، ويستمر الى يومنا هذا، ولكنه يقسم داخليا الى اربع فترات أو مراحل (مرحلة ما قبل الاستعمار، مرحلة

الاستعمار، مرحلة ما بعد الاستقلال، مرحلة المعاصرة⁽¹⁾. ويمثله من الشعراء إبراهيم أبو الذهب، وعباس محمد عبد الواحد، وعيسى عبد الله، وعبد القادر محمد أبه، وعبد الواحد حسن السنوسي، ومحمد عمر الفال، وحسب الله مهدي فضلة، وأحمد عبد الرحمن إسماعيل وغيرهم كثير.

هكذا رأينا أن نقسم عصور الأدب العربي التشادي تقسيماً آخر يخالف هذه المراحل التي قسمها الدكتور عبد الله حمدنا الله وتبعه في ذلك جل الباحثين، لأنه تقسيم أوسع يحتوي كل المراحل ويضمها في عصور أربع كما ذكرنا. ولقد أرخنا لبداية العصر الحديث في تشاد بعام 1858م خلافاً لما هو معروف في بداية العصر الحديث للأدب العربي للأسباب التالية:

1 - إن هذا التاريخ 1858 يمثل النهضة الحقيقية في الوطن العربي في العصر الحديث الذي بدأ بالحركة الفرنسية على مصر عام 1798م، فإذا بهذه النهضة تؤثر بفكرها الجديد من خلال البعثات الطلابية فيما حولها من ممالك الجوار في تشاد وفي غيرها.

2 - إن هذا التاريخ يوافق انتقال عاصمة مملكة وداي من مدينة (وارا) إلى (أبشة). وانتقال العاصمة من مكان إلى آخر، يعبر عن رؤية حضارية تتعلق بأمور أمنية وسياسية واقتصادية متطورة.

3 - إن نقل العاصمة من مكان إلى مكان آخر يترتب على دراسة جغرافية علمية متطورة ورؤية تخطيط حضارية متقدمة تتلاءم مع مقتضيات النهضة الحديثة مما يدل على التقدم الفكري الذي وصلت إليه هذه المملكة متأثرة بما حولها من عوامل النهضة الحديثة.

4 - يحتاج نقل العاصمة من مكان إلى مكان آخر إلى مهندسين بارعين، وهذا لا يتحقق إلا إذا وصلت الدولة إلى مستوى عال من التطور والفكر والعلم والابداع.

5 - يمثل نقل العاصمة من مكان إلى مكان آخر مدى التنافس الفكري والعلمي والسياسي بين الممالك الإسلامية في تشاد آنذاك والممالك المجاورة لها بسبب تأثير النهضة العربية الحديثة في الوطن العربي التي بدأت تعطي أكلها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي⁽¹⁾.

من أجل هذه الأسباب جميعها رأينا أن نبدأ العصر الحديث في تاريخنا للأدب العربي التشادي بعام 1858 م، عام انتقال عاصمة مملكة وداي من (وارا) إلى (أبشة)، وليس بعام 1798م الذي يمثل بداية العصر الحديث في الأدب العربي. هكذا رأينا أن يكون تاريخ الأدب العربي التشادي في أربعة عصور متتالية يستطيع الدارس فيها - كما قال شوقي ضيف - (أن يبحث في كل عصر شخصياته الأدبية بحثاً مسهباً بحيث ينكشف كل عصر انكشافاً تاماً بجميع حدوده وبيئاته وآثاره وما عمل فيها من مثرات ثقافية وغير ثقافية، وبحيث تنكشف شخصيات الأدباء انكشافاً كاملاً بجميع ملامحها وقسماتها النفسية والاجتماعية والفنية)⁽¹⁾

النتائج:

1. أن تاريخ الأدب العربي التشادي على مراحل لا يساعد الباحثين على استكشاف حقائق هذا الأدب واستخراج المكنون من صدفاته ولآلئه.
2. للباحث الجليل الدكتور. عبد الله حمدنا الله جهود مضيئة في دراسة الأدب العربي التشادي وتاريخه كانت السراج المنير الذي سار عليه الباحثون للغوص في غياهب بحار هذا الأدب العميقة.
3. أن تاريخ الأدب العربي التشادي يحتاج إلى جهود كبير تضاف إلى جهود التاريخ المراحل الذي قام به الدكتور. عبد الله حمدنا الله.
4. أن نقدنا للدكتور. عبد الله حمدنا الله في مراحل تاريخه للأدب العربي ما هو إلا تصحيح للمسار الخاطئ الذي خطه وجرت عليه الدراسات الأدبية لسنين عديدة.
5. أن نقدنا لمراحل الدكتور. عبد الله حمدنا الله يعني أن الحياة في تغير مستمر وقد تسير على سراط غير مستقيم؛ فلا بد من النقد والتقويم حتى يستقيم الطريق.

مراجع البحث

1. ابراهيم صالح الحسيني. الاسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم- برنو، ط، 1976،
2. أحمد حسن الزيات. تاريخ الادب العربي، "ط، 1978، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
3. ازرق الخليل السبيط. مقابلة معه في معنى كلمة (مرحلة) عند البدو التشاديين، يوم الخميس الموافق 2022-3-24
4. تشاد. دستور عام 1996
5. جامعة الدول العربية. المعجم الوسيط
6. جورج غريب. الجاهلية أدب وفن وتاريخ، ط1، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
7. حامد هارون محمد. الشعر العربي في تشاد: رواده واتجاهاته، ط1، 2016
8. حسن أحمد ابراهيم. بلاد السودان في المصادر الاسلامية، ندوة اللغة العربية في تشاد: الواقع والمستقبل، جامعة فيصل بتشاد 2001، ط1، 2001 دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا.
9. الحموي. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت، ط، 1995، دار صادر، بيروت، لبنان.
10. السعيد السيد السيد عمادة. فصول في النقد، ط2018، 1، شركة القدس للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
11. سليمان الخش. مقتطفات من الادب الاسلامي والاموي، ط1، 1982، الداودي، دمشق، سوريا.
12. شوقي ضيف. تاريخ الادب العربي: العصر الجاهلي، ط، 1960، دار المعارف، القاهرة، مصر.
13. عبد الفتاح مقلد الغنيمي. حركة المد الاسلامي في غرب افريقيا، ط، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، مصر.
14. عبد الله حمدنا الله. محاضرات في الادب التشادي، جامعة انجمينا، وجامعة فيصل، 2004 نانجمينا ، تشاد.
15. عبد المجيد عابدين. تاريخ الثقافة العربية في السودان، ط 1967، دار الثقافة العربية، بيروت، لبنان.
16. العمري. أحمد بن فضل الله، مسالك الابصار في ممالك الامصار، ط، 1423 هـ، نشر المجمع الثقافي، ابوظبي، دولة الامارات العربية المتحدة.
17. فضل كلود الدكو. الثقافة الاسلامية في تشاد في العصر الذهبي لامبراطورية كانم، ط 1998 ، نشر كلية الدعوة الاسلامية، طرابلس، ليبيا.
18. القلقشندي. أحمد بن علي بن احمد الفزاري. صبح الاعشا في صناعة الإنشاء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
19. محمد عثمان علي. ادب ما قبل الاسلام، ط1، 2013، مكتبة طرابلس، طرابلس، ليبيا.
20. محمد عمر الفال.
- (a) أثر الادب العربي الافريقي في التواصل بين افريقيا والعالم العربي الاسلامي "تشاد انموذجا"، مؤتمر اللغة العربية في افريقيا، اللسان العربي، 2019، نواكشوط، موريتانيا.
- (b) الهجرات العربية الى منطقة بحيرة تشاد قبل الاسلام. ندوة اللغة العربية في تشاد الواقع والمستقبل، 2001 جامعة فيصل بتشاد، ط1، 2001، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا.
- (c) محاضرات في الادب العربي التشادي ، قسم اللغة العربية، شعبة الماستر، 2015- 2016 جامعة انجمينا، تشاد

اللغة العربية في العهد الاستعماري بين السلب والايجاب

إعداد: أ.م.د. إبراهيم برمّة أحمد

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

بجامعة الملك فيصل بتشاد

البريد الإلكتروني: abouahmatibrahim@gmail.com

تلفون وتساب: 00235661635050

ملخص :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ؛ أما بعد
إن تشاد هي أرض الممالك الإسلامية السابقة بقيام مملكة كانم ومملكة باقرمي ومملكة وداي ، دليل على وجود الأمة
التشادية بحضارتها العريقة قبل الغزو الفرنسي وفرض احتلاله .
وقد قامت هذه الممالك بأدوار هامة في نشر الإسلام وتطور الثقافة العربية بالبلاد في عهودها ؛ إلا أن الحكم الفرنسي
بعد احتلاله للبلاد ولم يترك لها من نظمها السابقة إلا أثرا رمزيا يتحصل فقط في بقاء سلالات أولئك السلاطين على
حكم تقليدي هزيل .
وتشاد كغيرها من الدول الإفريقية تعرضت لشتى أنواع التعذيب والتشريد أثناء وبعد الاستعمار الفرنسي الذي يعد من
أسوأ أنواع الاستعمار في العالم ، لأن أسلوب الإدارة الفرنسية في مستعمراتها أسلوب يخدم فرنسا دون النظر إلي
قيمة وحاجات الإنسان المستعمر .
فأسباب الرئيسية التي جعلت الباحث أن يختار الموضوع هو كشف معاملة الاستعمار الفرنسي تجاه اللغة العربية
والحفاظ على الإرث الثقافي في المنطقة ، إضافة إلى معرفة الآثار الايجابية والسلبية التي ترتبت علي المجتمع
التشادي ودوره في عرقلة مسيرة اللغة العربية والثقافة الإسلامية في تشاد .
وتكمن أهمية البحث في هذا الموضوع على أن تشاد تهتم باللغة العربية منذ عصر الممالك الإسلامية التي قامت فيها
، ولكن بعد مجيء الاستعمار الفرنسي واحتلاله تشاد فرضوا لغتهم اللغة الفرنسية وثقافتهم ، فالبحت يوضح مدى
أهمية الثقافة العربية الإسلامية المتجسدة في المنطقة وكذلك إبراز الدور الثقافي الذي لعبه الاستعمار الفرنسي في
تشاد .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ؛ أما بعد
إن تشاد هي أرض الممالك الإسلامية السابقة بقيام مملكة كانم ومملكة باقرمي ومملكة وداي ، دليل على وجود الأمة
التشادية بحضارتها العريقة قبل الغزو الفرنسي وفرض احتلاله .
وقد قامت هذه الممالك بأدوار هامة في نشر الإسلام وتطور الثقافة العربية بالبلاد في عهودها ؛ إلا أن الحكم الفرنسي
بعد احتلاله للبلاد ولم يترك لها من نظمها السابقة إلا أثرا رمزيا يتحصل فقط في بقاء سلالات أولئك السلاطين على
حكم تقليدي هزيل .
وقد مهد السبيل أمام التوغل الفرنسي في البلاد ما يلي من عوامل وأساليب:
- اكتشاف رجال الاستطلاع الأوروبيين لنقاط القوة والضعف بالبلاد.
- الضعف الذي عثرى الممالك بسبب الحروب فيما بينها ، وبالتالي عدم وجود تنسيق داخلي لمواجهة الغزو
الخارجي ، توغل كل من رابح ود فضل الله في الشرق والحركة السنوسية في الشمال في نهاية القرن التاسع
عشر نتيجة لضعف الممالك .
- مأساة الرق الداخلي ومطامع الملوك الشخصية مما أضعف من معنويات الشعب وطاقاته .
- انتشار السكان في الأرياف ما بين الرعي والزراعة وقلة أهل الحضر .
- عجز المقاومة الوطنية عن الدفاع عن أراضيها بسبب تفوق الأسلحة النارية للأوروبيين

المبحث الأول مفهوم الإدارة الفرنسية

يرجع معرفة مفهوم الإدارة الفرنسية لأنها مرتبطة ارتباطا كبيرا بحركة الاستعمار وبممارسته الفعلية في الواقع الاجتماعي والسياسي في تشاد، وهي عبارة في مجموعة من الإجراءات الصارمة التي تهدف إلى تأكيد السيطرة والتسلط والقهر من قبل القادة العسكريين الفرنسيين، وهي أداة من أدوات نشر الثقافة وتنفيذ السياسات الفرنسية في تشاد.

الإدارة الفرنسية

بعد أن أصبحت تشاد إقليما من أقاليم فرنسا ما وراء البحار، صارت تقدر التشريعات الخاصة بها من قبل الحكومة المركزية إلى حكام المستعمرات.

هذا وتعاقب على إدارة تشاد ما يقرب من ثمانية وثلاثين عسكريا فرنسيا خلال الفترة من 1900-1959م، ولن تحصل البلاد على أي تقدم إداري في فترة حكم هؤلاء العسكريين¹.

ولقد ورثت الدول الأفريقية المستقلة حتى اليوم هذا التقسيم التعسف العنصري، الذي قام به المستعمر تلبية لحاجته فلم يحترم شيئا ما في هذه الفكرة القسمة الهمجية الجائرة الشاذة.

ولم يحترم خصائص السلالات الشعبية، ولا الوحدات اللغوية، ولا المنطق الجغرافي والتكامل الاقتصادي التطبيقي، ومن هنا جاءت تفسير إفريقيا التي نراها اليوم.

ومن صالح الاستعمار الجديد أن يبقوها، بل أن يزيد من حدتها، وهو ما يعني تفكيك الروابط الأسرية والعلاقات الاجتماعية في المستعمرات، وهذه التقسيمات لا شك أنها قنابل موقوتة زرها في يد المستعمر يفجرها في أي وقت شاء كما حدث بين ليبيا وتشاد ومصر والسودان، وقد ظلت البلاد تعاني إداريا من قلة الموظفين المدربين مما دعا الإدارة الفرنسية في تشاد، فيما بعد أن تعتمد على حكم شبه مباشر مستخدمة شيوخ القبائل والسلطين التقليديين، بهدف تمكين الهيمنة على الشعب وخاصة في إقليم الشمال والساحل.

ومن العجيب تجاوزا أنه لا يتجاوز عدد الموظفين التشاديين خلال الفترة من 1946-1956 عن 700 موظف مدني، بينما بلغ عدد الموظفين الفرنسيين الذين يعملون في الإدارات العامة الحكومية من تقنيين وإداريين ومدرسين خلال الفترة من 1946-1960م 1200 موظف مدني، بالإضافة إلى عدد كبير من الكامرونيين والسنغاليين والتوغوليين مستخدمة شيوخ القبائل والسلطين التقليديين، ويقصد بهذه العملية في تمكين الهيمنة على الشعب وخاصة في إقليم الشمال والساحل. ومن العجيب تجاوزا أنه ليتجاوز عدد الموظفين التشاديين خلال الفترة من 1946م-1956م عن 700 موظف مدني بينما بلغ عدد الموظفين الفرنسيين الذين يعملون في الإدارات العامة الحكومية من تقنيين وإداريين ومدرسين خلال الفترة من 1946-1960م 1200 موظف مدني، بالإضافة إلى عدد كبير من الكامرونيين والنقاليين والتوغوليين¹.

وخروجا من المأزق اضطرت الحكومة الفرنسية في عام 1959م إلى إرسال بعض المدرسين إلى فرنسا في دورة تدريبية على شؤون الإدارة باعتبارهم الفئة القادرة على القيام بهذه الأعباء، ولكنهم لم يحققوا أمل البلاد بعودتهم وفشلوا فشلا واضحا في تحسين الإدارة في جميع المجالات وخاصة الإدارة العامة وإدارة القضاء مما جعل الدولة تعترف بهذا الفشل.

ومن أسباب فشل هؤلاء الإداريين الذين كانوا من العناصر غير المسلمة وجهلهم بعادات وتقاليدهم قيم الشعب في مناطق الساحل الإسلامي، ومن ثم انتشر الفساد والرشوة والوساطة بين هؤلاء الإداريين ورجال الشرطة والجيش، ولم ينته الأمر إلى هذا الحد بل تعدى إلى فرض ضرائب باهظة على الممتلكات والأفراد، ويؤكد لنا محمد شريف هذه الحالة بقوله: لقد تفاقم الأمر بسبب سوء الإدارة الذي صاحبه نقص كبير في الكفاءة الإدارية الناتجة في انسحاب المواطنين الجنوبيين والفئة المتعلقة في الوطن ركز عليها الاستعمار، وهؤلاء تربوا في بيئة ثقافية ودينية مختلفة تماما على الشمال، حيث المجتمع ذو الثقافة والتراث الإسلامي، إضافة إلى عدم معرفتهم آنذاك بعادات وقيم سكان الشمال مما أعاق أداء مهمتهم على الوجه الأكمل، بالإضافة إلى تفشي الرشوة والفساد والمحسوبية بين جور ونزع الضرائب من الشعب بطرق تتسم بالعنف والاهانة للمواطن دون أدنى مراعاة لحقوقه.

إن كافة الحكام الفرنسيين الذين حكموا تشاد خلال الفترة من 1918-1959م، قد سعوا إلى التسلط والاستغلال والعمل على جمع ثروات البلاد تمهيدا للمعترك السياسي في فرنسا، فقد فرض الحكام العسكريون نوعا من الضرائب والحدود الجمركية التي كان الشعب عاجزا من القيام بها مما كان سببا في الاضطرابات وعدم الاستقرار، وقد نجح بعض العسكريين في الوصول إلى السلطة السياسية بعد الحرب العالمية الثانية¹. ولذلك لم يساير نمو البلاد الاقتصادي التطورات السياسية والإدارية في السنوات التي سبقت الاستقلال، وعموما فإن الطغيان الذي مارسه بعض الحكام بشأن الاستمرار في الإدارة ونقص الرقابة من الإدارة المركزية على الإداريين المحليين، أتاح لبعضهم القيام بأعمال غير إنسانية، وتعد تلك الأعمال من الفظائع التي ارتكبت في تشاد خلال فترة الاستعمار، وكانت منافية للكرامة الإنسانية وأخلاقيات الأمم المتحدة، ولم تكن الإدارة الفرنسية تعطي الحقيقة للإدارة¹.

المبحث الثاني

سلبات الإدارة الفرنسية في تشاد

كان البرلمان الفرنسي يصدر التشريعات الخاصة في هذه الأقاليم وترك التفاصيل يطبقها حاكم الإقليم، وإذا كانت هناك استفسارات بشأن هذه التشريعات فإنها تتم في باريس عن طريق الحاكم العام. وقد شهدت حكما فرنسا مطلقا، إذ اعتبرت السكان رعايا فرنسيين وإلقاء النظام التقليدي ووضع الجمارك التي تكفل له نظام الاحتكار، كما قطع الاتصالات بالعالم الخارجي، ولم يسمح للسكان بمداولة أي نشاط سياسي أو ثقافي. وبمع ذلك قسمت البلاد إلى مقاطعات بحيث لا يخرج المواطن من مقاطعة إلى أخرى إلا بتصريح، وهذا الإجراء قد يكون وسيلة غير مباشرة لدفع السكان إلى الاستقرار وعدم الارتحال، إلا أنه من جهة أخرى قد كان سببا من أسباب التوتر بين السكان وسلطات الاحتلال. وقد قامت السياسة الفرنسية في تشاد على فكر الاندماج أي انتماء الشعب التشادي للمجتمع الفرنسي تدريجيا، ويترتب على هذا الفكر مس الحضارة والتقاليد التشادية وترويض التشاديين ليكونوا شكلا ومضمونا كالمجتمع الغربي. وقد مرت تشاد بفترة لم تملك فيها جيشا وطنيا بسبب خضوع الإدارة التشادية للفرنسيين، فقد أعد الفرنسيون جيشا للبلاد ويدافعون به عن أنفسهم سواء من القوى الخارجية والحركات الداخلية المناوئة لإدارتهم الاستبدادية، واستعملوا جميع أساليب القهر والعنف في هذا الجيش خاصة بعد أن أيقن التشاديون أنهم يجندون ويحاربون ليس للدفاع عن وطنهم، وإنما لحماية دولة مستعمرة من أعداءها ورفضوا الانخراط في هذا الجيش. وقد أثبت الذين اشتركوا في القتال شجاعة نادرة، لكن المستعمر لم يرفع مستواه العسكري إلى قادة أو ضباط، بل أحالهم إلى التقاعد وأعمال الترجمة الشخصية بعد الحرب العالمية الثانية بحجة أنهم لا يعرفون القراءة والكتابة. ثم أن الاستعمار الفرنسي قام بحرب ضد اللغة العربية والثقافة الإسلامية وأحل محلها اللغة الفرنسية وجعلها لغة الإدارة والتعليم.

ومن سلبات الإدارة الفرنسية أيضا:-

- سياسة الاستيعاب التي قامت بها فرنسا لطمس الهوية التشادية، وتتمثل في عزوف بعض المثقفين التشاديين بالفرنسية عن تعليم أبناءهم اللغة العربية التي تعد لغتهم الأصلية.
- وسعت الإدارة الفرنسية إلى تنشيط روح العداة والصراع الثقافي واللغوي بين أبناء تشاد والذين لم يزل أثرهم موجود إلى يومنا هذا.
- محاربة الثقافة العربية والإسلامية بتشاد.
- إضعاف الروح الوطنية لدى التشاديين.
- قتل المثقفين وتشيدهم.
- تعميق الثغرات القبلية والإقليمية والدينية بين التشاديين.
- إهمال التنمية بالبلاد.
- التشكيك بالتراث الوطني المحلي التشادي¹.

وهذه الاستراتيجيات ترتب عليها نتائج عكسية أدت إلى عزوف المسلمين عن تعليم المناهج الفرنسية الرسمية حماية لدينهم وثقافتهم وشخصيتهم.

حيث يعتبر تدريس اللغة العربية في المدارس الرسمية مكسبا وطنيا ولكنه أحيط بسياس يجعله عقيم النتائج، بل الأخطر من ذلك أن هذا السياج ولد أثرا عكسيا في النشء التشادي أصلا يجعله لا يغير على تقسيم اللغة العربية، وأيضا أنه غير منشور في نفسه وعقد إزاءها فصار يخشاها ويحترمها في الوقت نفسه. وتتلخص أهداف الإدارة الفرنسية من كل هذه في الآتي:¹

1. توحيد الأمن والاستقرار للمواطنين الفرنسيين
2. جمع الضرائب والإتاوات من الماشية والأفراد
3. نشر الثقافة الفرنسية في كافة الأراضي التشادية
4. تدمير الشخصية الوطنية
5. محاربة الثقافة العربية الإسلامية
6. تأكيد السيطرة الفكرية والاقتصادية في البلاد

المبحث الثالث إيجابيات الإدارة الفرنسية

من إيجابيات الاستعمار الفرنسي في تشاد لوحظ أن اللغة العربية التي تشكل أداة للاتصال والتبادل بين الغالبية العظمى من التشاديين لم تدخل إلى المدرسة الاستعمارية قبل عام 1935م، من إنشاء أول مدرسة في البلاد، وكان الغرض من إدخال اللغة العربية كمادة اللغة العربية هو إرضاء المجموعات الإسلامية التي كانت تسبب حرجا بالغا بتوجيه أبنائها نحوها، إذ أنهم كانوا يبعدونهم إلى القرى والبادي القاصية حربا من الالتحاق بالمدارس التي أقامتها الإدارة الفرنسية. كما أن المستعمر ساهمة مع التشاديين مساهمة إيجابية تضم الجهة الجنوبية في تشاد حاليا (أفريقيا الوسطى) فضم الجهة الجنوبية يفيدنا بمشاريع كبيرة مثل البترول الذي في بناء الطرق المؤبدة وذلك تطويرا للبلاد. ثم قام المستعمر بإنشاء بعض الطرق والهواتف النقالة في بعض المناطق الحضرية فضلا من إدخالها الإضاءة وتوزيع مياه الشرب في بعض أحياء العاصمة فورت لامي.

فقد خصصت تنمية الإنتاج الزراعي والحيواني لمجموعة الأعمال الحكومية المنشآت الحيوية والصحة والتعليم.¹ وعند ذلك كانت تشاد تعد أقل إقليم إفريقيا الاستوائية الفرنسية حظا من حيث المشاريع التنموية بسبب شح الإدارة الفرنسية، ولذلك لم يتغير الوضع الاقتصادي والاجتماعي فيها تغيرا ملموسا عن الحياة التقليدية، لأن التنمية يظهر أثرها على السكان بتوافر المزيد من الإنتاج وارتفاع المستوى الصحي وزيادة التعليم والوعي القومي وتقدم سبل النقل والمواصلات، وهذا الظواهر كانت شبه معدومة في البلاد.

ونجد أن الاستعمار الفرنسي قد قام ببعض المشاريع الاستثمارية في بعض المواد التي تحسنت من رفع المستوى العام في البلاد، رغم أن هذه المشاريع التي وضعها المستعمر لم ينفذ إلا بعضها بسبب قيام الحرب العالمية الثانية التي كانت هي الأخرى عائقا في تقدم وتطور البلاد.

فكان لجانب المستعمر جانب احتكار المساحة حسب مصالحه الدولية والإقليمية في توحيد دولة تشاد في إطارها الحالي، وأيضا إتاحة الفرصة للتشاديين بالمشاركة في الجمعية الوطنية الفرنسية باعتبارهم ممثلين عن دولة فرنسا في تشاد، والمساهمة في زيادة الوعي السياسي والفكري لدى الطبقة السياسية في تشاد. ومن أهم إيجابيات الإدارة الفرنسية:

1. المساهمة حسب مصالحها الدولية والإقليمية في توحيد دولة تشاد في إطارها الحالي.
2. إصدار قانون الملكية عام 1956م والذي يعد مهذا لعملية الاستقلال في تشاد.
3. إتاحة الفرصة للتشاديين بالمشاركة في الجمعية الوطنية الفرنسية باعتبارهم ممثلين عن دولة فرنسا في تشاد.
4. المساهمة في زيادة الوعي السياسي والفكري لدى الطبقة السياسية التشادية.¹

المبحث الرابع

التعليم في الممالك الإسلامية { كانم- باقرمي- وداي }

جدير بالإشارة أن هناك قاسم مشترك أعظم بين هذه الممالك, أنها تبين الاسلام شرعا ومنهجيا. وأن سلاطينها بذلوا جهودا عظيمة في نشر الدعوة الاسلامية, واتخذوا اللغة العربية لغة رسمية للدولة, ولغة التعليم, بل شجعوا العلماء بالتدريس وتعليم المواطنين في قصورهم أو خارجها.

وسنبرز أهم المؤسسات التعليمية التي كانت عاملا من عوامل تمتين وتقوية جذور الثقافة الإسلامية وصد اللعين من المسالمة الوطنية التشادية.

مؤسسات التعليم في تشاد

1/ المسيحية {الخلوة}, ويعد دور المسيحية بأنه بمثابة حلوة قرآنية يقوم مقام المسجد في القرى الصغيرة أو منازل البدو, وفي بعض الحارات, وهو مكان للذكر.

2/ المسجد: يعد من أكبر المقرات التعليمية بتشاد, لأنه كان مصدر الاشعاع الحضاري للمسلمين منذ ظهور الإسلام.

3/ منازل العلماء وقصور السلاطين: تمثل منازل العلماء وقصور السلاطين عاملا من عوامل تدعيم جذور الثقافة الإسلامية بتشاد.

4/ نظام التعليم ومناهج التدريس: يختلف المنهج الدراسي من مؤسسة لأخرى في تشاد, إلا أن اطار العالم يشمل على إعطاء الطالب في البداية درسا في القراءة والكتابة على الألواح, وهي عبارة عن مختارات من القرآن الكريم.¹

دور اللغة العربية في تحقيق التواصل بين أجزاء القارة الإفريقية، وحدة اللغة في ليبيا نموذجا

دكتورة :-دلال مفتاح الفيتوري

أستاذ مساعد في التاريخ الإسلامي - جامعة بنغازي /دولة ليبيا

الملخص :-

بسم الله والصلاة والسلام علي رسول الله
أن الموقع الجغرافي لقارة أفريقيا جعلها تتميز بسهولة الاتصال مع المناطق المجاورة لها ،وباقى دول العالم عن طريق جزها الشمالي المطل علي البحر الأبيض المتوسط ،فارتبطت ليبيا بعلاقات تاريخية مع الجزء الجنوبي للقارة الإفريقية ، عن طريق الصحراء الممتدة بينها وبين مدن جنوب الصحراء والتي تحمل سمات متشابهة بين المكون السكاني في تلك المناطق .

وكان لليبيا دورا في نقل المنتجات ومواد الخام الإفريقية إلى دول العالم منذ وقت مبكر ،وكانت من بين مسالك نشر الإسلام وانتقال العلماء والفقهاء منها لباقي أجزاء القارة الإفريقية ،وبالتالي نشر اللغة العربية لغة القرآن الكريم في مناطق عدة من القارة والتي كانت قبل ذلك تضم عددا من اللهجات واللغات المحلية ، إلى جانب عدد آخر من اللغات الوافدة إليها ، كان من بينها اللغة العربية .

فحاولت من خلال هذه الورقة إظهار ليبيا كونه جزء من هذه القارة كنموذج لأنها كانت منقسمة لثلاث أقاليم تتعدد فيها اللغات واللهجات ،استطاعت أن تحقق وحدة اللغة بفضل الدين الإسلامي وسياسة التعريب التي استحدثت في العهد الأموي ،واقبال السكان الأصليين علي اللغة العربية حبا في الدين واحتراما للدولة ،فأصبحت ليبيا دولة عربية إسلامية منذ ذلك الوقت .

وتكمن أهمية الموضوع في تبيان كيفية ومتطلبات انتشار اللغة العربية وما يدل علي إمكانية انتشارها في القارة الإفريقية انها لم تنحصر في شبه الجزيرة العربية

والهدف من هذه الدراسة الدعوة إلى تحقيق وحدة اللغة في هذه القارة التي تتمتع بالعديد من العوامل المساعدة لقيامها ونهضتها ،إلى جانب إبراز مكانة اللغة العربية كونها من اللغات العالمية ،فهي لغة الثقافة الإسلامية والأمة العربية في العالم .

سأقوم بتقسيم الورقة علي النحو التالي :-

1-طرق انتقال اللغة العربية إلى أفريقيا

أ- عن طريق الهجرات العربية

ب- عن طريق التجار

ج- عن طريق انتشار الإسلام

2- وحدة اللغة في ليبيا نموذجا لوحدة القارة الإفريقية

سأعتمد المنهج السردى التاريخي في كتابة هذا البحث ،والذي أوصي من خلاله بالاستمرار بمثل هذا المؤتمر الداعم للحركة العلمية في القارة الإفريقية التي تحتاج لوقفة جادة من النخب لإظهار ما تحتويه من نفائس فهي ليست بالقيم ،كما يجب تحديد الطرق والوسائل لنشر اللغة العربية في القارة الإفريقية جنوب الصحراء من خلال دعم انتشار الدين الإسلامي فأينما وجد الدين الإسلامي انتشرت اللغة العربية ،إقامة الدورات المجانية لتعليم اللغة العربية ،نشر المطويات التي توضح مدي سهولة تعلم اللغة العربية .

وقد توصلت لبعض النتائج منها :-

- عمق العلاقات التاريخية للعرب داخل القارة الإفريقية والعلاقات التجارية خير دليل
- من أسباب انحصار اللغة العربية محاربة المستعمر لها لأنه يعلم أن وحدة اللغة والثقافة من عوامل قيام وتحضر أى دولة لذلك حارب انتشارها داخل هذه القارة

- من أسباب انتشار اللغة العربية في ليبيا إقبال سكانها علي الدين الإسلامي واحترامهم لسياسة التعريب

- بمثل هذا المؤتمر نشهد انتشار العربية في القارة الإفريقية وبمساعدة الحكومات والمؤسسات ودعم المهتمين بها .

الكلمات المفتاحية :- أفريقيا ،الإسلام ، اللغة العربية ، ليبيا ، القارة

Summary :-

In the name of god and prayer and peace be upon the messenger of Allah the geographical location of the continent of Africa made it easy to communicate with neighboring regions and the rest of the world through its northern part overlooking the Mediterranean sea Libya has been associated with the southern part of the continent through historical relations, as the desert extends between Libya and the cities south of the Sahara bearing similar features to the population component in those regions Libya has had a role in transporting African products and raw materials to the rest of the world since an early age it had a role in spreading Islam, transmitting scholars and jurists, and spreading the Arabic language in several regions of the continent which, before that, included several dialects and languages, so it tried to show Libya as a model, which was divided into three regions with different languages and dialects. It was able to achieve language unity thanks to the spread of Islam and policy of Arabization the people of Libya began to learn the Arabic language for the love of religion and respect for the state, so Libya became an Arab Islamic country that time the importance of the topic lies in explaining the way and requirements for the spread of the Arabic language, and what indicates the possibility of its spread on the African continent, as it was not confined to the Arabian peninsula the aim of this study is to call for the realization of language unity in this continent, which has many factors that help in its establishment and renaissance in addition to highlighting the status of the Arabic language as one of the international languages, it is the language of Islamic culture and the Arab nation I will divide the paper as follows

1-methods of transmission of the Arabic language to Africa

a-through merchants and Arab migrations

b-through the spread of Islam

2-the unity of the language in Libya is a model for the unity of the African continent

I will adopt the historical narrative method in writing this research, through which I recommend the continuation of such a conference to support the scientific movement in the African continent, which needs a serious pause from the elites to show its preciousness, as it is not sterile and the ways to spread the Arabic language in the sub-Saharan must be determined through the spread of the Islamic religion. Wherever the Islamic religion is found, the Arabic language is found establishing free courses to teach the Arabic language and publishing brochures that explain the ease of learning the Arabic language I got some results the depth of the historical relationship of the Arabs within the African continent and the trade relations are the best evidence one of the Arabic language is the colonizer's fight against it, because he knows that the unity of language and culture is one of the factors for the establishment and civilization of countries one of reasons for the spread of the Arabic language in Libya is the demand of its residents to the Islamic religion and their respect for the policy of Arabization with such a conference, we witness the spread of the Arabic language on the African continent, with help of governments and institutions and the support of those interested in it

دخلت اللغة العربية إلى القارة الإفريقية بطرق متعددة ساهمت جميعها في انتشارها , واستطاعت من خلالها الاستقرار في الجزء الشمالي من القارة حتى أصبحت هي اللغة الرسمية لدول شمال القارة الإفريقية , ثم انتقلت إلى جزئها الجنوبي عن طريق :

1 - الهجرات العربية :-

كان للهجرات العربية إلى أفريقيا أثر في نشر اللغة العربية حتى قبل دخول الإسلام , مما ساعد على اعتناق الأفارقة للدين الإسلامي لأنه أصبح لديهم خلفية ثقافية عن لغة هذا الدين .
فقد هاجر العرب إلى أفريقيا قديماً عن طريق القوافل التجارية التي استقر من خلالها بعض التجار في أفريقيا ومنهم من تزوج هناك , فكانت هذه الهجرات " الأسس المتينة للعلاقات العربية الإفريقية " (1) .
ثم أصبحت هذه الهجرات تزداد حتى أصبح لها دور في انتشار الإسلام واللغة العربية , ولعل ما يؤكد ان أفريقيا كانت معروفة عند العرب منذ القدم , ان الرسول ﷺ طلب من أصحابه التوجه إليها طلباً للأمان عند ملك الحبشة " لو خرجتم إلى أرض الحبشة , فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحداً , وهي أرض صدق , حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه " (2) .

وهذا يدل على أن العرب كانوا يعرفون أفريقيا بوصفها وأهلها وإلا لما لجؤ إليها بحثاً عن الأمان عند حاكمها الذي وصفه الرسول ﷺ بدقة , وعند أهلها الذين كانوا خيرناصراً ومستقراً لهم , فشجع ذلك العرب على الهجرة حتى من استقر منهم في شمال أفريقيا أصبح ينتقل بعضهم إلى جنوبها , فكان " الطريق الليبي مصدراً لكثير من الهجرات القديمة والحديثة " (3) .

وأصبح هذا الطريق الركيزة الأساسية في انتقال هذه الهجرات افواجاً إلى أفريقيا جنوب الصحراء فتتبعته الهجرات " بعد تغبر الأحوال نحو شرقي إفريقيا , وتوجه فريق آخر إلى وسط إفريقيا وغربها " (4) .

وقد انتقلت هذه الهجرات العربية إلى أفريقيا عن طريق بعض المسالك منها ما هو امتداد جغرافي طبيعي كالمناطق الممتدة بين شمال إفريقيا وجنوبها , ومن بين هذه الطرق طريق الشمال الساحلي الذي ربط آسيا بإفريقيا عن طريق الطرق الداخلية الممتدة من جنوب إقليم برقة وصحراء الجزائر , إلى جانب الطريق الممتد من نهر لوقون حتى بحيرة تشاد , و الطريق بين كانو ومدينة غات وهي طريق ذات أهمية فقد قصرت المسافة فسهلت هذه الطرق دخول " القبائل العربية , حتى وصلت إلى جنوب إفريقيا ووسطها , منذ قرون طويلة " (5) .

وقد ساعد انتشار الإسلام في تسهيل التنقل من خلال هذه الطرق ببناء الأربطة التي اثرت إيجابياً في إحيائها وربط شمال القارة بجنوبها فأصبحت الأربطة الصحراوية " حلقة وصل بين مختلف مناطق القارة الإفريقية والمراكز الإسلامية وقد لعبت هذه الأربطة دوراً رئيسياً وفعالاً إذ أصبحت مراكز للدعوات الإسلامية التي انطلقت من الشمال الإفريقي وساعدت فيما بعد على إقامة الدول والممالك الإسلامية " (6) .

وفي عهد الخليفة "عبد الملك بن مروان سنة 65 - 85 هـ / 685 - 705 م هاجرت أعداد كبيرة إلى السواحل الشرقية حيث وجدوا كل المساعدة من قبل أبناء الهجرات العربية القديمة التي استقرت بها من قبل وكونت المزيد من الهجرات للقارة الإفريقية " (7) .

وفي عهد الفاطميين جاءت هجرات عربية عن طريق مصر وهي قبائل بنى هلال وبنى سليم في أعداد كبيرة انتشروا في أفريقيا وأصبحوا من المكون السكاني وجزء من النسيج الاجتماعي الإفريقي , وساهموا في نشر اللغة العربية بين سكان هذه المناطق , ثم انطلقت هجرات عربية أخرى " لكنها كانت قليلة العدد اتجهت إلى حوض السنغال والنيجر وحوض بحيرة تشاد , مثل بنى جذام وبنى حسان وبنى معقل , وأولاد سليمان وجهينة , واستقرت هذه الهجرات واحتفظت بأصولها العربية " (8) .

كما كان هناك هجرات من أفريقيا إلى شبه الجزيرة العربية فقد أرسل " النجاشي وفداً سياسياً إلى الرسول ﷺ بمكة ليتبين من حقيقة هؤلاء وقد أسلم هذا الوفد ويعتبر أول تأثير مباشر لحركة الهجرة " (9) .
فساهمت هذه الهجرات في التبادل والأمزاج الثقافي بين العرب والأفارقة .

2 - عن طريق التجار :-

لقد كان للعرب قبل الإسلام علاقات تجارية مع إفريقيا عن طريق القوافل التجارية المنظمة والتي تأتي من الشمال الإفريقي ومصر وشبه الجزيرة العربية , و تنقل لباقي أجزاء أفريقيا ما تحتاج إليه من هذه المناطق وتعود محملة

بالبضائع الأفريقية , وباستقرار التجار فى المناطق الإفريقية أثروا فى سكانها من خلال نقل الثقافة العربية لتلك الشعوب ,

فانتقل العرب من مرحلة العلاقة التجارية إلى مرحلة الزواج والمصاهرة فـ " طول المدة التى يقضيها التجار أدى بالكثير منهم إلى الزواج من السكان المحليين مما خلق جيلاً مختلطاً ذا ثقافة جديدة" (10).

فساهم التجار فى توطيد العلاقات التى زادت بدخول الإسلام والذين ساهموا بنشره داخل إفريقيا , فكان التجار يحملون مع بضائعهم " العقيدة الإسلامية والمعارف الأساسية لها وكانوا يعملون بمختلف الوسائل على نشر الإسلام وترويجه بين الوثنيين " (11).

" ولم ظهر الإسلام وأصبح التاجر مسلماً زاد النشاط التجارى بين شمال الصحراء وجنوبها كما زاد النشاط الذى كان يقوم به العرب فقد عنى المسلمون بالطرق والأمن وحددوا المكايل والموازين .. وأصبح بيته منارة للفكر الإسلامى .. فهياً ذلك للإسلام فرصة الانتشار مع التجار " (12).

وكان التجار يستقدمون معهم الفقهاء والعلماء لتعليم الناس وتثقيفهم بأمور الدين واللغة وكان منهم من يقوم بإنشاء المساجد لإستقطاب الراغبين فى تعلم القرآن وأصول اللغة العربية , كما ساهم التجار فى تأسيس المراكز التجارية فى المناطق الصحراوية كمدينة مرزق التى أصبحت ذات أهمية فى المبادلات التجارية مع بلاد البرنو وشعب الهوسا , وبين طرابلس وغدامس , ثم ظهرت مدينة زويلة كمحطة تجارية ساعدت فى ربط شمال القارة بجنوبها وربط مناطق جنوب الصحراء بالمناطق المطلة على البحر الأبيض المتوسط منذ وقت مبكر , ولم يقتصر دور هذه

القوافل على نقل البضائع بل ساهمت فى نقل ثقافات الشعوب وعلومها ومعارفها فأحدث ذلك إمتزاج ثقافى بين هذه الشعوب وما زادها تميزاً نقلها للغة العربية إلى أفريقيا كونها لغة الدين الذى أقبل عليه الأفارقة حباً وإيماناً فتعلموا لغته التى نزل بها , فنقل التجار اللغة العربية من خلال التخابط بين البائع والشارى , ولأن اللغة العربية كثيرة المفردات والمصطلحات أصبح " من السهل على التجار المحليين الأفارقة والأهالى .. إنقاط هذه اللغة عن إخوانهم التجار العرب " (13).

فأستطاع التجار ان يؤثروا فى شعوب تلك البلاد بما يقومون به من أفعال تعطى صورة حقيقية عن الإسلام فى البيع والشراء و المعاملات أمام من لم يعتنق الإسلام " وبهذا تم التأثير ووصلت الرسالة , وتحقق الهدف الذى وصلوا من أجله بعد أن تغير من هدف مادي إلى رسالة إنسانية سامية " (14).

" وهكذا أضحى التجار العرب المسلمون يقومون بمنهجية الدعاة المسلمين إلى جانب نشاطهم التجارى فحملوا معهم العقيدة الإسلامية و الحضارة العربية" (15).

فأصبح فضل التجار واضحاً فى نقل اللغة العربية و نشر الدين الإسلامى .

ج- انتشار اللغة العربية عن طريق الفتح الإسلامى :-

دخل الإسلام لقارة أفريقيا بطرق عدة تنسم أغلبها بالسلمية , فقد انتقل المهاجرون العرب إليها منذ فترات متقدمة عن طريق الفتح الإسلامى , كما نظمت القوافل التجارية المتوجهة عبر طرق مختلفة والتى كان لها دور فى استقرار بعض العرب الذين أثروا فى سكان تلك المناطق بثقافتهم العربية وبعد دخول الإسلام كان دورهم واضح فى تثبيت أركانه داخل القارة , خاصة وان هذه القوافل لم تقتصر على البضائع التجارية بل كان فيها الدعاة والعلماء والفقهاء الذين حرصوا على تعليم سكان أفريقيا أمور الدين , ولا ننسى دور الخلفاء والولاء فى دعم نشر الدين الإسلامى فأمروا ببناء المساجد لتصبح مكاناً للعبادة والتعلم فكان الهدف الأساسى نشر الدين الإسلامى والذى من خلاله انتشرت اللغة العربية فى غالبية أنحاء أفريقيا فتحدث بها عدد كبير من الأفارقة خاصة سكان شمال القارة , فكان للإسلام الدور الأبرز فى إنتشار اللغة العربية وسارت جنباً إلى جنب مع الإسلام وازداد إقبال معتنقى الإسلام على تعلمها رغبةً فى تعلم الدين الإسلامى وأحكامه خاصة " بعد أن أجمع أغلب أئمة المسلمين بعدم جواز ترجمة القرآن الكريم , فكان لا بد لمن يريد معرفة أسرار الدين أن يتعلم اللغة العربية ويتقنها " (16).

فأدى هذا الارتباط الوثيق بين إعتناق الإسلام وتعلم اللغة العربية إلى انتشار اللغة العربية فى مناطق واسعة من إفريقيا حتى إنها أصبحت اللغة الرسمية فى كثير من أجزاء القارة , ومما ساهم أيضاً فى انتشار اللغة العربية أنها قريبة من اللغة الإفريقية كالسواحلية , والهوسا والصومالية , فاللغة السواحلية " هى أقدم اللغات فى شرق إفريقيا التى استخدمت الحروف العربية فى كتابتها ولايزال بعض سكان المنطقة الساحلية يستخدمون الحروف العربية فى كتابتهم " (17).

فـ " ارتبطت السواحلية بالعربية , كما ارتبط الأفارقة بالعرب بروابط عميقة ضاربة الجذور " (18).

" وتأثرت هذه اللغات بنحو العربية وصرفها وأوزان شعرها , وماكان للغة العربية أن تبلغ هذه الدرجة لولا أنها كبرت عن ثقافة إسلامية قديمة متأصلة في المنطقة , ومن هنا يجوز القول بأن الإسلام كان ذا دور حاسم في تعريب المنطقة " (19)

فازدهرت الحياة العلمية في أفريقيا بسبب امتزاج هذه اللغات والثقافات وإقبال الناس على المدارس والمكتبات التي تعج بالكتب العربية , فظهر " في هذه المناطق الإفريقية علماء وفقهاء , تركوا لنا ثروة علمية وفقهية في مختلف مجالات العلوم الإسلامية والإنسانية " (20)

فساهم الإسلام في نشر اللغة العربية في ربوع أفريقيا وأصبحت لغة الثقافة والمرسلات إلى جانب اللغات الإفريقية المحلية .

2- وحدة اللغة في ليبيا نموذجا :-

كان موقف الدولة العربية الإسلامية واضحا في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية كونها لغة هذا الدين في كل البلاد المفتوحة , فالخليفة عمر بن الخطاب " كانت سياسته ترمي إلى تماسك بلاد العرب و إدخال القبائل بعضها في بعض, لتكون أمة واحدة, هي الأمة العربية " (21)

كما كان لتعريب الدواوين في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان أثر عظيم في نشر اللغة العربية, فأصبحت هي اللغة الرسمية للدولة " فهي لغة السياسة و الإدارة والاقتصاد فضلا عن كونها لغة الدين " (22)

لذلك نفذوا هذه السياسة عند دخولهم لليبيا , فصاحب عملية تعريب الدواوين فيها نمو ثقافي داخل المجتمع بسبب الامتزاج الذي حدث بين اللغة العربية واللغات المحلية أثناء التعريب فكان لذلك أثر ايجابي ليس كما وصفه بعض المغرضين بأنه صراع بين اللغات وانتصرت فيه اللغة العربية, والدليل على ذلك التقاف الكثير من السكان المحليين على تعلم اللغة العربية دون فرض أو أكراه, ويرجع الفضل " بعد الله تعالى إلى عقبة بن نافع في إرساء أسس الإدارة الإسلامية حيث مكث في ليبيا قرابة 28 سنة (642-669م, 226-49هـ) وكان من أوائل من عكف على نشر الإسلام واللغة العربية والتمكين لهما كدين مبعوث للجميع والعربية لغة رسمية متداولة بين العامة والخاصة " (23)

وما يؤكد على ان الخلفاء دعموا عملية التعريب, إرسال الخليفة عمر بن عبد العزيز " بعثة دينية تتألف من عشرة فقهاء من مشاهير التابعين وفدوا على القيروان على رأس القرن الثاني بقصد تفقيه البربر في العربية ونشر المبادئ الإسلامية " . (24)

وقد استطاع بعض الولاة تحقيق الوحدة الوطنية بين العرب و البربر من خلال دمجهم في مؤسسات الدولة لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات أمثال حسان بن النعمان الذي ادرج الجند" في سجل تدرج فيه الأسماء و أوصافهم , وأسلحتهم وبذلك انضم وقسم العسكر على الثغور وفيها اختلط العرب بالبربر في مؤسسة من مؤسسات الدولة على قدم المساواة " . (25)

فما قام به حسان من إشراكه " البربر في الفتح وفي رئاسة الأجناد و ما لمسوه من مساواتهم بالعرب في الحقوق, كل هذا كان سببا في اطمئنان نفوسهم نحو العرب, وميلهم لاعتناق الإسلام " (26)

كما عمل حسان على تعميم اللغة العربية كلغة " تفاهم وكتابة, وأقبل البربر و الأفارقة عليها أفواجا, لأنها أمست أداة للتعبد والتعامل حيث كان البربر في أمس الحاجة إلى لغة واحدة يفهمونها جميعا نظرا لاختلاف اللهجات البربرية... فاللغة العربية زينها القرآن وزادها قوة وقداسة وعنفوانا فبدأت العلوم الإسلامية تنتشر بسرعة فائقة بفضل العلماء وجهودهم حيث شهدت تلك الحقبة الزمنية نهضة فكرية عربية واسعة " . (27)

إلى جانب انه دون الدواوين ونظم الإدارة الإفريقية ف" جعل اللغة العربية في دواوين الحكومة هي الرسمية, و وزع الأراضي على فقراء البربر بعد أن كانت ملكا للحكومة البيزنطية, فازدادوا رغبة في الإسلام " (28)

فنجح حسان بن النعمان في تطبيق مبدأ المساواة بين العرب الفاتحين وسكان البلاد فكانت سياسته " سببا في وحدة وتماسك المجتمع الإسلامي في المغرب العربي واندماجه مع العرب الفاتحين " (29)

والذي استطاعت اللغة العربية من خلاله ان تحتل مكانة مرموقة داخل المجتمع الليبي وان تصبح اللغة الرسمية بفضل انتشار الدين الإسلامي وسياسة تعريب إدارة الدولة في كل الأقاليم الليبية بعد ان كانت اللغات مختلفة داخل هذه الأقاليم, فإن قدماء الليبيين كانوا يتكلمون لهجات مختلفة " نسميها نحن ليبية تولدت عنها اللهجات البربرية التي ماتزال تعيش حتى الآن في غدامس وسوكنه والجبل وزوارة ... و انتشرت بينهم أيضا انتشار واسعا اللغة البونيقية_القرطاجينية " (30)

والدليل على ان اللغة لم تكن واحدة في الأقاليم الليبية, ما قامت به السياسة الرومانية من نشر " اللغة اللاتينية والتي أصبحت اللغة الرسمية في المراسلات الإدارية... واستعمال اللغة الفينيقية واللغة الليبية كلغة حديثة " (31)

والنقوش التي عثر عليها في الأقاليم الليبية تكشف بجلاء عن تعدد اللغات فهناك " جماعات من السكان تعيش في صبراتة متعددة اللغات والثقافة وكانت اللغات المحلية مثل الليبية و البونية واسعة الانتشار مثل اللاتينية "(32) وبعد الاحتلال الروماني للأقاليم استعملت اللغة الفينيقية (البونية) في ان واحد مع اللغة اللاتينية وأخذت هاتان اللغتان شكلا رسميا "(33)

أما سكان المناطق الجنوبية فقد تأثروا بالحضارة " الفينيقية واستخدموا اللغة البونية في الكتابة وهو ما يؤكد أسماؤهم الليبية وتمسكهم بديانتهم المحلية "(34)

وتعلم الفينيقيين " اللغة الليبية السائدة وقتئذ... واستعملوا خطها المعروف بالخط الليبي ومزجوا مفرداتها بلغتهم الأولى ثم كونوا من ذلك لغة جديدة استعملت رسميا في شمال أفريقيا واشتهرت في التاريخ باللغة البونيقية "(35) أما الكتابة البربرية فيذكر المؤرخين بانها مرت " بثلاث مراحل تاريخية

1_ المرحلة الليبية الأبجدية الليبية.

2_ المرحلة النوميديّة وهي المرحلة المتطورة من الكتابة الليبية.

3_ كتابة التيفناغ وهي التي استمرت من قبل الإسلام حتى يومنا هذا عن طريق الطوارق "(36)

إلا أن الإسلام استطاع ان ينشر اللغة العربية كونها لغة الدين وأصبحت هي اللغة الرسمية لسكان ليبيا مع المحافظة على بعض اللهجات المحلية فأصبحت العربية عامل مشترك بين سكان الأقاليم الليبية رغم محاولة بعض المعرضين أثبات غير ذلك مستغلين بعض الثورات التي قام بها البربر ضد الولاة العرب المسلمين, الا ان هذا الأمر بعيد كل البعد عن الواقع الذي يؤكد على ان اغلب الثورات كانت بسبب المعاملة السيئة التي قام بها بعض الولاة العرب ضد البربر والتي تعد تصرفات فردية من الطرفين لا ترتبط بتعاليم الدين الإسلامي، وخير دليل على ذلك سياسة حسان بن النعمان مع البربر وعلاقة موسى بن نصير الجيدة معهم إلى جانب مشاركة العديد من البربر في الفتوحات الإسلامية والتي ساهمت بدورها في نشر اللغة العربية أمثال طارق بن زياد وابن تاشفين والمعر بن باديس فلم يؤثر على هذه الشخصيات رفضهم للغة العربية واستبدالها بلغتهم, كما يوجد دليل اخر على وحدة العرب والبربر وهو مشاركتهم في طرد الروم حيث " بدأ الروم يتركون مواقعهم على الساحل ويهاجرون إلى أوطانهم الأصلية بعد أن بدأ العرب يستقرون في بلاد شمال أفريقية ودخول الكثير من البربر في الدين الإسلامي "(37) وقد كان البربر قريبين من العرب مع اختلاف لغتهم بدليل عندما وصفهم موسى بن نصير للخليفة في دمشق قال هم " أشبه العجم بالعرب لقاء ونجدة وصبرا وفروسية وسماحة "(38)

وهذه من الأسباب التي جعلتهم يقبلون على تعلم اللغة العربية لانهم " وجدوا العرب مشابهين لهم في كثير من الأخلاق والعادات فحسبهم كأنهم من أبناء عمومته لا غرباء عنهم في الدم والطباع "(39) فارتبطوا مع القبائل العربية و" أقاموا معها علاقات مختلفة الأشكال بين تحالف و اتحاد "(40)

فقد عين الخليفة الوليد بن عبد الملك على شمال أفريقيا القائد موسى بن نصير " فقصي على جميع الفتن والفتن بين قلوب العرب والبربر بالعمل الصالح وجعلهم في جيش واحد تولي قيادته فارس مغربي اسمه طارق بن زياد "(41) فأسلوب التسامح والمساواة بين الفاتحين والسكان الأصليين كان له الدور الأمتل في تحقيق وحدة الدين واللغة بين العرب وغيرهم من سكان ليبيا، فأصبحت ليبيا خير نموذج لتحقيق وحدة اللغة من خلال حب الدين واحترام الدولة التي أقرت التعريب .

الهوامش

- (1) - بازينة , عبدالله سالم , إنتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء , منتدى الأزيكية , books . net ص 63 .
- (2) - ابن الأثير , أبو الحسن على , الكامل في التاريخ , دار الكتاب العربي , بيروت , 1982م , 51/2 .
- (3) - عبيد , خالد سعيد آدم , القبائل العربية وجهودها في نشر الإسلام والعروبة في حوض بحيرة تشاد , دبلوم الدراسات المعمقة , جامعة فيصل , تشاد, 2004م , ص 13 .
- (4) - الحسيني , ابراهيم صالح , تاريخ الإسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم (د/ت) ص 20 .
- (5) - عبيد , المرجع السابق , ص 2 .
- (6) - الفيتوري , عطية مخزوم , دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء مرحلة انتشار الإسلام , منشورات جامعة قاربيونس , بنغازي , 1998م , ص 114 .
- (7) - قاسم , جمال زكريا , الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية , معهد البحوث والدراسات العربية , القاهرة , 1975م , ص 291 .
- (8) - أحمد , أحمد قاسم , الهجرات العربية إلى أفريقيا وأثرها في نشر الثقافة العربية الإسلامية جنوب الصحراء , Google ص 7 .

- (9) - عبدالرازق , ريم على , تاريخ الإسلام فى أفريقيا , دار جين للطباعة والنشر , ليبيا , 2021م , ص 23 .
- (10) - الحرير , ادريس , العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الدولة الرسمية وبلاد جنوب الصحراء وأثرها فى نشر الإسلام , مجلة البحوث التاريخية العدد الثالث , طرابلس , 1977م , ص 77 .
- (11) - العربى , اسماعيل , حاضر الدول الإسلامية فى القارة الإفريقية , المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر , 1984م , ص 342 .
- (12) - ابن حوقل , أبو القاسم , صورة الأرض , دار مكتبة الحياة , بيروت , (د/ت) ص 99 .
- (13) - الأبقارى , محمد الأمين , الحضارة الإسلامية فى مملكة باقرمى , رسالة دكتوراه فى التاريخ والحضارة , جامعة إفريقيا العالمية , 2003م , ص 21 .
- (14) - أحمد قاسم , المرجع السابق , ص 8 .
- (15) - ريم على عبدالرازق , المرجع السابق , ص 41 .
- (16) - الجمل , شوقى , الأزهر ودوره السياسى والحضارى فى إفريقيا (د/م) 1982م ص 116 .
- (17) - ريم عبدالرازق , المرجع السابق , ص 90 .
- (18) - سويد , عبدالله عبدالحميد , اللغات الإفريقية السواحلية , مجلة البحوث و الدراسات الإفريقية , سبها , 2001م , ص 10 .
- (19) - موسى , عز الدين عمر , دراسات إسلامية غلب إفريقيا , دار الغرب الإسلامى , بيروت , 2003م , ص 111 .
- (20) - الجمل , المرجع السابق , ص 115 .
- (21) الشطشاطر , علي حسين , دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية , دار قباء , القاهرة , 2001م , ص 102 .
- (22) الشاعر , محمد فتحي , الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى , دار المعارف , القاهرة , 1992م , ص 52 .
- (23) نجم , فرج عبدالعزيز , القبيلة والإسلام والدولة , منشورات مكتبة 17 فبراير , 2013 , ص 60 .
- (24) عبدالوهاب , حسن حسني , مجمل تاريخ الأدب التونسى , تونس , 1968م / ص 19 .
- (25) نجم , المرجع السابق , ص 62 .
- (26) الزاوي , الطاهر أحمد , تاريخ الفتح العربى فى ليبيا , دار المعارف , 1963م / ص 114 .
- (27) نجم , المرجع السابق , ص 61 .
- (28) الزاوي , المرجع السابق , ص 113 .
- (29) عباس , إحسان , تاريخ ليبيا , دار صادر , بيروت , 1967م / ص 35 .
- (30) روس , ايتورى , ليبيا منذ الفتح الإسلامى حتى سنة 1911م , تعريب خليفة التليسي , بيروت , 1974م / ص 27, 28 .
- (31) جوليان , شارل اندريه , تاريخ افريقيا الشمالية , ترجمة محمد مزالي , الدار التونسية للنشر تونس , 1969م / ص 248 .
- (32) الميار , عبد الحفيظ , معالم الحضارة الإسلامية فى ليبيا , الدار الدولية , 2008م , ص 37 .
- (33) المرجع نفسه , ص 39 .
- (34) المرجع نفسه .
- (35) بن مسعود , محمد , تاريخ ليبيا العام , المطبعة العسكرية البريطانية , طرابلس , 1948م , ص 64 .
- (36) نجم , المرجع السابق , ص 34 .
- (37) المزيني , المرجع السابق , ص 182 .
- (38) نجم , المرجع السابق , ص 31 .
- (39) بن مسعود , المرجع السابق , ص 121 .
- (40) أغسطس , هنر يكوذي , سكان ليبيا , ترجمة خليفة محمد التليسي , الدار العربية للكتاب , 1974م , 30/1 .
- (41) بن مسعود , المرجع السابق , ص 169 .

انتشار اللغة العربية في شمال إفريقيا خلال مرحلتَي الفتح الإسلامي وعصر الولاة

(21-184هـ/642-800م)

الدكتور: رمضان فوزي

أستاذ محاضر - أ.

قسم التاريخ - جامعة الأغواط - الجزائر

البريد الإلكتروني: f.ramdani@lagh-univ.dz

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستعديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبارك وسلم تسليما كثيرا.

يستطيع الباحث الحاذق الوقوف على الزخم الكبير الذي أحدثته اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء عبر العصور الإسلامية على جميع الأصعدة الحضارية والثقافية والاجتماعية، ومع ذلك كانت ولا زالت هذه اللغة تواجه تحديات كبيرة ومتجددة، ما جعل دولة تشاد الشقيقة تنبئ للدود عنها وتؤكد مكانتها الرفيعة في المنطقة من خلال الاتحاد العام لمؤسسات دعم اللغة العربية في تشاد، الذي دعا إلى عقد هذا المؤتمر الدولي الكبير بالتعاون مع المؤسسات والهيئات الفاعلة والمهتمة بأمر اللغة العربية في إفريقيا والعالم العربي، فجاء هذا المؤتمر الراقى في موضوعه ليبحث في موضوع "اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء بين متطلبات الانتشار وتحديات الانحسار".

وإيماننا منا بقيمة هذا الحدث الهام في تاريخ اللغة العربية والانتصار لها، أحببنا أن تكون لنا مساهمة فيه من خلال ورقتنا البحثية التي أردنا من خلالها الوقوف على ظاهرة انتشار اللغة العربية بشمال إفريقيا خلال فترة حددناها بمرحلتَي الفتح الإسلامي وعصر الولاة، فجاء عنوان مداخلتنا "انتشار اللغة العربية في شمال إفريقيا خلال مرحلتَي الفتح الإسلامي وعصر الولاة (21-184هـ/642-800م)".

ولا يخفى على الباحثين أن هاتين المرحلتين كانتا بمثابة الأرضية الأولى لعملية التعريب التي ارتبطت بمجيئ المسلمين إلى هذه المنطقة لنشر الدين الإسلامي بين سكانه، خاصة بعدما صارت بلاد المغرب ولاية إسلامية، فخصها الخلفاء والولاة برعاية واهتمام كبيرين، وقاموا بإبنتاعات الوفود والبعثات لنشر اللغة العربية وتعاليم الدين الإسلامي بين سكان المنطقة، وهذا العمل كان له الدور الفعال في توسيع دائرة انتشار واستعمال اللغة العربية في أنحاء واسعة من المعمورة، بعدما كان منحصرًا في شبه الجزيرة العربية وأجزاء من العراق وبلاد الشام.

وتكمن أهمية الموضوع في أنه يعالج ويكشف عن الأرضية الأولى في نشر العربية في ربوع المنطقة، خاصة وأن المصادر التاريخية حفظت لنا أسماء كثيرة من الصحابة والتابعين الذين انبجروا لهذه المهمة، فضلًا عن الخلفاء والولاة، فكانت لهم البصمة الراسخة واليد الطولى في عملية التعريب التي هي مرتبطة أساسًا بنشر الدين الإسلامي بين سكان شمال إفريقيا.

وأردنا من خلال هذا الموضوع الإجابة عن الإشكالية المتمثلة في "ما هي القنوات التي تمت من خلالها عملية تعريب منطقة شمال إفريقيا خلال مرحلتَي الفتح الإسلامي وعصر الولاة؟"، ويندرج تحت هذه الإشكالية الرئيسية تساؤلات فرعية متمثلة في: - ما هو حظ الصحابة والتابعين في عملية التعريب؟.

- هل كان للخلفاء والولاة دور في ذلك؟.

- هل وجدت قنوات أخرى لهذه العملية؟.

وللإجابة على الإشكالية وفروعها تتبعت منهجًا يقوم على الاسترداد الذي يغلب عليه الوصف، وتقوم عليه الدراسات التاريخية لاسترجاع الحوادث المراد دراستها، كما اعتمدت على المنهج الإحصائي لإحصاء الخلفاء

والؤلاة والصحابة والتابعين ومن بعدهم، بحكم أن الدراسة تنبني على هذه الفئة، إضافة إلى ذلك وظفنا المنهج النقدي التحليلي الذي يعتمد على جمع المادة ونقدها وتمحيصها، فهو مناسبٌ لتحليل المعطيات والوصول إلى النتائج الصحيحة.

وبالنظر إلى طبيعة الموضوع والأهداف المرجوة منه، رأيت تتبّع خطة عمل مكوّنة من مقدّمة بالإضافة إلى ثلاثة محاور أساسية، المحور الأول جاء بعنوان: التركيبة السكانية والبيئة اللغوية لشمال إفريقيا عشية الفتح الإسلامي، في حين جاء المحور الثاني موسومًا ب: جهود الخلفاء والؤلاة في نشر العربية بالمنطقة، وختمنا البحث بمحور ثالث عنوانه ب: قنوات ووسائل أخرى للتّعريب في شمال إفريقيا خلال حقبة الدراسة، ثم خاتمة ضمّناها أهمّ النتائج المتوصّل إليها، وأنهينا البحث بجُملة من التّوصيات التي نرى ضرورة طرحها في هذا الملتقى المبارك. وسنأتي على بيان تفصيل ما ذكرناه في خطة بحثنا، وذلك كالتالي:

المحور الأول: التركيبة السكانية والبيئة اللغوية لشمال إفريقيا عشية الفتح الإسلامي

نتطرّق في هذه النقطة إلى التركيبة السكانية للمنطقة قبيل الفتح الإسلامي لها، من أجل الوقوف على اللّغات واللهجات السائدة فيها قبل نشر الإسلام بها، والذي يُسايِرُه في ذلك تعميم اللّغة العربية أيضًا، ونقول ابتداءً إنّ منطقة شمال إفريقيا يُقصدُ بها ليبيا ونوميديا وموريطانيا، ثم اتّسعت في العهد الروماني لتشمل كل النّطاق السّاحلي من طرابلس أو برقة إلى طنجة وسبّعة حتى المحيط الأطلسي، ونجد أنّ المؤرّخين والجغرافيين المسلمين قد استعملوا واعتمدوا هذا المدلول الواسع كابن عبد الحَكَم 1 والبكري 1، وغيرهما.

أمّا في العصر الإسلامي، فقد أطلق الفاتحون تسمية بلاد المغرب في القرن الأول للهجرة على ما كانت تدلّ عليه كلمة إفريقيّة، بعدما كان ذلك المصطلح-أي المغرب- يدلّ على الجزء الغربيّ من الدّولة الإسلاميّة، ويشمل مصر والشام وما اتّصل بهما حسب ما يؤكّده المؤرّخ ابن الأثير في سياق حديثه عن الفتنة الحاصلة بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان 1.

ثم نُعرّج في هذا الجانب إلى ما قصدناه في البداية من الحديث عن التركيبة السكانية لمنطقة شمال إفريقيا قبيل الفتح الإسلامي، حيث أتحدثنا المصادر التاريخية بتركيبة سكانية تمثّلت في:

أ-السكّان القدماء، ويُقصد بهم الأمازيغ، قال عنهم العلامة المؤرّخ ابن خلدون: "...هذا الجيل من الأدميين هم سكّان المغرب القديم، ملئوا البسائط والجبال من ثلّوله وضواحيه وأمصاره" 1.

ب-الروم (البيزنطيون)، وكان وجودهم بالمنطقة بعد الأمازيغ.

ج-الافارق أو الأفارقة، وهم بقايا شعب قرطاجيّة، تأثّروا بالحضارة البيزنطية والرّومانية وعندهم أخذوا المسيحية 1. ومن خلال هذه التركيبة البشرية التي استقرّت ببلاد شمال إفريقيا فإننا نستنتج لزامًا أنها أفرزت تعدّدًا في اللّهجات وتنوّعًا في اللّغات قبل أن تتعرّز باللّغة العربية والتي سيكون لها شأنٌ كبيرٌ في المنطقة وما جاورها صعودًا ونزولًا، ولكن قبل ذلك نرى أنّه يجدر بنا الإشارة إلى أن تلك اللّغات تمثّلت في البربرية أو الأمازيغية فضلًا عن الرّومانية والفينيقية أو البونيّة، وكذلك اللّيبية التي يرى البعض أنها اشتقّت من الفينيقية 1، وكان انتشارها بشمال إفريقيا نتيجة استعماراتٍ متعاقبةٍ عليها، حيث شهدت المنطقة مرور الدولة البونيقية (814-146 ق.م)، ثم الاستعمار

الروماني (146 ق.م-430م)، تلاه الاحتلال الوندالي (430-534م)، فالاستعمار البيزنطي (534-647م) 1، ولا يخفى على الباحثين تاريخيًا أنّ المغلوب مولعٌ بتقليد الغالب، والتقليد يمتد إلى تقمّص لغة العدو، وهذا ما أفرز لنا ذلك التنوع اللغوي الذي ذكرناه آنفاً.

وغيرنا من ذكر تلك اللّغات السائدة في شمال إفريقيا وإن كانت تحقّقها الكثير من الإشكالات التي تعيق تحديدها بدقّة- هو الوقوف على البيئة اللّغوية التي ستصطدم بها اللّغة العربيّة وستُمتلّ حجر عثرة ربّما أمامها في سبيل انتشارها، طبعًا مع مراعاة خصوصيّات العربيّة التي تُسايِر وتُرافق انتشار الإسلام بالمنطقة، حيث نرى بان انتشار اللّغة العربيّة وتقبّلها من سكّان المناطق المفتوحة هو من تقبّلهم للإسلام واعتناقهم له.

المحور الثاني: جهود الخلفاء والوُلاة في نشر العربية بمنطقة شمال إفريقيا خلال مرحلتي الفتح الإسلامي وعصر الوُلاة.

ونهدف من خلال هذا المحور الوقوف على الأرضية الأولى أو الجهود المتقدمة في نشر اللغة العربية بمنطقة شمال إفريقيا والتي كانت برعاية رسمية من الدولة الإسلامية، ممثلة في الخلفاء والوُلاة، حيث حفظت لنا كتب التاريخ أسماء عديدة لخلفاء ووُلاة ساهموا ورَعَوْا تلك العملية في بداياتها الأولى المتزامنة مع الفتح الإسلامي والتنظيم الإداري للمنطقة، ونشير ابتداءً إلى أن قدوم الجيوش الإسلامية الفاتحة لشمال إفريقيا يدخل في إطار استكمال مقصد رسالة الإسلام الرامية إلى نشره في ربوع المعمورة مصداقاً لقوله عز وجل: **سَمِحًا وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ٢٨ **سجى 1**، وبالتالي فإن قدوم هؤلاء الفاتحين كان في حقيقته حضاريًا بحثًا وليس استعماريًا كما يروج له البعض.

وممن حمل هم نشر الإسلام وتعميم اللغة العربية بالمنطقة القائد الفاتح عقبة بن نافع الفهري (ت 63هـ/683م)، فكان من استراتيجياته في ذلك بناء مدينة القيروان كإجراء عمليٍّ ضروريٍّ لتحقيق هدفه الذي لخصه في قوله: "إنَّ أفريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزًّا للإسلام إلى آخر الدهر" 1، وكان حريصًا على الدعوة إلى الله والتّمكن لدينه، فقد ثبت عنه أنه دار مع بعض جنده ومن معه من الصحابة والتابعين حول مدينة القيروان وهو يدعو لها ويقول: "يا رب املاها علمًا وفقهاً، واملاها بالمطيعين لك واجعلها عزًّا لدينك ودلاً على من كفر بك" 1.

ولا يخفى على كل ذي لب أن نشر الإسلام يُصاحبه التعريب مصداقاً لقوله عز وجل: **سَمِحًا إِنَّا جَعَلْنَا هُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ** ٣ **سجى 1**، فالتعريب ضروري من الناحية التربوية والتعليمية، وهذا ما جعل التّلازم واضحاً بين علوم القرآن الكريم والشريعة الإسلامية من جهة، وعلوم اللغة العربية من جهة أخرى، لدرجة أنه يصعب فصل أحدهما عن الآخر، ولهذا كان هناك تدافع من قِبل سكّان المناطق المفتوحة على تعلّم اللغة العربية والعناية بها، من أجل تحقيق العبادة، وتلاوة القرآن الكريم، ومن أجل فهم النصوص الشرعية، فكان من جرّاء ذلك نشأة علوم العربية من نحوٍ وصرفٍ، ولغةٍ ومعجمٍ، وأدبٍ وبلاغةٍ، كلّ ذلك وُجد ليقوم عليه درسٌ للعربية قوي 1. وجاء القادة بعد عقبة بن نافع على شاكلته في حمل هم الدعوة إلى الإسلام ونشر تعاليمه ومبادئه في ربوع شمال إفريقيا، ففي عهد الوالي والقائد موسى بن نصير وبعد أن أتم فتح بلاد المغرب الأقصى أوفد إليه سبعة عشر رجلاً من الفقهاء يعلمونهم القرآن الكريم وشرائع الإسلام فضلاً عن اللغة العربية، فتمّ إسلام أهل المغرب الأقصى علي أيدي هؤلاء، وكان ذلك سنة 92هـ/711م 1.

كما نجد أن من الخلفاء من كانت له يدٌ طوّلى في نشر اللغة العربية بالمنطقة والعمل على تعريبها، فهذا الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (حكم بين سنتي 99-101هـ/718-720م) الذي تشرب العلم من كبار العلماء والفقهاء، وعمل على تنشيط دعوة البربر للإسلام وتعليمهم اللغة العربية بإيفاده رفقةً وإليه على بلاد المغرب إسماعيل بن عبيد الله بعثةً مكوّنة من عشرة من التابعين ليُعلّموا البربر القرآن الكريم وأحكام الدين واللغة العربية، حتى يكون إسلامهم فهمًا وشغفًا له وحبًّا، ومن هؤلاء التابعين يذكر المؤرخون عبد الرحمن بن نافع، وسعد بن مسعود التجيبي، وإسماعيل بن عبيد الأنصاري المعروف بتاجر الله، وعبد الرحمن بن نافع التنوخي، وجُعثل بن عاهان بن عمير الرُّعيني، وحبان بن أبي جبلة القُرشي، وموهب بن جَبّى المعافري، وطلق بن جابان الفارسي، وبكر بن سودة الجذامي، وإسماعيل بن عبيد الله المخزومي الذي بنى جامع الزيتونة 1.

وإنّ المتأمل في سير هؤلاء التابعين يجد أنّهم حقّقوا غايتهم من بعثتهم فأسلم على أيديهم الكثير، ونشروا اللغة العربية في ربوع المنطقة، وكوّنوا من سكّان شمال إفريقيا من صار منهم حلقات في سلسلة علماء الدين واللغة العربية حتى أنّه نبغ منهم في أوائل الفتح الكثير، وضربوا بسهم وافر في ميدان البلاغة والفصاحة، ولا أدلّ على ذلك

من كُتِب التراجم التي حفظت لنا أسماء علماء كُثُر منهم نبغوا في علوم العربية، ومن خلالها عملوا على نشر علوم الشريعة وحافظوا على استمراريتها في شمال إفريقيا، بل وامتد نشاطهم إلى ما جاورها من مناطق أخرى، وصدق ابن خلدون حين قال: "اعلم أن حَمَلَة العلم في المِلَّة الإسلامية أكثرهم من العجم"1.

ونشير في نهاية هذه الجزئية إلى أن ظاهرة البعوث العلمية والإرساليات التي سبَّرها الخلفاء والوُلاة أسهمت إلى حدٍ كبير في الانتشار الطوعي للإسلام فضلا عن اللغة العربية التي سَيرَتها، خاصَّة وأنَّ الفاتحين لم يفرضوا على احد الدخول في الإسلام، بل كانت سياستهم مبنية على الآية الكريمة: **سَمَحَ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْإِلْغَى فَمَنْ يَكُفِّرْ بَالِطٍ غُوتٍ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ٢٥٦ سجى 1، كما أنَّ تلك الجهود تجعلنا نُسلِّم بما ذهب إليه الباحث محمود إسماعيل حين قال عن عمل عمر بن عبد العزيز في تعريب البربر بأنه: "جرى إسلام البربر وتعليمهم في سرعة وعمق وشمول على عكس دعاوى بعض المستشرقين الذين ذهبوا إلى أن حركة التعريب لم تُسَير انتشار الإسلام في المغرب، وإنَّ البربر لم يتعلَّموا اللغة العربية إلا في وقت متأخر"1.

المحور الثالث: قنوات ووسائل أخرى للتعريب في شمال إفريقيا خلال مرحلتى الفتح الإسلامي وعصر الولاية.

أثناء البحث والتفقيب في سيرة انتشار اللغة العربية بشمال إفريقيا وجدنا أنَّ عملية التعريب اعتمدت قنوات ووسائل متعدِّدة ومتنوّعة على غرار الجانب الرّسمي الممَثَّل في السلطة السياسية كما تقدّم بيانه، وتمكنت العربية من الانتشار، ودخلت بيوتًا لا عماد لها، فوطدت أركانها، وزاد إقبال الناس على تعلّمها، فانصهروا في بوتقتها ولم يتمكن الإفريقي أن يقرأ القرآن أو يتفقه في الدين، إلا إذا أخذ قسطا وافرا من اللغة العربية، ومن بين القنوات والوسائل التي اعتمدت في ذلك نذكر:

أ- **المسكوكات:** تُعتبر المسكوكات أو العملة من الأوجه الحضارية لأيّ دولة، فعليها تتحدّد بعض ملامح الهوية، فضلا عن اعتبارها قناة تُمرر من خلالها بعض المعاني والأفكار التي تُبيّن توجّه الدولة السياسي والديني وغيرها، وقد وجدنا هذا واضحا في المسكوكات الإسلامية خلال الفترة المعنية بدراستنا في هذا البحث، ما جعلنا نعتبرها في نظرنا قناة من قنوات نشر اللغة العربية بمنطقة شمال إفريقيا، وقد أفادنا الباحثون المتخصّصون في هذا المجال بأنه وُجدت دنانير عربية ضُربت في عهد والي المغرب حسان بن النعمان الغساني بين سنتي 80-85هـ/699-704م، بعضها حمل اسمه، كما وُجدت نقود حملت اسم والي الذي بعده وهو موسى بن نصير بين سنتي 93-95هـ/712-714م، زد على ذلك النقود التي قام بسكّها بالمشرك الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (حكّم بين سنتي 65-86هـ/685-705م)، فقد تمّ تداولها في إفريقيا أيضا، وكانت تلك الدنانير والدرهم تحمل عبارات عربية خاصة بعد سنة 102هـ/720م، ومن العبارات التي كُتبت عليها (بسم الله الرحمن الرحيم)، (ولم يكن له كفوا أحد)، (لا إله إلا الله وحده لا شريك له)1، وبالتالي فإننا نقول إنَّ العملة كانت من وسائل تمرير وترسيخ اللغة العربية بين شعوب المنطقة، وإضفاء عبارات ذات دلالات دينية من شأنه أن يجعل قبولا للتعامل بها بين المسلمين الجدد.

ب- **القوافل التجارية:** لا يخفى على الباحث في التاريخ أن لهذه الفئة الدور الكبير الفعال على مر الأزمنة والعصور في التفاعلات الحضارية المختلفة، وقد كان لهم الباع الطويل في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية بشمال إفريقيا، فكانت أينما حلّت تركت بصماتها بإنشائها مراسي لسفنها ومراكز تجارية، ومن إفرازاتها في مجال اهتمامنا أنها استطاعت أن تنقل الدِّين الإسلامي إلى مملكة غانا الوثنية التي قاومت في البداية التوسُّع الإسلامي، ولكنها لم تستطع أن تصمد أمام التيار الإسلامي الذي بدأ منذ القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، عقب حملات عقبة بن نافع، الذي دخل إلى غرب القارة ووصل إلى بلاد التكرور وإلى غانا التي ضمت جالية إسلامية في عام 60 هجري1.

ج- **المساجد والكتاتيب:** تُعتبر المساجد والكتاتيب من المراكز العلمية الأولى التي احتضنت العمليات التعليمية في الحضارة الإسلامية، كيف لا؟، وقد ارتبط انتشار الإسلام بتشييد المساجد جريًا على سيرة النبي ﷺ في ذلك بعد هجرته إلى المدينة المنورة، حيث قام بأول عمل فيها وهو بناء مسجده بالمدينة ليكون له مركزا في تعليم الصحابة وسياسة أمور الدولة، وغيرها من الأمور.

ومن المساجد التي لعبت دورًا فعالًا في احتضان النشاطات العلمية بشمال إفريقيا جامع القيروان الذي اختطّه عقبة بن نافع الفهري، وأهميته لم تقتصر على المغرب الأدنى فحسب، بل امتدّت إلى سائر بلاد المغرب والأندلس وغيرها من المناطق المجاورة¹، ويذكر الدّباغ إشارة مهمّة عن حجم نشاط جامع القيروان العلمي، حيث ذكر احتواءه السّواد الأكبر من العلماء المحلّيين والوافدين، وروى حديثًا لأحد علماء وقضاة القيروان البارزين، وهو القاضي عبد الله بن غانم (ت190هـ/806م)، الذي أدرك عصر الوّلاة العبّاسيّين بشمال إفريقيا وبالتحديد المهالبة منهم، يتلخّص في أنّه "انصرف يومًا من جامع القيروان الأعظم بعد صلاة الجمعة، فدخل عليه بعض أصحابه، فسأله ابن غانم: حضرت اليوم الجامع؟، قال: نعم، قال: كيف رأيته؟، قال: رأيته أصلحك الله به سبعين قلنسوة تصلح للقضاء، وثلاثمائة قلنسوة فقيه، فترجّع ابن غانم، وقال: مات الناس"1، وهذا وإن دلّ على شيء فإنما يدلّ على مدى الفاعلية العلمية الكبيرة وإن شهدت تراجعًا حسب تأسّف ابن غانم- التي احتضنها ذلك الجامع خلال تلك الحقبة، ولا شك أنّ اللغة العربية قد نالها نصيبٌ كبير، فهي وعلوم الشريعة متلازمان لا يكادان ينفصمان.

كما نجد أن بعض التابعين ممن استقر في القيروان أسّس مسجدا عُرف بمسجد ابن عياض، واتخذ مركزا لتعليم البربر كأبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المُعافري، وكان من المُبتعثين من قِبَل الخليفة عمر بن عبد العزيز، وانتفع به أهل افريقية انتفاعا علميا كبيرا على مستوى اللغة العربية والعلوم الدينية¹.

واستمرّ الحال بالنسبة لباقي المناطق الإفريقيّة التي شهدت تشييدًا للمساجد، فنجد التّابعي إسماعيل بن عُبيد المعروف بتاجر الله، بنى جامع الزيتونة سنة 91هـ/710م، وهو أحد المساجد السبعة بالقيروان آنذاك¹، وما نجزم به أن حلقات تعليم اللغة العربية لم تنقطع بتلك المساجد خلال الحقبة المعنيّة بدراستنا، جنبًا إلى جنب مع العلوم الدّينيّة، لتلازمهما مع بعض، فلا غنى لعلم عن الآخر خاصّة عند المسلمين الجدد الذين كان إقبالهم على الدّين الإسلامي يستوجب منهم فهمه عن طريق تعلّم اللغة العربية، - فأئى مسلم بغضّ النّظر عن لغته الأصليّة- لابدّ له من تعلّم بعض العبارات العربيّة، مثل الشهادتين "أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله"، أو عبارة التحية "السلام عليكم"، أو البسملة، أو غيرها، كما يجب عليه حفظ الفاتحة وبعض الآيات القرآنية باللغة العربيّة؛ حتى يستطيع أن يؤدّي صلاته، ومن أراد أن يزداد تفقّها في شؤون دينه فعليه أن يزداد علما باللغة العربيّة.

أمّا عن الكتاتيب فلم يخلُ منها مَصْرٌ إسلاميٌّ إلى يومنا هذا، وعن بنائها في بلاد المغرب وشمال إفريقيا، فيذكر المؤرّخون أنّ العرب لما فتحوا إفريقيا واختطّوا القيروان لم يمض ربع قرن على تأسيسها حتى وُجد بها كتاتيب، وكان عددها يزداد ويكثر بانتشار العمران في شمال إفريقيا، وأنّ السّكان الأصليين من أفارقة وبربر كانوا يتزاحمون أفواجا على الدّخول في الإسلام، وإرسال أبنائهم للتعلّم في تلك الكتاتيب التي تضمن لهم تعلّم اللغة العربيّة وما يلحق بها من علوم يُحتاج إليها¹.

الخاتمة:

نخلّص في نهاية هذه الدّراسة إلى جملة من النتائج، منها أنّ مرحلتا الفتح الإسلامي وعصر الوّلاة كانتا بمثابة الأرضيّة الأولى لعملية التّعريب بشمال إفريقيا، خاصّة بعدما صارت بلاد المغرب ولاية إسلامية.

كما لمُسنا حرص الخلفاء والوّلاة على عملية التّعريب لاستكمال المقصد الأساسي من الفتح الإسلامي، فقاموا بابتعاث الوفود والإرساليات لنشر اللغة العربيّة وتعاليم الدّين الإسلامي بين سكّان المنطقة، وهذا العمل كان له الدّور الفعّال في توسيع دائرة انتشار واستعمال اللغة العربيّة في أنحاء واسعة من المعمورة، بعدما كان منحصرًا في شبه الجزيرة العربيّة وأجزاء من العراق وبلاد الشام.

وخلّصنا أيضا إلى أن التّعريب لقي الترحيب من قِبَل سكان المنطقة، فكان دخولهم الإسلام أفواجا أفواجا يُسايروه إقبال كبير منهم على تعلّم اللغة العربية التي بها يفهمون أمور دينهم، ويتعبّدون بها ربّهم، خلاف ما يُروّج له بعض المستشرقين الذين قالوا عكس ذلك.

تبيّن لي كذلك أنّ عملية التعريب اعتمدت قنوات ووسائل متعدّدة ومتنوّعة على غرار الجانب الرّسمي الممثّل في السلطة السّياسية، فكانت المسكوكات والقوافل التّجاريّة والمراكز العلميّة كالمساجد والكتاتيب ذات فاعليّة كبيرة في هذا الجانب.

التوصيات:

من جملة التوصيات التي تُوصي بها في هذا المؤتمر الراقى بموضوعه، ضرورة نفض الغبار عن اللغة العربية من خلال الإشادة بمُنجزاتها التاريخية عبر العصور الإسلامية، كما نوصي أيضا في هذا الملتقى المبارك بضرورة الاستمرارية في تخصيص ملتقيات دولية وأيام دراسية لتدارس تلك المنجزات وإحيائها. ونُشدّد على ضرورة التنقيب في تاريخ اللغة العربية التي انبَنى عليها زخَمُ حضاريّ كبير، حتى يتم نفض ما ران على ثرائها من ضبابيّة ويُعيد إليها حياتها، ويبعث مجدها التّليد بالعودة إلى أيامها الطّافحة بالعطاء والتّميّز في المجال العلمي.

كما نقترح على الجهات الرسمية والمعنية في كل الدول العربية والإسلامية إنشاء مراكز بحثية رائدة خاصّة باللّغة العربيّة، والعمل على إعادة بعثها من جديد من خلال اختلاق قنوات ووسائل تُواكب متطلّباتها في هذه المرحلة.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1. ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت630هـ/1233م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط01، 1417هـ/1997م.
2. ابن خلدون ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1405م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط02، 1408هـ/1988م.
3. ابن خلدون ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط01، 1425هـ/2004م.
4. ابن عبد الحكم (ت257هـ/871م)، فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، د.ت.
5. ابن عذارى أبو عبد الله محمد المراكشي (ت نحو 695هـ/1296م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط03، 1983م.
6. البكري أبو عبيد (ت487هـ/1094م)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.
7. حسين مؤنس، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.
8. الدّباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (ت696هـ/1297م)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: إبراهيم شبوح، مكتبة الخانجي، مصر، ط02، 1388هـ/1968م.
9. سليمان بن إبراهيم بن محمد العابد، عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، كتاب إلكتروني من المكتبة الشاملة.
10. عبد اللطيف الركيك، الكتابتان البونوية والليبية بشمال إفريقيا: إشكالية الأصل ومسألة التفاعل، مجلة أسيناك، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، ملف العدد: التعدد اللغوي بشمال إفريقيا تنسيق: المحفوظ أسمهري، العدد 11، 2016م.

11. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وشوقي الجمل، دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، 1998م.
12. محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط02، 1406هـ/1986م.
13. محمد باقر الحسيني، تطور النقود العربية الإسلامية، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، العراق، ط01، 1969م.
14. محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين، تحقيق: محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية، تونس، ط02، 1392هـ/1972م.
15. محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تالوت الثقافية، الجزائر، د.ت.
16. موسى لقبال، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط02، 1981م.
17. الملي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت.
18. يوسف بن احمد حوالة، الحياة العلمية في افريقية (المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري (450/90هـ)، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1421هـ/2000م.

السياسة الاستعمارية الأوروبية اتجاه اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء خلال القرن 19 والقرن 20 م .

الباحث: سعيد فرج - ليبيا

رقم الهاتف 0662885503

البريد الإلكتروني : saidferedj@gmail.com

الملخص

ساهمت العديد من العوامل الداخلية والخارجية في انتشار اللغة العربية في منطقة إفريقيا جنوب الصحراء حيث شهدت المنطقة حضور اللغة العربية كلغة للتدين وللتواصل وكأداة للتعليم في المؤسسات والمراكز التعليمية التقليدية، إلا أن بروز ما يعرف بالظاهرة الاستعمارية الأوروبية خلال القرن 19 و20م، التي وقعت على إثرها العديد من بلدان المنطقة في يد الاحتلال الأوربي ساهم في تراجع انتشار اللغة العربية واستعمالها بسبب السياسة التي اعتمدها الاستعمار الأوروبي والقائمة أساساً على محاولة القضاء على وجود اللغة العربية في مستعمراتها في مقابل استبدالها بلغته، رغم كل تلك المحاولات بقيت شعوب المنطقة محافظة على اللغة العربية رغم العديد من المشاكل التي وجهتها هذه اللغة بعد الاستقلال، مما دفع شعوب المنطقة لمضاعفة الجهود لأجل محو الآثار السلبية للسياسة الاستعمارية الأوروبية اتجاه اللغة العربية، والسعي لضمان بقائها وفعاليتها في المنطقة .

الكلمات المفتاحية : اللغة العربية، إفريقيا جنوب الصحراء، الاستعمار، القرن 19 و20.

Many internal and external factors contributed to the spread of the Arabic language in sub-Saharan Africa, where the region witnessed the presence of the Arabic language as a language of religiosity and communication and as a tool for learning in traditional educational institutions and centers. From the countries of the region in the hands of the European occupation, it contributed to the decline in the spread of the Arabic language and its use due to the policy adopted by European colonialism, which is based mainly on the attempt to eliminate the presence of the Arabic language in its colonies in exchange for replacing it with its own language. The problems faced by this language after independence, which prompted the peoples of the region to redouble their efforts to erase the negative effects of the European colonial policy towards the Arabic language, and seek to ensure its survival and effectiveness in the region

Keywords: Arabic language, sub-Saharan Africa, colonialism, 19th and 20th centuries.

مقدمة:

تعتبر اللغة من أهم مكونات الثقافة أو الهوية باعتبار أن الثقافة هي الكل الشامل المعقد الذي يصوغ شخصية الفرد والمجتمع واللغة هي إحدى أهم هذه المكونات، وفي إطار الحديث عن أهمية اللغة في تكوين شخصية وهوية الشعوب نؤكد على أن اللغة العربية من أهم المكونات الرئيسة للثقافة والهوية الإسلامية في مختلف الأقطار التي تسكنها الشعوب التي تنطق بالعربية، كون أن اللغة العربية ليست لغة الجنس العربي وحسب وإنما هي لغة الرسالة الإسلامية المبعوثة للإنسانية جمعاء، لذلك فإن اللغة العربية لازمت الإسلام أينما حل ووجد، والإسلام اعتمد وارتكز على اللغة العربية في انتشاره وتمكن الأعاجم من معرفة كل ما يتعلق به بفضلها .

ولما كانت اللغة العربية هي لغة الدين الإسلامي ولما كانت رسالة الإسلام موجهة للإنسانية جمعاء فإن اللغة العربية تواجدت في مختلف بقاع العالم بوجود الإسلام فيها، كان من تلك المناطق منطقة إفريقيا جنوب الصحراء، حيث شكلت اللغة العربية مكون رئيسي في هوية وثقافة شعوب تلك المنطقة، لكن مع بروز ظاهرة الاستعمار الأوروبي خلال القرن 19 و20م تعرضت اللغة العربية في هذه المنطقة لمحاولة طمسها، وإقصائها من الوجود في ثقافة وهوية شعوب المنطقة المستعمرة عبر انتهاج سياسة مدروسة في مجال الإدارة والتعليم وكل مجالات الحياة، ورغم ذلك حافظت شعوب منطقة إفريقيا جنوب الصحراء على اللغة العربية طيلة التواجد الأوروبي في المنطقة، ورغم

التراجع في استعمالها مقارنة بفترة ما قبل الاستعمار نتيجة السياسة الاستعمارية إلا أنها بقيت حاضرة، حيث قاومت شعوب المنطقة الاستعمار حتى نالت استقلالها، وبعد تحقيق الاستقلال واجهت العديد من المشاكل التي تركها الاستعمار كان من أهمها مشكلة اللغة، حيث اختلفت الرؤى بين من يرى في لغة المستعمر اللغة الأمثل للتبني كلفة ثقافية، وهوية، وتواصل، وبين من يرى في اللغة العربية واللغات المحلية النموذج الذي يجب تبنيه، وهذه ظاهرة عامة مرتبطة بجميع الشعوب التي تعرضت للاستعمار في القارة الإفريقية جنوبها وشمالها . انطلاقاً مما سبق ذكره سنحاول في بحثنا هذا معالجة الإشكالية التالية : ما هو واقع اللغة في منطقة إفريقيا جنوب الصحراء قبل وأثناء وبعد الاستعمار الأوروبي خلال القرن 19 و20م ؟ وبغية معالجة هذه الإشكالية قسمنا بحثنا هذا إلى العناصر التالية:

- 1 - واقع اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء قبل الظاهرة الاستعمارية
- 2 - طبيعة السياسة الاستعمارية اتجاه اللغة العربية في منطقة إفريقيا جنوب الصحراء
- 3 - واقع اللغة العربية في بلدان منطقة إفريقيا جنوب الصحراء بعد نيل استقلالها

نبدأ بالعنصر الأول :

أولاً - واقع اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء قبل الظاهرة الاستعمارية

إن وجود اللغة العربية وانتشارها بين شعوب المنطقة كان مرهوناً ومرتبئاً بمدى درجة انتشار الإسلام بين شعوب هذه المنطقة، ذلك راجع إلى كون اللغة العربية هي الوسيلة التي تمكن تلك الشعوب من معرفة مبادئ الإسلام ومصادره المتمثلة في القرآن والسنة النبوية الصحيحة، وبدون معرفة اللغة العربية يصعب عليهم التعرف على الإسلام ومصادره، كما ساهمت مجموعة من العوامل في انتشار اللغة العربية في هذه المنطقة كان من بين أهم هذه العوامل :

- توافد العناصر العربية من شبه الجزيرة العربية إلى منطقة إفريقيا جنوب الصحراء حتى قبل ظهور الإسلام وازدادت بعد ظهور الإسلام، وكذلك من بلدان شمال إفريقيا وعلى رأسهم مصر، حيث ساهم الاتصال بين العناصر العربية الوافدة والسكان المحليين في انتشار العديد من مفردات اللغة العربية في وسط اللغات المحلية، وتمكن الكثير من سكان المنطقة تعلم اللغة العربية¹، ويظهر التأثير العربي في لغة سكان منطقة إفريقيا جنوب الصحراء أن لغة الشرق الإفريقي المعروفة بالسواحلية تشكلت عن طريق الامتزاج بين لغة العرب ولغة الزنوج الأفارقة، كما شكل العرب الوافدون مستوطنات ومستقرات في جهات عديدة من مناطق إفريقيا جنوب الصحراء قرب ضفاف البحيرات وهذا ما سمح لهم بالاحتكاك أكثر بسكان المنطقة¹.

الدور الكبير الذي قامت به الطرق الصوفية في نشر الإسلام واللغة العربية بين شعوب منطقة إفريقيا جنوب الصحراء، حيث توغلت هذه الطرق إلى عمق الصحراء، من بين الطرق التي كان لها إسهامات في نشر اللغة العربية مريدي الطريقة القادرية التي تنسب "إلى عبد القادر الجيلاني، كذلك كان للطريقة السنوسية لصاحبها محمد بن علي السنوسي دور كبير في نشر اللغة العربية، كذلك نجد جهود الطريقة التيجانية التي تنسب إلى أحمد التيجاني، كما نجد كذلك إسهامات الطريقة المريدية لأحمد بامباباكي¹، منهم من كانت له جهود مباشرة في المنطقة حيث تواجد بها مثل محمد بن علي السنوسي، وأحمد بامباباكي ومنهم من تواجد مريدي الطريقة في المنطقة¹.

- دور الدعاة الذين كانوا يتوجهون إلى منطقة إفريقيا جنوب الصحراء رفقة القوافل التجارية أو بجهودهم الشخصية في التنقل والترحال لأجل نشر رسالة الإسلام التي لغتها العربية وكذا اللغة العربية¹، ساهمت الأخلاق التي كان يتمتع بها هؤلاء الدعاة في زرع المحبة والقبول لدى شعوب منطقة إفريقيا جنوب الصحراء، هذا الأمر دفعهم لتعلم العربية وتعلم مبادئ الإسلام من خلالها .

- ساهمت كذلك القوافل التجارية التي كانت تتجه من مصر متجهتا إلى جنوب السودان ومنها صوب الجنوب تتوغل في إفريقيا وتصل حتى كردفان ودارفور، كذلك القوافل التي كانت تفر إلى المنطقة انطلاقاً من بلدان شمال إفريقيا، حيث كان هؤلاء التجار خير سفراء للغة العربية لدى شعوب تلك المنطقة، مما جعل الكثير منهم يقبل على تعلم اللغة العربية¹.

وعن أثر العرب في نشر العربية في إفريقيا وعن أثر العروبة في القارة الإفريقية يقول جرانفيل الكونغولي: "لقد زور البلجيك في الكونغو، فليست مدينة ستانلي قبل سوى مدينة تيبوتيت وهو الزعيم حميد بن محمد المرجبي العماني العربي، الذي أقام هذه المدينة قبل قدوم الرحالة ستانلي، وليس العرب كما لنا تجار رقيق وإنما هي تلك الموجة

الإنسانية التي اختلطت بنا وصاهرتنا وتركوا لنا لغة متولدة من لغتهم - يقصد بها السواحيلية- وديناً وحضارة وسماحة تسري بين الناس" 1.

أما العوامل التي ساعدت في انتشار اللغة العربية وهي تلك المرتبطة بجهود شعوب تلك المنطقة فنذكر منها :
- القابلية لدى شعوب المنطقة لتعلم اللغة العربية والتفاعل معها بإيجابية باعتبار أنها لغة الدين الإسلامي هذا الأمر ساعد في احتضان اللغة العربية وتأييدها واستعمالها وانتشارها .

- دور طلبة العلم الذين كانوا يسافرون لمختلف مراكز الثقافية الإسلامية لأجل طلب العلم مثل الأزهر في مصر والقرويين في فاس وجامع الزيتونة بتونس حيث كانت هذه المراكز قبلة طلبة العلم من مختلف بلدان إفريقيا جنوب الصحراء مثل الصومال، السودان، دار فور نيجيريا، مالي، التكرور¹، وغيرها وبطبيعة الحال كانت لغة تلك المراكز هي العربية، وبعد عودة هؤلاء عملوا بلا شك على نشر اللغة العربية وتأييدها لدى بلادانهم وأهاليهم .

- ساهم الحجاج الأفارقة الذين كانوا يتوجهون كل عام لأداء مناسك الحج في نشر اللغة العربية، ذلك أن الحج كان بمثابة مؤتمر سنوي يجتمع فيه العرب والمسلمين من مختلف بقاع العالم الإسلامي يتبادلون الأفكار واللغات واللهجات، وبطبيعة الحال كان العنصر العربي حاضراً بقوة أثناء الحج، هذا ما ساعد الحجاج الأفارقة على تعلم اللغة العربية والكثير من مفرداتها، وبعد رجوع هؤلاء من حجهم كانوا يحدثون بما سمعوه وتعلموه أثناء رحلاتهم الحبية أو الحجازية، كان من تلك الأخبار اللغة العربية وجمال مفرداتها، هذا ما ساعد في ترغيب سكان المنطقة لتعلم اللغة العربية وتأييد نشرها .

- كما ساهمت المراكز والمؤسسات التعليمية المختلفة في تعليم اللغة العربية بغية تعلم مبادئ الدين الإسلامي مثل الزوايا التي أقامت الطرق الصوفية وكذا في المساجد التي صاحبت وجود الدين الإسلامي في المنطقة .
وبالتالي فإن واقع اللغة العربية كان يتميز بالحضور في وسط تلك الشعوب حيث كان حضور اللغة العربية باعتبارها لغة للتدين بالدين الإسلامي، وأداة للتعليم في المؤسسات التعليمية التقليدية، وأداة تواصل مشتركة بين شعوب تلك المنطقة المتدينون بالدين الإسلامي.

ثانياً - طبيعة السياسة الاستعمارية الأوروبية اتجاه اللغة العربية في منطقة إفريقيا جنوب الصحراء

نتيجة العديد من العوامل الداخلية والخارجية التي عرفت أوروبا خلال القرن 18 و19م كان أبرزها الثورة الصناعية وما أفرزته من احتياجات للمواد الأولية ولليد العاملة والسوق التي تُسوق فيها منتوجاتها، ورغبة في تلبية هذه الاحتياجات ظهرت العديد من الرؤى والتوجهات التي أكدت على ضرورة تبني فكر استعماري موجهة خارج القارة الأوروبية وخاصة إلى القارة الإفريقية بما فيها منطقة إفريقيا جنوب الصحراء.

لقد أصبح الاستعمار 1 عند المنظرين الاستعماريين وفي نظر السياسيين والعسكريين الأوروبيين خلال القرن 19 م يعتبر مطلباً من مطالب المجتمع الإنساني، ومطمحاً طبيعياً للأجيال الصاعدة في الهجرة نحو آفاق بعيدة، ومن ناحية أخرى فهو حسبهم ضرورة إقتصادية لاستغلال المواد الأولية في الدول غير الأوروبية، واستثمار خيراتها ما دامت شعوبها قاصرة عن استغلالها بنفسها، إن هذه الخيرات بمفهوم الاستعمار ليست ملكاً للشعوب الإفريقية وحدها، بل ملك الإنسانية كلها، فالإقبال على استثمار كنوز التي بين أيدي الشعوب الضعيفة من طرف الاستعمار والعمل على تعميم منافعها على المجتمع ليست عملية سطو واستحواذ وهو يدخل في إطار "حق القوي على مساعدة الضعيف وليس حكم القوي على الضعيف" 1.

من هذا المنطلق المصلحي الذي اقتنع به هؤلاء الأوروبيين تكالبت الحملات الأوروبية على منطقة إفريقيا جنوب الصحراء واشتد التنافس عليها وظهر ذلك جلياً في مؤتمر برلين 1884-1885م حيث اجتمعت فيها كلمة الدول الأوروبية على احتلال مناطق إفريقيا وإفريقيا جنوب الصحراء بينها البين، وزداد هذا الأمر تثبيتاً في مؤتمر بروكسل 1890م حيث وضعت قارة إفريقيا على طاولة المفاوضات وقُسمت على إثرها البلدان الإفريقية بما فيها بلدان إفريقيا جنوب الصحراء إلى مناطق نفوذ بين الدول الأوروبية 1.

وقعت العديد من دول إفريقيا جنوب الصحراء تحت سلطة الاستعمار الأوروبي مع نهاية القرن 19 ومطلع 20م حيث امتد النفوذ الفرنسي إلى السنغال، موريتانيا، وغينيا، وساحل العاج، داهومي، النيجر، فولتا العليا، تشاد، وسط إفريقيا، الكونغو، جابون، الصومال 1، بينما تحركت بريطانيا عبر السودان إلى شرق إفريقيا (كينيا ويوغندا) ثم جنوب القارة عبر الروديستيين وحتى الكاب، وفي غانا ونيجيريا، وركزت ألمانيا على التوجو والكامرون وتنجانيقا وجنوب غرب إفريقيا بينما استقرت بلجيكا في الكونغو وسيطرت البرتغال على موزمبيق وأنجولا، أما إيطاليا فقد قسمت في مرحلة تالية الصومال مع بريطانيا وفرنسا وسيطرت على إريتريا 1.

انتهى أمر تلك البلدان بوقوع العديد منها تحت يد الاحتلال الأوروبي، وبغية بسط النفوذ وفرض الذات انتهجت الدول الأوروبية المحتلة سياسة قائمة بالأساس على طمس معالم ثقافة وهوية شعوب تلك المنطقة من أجل ربطها بثقافتها وبحقلها الحضاري كي تصبح قطعة تابعة للاستعمار .

أدركت الدول الاستعمارية الأوروبية أن أهم عامل يساعدها في بسط نفوذها وتجنب ردة الفعل المناهضة لتواجدها في المنطق هي القضاء على مقومات هوية تلك الشعوب وعلى رأسها اللغة العربية، باعتبار أن اللغة هو رمز يعبر عن الهوية الأفريقية والانتماء الإفريقي للإسلام والعروبة .

لذلك عملت انتهاج سياسة نحو التعلم واللغة تهدف إلى التقليل من قيمة الحضارات والثقافات الوطنية في هذه المنطقة، وخاصة الثقافة العربية الإسلامية، كما استخدمت برامج و أساليب تهدف إلى نشر الثقافة الغربية واللغات الأجنبية، وقامت المؤسسات التبشيرية التي صحبت الاستعمار بنفس الشيء، حيث كانت تقوم بإنشاء المدارس التعليمية وخاصة وأنها تتلقى الدعم من الدول الأوروبية الكبرى 1.

لقد أدركت الدول الاستعمارية الأوروبية أن القضاء على اللغة العربية يجب أن يبدأ من التعليم لذلك انتهجت سياسة خاصة بالتعليم تقوم على أساس وضع قواعد لنشر المسيحية وإزالة العروبة، وكانت هذه السياسات تُرسم على أعلى مستوى وتتابع بواسطة المديرين ومفتشي المراكز، وأوضح ما يكون في هذه السياسات في شرق إفريقيا والصومال والسودان الشرقي إلى بقية أجزاء إفريقيا 1، كما أنها انتهجت سياسة خاصة في تعيين الموظفين في المجال التعليمي، حي أنه لا يمكن لأي فرد من شعوب مستعمراتها الإفريقية أن يتبوأ منصب في هذا المجال إلا بعد أن يجتاز امتحاناً باللغة الفرنسية، والعمل على حضر التعامل باللغة العربية واللغات المحلية في المدارس، إضافة إلى دعمها تشيد المراكز والمدارس التعليمية من أجل منافسة المدارس القرآنية 1.

كانت اللغة العربية من بين المستهدفين حيث عملت الدولة الاستعمارية على منع استعمالها في مجال الإدارة وفي مجال المؤسسات التعليمية التابعة لها، في مقابل تشجيع لغة المستعمر بهدف ترسيخها لدى شعوب تلك المنطقة بدل اللغة العربية، كما منحت العديد من الامتيازات للناطقين باللغة المستعمر في مقابل إقصاء النخب المستعربة، كما عملت على تكوين جيل يؤمن باللغة المستعمر في مقابل انتقاصه من اللغة العربية .

كانت من أشد أنواع السياسات الاستعمارية قساوة على شعوب منطقة إفريقيا جنوب الصحراء في المجال الثقافي المتعلق باللغة العربية هي فرنسا ولو أن الاستعمار ملته واحدة وكله حمل الشر لشعوب المنطقة، حيث انتهجت فرنسا سياسة تقضي بمحاولة صهر ثقافة الشعوب في بوتقة حضارية وثقافية لدرجة أن تصبح تلك الشعوب تابعة لثقافة ولغة الدول المستعمرة، أو ما يعرف بسياسة الإدماج مع الوطن الأم في الجانب الثقافي 1.

كان شعار الذي رفعت السلطات الاستعمارية الفرنسية في أدبيات فكرها الاستعماري "الفرنسة" على جميع الإفريقيين الخاضعين لسيطرتها، ومن الوسائل التي اتبعتها في سبيل تحقيق ذلك خلق مجموعة من الإفريقيين قادرة على استيعاب الثقافة الفرنسية، وأطلق على هذه المجموعة التي تمثل حلقة الوصل بين الإفريقيين والمستعمرين اسم "النخبة الممتازة" أو "الصفوة الممتازة" حيث كانت تعتبر السلطات الفرنسية هذه الفئة بمثابة شركاء صف في عملية النقل المستمر للثقافة والمدنية الفرنسية، غير أن الواقع كان عكس ذلك حيث تمسك الأفارقة رغم تعلمهم اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية إلا أنهم بقوا متمسكين بهويتهم المحلية إلا البعض منهم ممن انسلخوا في الثقافة الفرنسية 1.

كذلك كان الحال بالنسبة للدولة الاستعمارية الأوروبية منها ألمانيا حيث عملت هذا الأخيرة على وضع نظام تعليمي في مستعمراتها في منطقة إفريقيا جنوب الصحراء بهدف تحقيق الكفاية في العمال الإفريقيين، وطبقت في ذلك نظام حضوري إلزامي، كان يركز بالأساس على تعليم اللغة الألمانية 1، ونفي السياسة التعليمية والثقافية انتهجت الدولة الاستعمارية الأوروبية في المنطقة .

وخلاصة القول حول طبيعة السياسة الاستعمارية التي تبنتها الدول الاستعمارية الأوروبية في منطقة إفريقيا جنوب الصحراء اتجاه اللغة العربية، أن هذه الأخيرة قامت بوضع لغاتها في مكانة سامية في مقابل إقصاء اللغة العربية، لمعرفتهم أن اللغة أهداف متعددة منها ربط المستعمرات بالدولة المستعمرة حاضراً ومستقبلاً ربطاً لغوياً ومن ثم ربطها ثقافياً وفكرياً وهذا ما يساهم في الربط السياسي والاقتصادي كذلك 1.

ثالثاً - واقع اللغة العربية في بلدان إفريقيا جنوب الصحراء بعد نيل استقلالها

قامت شعوب منطقة إفريقيا جنوب الصحراء بالعديد من الثورات نالت على إثرها استقلالها كما ساهمت التغيرات التي عرفت الساحة الدولية في حصول شعوب المنطقة على استقلالها، إلا أن هذا الاستقلال كان مصحوباً بالعديد من المشاكل في مختلف مجالات الحياة، كان أهمها مشكل اللغة، حيث عملت الدول الاستعمارية أثناء تواجدها في المنطقة على إحداث خلل في التركيبة اللغوية لشعوب تلك المنطقة، بتشجيع الناطقين بلغاتها وإدماجهم في مختلف

المراكز الحكومية الحساسة وإقصاء النخب المتعلمة بالثقافة العربية وظهر على إثر ذلك التنافس حول فرض اللغة الوطنية بين من يرى اللغة العربية النموذج الأمثل، وبين من يرى في اللغة العربية واللغات المحلية النموذج الأمثل . لم تنتهي مؤامرات الدول الاستعمارية اتجاه اللغة العربية بعد خروجها من منطقة إفريقيا جنوب الصحراء، وإنما عملت جاهدة على ربط شعوب المنطقة بها ثقافياً وخاصة عن طريق اللغة، حيث سعت إلى إقامة اتحادات بينها وبين شعوب مستعمراتها السابقة تكون اللغة هي الأداة والعنصر المهم في هذه العلاقة .

كثفت شعوب المنطقة جهودها للتخلص من التبعية الثقافية للبلدان الاستعمارية وسعت لإحلال اللغة العربية محل اللغات الأوروبية حيث استطاعت العديد من دول المنطقة تحقيق ذلك، منهم مورتانيا، السودان، تشاد، وأصبحت متداولة بشكل كبير في بعض الأوساط مثل الصومال، إثيوبيا، إرتيريا، جمهورية إفريقيا الوسطى، تنزانيا، وتكاثفت جهود العديد من المؤسسات لجعل اللغة العربية العامل المشترك الذي يجمع شعوب المنطقة ويعزز وحدتها 1.

طرح العديد من الباحثين أنجع السبل للتخلص من الآثار السلبية التي خلفتها السياسة الاستعمارية اتجاه اللغة العربية في منطقة إفريقيا جنوب الصحراء، منها إنشاء معاهد متخصصة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، الاهتمام بإنشاء مناهج للغة العربية تتوافق وخصوصية المنطقة، إنشاء مكاتب خاصة بكتب اللغة العربية ومناهجها ووسائلها المختلفة، إنشاء أقسام للغة العربية في الجامعات الإفريقية، تشجيع الكتاب العربي بكل الوسائل، تكوين الجمعيات الأهلية لحماية اللغة العربية والدفاع عنها، وضع خطة لتعليم اللغة العربية عن طريق المذيع والتلفاز والحاسوب، تدعيم الروابط الأكاديمية بين الجامعات العربية مع نظيرتها الإفريقية، تقديم منح للطلبة الأفارقة للدراسة في الجامعات العربية 1.

خاتمة :

وختاماً لما سبق التطرق إليه نقول بأنه ساهمت مجموعة من العوامل في إيجاد ونشر اللغة العربية في منطقة إفريقيا جنوب الصحراء سواء الخارجية وهي تلك المتعلقة بمختلف الهجرات العربية التي كانت تتوافد على المنطق قبل الإسلام وبعده خاصة لأجل نشر رسالة الإسلام واللغة العربية، كما ساهمت القوافل التجارية وجهود الطرق الصوفية في نشر اللغة العربية في المنطقة، إضافة إلى دور المراكز الثقافية في بلدان العلماء الإسلامي كالأزهر والقرويين وجامع الزيتونة، وإلى جانب العوامل الخارجية وجدت كذلك عوامل داخلية مرتبطة بشعوب وطبيعة المنطقة، منها قابلية شعوب المنطقة لتعلم اللغة العربية، وكذا جهود طلبة العلم الأفارقة الذي كانوا يتوجهون لمختلف مراكز اللغة العربية، كما لا ننسى دور الحجاج الأفارقة في نشر اللغة العربية، ودور مختلف المؤسسات والمراكز في دعم تواجد وانتشار اللغة العربية .

هذه العوامل ساهمت في إيجاد اللغة العربية كمكون رئيسي لثقافة وهوية شعوب منطقة إفريقيا جنوب الصحراء حيث شهدت إقبال كبير على تعلمها ونشرها، إلا أن بروز الظاهرة الاستعمارية الأوروبية خلال القرن 19 و20م ووقوع العديد من بلدان إفريقيا جنوب الصحراء، كان له أثر سلبي على اللغة العربية، حيث انتهجت الدول الاستعمارية الأوروبية سياسية مدروسة بعناية وخاصة فرنسا تهدف لمحاولة القضاء على وجود اللغة العربية في المنطقة في مقابل استبدالها بلغته، وهذا ما أدى إلى تراجع وجود وانتشار اللغة العربية في تلك الفترة، ورغم كل هذه المحاولات ظلت شعوب المنطقة متمسكة باللغة العربية تدافع عنها وتسعى لمحو الآثار السلبية التي خلفتها السياسة الاستعمارية وذلك بدعمها ونشرها وتعزيز وجودها .

وفي الأخير وانطلاقاً من دراستنا المقدمة خلصنا إلى التوصيات التالية

- يجب أن يُنظر إلى اللغة العربية على أنها لغة العلم والحضارة ولغة الدين الإسلامي وليست لغة الجنس العربي فقط حتى يزول سوء الفهم على المتعصبين للعنصرية والقوميات الرافضين والمعرقلين لتعزيز تواجد اللغة العربية في المنطقة .

- تكثيف استعمال اللغة العربية في المجالات العلمية والنشاطات الثقافية من أجل إبراز دورها وأهميتها في الحضارة الإنسانية .

- تنظيم الملتقيات والتظاهرات العلمية التي تنوّه بالدور الحضاري للغة العربية في خدمة العلم والإنسانية .

- تشجيع كل الجهود الرامية لدمج تعميم اللغة العربية في مختلف مجالات الحياة .

- ربط أواصر التواصل بين العلماء ونخب بلدان إفريقيا جنوب الصحراء مع بقية العلماء والنخب العربية في كل بقاع العالم .

- قائمة المراجع

أ - الكتب

- 1 - وايد نر- دونالد ل، ترجمة علي أحمد فخري و شوقي عطا الله الجمل، تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، ج 1، مؤسسة سجل العرب، مؤسسة فرنكلين، القاهرة، 1986م .
- 2 - زبادية عبد القادر، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر .
- 3- زوزو عبد الحميد، تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009م .
- 4 - يحي جلال، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية 1999م .
- 5 - موسى فيصل محمد، موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة، 1997م .
- 6 - عبد الحليم رجب محمد، المسلمون في إفريقيا جنوب الصحراء، شركة سفير، القاهرة 1996م .

ب - المقالات

- 1 - سليمان حسن سيد، ظاهرة الاستعمار في إفريقيا والعالم العربي، مجلة دراسات إفريقية، ع 2، المركز الإسلامي الإفريقي، الخرطوم، 1986م .
- 2 - قاسمي لباس نايت، المحددات المؤثرة في السياسة الاستعمارية الفرنسية في غرب إفريقيا خلال نهاية القرن 19م، مجلة الدراسات التاريخية ، مج 3، ع 8، الجزائر، 2020م.
- 3 - شعيب أبو بكر عبد الله شعيب، اللغة العربية في إفريقيا، الواقع والتطلعات، مجلة قراءات، ع 5، 2010م .

اللغة العربية كلغة الطبقة المثقفة في الماضي والحاضر

الاسم واللقب: صونيا العايش

المؤسسة الجامعية: جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان - الجزائر

الرتبة العلمية: باحثة دكتوراه

رقم الهاتف: 00213 542 455 830 / 00213 675 022 454

البريد الإلكتروني: sonia.laiche326@gmail.com

الملخص:

تنطلق هذه الورقة البحثية من واقع اللغة العربية كلغة الطبقة المثقفة بين الماضي والحاضر، فمنذ أن أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تحكم العالم، أصبحت اللغة الانجليزية لغة المعاملات الاقتصادية والعلوم والتكنولوجيا وحتى المعاملات الاجتماعية بين أفراد المجتمع بعد أن كانت اللغة العربية لغة يتباهى بها كل من يتقنها نظرا لازدهار الذي مس كل المجالات في العصور التاريخية والإسلامية السابقة، فجاءت هذه المداخلة بهدف تسليط الضوء على بعض المفاهيم والممارسات الخاطئة سعيًا وراء فهم حقيقة الوضع الراهن للغة العربية في القارة الإفريقية وبالتحديد في شمالها وجنوبها وواقع اللغة العربية كلغة الطبقة المثقفة بين الماضي والحاضر كونها لغة منتشرة في جميع أنحاء العالم. ولهذا جاءت دراستنا متعلقة بطبيعة واقع اللغة العربية في المنطقتين الإفريقيتين بناءً على أن الاختلاف اللغوي والتلاقح الثقافي الذي عرفته أدى إلى نتائج أقل ما يقال عليها وخيمة وأن النهوض بلغاتها الأم واسترجاع هويتها يحتاج إلى تكاتف الجهود من طرف أصحابها والجهات الرسمية.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، الطبقة المثقفة، شمال وجنوب إفريقيا، واقع، الماضي والحاضر.

Abstract :

This research paper starts from the reality of the the arabic language as the language of the Intellectual Class between past and present, so since the American United States has ruled the world, the english language became the language of economic transactions, sciences, technology and even social interactions between people. the arabic language, after having been one of the most widely spoken languages that all its users brag about it, in view of the prosperity that have touched all domains in the previous historical and islamic eras, and for that reason, our study, will stand on some of the basic concepts that are concerned with the context of our research in order to well understand the current status of the Arabic language in Africa especially in its north and south part and the reality of arabic as the language of the intellectual class between past and present (based on the fact that) being a very common language in the whole world. And that is why, our study, is related to the nature of the arabic language in these two areas accordingly to the linguistic diffrences and the cross-cultural that these areas has known and look for the mechanisms that could promote their mother tongues.

Keywords : Araic language, intellectual class, north and south africa, reality, past and present

مقدمة:

تعرف اللغة على أنها أداة يستخدمها أفراد المجتمع للتعبير عما يدور حولهم من أحداث وتطورات تمس كل الميادين العلمية كانت أو اجتماعية، بغية تحقيق مبدأ التفاهم بينهم نظرا للتكوين الذي تعمل عليه من أجل تأسيس الترابط الاجتماعي وبما أنها تعرف على أنها نظام ينتقل من جيل إلى جيل يتكون من رموز وصيغ وقواعد ليس لها تحقق فعلي¹، فإن فصل اللغة عن المجتمع وثقافته أو تجاهل دورها يعد أمرا غير منطقيا. وإذا ما ذهبنا في رحلة تاريخية قصيرة المدى عن نشأة اللغة وتطورها عبر العصور، يمكننا تمييز نوعين من اللغة حسب مستعمليها، لغة بنو البشر ولغة الحيوانات والطيور والتي يشترك جميعها في ما يدعى بالأصوات وهذا حسب ما يراه العلماء والمهتمين بحقل اللغة واللسانيات، الذين يقرون بوجود نظريات علمية وفلسفية تبرر نشأتها وتاريخها. ولعل أكثر ما يهمنا في بحثنا هذا هو واقع اللغة العربية في الوطن العربي بصفة عامة وفي القارة الإفريقية، تحديدا بشمال إفريقيا وإفريقيا جنوب الصحراء بصفة خاصة. بناءً على أن لغات هذه المنطقة تتأرجح بين اللغة العربية والفرانكونية والأفريقانية وغيرها نتيجة الحروب التي شهدتها عبر محطات تاريخية مختلفة أدت إلى تراجع لغاتها الأم ودياناتها وفي المقابل تقدم لغات وديانات مستعمرها، ولهذا فإن تطرقنا لكيثونة المفاهيم المتعلقة بموضوع بحثنا والبحث في تفاصيلها وخصائصها التي تميزها عن غيرها يعتبر ضرورة حتمية لتحديد الفرق بين مكانتها في الماضي والحاضر والأسباب الضمنية الأخرى التي قلبت الموازين المتعارف عليها سابقا.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

1. بيان علاقة الطبقة الاجتماعية باللغة.
2. توضيح موقف العلماء والباحثين المنكبين على حقل الدراسات اللغوية من تراجع اللغة العربية.
3. التخطيط لاستراتيجيات مستقبلية للنهوض بها بعد تقييم النتائج الآنية بالاعتماد على الدراسات الحديثة.
4. البحث في التفاصيل التي أدت إلى تراجع اللغة العربية في المجتمعات الناطقة بها.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أنه:

1. الكشف عن مدى تأثير اللغة العربية الفصحى بالحروب التي عاشتها منطقتي شمال إفريقيا وإفريقيا جنوب الصحراء.
2. التأكيد على مكانة اللغة العربية قديما وطرق النهوض بها مجددا.
3. إلقاء الضوء على أهم التحديات التي واجهتها ولا تزال تواجهها العربية في وقتنا الحالي واقتراح حلول لها.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث الرئيسية في الفرق بين مكانة اللغة العربية في الماضي والحاضر وأسباب تراجع عدد الناطقين بها في منطقتي شمال إفريقيا وإفريقيا جنوب الصحراء وكيف ساهمت الحروب بطريقة سلبية في إضعاف اللغة العربية ونشر اللغة الأجنبية إلى أن أصبح دمج اللغتين مع بعض أثناء الكلام أمرا عاديا في الأوساط الاجتماعية وفي هذا الصدد جاءت إشكالية بحثنا مطروحة على هذا النحو متبوعة بجملة من الأسئلة الفرعية: ما هي الأسباب الفعلية التي جعلت اللغة العربية تعيش حالة تراجع في الدول الناطقة بها ؟ وهل الحروب هي السبب الرئيسي وراء ذلك أم هناك أسباب أخرى ؟ وفيما يتجلى الفرق بين ماضيها وحاضرها ؟

وللإجابة على إشكالية بحثنا الرئيسية وأسئلته الفرعية تم الاعتماد على المنهج الوصفي المقارن ونتائج الدراسات والأبحاث السابقة ومجموعة قيمة من الكتب التي تناولت كل تفاصيلها قصد الحصول على معلومات صحيحة يمكن أن يعتمد عليها كل باحث في بناء أسس علمية ومعرفة مدى تأثير هذه الأسباب على مكانة اللغة العربية في هذه المنطقة وكيف يمكن لها إحداث فوارق في الطبقات الاجتماعية والعلاقة بينهما، ولكن قبل ذلك لابد لنا أن نعرض على أهم المفاهيم الأساسية في موضوع بحثنا بغية الوصول إلى أهداف البحث المرجوة.

تعريف اللغة العربية ونشأتها:

تعريف اللغة لغة:

لغة: من لغا في القول لغا: أي أخطأ، وقال باطلا. ويقال: لغا فلان لغوا: أي أخطأ، وقال باطلا. واللغا: مالا يعتد به. يقال: تكلم باللغا ويقال سمعت لغاتهم: أي اختلاف كلامهم 1.

تعريف اللغة اصطلاحا:

ابن جني: أبرز تلك التعريفات وأوضحها هو ما ذكره ابن جني قائلا: أما حدها، اللغة فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم 1.

مفهوم اللغة العربية:

إن اللغة العربية لغة إنسانية حية، لها نظامها الصوتي والصرفي والنحوي والتركيب، كما لألفاظها دلالاتها الخاصة بها. إذ رأى العلماء أن كل خروج عن هذا النظام اللغوي المتكامل يعد لحناء، سواء أكان هذا الخروج بخلط الكلام بلغة أخرى، أم باستعمال اللفظة في غير موضعها، أم في مخالفة أي عنصر أساسي من عناصر كيانها اللغوي التي يميزها عن غيرها من اللغات الإنسانية 1. وبما أن اللغة العربية هي اللغة التي أنزل الله بها سبحانه وتعالى القرآن الكريم والتي تتميز بالمرونة والرقى لعدم تحريفها منذ نشأتها، أي أنها اللغة الوحيدة التي لم تعرف أي محاولة ناجحة لتحريفها، فإننا نرى بأن التعرّيج على مفهومها من نظرة الإسلام وتاريخ نشأتها أمرا حتميا ولا بد منه.

نشأة اللغة العربية:

نشأة اللغة:

وكما أشرنا سابقا في بداية المقدمة، أن العلماء والمهتمين بحقل اللغة واللسانيات يقرون بوجود نظريات علمية وفلسفية تبرر نشأتها وتاريخها ومن أهم النظريات العلمية التي تعتمد على الحجرة ومخارج الأصوات والعمليات العصبية لدينا:

نظرية المحاكاة والتقليد 1: والتي تقوم بناءً على تصور أن الإنسان أراد تقليد الأصوات من حوله، فجرب تقليد أصوات الحيوانات ومن هنا اكتشف حنجرته وبدأ يطورها ومع هذه المحاولات نشأت اللغة، بحيث لاقت هذه النظرية تأييد جملة من العلماء القدامى أمثال: الفراهيدي وتلميذه ابن سيويوه وابن جني ومن المحدثين: جبرسن وهيردر ومن العرب: إبراهيم أنيس وعلي عبد الواحد وافي.

ومن أهم النظريات الغير علمية لدينا:

النظرية الفلسفية لنشأة اللغة: وهي تلك النظرية المبنية على فكرة ما إن كانت اللغة فطرية أم مكتسبة والتي سارع إليها قدامى فلاسفة الإغريق وحاول إيجاد تفسير لها مكونين بذلك مدرستين، الأولى مدرسة القياسيين والتي ترى بأن اللغة كائن طبيعي يتبع نمطا منطقيا في تسمية الأشياء بمسمياتها وأن الإنسان من قام بتسمية الأشياء وفقا لاستخداماتها أو وظيفتها. أما المدرسة الثانية فهي مدرسة الوضعيين والتي ترجع نشأة اللغة إلى الفطرة الإنسانية.

أما إذا قمنا بالاطلاع على نشأة اللغة حسب ما جاءت به الأديان ومن زاوية آراء علماء الإسلام بصفة خاصة، فإننا نجد أن اللغة هي ميزة ونعمة وهب الله بها عباده ولا شأن لهم فيها سوى قيامهم بدور المتلقي أو المتعلم وخير دليل على ذلك قوله سبحانه وتعالى: "وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين" (سورة البقرة الآية 31) وفي الإنجيل ذكر أن "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله".

وعندما يتعلق الأمر بنشأة اللغة العربية في حد ذاتها، يتوجب علينا الإشارة إلى أن: الإنسان الأول هو آدم عليه السلام، وقد ورد ما يفيد ذلك في مواضع عديدة في القرآن الكريم، قال تعالى: "قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ" (سورة البقرة الآية 33)، حيث

تعد من أقدم اللغات في العالم رغم أسبقية اللغة اليونانية والعبرية والسانسكريتية واللاتينية في تدوينها كلها قبل اللغة العربية بقرون كثيرة، وانطلاقا مما سبق، قام علماء اللغات بتقسيم اللغة إلى ثلاثة أقسام: سامية وحامية وياقثية ولعل أكثر ما يهتما هو السامية التي تدعى أيضا باللغات الأعرابية والتي تشمل اللغة العربية والحميرية والعبرية والآرامية والبابلية 1.

ولو تم اعتماد المنهج العلمي والنظر فيما توصلت إليه علوم اللسانيات، والآثار، والتاريخ، فإن جل ما يمكن قوله أن اللغة العربية بجميع لهجاتها انبثقت من مجموعة من اللهجات التي تسمى بلهجات شمال الجزيرة العربية القديمة وهو الأغلب، وبعضها من جنوب البلاد، امتزجوا مع بعضهم البعض حتى صاروا لغة واحدة 1.

وهكذا وبعد تطرقنا لنشأة اللغة واللغة العربية وأهم نظرياتها التي تعنى بها كالنظرية العلمية والفلسفية التي جاء بها نخبة من علماء اللغة واللسانيات ومفهومها من الناحية الدينية كونها لغة الإسلام والمسلمين، نستنتج أنها لغة سامية وراقية اصطفى بها الله عباده ووهبهم إياها دون عناء.

نبذة تاريخية عن القارة الإفريقية: دول المغرب العربي وإفريقيا جنوب الصحراء أنموذجاً

تقع هاتين المنطقتين في القارة الإفريقية وتتميز كل واحدة منهما بجملة من الخصائص الطبيعية والاجتماعية والثقافية ... الخ، إلا أن الخاصية التاريخية تعد القاسم المشترك والعنصر الذي يجمع بينهما نتيجة الحروب التي شهدتها كلا المنطقتين وما ترتب عنها من آثار سلبية، فلنبدأ أولاً بالقاء نظرة عامة عن منطقة المغرب العربي ومن ثم الانتقال إلى منطقة إفريقيا جنوب الصحراء والتوسع فيها أكثر فأكثر. تشمل منطقة المغرب العربي أو الجزء الإفريقي لجنوب البحر الأبيض المتوسط كما يسميها البعض مجموعة الدول التي شهدت حروباً وأزمات استعمارية لفترات زمنية طويلة على مر التاريخ، مما أثرت سلباً على التنشئة الاجتماعية لأفراد مجتمعاتها حيث تضم هذه المنطقة كل من: تونس والجزائر والمغرب وليبيا وموريتانيا ونظراً لتاريخها الاستعماري أدى ذلك إلى تراجع لغاتها الأم واستبدالها بلغات المستعمر الأجنبي ونخص بالذكر الاستعمار الفرنسي الذي دام لأكثر من 130 سنة في الأراضي الجزائرية وكانت نتائجه وخيمة على الوسط الاجتماعي واللغوي لها، إذ نجد أن استخدام اللغة الفرنسية بدأ في التزايد كلما زادت مدة الاستعمار على حساب هوية ولغة الشعب الجزائري الأم أي أصبح المجتمع الجزائري مجتمعاً مفرنساً. أما بالنسبة لمنطقة إفريقيا جنوب الصحراء فتضم ما يقارب الـ 42 دولة وهذا ما جعلها أكبر صحراء في العالم، كما شهدت هذه المنطقة على غرار المغرب العربي حروباً كثيرة ومتعددة كالمستعمرات البريطانية والفرنسية والبلجيكية والاسبانية والبرتغالية ولهذا نجد للاختلاف اللغوي مكانة كبيرة في هذه المنطقة أيضاً. وبالرغم من كل ما تعرضت له اللغة العربية من تحديات وفقدانها لروحها التي كانت عليها سابقاً، إلا أن حضورها في هذه المنطقة لا زال مشهوداً ولا يزال العمل عليه قائماً ليومنا هذا بفضل جهود السلطات المعنية بدءاً بالتنشئة الاجتماعية لأفراد المجتمع عن طريق مثلاً إقامة خطبة يوم الجمعة في المساجد باللغة العربية وتعليمها في المدارس بصفة رسمية مما أدى إلى لفت انتباه البقية واندماجهم مع الجو العربي والمسلم في بلدانهم.

مكانة اللغة العربية بين الماضي والحاضر:

تعتبر اللغة العربية لغة ثرية وغنية بالمفردات القابلة للنمو والتوسع والاشتقاق وخير دليل على ذلك معجم لسان العرب لابن المنصور الذي يحتوي على أكثر من سبعين ألف مادة لغوية، وهو ما يجعلها أوفى اللغات وأكملها كما أنها واحدة من أكثر اللغات انتشاراً في العالم والتي أخذت تتوسع شيئاً فشيئاً بداية من الشرق الأوسط إلى غرب قارة آسيا بفضل الفتوحات الإسلامية التي قادها مجموعة من العرب المتنقلين هنا وهناك تحت شعار نشر الدين الإسلامي وينشره تنشر اللغة العربية هي الأخرى، ناهيك عن أهميتها التي فرضتها منذ قرون سابقة كونها لغة القرآن الكريم والإسلام والمسلمين كما جاء في قوله سبحانه وتعالى: "وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ

لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ" (سورة الشعراء الآية 192-195) وهذا ما يميزها عن غيرها من اللغات، صنف إلى ذلك حافظها على كيانها منذ قرون بعيدة إذ لم تشهد أي تحريف ليومنا هذا فقد كرمها الله واصطفاه وحفظها من كل تشويه، قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)، كما يجدر بنا التنويه على أن لكل لغة من اللغات الإنسانية خصائص تمتاز فيها، ولا يخفى على أحد أن اللغة العربية من أمتن اللغات تركيباً، وأوضح بياناً، وأعذب مذاقاً عند أهلها 1. ولهذا يعد استخدامها لجهاز النطق على أتم وأحسن وجه عكس ما نسمعه من غير الناطقين بها الذين يجدون صعوبة في نطق مخرجاتها من أكثر ما يميزها، بالإضافة إلى أنها رمز من رموز الثقافة والحضارة والعلوم في الماضي بحيث كانت لغة يتباهى بها كل من يتحدثها خاصة بعد تلقيها اهتمام جملة من الخلفاء والكتاب ورجال السياسة وعلماء وباحثون مما ساعدها على الحفاظ على مكانتها بين مستعمليها. وبناء على ما سبق، نستنتج أن وضعها وواقعها في الماضي يختلف تمام الاختلاف عن وضعها الحالي إذ يتجلى التباين بها من قبل الطبقة المثقفة من خلال تكلمهم بها في شتى مناسباتهم وخصوصاً عند اعتلاء المنابر، حيث تظهر القدرة البلاغية والبيانية من خلال منابرهم، ومع سطوع فجر الإسلام، والقضاء على الجهل والكفر والعصيان، استمر الازدهار بل واستطاعت أن تتبوأ المنزل الأرفع والأسمى، حيث تمكنت من مواكبة كافة العصور وهذا راجع إلى مرونتها وسعتها وقدرتها على ملائمة العصر الذي تعيش فيه، فأخذت المكانة الواسعة بفضل الله سبحانه وتعالى إلى أن وصلت لعصرنا الحالي 1.

بينما وفي وقتنا الحالي بدأت بعض الجهات تنادي بعزلها والابتعاد عنها، مرجعين ذلك بحسب رأيهم إلى أنها غير قادرة على مواكبة تطورات العصر المتسارعة خاصة في العصر الذي تعيشه الأجيال الجديدة مع التطور التكنولوجي

والعولمة وبسبب النظام العالمي أحادي القطبية وعاملي التجارة والاقتصاد اللذان زادا من انتشار وترسيم اللغة الانجليزية أكثر مما كانت عليه سابقا، فأصبح للتباهي مفهوما جديدا آخر لدى الأجيال الجديدة الذي يتمثل في إقحام واستعمال كلمات وجمل أجنبية أخرى أثناء الكلام لإبراز مهاراتهم اللغوية والاستغناء عن لغتهم الأم التي كانت تعد رمزا للبلاغة ومهارة صاحبها، ناهيك عن مستعمراتها التي باتت تمزج اللغتين معا وهو الأمر الذي زاد من حدة الموضوع. وهذا ما يطرح لنا مشكلا آخر يتعلق بعلاقة اللغة بالطبقات الاجتماعية.

ومن بين الأسباب الأخرى المتعلقة بتراجع اللغة العربية في وقتنا الحاضر لدينا 1:

- 1- تأخر تأسيس أجيال عربية مدربة في مجال التكنولوجيا.
 - 2- ندرة وجود طواقم عمل مدربة ومهلة جيدا لتطوير المحتوى العربي.
 - 3- غياب هيئات متخصصة في صناعة المحتوى الرقمي العربي وحوسبة العربية.
- ومن هنا نستنتج أن الفرق واضح بين مكانة اللغة العربية في الماضي والحاضر، فبعد أن كانت لغة الفصحاء والبلغاء والخطباء يتباهى بها كل من يتقنها من رجال الحكم والإدارة والخلفاء والجيش ولغة تستوعب شتى ميادين العلوم والحقول المعرفية، خاصة مع توسيع الإمبراطورية العباسية وانتشار الإسلام في أصقاع عديدة وواسعة من المعمورة 1، أصبحت لغة ميتة و متشننة تفتقر لروح المثابرة والشغف ممزوجة بلغات أجنبية أخرى على رأسها اللغة الفرنسية والانجليزية ومن هنا يمكننا طرح إشكالية الازدواجية اللغوية والتحول اللغوي ودورهما في نشر اللغة الثانية والقضاء على معالم اللغة الأم. بالإضافة إلى العالم الافتراضي والرقمي الذي نعيشه والذي بفضلها أصبحت اللغة الأجنبية مكانة لم تشهدها قط، بعد تسجيل اللغة العربية غيابا ملحوظا في التفاعل مع عالم الرقمنة ووسائل التواصل الاجتماعي.
- الازدواجية اللغوية والتحول اللغوي:**

قبل التطرق لموضوع الازدواجية اللغوية والتحول اللغوي لابد لنا أن نفرق بين العنصرين لتحديد هدفنا الفعلي منهما ومعرفة ما يخدم بحثنا.

الازدواجية اللغوية: ويقصد بها ذلك التجانس اللغوي الذي تتميز به كل لغة فلنأخذ على سبيل المثال اللغة العربية التي تتأرجح بين الفصحى والعامية أي أن الازدواجية اللغوية هي عبارة عن وجود مستويين للغة في مجتمع واحد، مستوى رسمي وفصيح، ومستوى غير رسمي أي العامي الناتج عن تنقل الأفراد من مكان إلى آخر والاحتكاك الحاصل بين اللغات واختلاطها نتيجة الحروب والغزوات 1.

والتحول اللغوي: يقصد به تحول المتكلم واستعماله لجملة أو أكثر بلغة أو بلهجة أخرى 1، ويحدث هذا التحول لدى الشخص ثنائي اللغة بصورة شعورية وغير شعورية وأول من أشار إلى ظاهرة التحول اللغوي من اللسانيين الغربيين هو فاينرايش سنة 1953 في كتابه " اللغات في تماس " ثم توالى الكتابات في الموضوع 1.

اللغة والطبقات الاجتماعية 1:

يرى "لابوف" Labov و"برنستون" Bernstein: أن دراسة العلاقة بين اللغة والطبقات الاجتماعية المختلفة يلفت انتباهنا إلى أمر في غاية الأهمية، ألا وهو تنوع اللغات حسب الطبقات الاجتماعية ولهذا ميز برنستون بين نوعين للغة طبقا لمكانة الطبقة الاجتماعية هما:

اللغة الرسمية formal language: وهي ترتبط بالطبقة المتوسطة، ويكون استعمال العبارات الثانوية فيها كثيرا مثل الأفعال المبنيّة للمجهول، والصفات، وحروف العطف، وتستخدم في المجادلات والمناقشات الأكاديمية.

اللغة الشائعة public language: وهي تلك التي ترتبط بالطبقة الدنيا أو العمالية وتستخدم في المواقف غير الرسمية ويكثر فيها استعمال العبارات الجذابة مثل : أليس كذلك، مع تكرار هذه الكلمات.

وبما أن اللغة دور وأهمية بارزة في أي مجتمع كان، فإن للاختلاف أو التنوع بين طبقاته مكانة كبيرة فيه، إذ أنه من غير المستحيل عدم تمييز لغة الأطفال عن لغة الكبار، ولغة الطبقة المثقفة عن لغة الطبقة الغير مثقفة أو بالأحرى لغة الطبقة الأمية وكذا لغة أهل المدينة عن لغة أهل الريف ولذلك يعتبر الانتقال من مظهر خاص بشريحة معينة من اللغة إلى مظهر آخر يمكن أن يحدث تدريجيا مع تطور الفرد.

آليات النهوض باللغة العربية:

- 1- تجيء اللغة العربية على اقتحام سوق العمل بقرار سياسي رسمي.
- 2- قيام الأسر العربية بتعليم أبنائها اللغة العربية ومخاطبتهم بها بدلا من اللغة الأجنبية.
- 3- محاولة تقنين المقررات المدرسية لكي تنتج مواطنا عربيا فصيحا وإنتاجه يمكن تشكيل مجتمع محافظا على عرويته.
- 4- تحويل لغات برمجة تطبيقات الهواتف النقالة والأجهزة الالكترونية إلى اللغة العربية.
- 5- تنظيم فعاليات وندوات علمية تعنى بشئون اللغة العربية.

الخاتمة:

نخلص في الأخير إلى القول أن اللغة العربية جملة من الخصائص التي ميزها الله بها عن باقي اللغات كونها لغة القرآن والشعائر الدينية والإسلام والمسلمين إذ لم تعرف منذ نشأتها ما يسمى بالتحريف مقارنة بباقي اللغات المنتشرة وأن الفرق بين ماضيها وحاضرها شاسع وواسع، حيث كانت سابقا لغة البلغاء والشعراء وكتاب الدواوين وكبار العلماء فكان يتباهى بها كل من يتكلمها ويتقنها ويستعملها في الاجتماعات ومنابر الدعوات بينما وفي وقتنا الراهن تراجعت مكانتها في الوطن العربي نظرا لعدة أسباب وأهمها: الاستعمار الأوروبي الذي كان هدفه الأول والأخير طمس هوية ولغة وديانة هذه الدول ونشر كل ما يتعلق به مما شجع على تراجع اللغة العربية وتقدم اللغة الانجليزية والفرنسية وغيرها من اللغات الأخرى... الخ ولكن وللأسف الشديد هذا التراجع ليس نتيجة للاستعمار وحسب، بل حتى للتطور التكنولوجي والرقمنة التي شجعت الأجيال الجديدة على استخدام اللغة الأجنبية بدلا من لغتهم الأم وخير دليل على ذلك هو لغة برمجة التطبيقات والأجهزة الالكترونية في هاتف كل واحد منهم ومن ثم انقلبت موازين الطبقة المثقفة بعد أن كانت اللغة العربية رمزا ودليلا على المستوى الراقي أصبحت الأجيال الجديدة تخجل من استخدامها وتنعت كل من يتكلمها من انتمائه للطبقة الغير مثقفة ويتباهى كل من يتكلم اللغة الأجنبية، ولكن مازال العمل على الأمر قائما في بعض الدول كمنطقة إفريقيا جنوب الصحراء التي ساهمت في نشر اللغة العربية عن طريق ترسيمها في المناهج الدراسية ودعوة الأساتذة العرب من كل أنحاء العالم لتكوينهم مما أثر بطريقة ايجابية وزاد من نسبة اعتناقهم للإسلام.

قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، أحمد حسن الزيات **المعجم الوسيط**، اسطنبول، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، 1972 ، مادة لغا، ص : 173 . بتصرف يسير.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، تحقيق : محمد علي النجار، ط 3، 1416، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج 1، ص : 34، دار النفائس، بيروت، 1998، ط 5، ص: 25.
- د. القاسمي علي، **التداخل اللغوي والتحول اللغوي**، مجلة الممارسات اللغوية، دار المنظومة، 2010.
- د. عبد العزيز بن سعد الدغيثر، **نشأة اللغة العربية وثباتها أمام التحديات**، www.alukah.net ، 2016.
- د. محمد عفيف الدين الدمياطي، **مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي**، مكتبة لسان عربي للنشر والتوزيع، ط2، اندونيسيا، 2017
- د. معروف، نايف، **خصائص العربية وطرائق تدريسها**، دار النفائس، بيروت، ط5، 1998
- رضي السماك، **ازدهار اللغة العربية في العصر العباسي**، المنبر التقدمي، مملكة البحرين، 2009.
- www.altaqadomi.org
- عبير عبد الرحمن، **تقرير حالة اللغة العربية ومستقبلها: اللغة العربية والتكنولوجيا**، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة، ص.197
- منة التلاوي، **أصالة الإنسان... كيف نشأت اللغة؟**، موقع الجزيرة، www.aljazeera.net، 2017.
- منى فخرو، **أهمية اللغة العربية قديما وحاضرا**، أدارابيا، تاريخ الوصول: 2021/01/10 على الساعة: 15:23، www.edarabia.com/ar/
- نور الله كورت، **ميران أحمد أبو الهيجاء، محمد سالم العنوم، اللغة العربية: نشأتها ومكانتها في الإسلام، وأسباب بقائها**، جامعة بينغول، 2015

القصيدة الهائية في وصف المدن الكاميرونية
 تجربة شعرية مع الشرح والتحليل البلاغي
 د. عبد الرحمن الحاج حَمَن تَكُور
 المعهد العالي لإعداد المعلمين- جامعة ماروا - الكاميرون -
 البريد الإلكتروني: ataboumariam@gmail.com
 واتساب والهاتف رقم: 00237674256507

مستخلص البحث

حاولت الدراسة بالشرح والتحليل البلاغي للقصيدة الهائية حول المدن الكاميرونية، وهي من محاولات الباحث في مجال الإنتاج الشعري، وتتوزع على مدخل ومَحَوِّرين وخاتمة. تناول المدخل تحديد مفهوم القصيدة الهائية، ومعنى الوصف ثم التعريف بأهم المدن الكاميرونية العشرة المذكورة في القصيدة، وهي ياوندي، ودوالا، وبويا، وباميندا، وبافوسام، وإيبولوفافا، وبرتوا، وانغاونديري، وغروا، ومروا. أما المحور الأول فهو بين يدي القصيدة، ابداءً من نصّ القصيدة وجوّه، ومرورا ببحر القصيدة وتفعيلاته، وإنهاءً بأفكاره الجزئية وشرح أبياته. وأما المحور الثاني فيرتبط بالتحليل البلاغي للأبيات. (تحليل كل بيت على حده). وهكذا حاول الباحث القيام بهذا الإنتاج الأدبي من خلال التجربة الوطنية والجمالية، لصلتهما بتجربته الشعرية، ودراسة كل ما يعين على الوصول إلى الصورة المطلوبة لها.

الكلمات الرئيسية: 1-القصيدة، 2-الهائية، 3-الوصف، 4-المدن، 5-الكاميرون.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:
 إن هذا البحث يتناول بالشرح والتحليل البلاغي للقصيدة الهائية حول المدن الكاميرونية، متخذاً هذه القصيدة قاعدة للدراسة والتطبيق، واختيار هذا الموضوع كان لجِدته نظرياً وكونه في إطار الإبداع الأدبي والفكري الإفريقي تطبيقياً، ويبقى الإبداع لغة الإنسان العليا؛ إذ هو من أهم الأهداف التربوية التي تسعى المجتمعات الإنسانية الطموحة إلى تحقيقها.

فصناعة الشعر له ودور كبير في التحضير الذهني للخلق الإبداعي؛ أي التهيئة لنظم الشعر. وقصيدة المدن الكاميرونية فيها الكثير من المحاولات الإبداعية كذلك. والهدف من الدراسة هو التوصل إلى التعريف بالمدن الكاميرونية الرئيسية، من خلال نصوص شعري وشرح ما فيها من مفردات لغوية، وتحليل القيم الجمالية، والأساليب الكلامية.

هذا ما دفع الباحث نظم هذه القصيدة، وإبراز أبعادها التعليمية والاجتماعية والنفسية، بما يشير إلى أهمية الوظيفة التي يقوم بها الشعر في بناء الأعمال الثقافية الهادفة، راجياً من الله - سبحانه وتعالى - العون والسداد.

أولاً / مشكلة البحث:

هل في البيئة الإفريقية الراهنة ما يعين على الإسهام في إثراء الأدب والفكر الإفريقي؟
 وهل للغة العربية وآدابها دور في المشهد الثقافي الوطني، وفي خارطة الثقافة الإفريقية؟
 وما أبعاد النصوص الشعرية، والخبايا الذهنية التي انعكست في الشعر العربي الإفريقي؟

ثانياً / أهمية البحث:

1- تكمن أهمية هذا البحث في أن يضيف هذا الجهد شيئاً جديداً للدراسات التي تناولت الأدب الإفريقي من جانب نظم الشعر وعلم البلاغية، وتحديدًا في مجال علم البيان.

2- إن القيام بتجربة شعرية من المنظور الإفريقي يمهّد لدراسات موسعة في هذا المجال.

3- إن قصيدة المدن الكاميرونية جديرة بالبحث والدرس؛ لاحتوائها على ذكر أهم مدن الكاميرون، وفائدتها في تعليم الصغار وتنقيف الكبار، وأثرها في بلاغة الكلام؛ لذا فهو في حاجة إلى دراسة تحليلية متأصلة في صورة جديدة، تبرز قيمته في بناء الأعمال الأدبية الإفريقية الأصيلة.

ثالثاً: / منهج البحث:

وفقاً لمتطلبات الدراسة، من القيام بتجربة شعرية وعمل أدبي إفريقي يصور الواقع الطبيعي للكاميرون، تأتي ضرورة الاستعانة بالمنهج المتكامل أو المنهج التكاملي "Integrative method" الذي يتيح للباحث التعرف على جوانب أكثر بالنسبة لهذا الموضوع.

يتم الاعتماد على المنهج التاريخي للتعرف على أهم المدن الكاميرونية والإلمام بأهم المعالم التي فيها، كما يعتمد في على المنهج الوصفي التحليلي الذي يُعين على تحليل النصوص الشعرية على أسس علمية، تساعد على اقتفاء المنهج التطبيقي للدراسة البلاغية؛ بُغية الوصول إلى نتائج دقيقة شاملة تتسم بالمصداقية.

مدخل إلى الدراسة:

لعل من أهم ما يوجبه مصطلح البحث هو تحديد المفهوم تحديداً يوضح معناه، ويكشف عن غايته.

1- مفهوم القصيدة وتسميتها بالهائية:

(أ)- تعريف القصيدة لغة واصطلاحاً:

وأول ما يطالعنا في العنوان مصطلح "القصيدة"، وهو في اللغة: "القصد أي استقامة الطريق، قصد يقصد قصداً، فهو قاصد. والقصد إتيان الشيء". (ابن منظور، 1414هـ: 353/3) (1)

وفي الإصطلاح يعرف ابن منظور القصيدة بقوله: "القصيدة من الشعر ما تم شطر أبياته.. وقال ابن جني: سمي قصداً، لأنه قصد.. وقيل سمي قصيداً لأن قائله احتفل به فنقحه باللفظ الجيد والمعنى المختار.. وليس القصيد إلا ثلاثة أبيات أو عشرة أو خمسة عشر، فأما ما زاد على ذلك فإنما تسميه العرب قصيدة". (ابن منظور، 1414هـ: 355/3) (1)

وقال أحمد مطلوب في تعريف القصيدة بأنها: "مجموعة من الأبيات الشعرية ترتبط بوزن واحد من الأوزان العربية وتلتزم فيها قافية واحدة". (مطلوب، 2001م: 323) (1)

وأشار رشيد يحيوي إلى اختلاف النقاد في تحديد مصطلح دقيق لمفهوم القصيدة في قوله: "تدل المفاهيم التي أعطيت لمصطلح القصيد على الإكتمال كثرة كم الأبيات والوعي بعملية الكتابة الشعرية". (يحيوي، 1991م: 20) (1) والقصيدة إطلاق عام، يراد به ما جاء من الشعر على معهود العرب في الأداء: موحد الوزن والقافية، مستوي الشطرين، وقيد بعضهم أقله بما كان على سبعة أبيات. وتطلق لفظة قصيدة في العصر الحديث فيراد بها ذلك، ويندرج تحته ألوان من شعر المقطعات، وشعر التفعيلة. ويذهب البحث هذا المذهب في إطلاق مصطلح القصيدة.

(ب)- تسمية القصيدة بـ "الهائية":

سُميت بالهائية لأن مجموع أبيات القصيدة تنتهي بحرف الهاء، أي: من آخر البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن، وهو المعروف بالقافية. وهي متكررة في كل القصيدة.

تطابقت تسمية القصيدة مع مبدأ تكرار الحروف والحركات فيها:

تَعَلَّوْا نَرَى مَدَائِنَ الكَامِيْرُونِ *** وصوتُ السلام بأرجائها

القافية هنا في /بأرجائها/ هي حرف: / هـ / وهي متكررة في كل القصيدة.

2- معنى الوصف:

الوصف في اللغة: "وصف الشيء له وعليه وصفاً و صفَةً: حلاًها". (ابن منظور، 1414هـ: 356/9) (1)

ومعنى وصف الشيء: وصفاً، و صفَةً: نعت به ما فيه. (النجار وآخرون، ب.ت: 1036/2) (1)

ويرى مصطفى صادق الرافعي بأن "الوصف جزء من منطق الإنسان، لأن النفس محتاجة إلى ما يكشف لها من الموجودات ويكشف للموجودات منها، ولا يكون ذلك إلا بتمثيل الحقيقة، وتأديتها إلى التصور في الطريق السمع والبصر والفؤاد". (الرافعي، 1974/3م: 119) (1)

وفسر ابن رشيق الوصف بقوله: "أصل الوصف الكشف والإظهار، يقال: وصف الثوب الجسم إذا نمّ عليه، ولم يستره". (القيرواني، ب.ت: 295) (1)

والوصف عند قدامة بن جعفر: "هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات". (ابن جعفر، 1956م: 130) (1)

كما عرّف حنّا فاخوري الوصف بأنه: "تمثيل الأشياء تمثيلاً غيجابياً، وهو رسم لصورة الأشياء بقلم الفنّ والحياة". (الفاخوري، 1986م: 41) (1)

أما أحمد الهاشمي فيقول في تعريف الوصف: "الوصف عبارة عن بيان الأمر باستيعاب أحواله وضروب نعوته الممثلة له، وأصوله ثلاثة هي:

الأول: أن يكون الوصف حقيقياً بالموصوف مفرزاً له عما سواه.

الثاني: أن يكون ذا طلاوة ورونق.

الثالث: ألا يخرج فيه إلى حدود المبالغة والإسهاب، ويكتفي بما كان مناسباً للحال.

(الهاشمي، 1965م: 326/1) (1)

ومن هنا نجد أن الوصف جزء طبيعي من منطق الإنسان، فالإنسان بطبعه ميّال إلى معرفة ما حوله من الموجودات، وتصويرها بالسمع والبصر والفؤاد. (التونجي، ب.ت: 884/2) (1)

فأجود الوصف عند أبي هلال العسكري هو: "ما يستوعب أكثر معاني الموصوف، حتى كأنه يصور الموصوف لك فتراه تُصب عينك". (العسكري، 1419هـ: 128) (1)

وأحسن الوصف عند ابن رشيق: "ما نعت به الشيء، حتى يتمثله بصرأ عياناً للسامع". (القيرواني، ب.ت: 294) (1)

3- معلومات عن مناطق الكاميرون:

يقسم دستور الكاميرون إلى 10 مناطق تتمتع بحكم شبه ذاتي كل منها تحت إدارة منتخبة و 54 إقلياً:

الرقم	المنطقة	العاصمة	عدد الأقاليم	المساحة (كم ²)	عدد السكان	الكثافة السكانية/ (كم ²)
1	المركز (Centre)	ياوندي	10	63,691	495,185	8
2	الساحل (Littoral)	دولا	4	68,926	1,651,600	24

3	الجنوب الغربي (Southwest)	بويا	7	109,01 1	517,198	5
4	الشمال الغربي (Northwest)	باميندا	8	34,246	1,855,69 5	54
5	الغرب (West)	بافوسام	6	20,239	1,352,83 3	67
6	الجنوب (South)	إيبولوفا	4	65,576	832,165	13
7	الشرق (East)	برتوا	4	17,812	1,237,34 8	69
8	ادامالوا (Adamawa)	انغاوندير ي	5	47,110	373,798	8
9	الشمال (North)	غروا	4	24,571	838,042	34
10	الشمال الأقصى (Far North)	مروا	6	13,872	1,339,79 1	97

في عام 2008م وقّع رئيس جمهورية الكاميرون، بول بيا، على قرار إلغاء "المحافظات" واستبدالها بـ"المناطق". بالتالي، كل المحافظات العشر في البلاد باتت تعرف الآن بالمناطق. (غويليم، 2015م: 1) (1)

المحور الأول: بين يدي القصيدة

1- نصّ القصيدة ومعاني الكلمات:

أ- القصيدة الهائية في وصف المدن الكاميرونية

وَصَوْتُ السَّلَامِ بِأَرْجَائِهَا	***	تَعَالَوْا نَرَى مَدَائِنَ الْكَامِيرُونِ
وَسِرُّ الْأَوْطَانِ عَوَاصِمُهَا	***	(يُونُد) يَاأَنْتِ فَوَادُ الْبِلَادِ
وَتَرْقَى الشُّعُوبُ بِأَرْزَاقِهَا	***	(دَوَالَا) عَلَى مَوَامِتِ الْاِقْتِصَادِ
كَأُولَى الْمَدَائِنِ تَارِيخُهَا	***	و(بُويَا) ارْتَقَتْ فَوْقَ كُلِّ الْمُدُنِ
وَشَامِخَةٌ بِمَتَاحِفِهَا	***	و(بَامِنْدَا) تَحْوِي ثَرَاتِ الْوُطْنِ
وَكُلُّ الْقَبَائِلِ فِي أَرْضِهَا	***	و(بِافَسَم) مُلتَقَى لَجَمِيعِ الشُّعُوبِ
يَتَمَنَّى الْجَمِيعُ زِيَارَتَهَا	***	(إِبُولُفَا) مَرْكَزُ زِرَاعِيٍّ بَارِزٍ
تُرَيْنُ تَعَطَّرَ غَابَاتِهَا	***	وَفِي (بِرْتُوَا) زُهُورُ الْيَنْفَسَجِ
وَجَوْ جَمِيلٌ عَلَى أَرْضِهَا	***	وَفِي (غَاوُنْدِيرِي) قَوْمُنَا الطَّيْبُونَ
وَقَفْتُ رَأَيْتُ نَظَافَتَهَا	***	و(غُرُوَا) تَنْيرُ كَمِثْلِ الْقَمَرِ
مُتَمَيِّزَةٌ بِمَدَارِسِهَا	***	و(مَرْوَا) تَحْيِي جَمِيعَ الْمُدُنِ
كَامِيرُونِيَّةٌ هِيَ أَشْهَرُهَا	***	وَهَذِي سُنُثُورُ لِعَشْرِ الْمُدُنِ

(ب) - معاني الكلمات:

الكلمة	معناها
بأرجائها	أرجاء [جمع]: مفردة رَجَا: أنحاء، أطراف وجوانب.
فُؤَادُ	القلب أو العقل، وهو الراجح: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}.
عَوَاصِمُهَا	عواصم: جمع عاصمة: وهي مدينة يُدَارُ حُكْمُ البلاد منها وتقع فيها أهمُّ مؤسساتِ الدولة.
الْمَدَائِنِ	مَدَائِنُ وَمُدُنٌ وَمُدُنٌ: جمع مَدِينَةٍ: تَجْمَعُ سَكَّانِيَّ مُحَضَّرٍ يَزِيدُ عَلَى تَجْمَعِ الْقَرْيَةِ.
تَحْوِي	حَوَى الشَّيْءَ: ضَمَّهُ واشتمل عليه وجمعه واحتواه. تحوي المدينة كنوزًا من التراث الوطني القديم.
بِمَتَاحِفِهَا	مَتَاحِفُ: جمع مَتَحَفٍ / مَتَحَفٍ: موضع عرض التُّحَفِ الفَنِّيَّةِ أو الأَثَرِيَّةِ أو العِلْمِيَّةِ أو غيرها "مَتَحَفُ الأَثَارِ / الفنون".
الْبَيْفُسَجْ	نبات زهري من الفصيلة البنفسجية: الفلقتين يُزْرَعُ لِلزَّيْنَةِ، وأزهاره عَطْرَةُ الرَّائِحَةِ.

(عمر، 2008م: 249/1) (1)

2- جَوَّ النص:

(أ) - مُمَيِّزَاتُ الْقَصِيدَةِ:

حاول الباحث نظم هذه القصيدة على مكونات الشعر العربي، ومحاكاة مضامينه وفق الواقع الطبيعي والاجتماعي. فخصوصية البيئة الجغرافية للمدن الكاميرونية قد أثرت في هذه المحاولة الشعرية؛ فظهرت أشكال شعرية جديدة كتشخيص المدن وتجسيمها ووصف طبيعتها وذكرها بأسماءها العجمية.

(ب) - ظُروفُ الْقَصِيدَةِ:

نظم الباحث هذه القصيدة بمناسبة الحفل الختامي لملتقى "رابطة الكاميرونيين المثقفين بالعربية" بمركز خادم الحرمين الشريفين في ياوندي شهر يونيو 2006م. فكان ذلك سببا حافزا جعل الباحث ينظم هذه القصيدة على غرار ما قام به في وصف المدن الكاميرونية العشرة الرئيسية والتي تُعرف بعواصم المناطق.

(ج) - بَحْرُ الْقَصِيدَةِ:

القصيدة من بحر (المتقارب)، وتفعيلاته هي:

فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ	***	فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ
وَصَوْتُ السَّلَامِ بِأَرْجَائِهَا	***	تَعَالَوْا نَرَى مَدَائِنَ الْكَامِرُنْ
وَسِرُّ الْأَوْطَانِ عَوَاصِمُهَا	***	(يَاوُنْدِي) يَاأَنْتِ فُؤَادُ الْبِلَادِ
0/0// 0/0// 0/0// 0/0//	***	0/0// 0/0// 0/0// 0/0//

نظم الباحث قصيدته على وزن هذا البحر المتقارب: فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ ثَمَانِي مَرَاتٍ وهو بحر يعتبر من أهم الأوزان المتداولة في الشعر العربي، وهو بحر يناسب أغراض الشعر الكلاسيكية المختلفة؛ كاحماسة والفخر والمدح...

المحور الثاني: المضامين والتحليل البلاغي للأبيات

1- تَعَالَوْا نَرَى مَدَائِنَ الكَامِيرُونِ	***	وصوت السَّلام بأرجائها

في مطلع القصيدة دعوة إلى زيارة جمهورية الكاميرون، والتعرف على مَدنها الرئيسية؛ حيث يسود السلام في أنحاء هذا البلد الجميل.
(تَعَالَوْا نَرَى مَدَائِنَ..): إنشاء طلب، يحمل بين طَيَّاته العرض والتحضيض والدعوة إلى زيارة الكاميرون.
(وصوتُ السَّلام..): كناية عن تحقق الكثير من إنجازات الأمن والاستقرار في كل أطراف هذا البلد المسالم.
وفيه أيضاً استعارة مكنية في تصوير السلام في صورة إنسان يتكلم بصوت، حذف المستعار منه وهو الإنسان، والقرينة إثبات الصوت للسلام.

2- (يَاوُنْدِي) يَاأَنْتِ فُؤَادُ الْبِلَادِ	***	وَسِرُّ الْأَوْطَانِ عَوَاصِمُهَا

هنا نداء لمدينة (ياوندي) Yaoundé العاصمة السياسية، ووصفها بفؤاد البلاد؛ منها يُدار حكم الدولة، وفيها تقع أهم مؤسساتها. فالعواصم بطبيعتها محلّ سرّ الأوطان.
(يَاوُنْدِي يَاأَنْتِ): أسلوب إنشائي طلب بصورة النداء، غرضه البلاغي المدح، وكما فيه تشخيص معنوي؛ حيث جعل الناظم مدينة ياوندي شخصاً يُنادي، (فُؤَادُ الْبِلَادِ): شبه صورة مدينة ياوندي في البلاد، بالفؤاد في في جسم الإنسان، لأهميتها. فحذفت أداة التشبيه في هذه الصور التشبيهية، وهو من نوع المؤكد.
(وَسِرُّ الْأَوْطَانِ عَوَاصِمُهَا): تشبيه ضمني؛ إذ جاء ضمناً يفهم من معنى الكلام، وقد وقع فيه المشبه به تعليلاً للمشبه.

3- (دُوَالَا) عَلَى مَوَاطِ الْأَقْتِصَادِ	***	وَتَرْقَى الشُّعُوبُ بِأَرْزَاقِهَا

جاء الوصف لمدينة (دوالا) Douala بالعاصمة الاقتصادية؛ فإن اقتصادها هو الأكبر في منطقة الجماعة الاقتصادية والنقدية لوسط إفريقي (CEMAC)، التي تضم الكاميرون والجابون وتشاد وجمهورية إفريقيا الوسطى وغينيا الاستوائية وجمهورية الكونغو. لديها أعلى مستويات المعيشة في أفريقيا، ويجري في المرتبة أعلى مدينة في أفريقيا. (هوب، 2022م: 1) (1)
(وَتَرْقَى الشُّعُوبُ بِأَرْزَاقِهَا): تشبيه ضمني لصورة مدينة دوالا العاصمة الاقتصادية، ثم يشير إلى أن هذا ليس بغريب؛ لأن التقدم والرقى إنما للشعوب المتفوقة إقتصادياً.

4- (بُويَا) ارْتَقَتْ فَوْقَ كُلِّ الْمُدُنِ	***	كَأُولَى الْمَدَائِنِ تَارِيخُهَا

كانت مدينة (بُويَا) Buea عاصمة الكاميرون الأولى في العهد الإستعماري الألماني من عام 1902 إلى عام 1916م. وقد تم الحفاظ على العديد من المواقع التاريخية للبعثة المبكرة والفترات الاستعمارية، أصبحت المدينة مقراً للمفوض البريطاني لجنوب الكاميرون. (ديلفي، 2020م: 1) (1)
(وَبُويَا ارْتَقَتْ...): كناية عن قِدَم مدينة "بويَا" ومكانتها التاريخية.
(كَأُولَى الْمَدَائِنِ تَارِيخُهَا): فيه حذف حرف الجرّ وهو "في"، والأصل: (في تاريخها)، وذلك لضرورة استقامة البيت على وزن فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ.

5- (بَامِنْدَ) تَحَوُّ ثَرَاتِ الْوُطْنِ	***	وَشَامِخَةٌ بِمَتَاحِفِهَا

مدينة **Bameda (بَامَنْدَ)** تحوي كنزا من التراث الوطني القديم. وهي مدينة تقع في منطقة جبلية في الجزء الشمالي الغربي من البلاد، وعلى بعد 227 ميل شمال غرب ياوندي، في مناخ بارد، وتتألف من سبع قرى، وفيها المواقع الثقافية، مثل: المتحف وقصر مانكون فون. تجذب المدينة السياح بسبب وجود شلالات نهر مينشوم، وكذلك ضريح هرمي من القش في أكوم ومحمية كيمبي ريفر غيم. (هوب، 2022م: 1) ⁽¹⁾

(تَحْوِ ثَرَاتٌ...): كناية عن أهمية المدينة واشتمالها على كنوز ثمين من التراث الوطني القديم.

6- وَ(بَافُسَم) مُلْتَقَى لَجَمِيعِ الشُّعُوبِ	***	وَكُلُّ الْقَبَائِلِ فِي أَرْضِهَا

و**(بَافُسَم) Bafoussam** وهي المدينة الرئيسية لشعب باميليك، تشتهر المنطقة المحيطة بالمدينة بوجود تجمعات لكل القبائل الموجودة في الكاميرون؛ لأنها مركز اقتصادي إقليمي، وبها مؤسسات مالية للإسكان، وأسواق، ومكاتب إدارية، وتقع في المنطقة الغربية من الكاميرون، على حدود جبال بامبوتوس. (هوب، 2022م: 1) ⁽¹⁾

أما المعنى البلاغي في هذا البيت، فهو اشتماله على جملتين متحدتين خبرا متناسبتين في المعنى، وليس هناك من سبب يقتضي الفصل، ولذلك عطفت الجملة الثانية على الأولى، للدلالة على التشكيل النوعي والتعایش بين كل القبائل هناك.

7- (إِبُولُفَا) مَرْكَزُ زَرَاعِيٍّ بَارِزٍ	***	يَتَمَنَّى الْجَمِيعُ زِيَارَتَهَا

ومدينة **(إِبُولُفَا) Ebolowa** هي عاصمة المنطقة الجنوبية، ومركز زراعي بارز كما جاء وصفها في القصيدة. ومن محاصيلها الذرة، والفلول السوداني، والمنيهور، والإليام، والفاصوليا، وغيرها من الغذائية تربي بكميات أكثر تواضعًا. (غويليم، 1996م: 1) ⁽¹⁾

فإذا تأملنا جملتي هذا البيت وجدنا بينهما اتحادا تاما في المعنى، فالجملة الثانية وهي **(يَتَمَنَّى الْجَمِيعُ زِيَارَتَهَا)** لم تأت إلا لتوكيد أهمية الأولى وهي **(إِبُولُفَا مَرْكَزُ زَرَاعِيٍّ بَارِزٍ)** فهي بيان لها.

8- وَفِي (بِـرْتُوَا) زُهُورُ الْبِنْفَسَجِ	***	تُزَيْنُ تَعْطَرُ غَابَاتِهَا

(بِـرْتُوَا) Bertoua مدينة تقع في جنوب شرق الكاميرون في المنطقة الانتقالية بين الغابة الجنوبية والسافانا الشمالية، وفيها أشكال وأنواع من الزهور الطبيعية لاسيما ذات الألوان البنفسجية الرائعة. وتعتبر مركزًا إداريًا وتجاريًا إقليميًا تقليديًا، ويمر عبرها خط السكة الحديد إلى "بيلابو" Bélabo القريبة. (نوليچ، 2022م: 1) ⁽¹⁾

(وَفِي بِـرْتُوَا...) أسلوب قصر بطريقة تقديم ماحقه التأخير، غرضه البلاغي التوكيد والتخصيص وحسن التناغم في الكلام، والمبالغة في المعنى، والاهتمام بالمتقدم.

(تُزَيْنُ تَعْطَرُ): فيه حذف حرف العطف وهو "الواو"، والأصل: **(تُزَيْنُ وَتَعْطَرُ)**، وذلك للضرورة الشعرية.

9- وَفِي (غُونْدِيرِي) قَوْمُنَا الطَّيْبُونُ	***	وَجَوْ جَمِيلٌ عَلَى أَرْضِهَا

(غَاُونْدِيرِي) Ngaoundéré مدينة هامة كعاصمة **الفولاني** التقليدية، تأسست في النصف الأول من القرن التاسع عشر كجزء من إمارة **أداماوا** من قبل الأمير موديبو أداما. (ديلفي، 2020م: 1) ⁽¹⁾ وفيها الشعب الذي نشأ على الدين وحرصه على تعليمه ونشره في الكون، فكانت الطبية وأثر الدين ظاهراً جلياً في عاداتها وتقاليدها وأخلاقها، وجوّ جميل على أرضها الطيبة.

(وَفِي غُونْدِيرِي...): أسلوب قصر بطريقة تقديم ما حقه التأخير غرضه البلاغي التوكيد والتخصيص والاهتمام بالمتقدم، وكذلك في: **(وَجَوْ جَمِيلٌ...)**.

10- وَ(غُرُوا) تُنِيرُ كَمِثْلِ الْقَمَرِ *** وَقَفْتُ رَأَيْتُ نَظَافَتَهَا

ومدينة (غُرُوا) Garoua هي عاصمة المنطقة الشمالية على الكاميرون، ورئيس قسم بينوي، على ضفاف نهر بينوي 50 كيلومترا شمال خزان لاغزو الذي يروي المحاصيل المهمة في المنطقة، وفيها ولد أول رئيس للكاميرون، أحمدو أهيجو. (ويكيار، 2015: 1) (1)

جاء وصف المدينة في القصيدة بأنها تنير كمثّل القمر؛ وذلك من شدة إضاءة شوارعها المليئة بالنيران والميادين والحدائق.

(كَمِثْلِ الْقَمَرِ...): المشبه: صورة مدينة غروة في أضائها، والمشبه به: صورة القمر المنير، وأداة التشبيه: لفظ "كمثّل"، ووجه الشبه: محذوف ولم يذكر فيه؛ فهو تشبيه مرسل مجمل، للدلالة على المحاسن الطبيعية لهذه المدينة الرائعة.

11- وَ(مَرُوا) تُحْيِي جَمِيعَ الْمُدُنِ *** مُمْتَزَّةٌ بِمَدَارِسِهَا

مدينة (مَرُوا) Maroua هي عاصمة منطقة أقصى الشمال في الكاميرون، وتمتد على طول ضفاف نهر "فيرنغو" Ferngo و"كالياو" Kaliao، في سفوح جبال "ماندارا" Mandara. (ديلفي، 2020: 1) (1)

جاء وصف (مَرُوا) في القصيدة بأنها تُحْيِي جميع المدن المذكورة وأنها تتميز بمدارس التعليم العربي كمّاً ونوعاً.

(وَمَرُوا تُحْيِي): من جماليات التشخيص في هذا البيت، تصوير مدينة "مروا" كأنها حياً تُحْيِي جميع مدن الكاميرون، وتتجاوز معها وكأنها مجموعة بشرية حيّة.

(مُمْتَزَّةٌ...): وجب الفصل بين الجملتين؛ لأن فيهما تباين تام، إذ لا مناسبة بينهما في المعنى، وأن بين الجملتين كمال الإنقطاع، كناية عن التعدد النوعي المميّز لمدارس ومعاهد التعليم العربي في مدينة مروا، من الإعدادي إلى الجامعي، والتي تُشكّل العمود الفقري لهوية أمة ومستقبلها.

12- وَهَذِي سُثُورٌ لِعَشْرِ الْمُدُنِ *** كَامِيرُونِيَّةٌ هِيَ أَشْهَرُهَا

وتضمنت القصيدة معلومات عن أشهر المدن الكاميرونية العشرة، ومعالمها. وهذه محاولة من الباحث من خلال التجربة الوطنية والجمالية، وتمثّل القصيد نموذجاً حياً لمعالم المدن الكاميرون الرئيسية، حيث مزج فيها بين غرض الوصف والمدح محاولاً وصف الطبيعة المحيطة حوله.

الخاتمة:

بعد هذه السياحة الممتعة من جهة، داخل جمهورية الكاميرون، في رحلة مليئة بالمظاهر الطبيعية والصور البلاغية الجميلة، يصل الباحث إلى ختام هذه الدراسة، حامداً الله تعالى على توفيقه وامتنانه.

تمّ التعرف على المدن الكاميرونية الرئيسية، من خلال هذه القصيدة الهائية وشرح ما فيها من مفردات لغوية، ثم تحليل القيم الجمالية، والأساليب الكلامية الواردة فيها.

وسّعت الدراسة إلى تحديد مفهوم القصيدة الهائية، ومعنى الوصف قبل التعريف بأهم المدن الكاميرونية العشرة المذكورة فيها. وقد استفادت الدراسة من نصّ القصيدة وجوّه كثيراً في بيان أفكاره الجزئية وشرح أبياته، ثم تحيلها بلاغياً.

بهذه الحالة يودّ الباحث أن يسجل تجربته الشعرية، لتدخل أفقاً أرحب من النصّ والنقد الأدبي، ولنخطو خطوة إلى الأمام في طريق تكاتف الجهود وتنسيق العمل فيما يعين على الإسهام في إثراء الأدب والفكر العربي الإفريقي.

النتائج:

خرجت الدراسة بنتائج هامة تُبين ما للغة العربية من دور في المشهد الثقافي الإفريقي، من خلال أبعاد النصوص الشعرية، والخبايا الذهنية التي انعكست في هذه القصيدة الهائية، وما اتسمت به من خصائص فنية وأسلوبية، وخلصت إلى مجموعة من النتائج، وهي:

1 - حاول الباحث نظم الشعر بُعيد تخرجه وعودته إلى الوطن عام 2006م، وتعد الفترة من 2006م إلى 2020م فترة ازدهار تجربته.

2 - عمد الباحث في مطلع القصيدة إلى استخدام أسلوب الإنشاء الطلبي، للعرض والتحضيض والدعوة إلى زيارة الكاميرون، وألجأ في ذلك للكناية، لما فيها من جمال وكونه أوجز، إلا أنَّ الباحث لم يوظفها لأبعاد جمالية بقدر ما وظيفها في التعبير عن تحقق الكثير من إنجازات الأمن والاستقرار في كل أطراف هذا البلد المسالم.

3 - قد أولى الباحث أهمية كبرى لتوظيف التشخيص المعنوي؛ لأنه جوهر التصوير الفني، والوسيلة التعبيرية التي من خلالها تمكن من تصوير صورة مدينة ياوندي في البلاد، بالفؤاد في جسم الإنسان، لأهميتها.

4 - التركيز على التشبيه الضمني والمجمل أكثر من المُفصّل، لما في الضمني والمجمل من دعوة إلى إعمال الفكر والتمعن، والشيء إذا بُذل جهد في إدراكه، كان أكثر تأثيراً وأرسخ في ذهن وأحبّ إلى النفس.

5 - لعل السرّ في توظيف الباحث لأسلوب الكناية بوفرة في قصيدته، الميل إلى إخفاء المعنى وستره، لما في ذلك من قوة الدلالة على المعنى، ودعوة المتلقي إلى إعمال العقل والتدبر.

6 - وتبقى الكناية عن الصفة أكثر توظيفاً في هذه القصيدة، لأن ناظمها في مقام الواصف للمدن الكاميرونية، وتوضيح للمعالم التاريخية العريقة، والسعي نحو إقناع القارئ بأهمية البلاد ومكانتها الطبيعية في المنطقة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار. (ب.ت). المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة: دار الدعوة.
2. ابن رشيق القيرواني. (ب.ت). العمدة في محاسب الشعراء وآدابه ونقده.
3. أبو الفرج قدامة بن جعفر. (1956م). نقد الشعر - تحقيق: عبد المنعم خفاجي. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
4. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري. (1419هـ). الصناعتين - المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: المكتبة العنصرية.
5. أحمد الهاشمي. (1965م). جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب. مطبعة السعادة، مصر.
6. أحمد مختار عبد الحميد عمر. (2008م). معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم الكتب.
7. أحمد مطلوب. (2001م). معجم مصطلحات النقد العربي القديم. بيروت: لبنان - ط1.
8. حنا الفاخوري. (1986م). تاريخ الأدب العربي. بيروت: دار الجيل - ط1.
9. ديلفي باجيس. (11 01 2020م). بوياء - الكاميرون. تم الاسترداد من <https://delphipages.live/ar/buea>
10. ديلفين باجيس. (09 07 2020م). نغاونديري / الكاميرون. تم الاسترداد من <https://delphipages.live/ar/ngaoundere>
11. ديلفين باجيس. (14 08 2020م). مروى / الكاميرون. تم الاسترداد من <https://delphipages.live/ar/maroua>
12. رشيد يحيى. (1991م). الشعرية العربية - الأنواع والأغراض - . الدار البيضاء: إفريقيا الشرق - ط1.

13. رقية م. Roukaia, M. (2020, 01 10) أكبر المدن في الكامبيرون
: <https://muhtwaask.com/32655>
14. سور كنوليج sourcknowledge (2022.01.15م) مدينة بيرتوا الكامبيرون. تم الاسترداد من
<https://ar.sourcknowledge.com/bertoua-town-cameroon>
15. غويليم لام Gwillim Law (2015, 06 30). *Regions of Cameroon*. تم الاسترداد من statoids:
<http://www.statoids.com/ucm.html>
16. فيكتور نغوه Victor Julius, Ngoh (1996, 03 12م). المنطقة الجنوبية (الكامبيرون). تم الاسترداد من
ويكيبيديا: [https://ar.isecosmetic.com/wiki/South_Region_\(Cameroon\)](https://ar.isecosmetic.com/wiki/South_Region_(Cameroon))
17. محمد التونجي. (ب.ت). المعجم المفصل في الأدب،.
18. محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور. (1414هـ). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر - ط3.
19. مصطفى صادق الرافعي. (1974م). *تاريخ آداب العرب*. بيروت - لبنان: دار الكتاب العربي - ط2.
20. هستوري هوب. history-hub (2022, 01 15م). أكبر المدن في الكامبيرون - دوالا. تم الاسترداد من
<https://ar.history-hub.com/akbr-almdn-fy-alkamyron>
21. ويكيار توب wikiar.top/wiki (2015, 10 12م). جاروا (الكامبيرون) موسوعة. تم الاسترداد من
[https://wikiar.top/wiki/Garua_\(Camer\)](https://wikiar.top/wiki/Garua_(Camer))

النكت البلاغية في شعر خليل حمد الكاميروني قصيدة افتتاح المعهد العالي أنموذجا

الدكتور عبد العزيز حمدو - جامعة مروا - الكاميرون. aziziyoune@yahoo.fr

المستخلص:

كان في اليوم العشرين من شهر صفر لعام 1441 هـ الموافق للتاسع عشر من شهر أكتوبر لعام 2019م حفل افتتاح للمعهد العالي للدراسات الإسلامية والعربية بمدينة مَرَوَا الكاميرونية؛ تلبية لتحقيق رغبات كثيرين وخصوصا الجانب النسوي، كما يسعى هذا المعهد إلى رفع المستوى الثقافي والعلمي لحملة وحاملات الشهادات الثانوية التابعة للمعاهد الإسلامية الكاميرونية، فألقى في تلك المناسبة الشاعر الكاميروني خليل حمدو قصيدة شعرية، أشاد فيها بمدح بافتتاح المعهد العالي، كما هلل القصيدة بمدح أحد علماء مروا البارزين، فتفنن الشاعر في استخدام الأساليب البلاغية المتنوعة، وصورها المختلفة الجذابة؛ مما لفت انتباهي وجذب خاطري للوقوف على تلك النكت البلاغية اللطيفة الجميلة، فتحدثت عن سيرة الشاعر، وعن مناسبة القصيدة، وكذلك عن الصور البلاغية المختلفة في القصيدة، ثم ختمت بأهم النتائج التي توصلت إليها خلال مصاحبتي للقصيدة.

المقدمة:

كانت اللغة العربية لغة دين في مدينة مروا، وما زالت تحافظ على هذه المهمة النبيلة السماوية، التي تعد مفخرة من مفاخرها التاريخية، وإلى جانب هذه المهمة السامية أضافت إلى حيزها ميزة أخرى تتمثل في التعبير عما في النفس من العواطف الصادقة، فأصبحت تنتقل بين التوجه الديني والتوجه الوجداني العاطفي؛ نتيجة لسعة انتشارها وتقدمها في منطقة أقصى شمال الكاميرون، وخصوصا في مدينة مروا.

فبين يدي الباحث دليل قاطع على هذه النهضة المباركة للعربية، ألا وهي هذه القصيدة التي ألقيت بمناسبة افتتاح المعهد العالي للدراسات الإسلامية والعربية على لسان الشاعر خليل حمدو، الذي يرى الباحث أنه الفذ والسابق في هذا المضمار؛ إذ ما من مناسبة دعي فيها الشاعر، إلا وأعد قصيدة شعرية، وعلى هذا، عزم الباحث أن يجري دراسة حول قصيدة الشاعر في افتتاح المعهد العالي تحت عنوان: النكت البلاغية في شعر خليل حمدو الكاميروني، قصيدة افتتاح المعهد العالي أنموذجا، فقسم هذا البحث المتواضع إلى النقاط التالية:

1- مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في أن المعهد العالي للدراسات الإسلامية بمدينة مروا الكاميرونية، لم تحظ بالمعرفة عند الكثير من الكاميرون خاصة، وكذلك الكثيرين من خارج الكاميرون على وجه العموم، وأن القصيدة التي ألقيت بمناسبة افتتاحها تتمتع بلطائف عديدة من النكت البلاغية، والتي لم تنل الدراسة التطبيقية لها لتمام الفائدة من الدراسة النظرية.

2- أسباب اختيار الموضوع:

هناك عدة أسباب كثيرة دفعت الباحث إلى اختيار هذا الموضوع، منها:

- * حب الباحث للعلوم البلاغية، التي تنتقل بك من الشيء نفسه إلى شيء طريف يشبهه، بأنواع مختلفة، تتسم بصورة رائعة طريفة خيالية ذات المعاني البليغة،
- * اعتقاد الباحث أن العثور على مثل هذه القصيدة لشاعر شاب معاصر بيئة غير عربية خالصة، يعد أنموذجا راقيا لتطور اللغة العربية في مدينة مروا، ومدى تقدمها في ظل التحديات الكثيرة التي تحيط بالعربية وأهلها؛ إذ البعض يرى العربية جاءت لخدمة الدين فقط.
- * حب الباحث الشديد لوضع مرجع علمي، يحفظ مثل هذه الأعمال الأدبية من الضياع والاندثار، فيكون هذا العمل إضافة جديدة في المكتبة العربية بجامعة مروا، وما سواها.

3- أهداف البحث:

- * الإلمام بإنشاء المعهد العالي للدراسات الإسلامية والعربية بمدينة مروا الكاميرونية، والتعرف على الدوافع التي أدت إلى ظهور هذا المعهد.
- * تسليط الضوء على الصور البيانية الواردة في شعر هذا الشاب الكاميروني للوقوف على مقدرته في التفنن من استخدام الصور البيانية في شعره، باتباع الطرق المنهجية والأساليب الفصيحة.

* -الوقوف على أسلوب الشاعر عند صياغة الصور البيانية في قصيدته، بقصد التعرف على قدراته الإبداعية من خلال النكت البلاغية التي تعد أساساً مهماً من أسس فروع اللغة العربية.

قصيدة افتتاح المعهد العالي:

ألقى الشاعر خليل حمدو في مناسبة افتتاح المعهد العالي للدراسات الإسلامية والعربية قصيدة تحتوي على سبعة عشر بيتاً، التي بناها على قافية الهاء، مستخدماً فيها البحر البسيط، وبدأ القصيدة بمدح الإمام الخطيب محمود مال بكري¹، الذي كان حاضراً في الحفل مع عدد كبير من العلماء الآخرين بمباني المعهد الإسلامي في مدينة مروا، وجاءت تي القصيدة بواحد وعشرين بيتاً، بناها على الروي " الباء"، وكان ذلك في اليوم العشرين من شهر صفر لعام 1441هـ الموافق للتاسع عشر من شهر أكتوبر لعام 2019م.

ويرجع سبب إنشاء هذا المعهد العالي وجود عدد هائل من حملة الشهادات الثانوية، لم تتح لهم فرص مواصلة في الدراسات الجامعية، فينقطعون عن الدراسة، وخاصة أولئك النسوة اللاتي لا تنهياً لكثير منهن مواصلة دراستهن في الخارج لأسباب أكاديمية أو عادات اجتماعية مع حرصهن على التعلم، وتمتعن بالذكاء الفارط في كثير من الأحوال، بالتالي ينسون كثيراً مما تعلموه في المرحلة الثانوية.

لذا، فإن أولئك الطلبة والطالبات بحاجة ماسة إلى أن توفر لهم بيئة مناسبة يستطيعون من خلالها الاستمرار ومواصلة دراستهم والحصول على مستويات عالية؛ للوصول إلى إعداد مخرجات ذات مواصفات عالية الجودة تتواءم مع الواقع التعليمي والدعوي في مدينة ماروا وما جاورها، وإنشاء جيل ذي ثقافة دينية وعلمية واسعة ومؤهلات عالية تتناسب مع العصر الذي يعيشون فيه بالإضافة إلى تحسين ورفع المستويات العلمية المتدنية من بعض خريجي المرحلة الثانوية.

ففي هذه المناسبة الجليلة، ألقى الشاعر خليل حمدو هذه القصيدة، كما أسلف الباحث، واستخدم الكثير من اللطائف والنكت البلاغية الجذابة؛ فلذا أراد الباحث أن يقف عليها استخراج الكنوز البيانية فيها، وقبل الحث عنها، يود الباحث أن يشير – ولو بصورة سريعة- إلى سيرة الشاعر نفسه.

فالشاعر خليل¹ حمدو: خليل بن حمد بن حمن وابي، وأمه: بُولو بنت حمد، وأمه تسمى: ليلي. ولد: في حي دُوغِي بمدينة مَرَوَا عاصمة منطقة أقصى شمال الكامبيرون في السنة 1982م بين الحدود التشادية ودولة نيجيريا.

*نشأته: ترعرع في مدينة مروا الكامبيرونية، وبدأ التعليم الأولي الذي يتمثل في تعلم قراءة القرآن الكريم، وكتابته بالمدارس التقليدية أو ما يسمى بالحلقات أو الخلاوي القرآنية على يد والده الشيخ مال حمدو في البيت كعادة كثيرين من أهالي المينة وضواحيها، فلما أتم دراسة القرآن وكتابته، وأخذ شيئاً من الكتب الفقهية المالكية المشهورة في الساحة وكذا الكتب المؤلفة في إطار اللغة العربية وآدابها، وبلغ سن المدرسة الابتدائية، سجله أبوه في المدرسة الابتدائية الأهلية الفرنسية الإسلامية بيري في دُوغِي، فأكمل المرحلة الابتدائية متحصلاً على الشهادة الابتدائية، ثم التحق بالمعهد الإسلامي التابعة للجمعية الثقافية الإسلامية بالكامبيرون في حي دُوغِي، إلى أن وصل الصف الثالث الإعدادي، وفي أثناء امتحان الشهادة الإعدادية، شارك الشاعر في امتحان القبول بالأزهر الشريف في ياوندى، وكان ذلك في السنة 1999م.

وبتوفيق من الله –سبحانه- حصل على القبول، يعني المنحة الأزهرية، فسافر إلى جمهورية مصر لينهل منها العلم الصافي، وليجد لنفسه جواً مناسباً لموصلة مشواره الثقافي والعلمي في أعلى مستوياته، ولينمي ملكته الشعرية، ويجيد طريقة كتابته، بالإضافة إلى حفظه لكتاب الله القرآن الكريم.

وقد حصل على الشهادة الإعدادية، وهو الأول في الشهادة الأزهرية، وفي الشهادة الثانوية، كان الثاني من بين زملائه على مستوى الأزهر، ثم التحق بكلية التربية قسم اللغة العربية، وتخرج فيها بتقدير "جيد جداً" مع مرتبة الشرف.

هذا هو الشاعر خليل حمدو بصورة موجزة، والآن ينتقل الباحث إلى الحديث عن النكت البلاغية التي وردت في القصيدة، والنكت جمع نكتة، يقال: نكت الشخص: أتى بطرفة أو ملححة في كلامه تضحك الآخرين،⁽¹⁾ وتلك النكت البلاغية مفصلة على النحو التالي:

النكت البلاغية في علم المعاني:

استخدم الشاعر في قصيدة افتتاح المعهد العالي كثيرا من النكت البلاغية التي تتعلق بعلم المعاني أحد فنون البلاغة الثلاثة، ولكن الباحث استطاع الباحث نكتة واحدة وهي أسلوب النداء الذي يعد من الإنشاء الطلبي، الذي يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب.

والنداء في اللغة هو الدعاء، وفي الاصطلاح: هو طلب الإقبال بحرف أو أداة نائب مناب أدعو أو أنادي، وله صيغ متنوعة ومختلفة حسب طبيعة المنادى في القرب والبعد⁽²⁾ حسب الغرض الذي يقصده المتكلم، ولكن الشاعر خليل أتى في قصيدته بستة من النداء، خمسة صرح فيه بلفظ النداء "يا" وثلاثة حذف فيها أداة النداء على نحو ما جاء في قوله:

يا مرحبا بضيوف المعهد العلم زين المقام بدور السادة النجب
استخدم الشاعر في هذا البيت أداة النداء "يا" فرحب بالضيوف الذين وفدوا إلى المعهد الإسلامي بمدينة دوعي للمشاركة في حفل افتتاح المعهد العالي للدراسات الإسلامية، بتوجيه النداء إلى الترحيب مباشرة مع أنه يريد ترحيب أولئك الضيوف من باب التفنن في التعبير، واستعمل في هذا التعبير لفظ "يا" الذي هو أكثر أدوات النداء شيوعا؛ لكثرة استعمالها في اللغة العربية، ويلاحظ اختصاصه ببناء اسم الجلالة، كل ذلك يدل على شعور الشاعر برفعة هؤلاء الضيوف وعظم شأنهم، وهذا هو من أغراض أسلوب النداء.⁽³⁾ وهذا الأسلوب يرى الباحث أن الشاعر خليل، قد عمد إليه أيضا عند ما يقول:

يا مرحبا بكرام الصحب قاطبة أحبتي النجبا في ملتقى الشهب

حيث أسند "يا" النداء إلى الترحيب، كما هو الحال في البيت الأول، إلا أنه وصف هؤلاء الضيوف بكرام صحبه، وأحبته النجباء؛ مما يوحي إلى عظم شأنهم، ويلاحظ في لفظ "النجباء" حذف الهمزة "النجبا" ضرورة شعرية لاستقامة الوزن؛ مما يدل سعة قدرة الشاعر الإبداعية في قرض الشعر.

كما وجه الشاعر نداء عاما إلى جميع أهل مروا بالاستفادة من هذا الحدث العظيم افتتاح المعهد العالي، حيث يقول:

يا أهل ماروا بدارا للسعادة قد لاحت بشائرها في دار منتسب
ويقول أيضا:

قد جاءكم شرف يا قوم فابتهجوا بنعمة طلعت أسنى لذي طب
فاستخدم ألفاظ العموم في مثل: أهل ماروا-يا قوم، كل ذلك يدل على اهتمام الشاعر بهم، كما أن الشاعر وصفهم بالأحبة، حيث يقول:

أحبتي لكم مني الرسالة أن تكاتفوا، ودعوا الأضغان أداها
فناداهم بلفظ الأحبة، وحذف لفظ "يا".

كما أن الشاعر أيضا، انتقل من نداء العوام إلى تخصيص النداء إلى طلاب العلم، وهم الطلاب الذين تخرجوا من المرحلة الثانوية بالمعهد الإسلامي بالمبادرة في الالتحاق بالمعهد العالي الجديد، حيث يقول:

يا طالبين فنون العلم جامعة هيا لدار علوم الدين أهـداها

ولم يكتف الشاعر فقط ببناء الطلاب فقط، بل سرد في تشبيه المعهد العالي بالنخلة، فوجه إليها النداء بقوله:

يا نخلة طلعت للخير فاتحة في أرض مَرَوَا، وعين الله ترعاها

فشبه الشاعر المعهد العالي بالنخلة، ووجه إليها النداء، ومعلوم أنه هو نداء جار على غير معناه الأصلي في البلاغة العربية، الذي هو طلب الإقبال، فالنداء هنا يدل على شدة اهتمام وعناية الشاعر بالمعهد، فاعتبر ذلك كأنه أمام شجرة نخلة يخاطبها، ولعل الشاعر بهذا التعبير تأثر بشوقي في ديوانه صراخ الأشجار، فاستحضر النخلة للتعبير عن عنايته واهتمامه بالمعهد بلغة عذبة تتمثل في النداء.⁽⁴⁾

واستخدم الشاعر أسلوب النداء الذي يتمثل في غرض الدعاء أو الاستغاثة الذي يعد من الأغراض المجازية للنداء في البلاغة،⁽⁵⁾ حيث يقول:

يا رب، وارض عن الصحب الكرام كذا أهل البقيع أولي الأيدي من النجب
ويقول أيضا:

إلهنا استجب الدعوات، واقض لنا ما كان من أمل نرجوه مرتقب

رب العباد إليك السؤل والأمل زك النفوس على المنهاج تهديها
ويلاحظ الباحث أن الشاعر خليل في أسلوب النداء، جاء بصورتين، الأولى، صرح فيه بلفظ النداء وهو "يا" وفي
الصورة الثانية حذفها، وهذا الأمر خاص بلفظ ياء دون غيرها من بقية أدوات النداء.

النكت البلاغية في علم البيان:

استخدم الشاعر خليل النكت البلاغية في علم البيان، التي تتمثل في الصور البيانية الآتية:
التشبيه:

التشبيه: هو الدلالة على مشاركة شيء لشيء في معنى أو أكثر من المعاني لغرض، ويختص لفظ "التشبيه" بالتشبيه
غير المركب أو المفرد الذي يكون وجه الشبه فيه مفردا، وليس صورة منتزعة من متعدد، كما هو الحال في التشبيه
التمثيلي⁽⁶⁾.

وينقسم التشبيه عند علماء البلاغة أيضا، كما هو معلوم بالنسبة لأركانه إلى أقسام عدة، منها: التشبيه المرسل والتشبيه
المؤكد والتشبيه المفصل والتشبيه المجمل⁽⁷⁾.

وكذلك معلوم أيضا أن التشبيه له أنواع كثيرة، منها التشبيه الضمني، الذي لم يصرح فيه بأركان التشبيه على الطريقة
المعلومة، بل يفهم من معنى الكلام وسياق الحديث، والتشبيه المقلوب وغيرهما⁽⁸⁾.

يرى الباحث أن الشاعر خليل، استخدم التشبيه المفرد في موضعين: الأول في قوله:

إن الخيال غدا حقا يلوح سنا كالشمس تشرق في أبهى مراها

حيث شبه الخيال الذي يتمثل في افتتاح المعهد العالي، الذي تحقق حلمه في مدينة مروا كالشمس التي تشرق في
النهار بالضياء، فينتشر الناس ويتغنون من فضل الله وكرمه، فبين الشمس وبين افتتاح المعهد وجه شبه، وهو الظهور
والضياء ونشر الخير، فهو تشبيه مفرد، كما أن الشاعر ذكر في هذا التشبيه بعض أركانه كالمشبه والمشبه وأداة
التشبيه، ولكنه لم يذكر وجه الشبه، مما يدل على التشبيه المؤكد المجمل.
وكذلك الحال في قوله:

كالزهر في وسط الصحراء زاهية تسقى بأطيب ري طاب مسقاها

حيث شبه المعهد العالي بالزهر في الحسن والجمال، وحذف وجه الشبه فيه من باب التشبيه المفرد المؤكد المفصل
أيضا.

وتفنن الشاعر في تصوير الحادثة إلى نوع آخر من أنواع التشبيه، وهو التشبيه الضمني في قوله:

الله أكبر، ما أغلاك من هبة جديرة بجياد الشعر أرقاها

حيث شبه المعهد العالي بجياد الشعر، والجياد من الجواد، وهو السريع في السباق⁽⁹⁾، فهو يحتوي على معاني قيمة
يفتخر بها كل إنسان، فالشاعر لم يضع هذا التشبيه على الطريقة المألوفة، بل يفهم ذلك ضمن كلامه، ولذلك يسمى
بالتشبيه الضمني، ليرتفع الكلام إلى مرتبة أعلى في البلاغة.

الاستعارة:

يقصد بالاستعارة في اللغة من العارية أي نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص
المعار إليه⁽¹⁰⁾.

ويرى الباحث أن العالم الجليل عبد القاهر الجرجاني، ذكر أن الاستعارة هي أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن
تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتغيره المشبه وتجريه عليه، تريد أن تقول: رأيت رجلاً كالأسد
في شجاعته وقوة بطشه، فتدع ذلك وتقول: رأيت أسداً⁽¹¹⁾.

وفهم من ذلك أن الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه إما المشبه أو المشبه به، وتكون العلاقة بينهما علاقة شبه بين
الطرفين.

وتنقسم الاستعارة باعتبار الطرفين إلى:

-**الاستعارة التصريحية:** وهي التي يصرح فيها بلفظ المشبه به دون المشبه.

-**الاستعارة المكنية:** وهي التي يحذف منها المشبه به، ويرمز إليه بشيء من لوازمه، ويذكر المشبه عكس الاستعارة
التصريحية⁽¹²⁾.

وتتجلى هذه الاستعارة التصريحية في قول الشاعر:

نور تلاً في أرجاء بلدنا والمسك ضوع في ماروا على رحب

حيث شبه المعهد العالي بنور يتلألأ في أنحاء، مصرحاً لفظ المشبه في الاستعارة وهو النور، فكأنما النور يهتدي به في الطريق، فذلك المعهد العالي يهتدي في ظلمات الجهل والامية على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية المطلقة؛ لأن اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة هو اسم جامد ليس مشتقاً، ثم إن الشاعر لم يذكر بعد نهاية استعارته: المسك ضوع... إلخ، فلا يتناسب مع المشبه وهو المعهد العالي، ولا يتناسب مع المشبه به وهو النور؛ لذلك يسمى استعارة مطلقة. (13)

وكذا يرى الباحث الاستعارة التصريحية في أقوال الشاعر الآتية:
يا نخلة طلعت للخير فاتحة في أرض مَرَوَا، وعين الله ترعاها
حيث شبه المعهد العالي بالنخلة، وصرح لفظ المشبه به وهي النخلة على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، ومثله قول الشاعر:

سقى لباسقة بالخبر باسمه فريدة، وحمى الرحمن يغشاها
حيث شبه المعهد بغصن باسقة، وصرح بلفظ المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية أيضاً. وكذلك الحال في قول الشاعر:

ألقي السلام عليكم أيها الفضلا حيا الإله وجوها طاب مرأها
حيث شبه الشاعر إفشاء السلام بإلقائه، وصرح أيضاً بلفظ المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، لأن اللفظ هنا فعل، ليس جامداً، ويلاحظ في البيت أيضاً أن لفظ "الفضلا" أصله "الفضلاء" حذفت الهمزة للضرورة الشعرية، ولعله يعد من باب الإيجاز بالحذف، كما تقرر في علم المعاني.
النكت البلاغية في علم البديع:

علم البديع هو من فنون علم البلاغة الثلاثة، وهو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التتميق إما بسجع يفصله أو تجنيس يشابه بين ألفاظه أو ترصيع يقطع أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه لاشتراك اللفظ بينهما وأمثال ذلك، (14) وينقسم إلى قسمين:

المحسنات اللفظية والمحسنات المعنوية.
وسيركز الباحث على المحسنات اللفظية؛ لأنها هي التي وردت في القصيدة حسب علم الباحث، وتلك المحسنات كثيرة جداً، ولكن الباحث يقتصر فقط على محسن واحد وهو الجناس.
الجناس والتجنيس والمجانسة والتجانس: كلها ألفاظ مشتقة من الجنس، فالجناس مصدر جانس، والتجنيس تفعيل من الجنس، والمجانسة مفاعلة منه. لأن إحدى الكلمتين إذا شابته الأخرى وقع بينهما مفاعلة الجنسية، والتجانس مصدر تجانس الشينان: إذا دخلا تحت جنس واحد. (15). وأما في الاصطلاح: الجناس: هو تشابه اللفظين في اللفظ واختلافهما في المعنى، وسنقسم إلى أقسام عديدة، منها الجناس التام والجناس الناقص وجناس الاشتقاق. (16)

وأورد الشاعر خليل حمد في قصيدته الجناس الناقص الذي يحد باتفاق اللفظين في النطق، واختلافهما في المعنى، ويكون هذا الاتفاق في بعض الأمور الأربعة النوع والترتيب والشكل والعدد، وهو في قوله:

إن كان وصف نبي الله محتسباً فوصف طيبة ذي من خيرة القرب
صلى الإله على خير الورى أبداً وداره حميت دوماً من الكرب

حيث جانس بين لفظين، وهما: القرب والكرب، تشابهاً لفظاً واختلافاً معنواً، ويتمثل هذا التشابه في العدد والشكل دون النوع، ففي اللفظ الأول تنصدر القاف، وتأتي الكاف في أول اللفظ الثاني، وهذا ما يسمى بالجناس الناقص عند علماء البديع.

كما أن الباحث لاحظ جناس الاشتقاق في قول الشاعر:

حمداً لخالقنا الرحمن بارئنا سبحان من خلق الدنيا وسواها

حيث جانس بين لفظ "خالقنا" ولفظ "خلق" وهما مشتقان من كلمة واحدة، وهذا الذي يطلق عليه بجناس الاشتقاق.

الخاتمة:

كان الشاعر خليل حمد الكاميروني من الشعراء المحافظين على عمود الشعر العربي الفصيح، فأنشأ قصيدة بمناسبة افتتاح المعهد العالي للدراسات الإسلامية والعربية بمدينة مروا الكاميرونية، وهذه القصيدة تحتوي على ثمان وثلاثين بيتاً مستخدماً البحر البسيط، ويبدو أن الشاعر خليل من الشعراء الذين يشار إليهم بالبنان في الكاميريون، وقد استخدم كثيراً من الأساليب البلاغية المتنوعة من معان وبيان وبديع، وأجاد فيها، وخرج الباحث بالنتائج التالية:

تتميز هذا القصيدة بالجمال وجزالة الألفاظ وقوة المعاني وسلامة اللغة وفصاحتها وبلاغتها. كما تتميز أيضا بالمحافظة على عمود الشعر العربي القديم، وصدق تصوير الأحاسيس والمشاعر. واستخدم الشاعر في هذه القصيدة كثيرا من الفنون البلاغية الثلاثة من التشبيه المرسل والمؤكد والتشبيه الضمني، والاستعارة التصريحية والأصلية والتبعية والمطلقة، وكذا الجناس الذي يتمثل في الجناس الناقص وجناس القلب. كما يوصي الباحث بالآتي:

- الاهتمام بدراسة مثل هذه الأعمال للشعراء الآخرين في الأماكن الأخرى في الكاميرون، فكل إقليم لا يخلو مثل هؤلاء المبدعين.

- العناية بالعلوم البلاغية من البيان والمعان والبديع، لأن لها الفضل الأول في بيان أسرار اللغة العربية والكشف عن كنوزها المدفونة والبحث عن نفائسها، وتجليتها وإداعتها بين عشاقها.

3- تشجيع الطلاب الموهوبين على الاعتناء بالشعر العربي، إذا عني بأعمالهم المشجعون والباحثون.

المصادر والمراجع:

- 1- أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، بدون مكان النشر، 2008 م. ج3، ص: 2278.
- 2- عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1430 هـ - 2009 م. ص: 115.
- 3- حامد عوني: المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، ج2، ص: 111.
- 4- السعيد موفقي: صياغة المعنى الشعري وأدواته في ديوان صراخ الأشجار لشوقي بزيغ، دراسة أسلوبية، بحث أعد لنيل شهادة الماجستير في الدراسات الأدبية، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2010/2009 م. ص: 133.
- 5- الهاشمي أحمد بن إبراهيم بن مصطفى: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، تاريخ بدون، ص 90.
- 6- الميداني الدمشقي عبد الرحمن بن حسن حَبَّكَة: البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد، ط1، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، 1416 هـ - 1996 م، ج2، ص127.
- 7- الصعدي عبد المتعال: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ط17، مكتبة الآداب، بدون مكان النشر، 1426 هـ - 2005 م. ج3، ص: 149.
- 8- المراغي أحمد بن مصطفى: علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1414 هـ - 1993 م، ص: 232.
- 9- الأجذابي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي: كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في اللغة العربية، تحقيق السائح علي حسين، دار اقرأ للطباعة والنشر والترجمة - طرابلس - الجماهيرية الليبية، بدون تاريخ، ص: 100.
- 10- أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، 2007 م. ص 82.
- 11- الجرجاني، أبو بو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد: كتاب دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق أبي فهر محمود محمد شاكر، ط3، مطبعة المدني، القاهرة، ومطبعة المدني، جدة، 1413 هـ - 1992 م. ص: 67.

- 12- عبد العزيز عتيق: علم البيان، ط بدون، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت -لبنان، 1405 هـ -1982 م. ج1، ص: 176
- 13-المرجع نفسه، عبد العزيز عتيق، ج1، ص: 176
- 14-ابن خلدون، أبو زيد: عبد الرحمن بن محمد بن محمد: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ط2، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1408 هـ -1988 م. ج1، ص: 761
- 15-ابن معصوم علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني: أنوار الربيع في أنواع البديع المؤلف: صدر الدين المدني، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد، ط بدون، ص16
- 16-السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين: كتاب معترك الأقران في إعجاز القرآن، ط1، دار الكتب العلمية -بيروت -لبنان، 1408 هـ -1988 م، ج1، ص: 304

الملاحق:

ملحق رقم 1

في حفل افتتاح المعهد العالي للدراسات الإسلامية والعربية بماروا في 20 صفر 1441 هـ = 19 أكتوبر 2019 م

- 1-الحمد لله ربي الباسط الصمد يعطي الرغائب دوما دونما سبب
- 2-ثم الصلاة على خير الأنام ومن أقام سنته المثلى من العقاب
- 3-يا مرحبا بضيوف المعهد العلم زين المقام بدور السادة النجب
- 4-شكرا يدوم لكم بالنشر قد مزجت ألفاظه فغدا أغلى من الذهب
- 5-حيا الإله معالي الشيخ سيدنا تاج العلوم إمام الدين ذو الحسب
- 6-رئيس مجلس أهل العلم بالكميرون زاد المليك له فضلا على رُتب
- 7-خير الرجال حكيم طيب الشيم جَمّ المحاسن محمود لدى العرب
- 8-زكت منابت فضل في دياركم نمت مغارس مجد شامخ الرتب
- 9-نسل يفوح بمسك الفضل معه تجود تربته دوما بذى حسب
- 10-الله يحفظه والخير يرزقه فألا بمنشئه يسري إلى عقب
- 11-يا مرحبا بكرام الصحب قاطبة أحبتي النجبا في ملتقى الشهب
- 12-يا أهل ماروا بدارا للسعادة قــــــد لاحت بشائرها في دار منتسب

- 13- قد جاءكم شرفٌ يا قوم فابتهجوا بنعمة طلعت أسنى لذي طلب
- 14- نور تلاً في أرجاء بلدتنا والمسك ضّوع في ماروا على رحب
- 15- دار العلوم، م ع ين الباحثين، هنا لاحت بشائرها لكل ذي طلب
- 16- العلم أفضل ما تسعى النفوس له والعلم منزلة تسمو على الرتب
- 17- إن كان وصف نبي الله محتسباً فوصف طيبة ذي من خيرة القرب
- 18- صلى الإله على خير الورى أبداً وداره حميت دوما من الكرب
- 19- هي المدينة حقا بالهدى بنيت أركانها، وإليها خير منقلب
- 20- يا رب، وارض عن الصحب الكرام كذا أهل البقيع أولي الأيدي من النجب
- 21- إلهنا استجب الدعوات، واقض لنا ما كان من أمل نرجوه مرتقب

قصيدة بمناسبة افتتاح المعهد العالي

- 1- إن الخيال غدا حقا يلوح سنا كالشمس تشرق في أبهى مراياها
- 2- يا نخلة طلعت للخير فاتحة في أرض (مروا)، وعين الله ترعاها
- 3- كالزهر في وسط الصحراء زاهية تسقى بأطيب ري طاب مسقاها
- 4- سقيا لباسقة بالخير باسمه فريدة، وحمى الرحمن يغشاها
- 5- الله أكبر، ما أغلاك من هبة جديرة بجياد الشعر أرقاها
- 6- الشعر يحسن إن جاء الشعور به والرائعات من الأشعار أنقاها
- 7- صوب القرائح، لا تفنى بدائعه طوع القياد إذا ما الحس ناداها
- 8- لو كان يقعد فوق الشمس من شرف قوم فعرش ذوي العرفان أعلاها
- 9- يا طالبين فنون العلم جامعة هيا لدار علوم الدين أهداها
- 10- تأتي الوفود من الرواد عاشقة علما، ومنهلك الفياض مرواها
- 11- أحبتي لك م مني الرسالة أن تكاتفوا، ودعوا الأضغان أدناها

- 12- ماذا التدابر والإسلام دينكم فيه الأخوة في أسمى معانيها
- 13- رب العباد إليك السؤل والأمل زك النفوس على المنهاج تهديها
- 14- لا تأخذن بما الأوباش ش تفعله جماعة نصبت للحق محياها
- 15- حمدا لخالفنا الرحمن بارئنا سبحان من خلق الدنيا وسواها
- 16- أزكى الصلاة على خير الأنام، ومن أقام سنته المثلى وأحياها
- 17- ثم السلام عليكم أيها الفضلا حيا الإله وجوها طاب مـراها

ملحق رقم 2

الشاعر خليل حمد عضو رابطة الإسلامي العالمية



ملحق رقم 3

صور في يوم افتتاح المعهد العالي



ملحق رقم 4
إعلان افتتاح المعهد العالي

المعهد الإسلامي بمدينة مروا

المعهد العالي للدراسات الإسلامية والعربية

الاعلان عن حفل افتتاح المعهد العالي

يُشرف مدير المعهد الإسلامي بمدينة مروا بدعوة كافة الأسرة
المدرسية والمتضامنين من أساتذة وطلبة وموظفين ورجال أعمال لحضور
فعاليات حفل افتتاح المعهد العالي للدراسات الإسلامية والعربية،
و ذلك يوم السبت 20 صفر 1441هـ الموافق لـ 19 أكتوبر 2019م
الساعة الحادية عشر (11:00) صباحا في مقر المعهد.

وعلى كافة المسجلين في العهد العالي الالتزام بالحضور المبكر
والانضباط لتكملة الإجراءات اللازمة.

حضوركم يزيدنا شرفا - الدعوة عامة -

مدير المعهد

الأستاذ/ عمر حمان سعيد



12 OCT 2019

التثاقف العلمي بين ممالك غرب أفريقيا وحواضر الغرب الإسلامي في عصر بني مرين

د. عبدالله علي نوح
كلية الآداب والعلوم. المرج. جامعة بنغازي

د. فرحات بكار محمد
كلية الآداب. جامعة بنغازي

ملخص البحث:

امتازت ممالك أفريقيا والسودان الغربي من ضمنها، ببروز بعض مظاهر التلاقح الثقافي مع بلاد المغرب الإسلامي منذ بواكير التمكن الإسلامي من تلك الممالك، وقرار الدين الإسلامي في أوساط الناس بعد رسوخ العقيدة لديهم، في ظل ظاهرة انتشار الإسلام في معظم مناطق وممالك الصحراء الأفريقية، فبعد تغلغل الإسلام في صحراء أفريقيا والذي كان مترافقاً مع أعمال التجارة والدعوة الحسنة، والتأثر بأعمال وأخلاق المسلمين، بدأ أهل الصحراء يدخلون الدين رغبة فيه، وقناعةً بتعاليمه وتأثراً بقيمه العقيدة.

وتماهياً مع ذلك برزت الحاجة ملحّة إلى ملء الوعاء الاستقبالي لهؤلاء من معين علوم الإسلام والعربية، والتي وجدوا فيها ما كان ينقصهم، ولهذا تلقف أهل الصحراء علوم الدين وعلوم العربية تلقف المتعطش لحياض العلم والمعرفة.

وكانت سبل التجارة المغاربية سبيلاً لاكتساب المعارف والعلوم المتصلة بالدين الإسلامي واللغة العربية، فبدأت مظاهر التلاقح الفكري المعرفي بين ساكنة الصحراء وحواضر المغرب الإسلامي منذ بواكير عهود الإسلام، وزادت وتيرتها في العصر المريني.

وهذا البحث محاولة لاستنتاج بعض مظاهر التلاقح والتثاقف العلمي الفكري المعرفي بين مدن وقرى وفيافي غرب أفريقيا مع مدن وحواضر المغرب الإسلامي في العهد المريني، ومحاولة تسجيل صور تبادل العلوم، وانتشار المعارف، وبروز ظاهرة الاستقباف المعرفي لدى الراغبين في الاستزادة من علوم الإسلام وعلوم العربية.

Abstract:

The kingdoms of Africa west of Sudan were characterized by emergence of some manifestations of cultural inoculation with the countries of the Islamic Maghreb since the early days of Islamic control over those kingdoms, and the decision of the Islamic religion among the people in light of the spread of the phenomenon of spread, Islam in most regions and kingdoms of Africa.

After the introduction of Islam in the deserts of Africa, where trade was associated with good preaching and the influence of Muslims' behavior and morals, the people of the desert began to enter the religion with lust and conviction in its teachings, influenced by it, ideological values.

There was an urgent need to fill the cultural container for these people from certain sciences of Islam and Arabic, in which they found what they were missing, and that is why the people of the desert seized the sciences of religion and the sciences of Arabic, thirsting for the pools of science and knowledge.

المقدمة:

تميزت العلاقات عامةً والعلمية الاستثنائية بشكل أخص، بالتواتر والقوة في العصر المريني مع ممالك غرب أفريقيا، فقد تطورت بشكل واضح في العصر المريني، حيث تواترت العلاقات والسفارات بين السلاطين من ملوك بني مرين وملوك وسلاطين غرب أفريقيا.

ولعب السلطان أبو الحسن المريني (1330-1349م) و السلطان مالي منسا موسى (1312-1337م)، دوراً بالغاً في تأسيس أسس هذه العلاقات وتقوية أواصرها، وسرت تلك الأواصر قي أعقابهما كما يقول ابن خلدون. إذ أنه وبعدما استولى السلطان أبو الحسن المريني على المغرب الأوسط وغلب بني زيان على ملكهم، عظم قدره و طال ذكره وشاعت أخباره في الآفاق، ما حدا بالسلطان منسا موسى إلى مراسلة السلطان أبي الحسن فأوفد عليه جماعة من أهل مملكته مع ترجمان من صنهاجة، فوفدوا من لدن منسا موسى على السلطان أبي الحسن وغايتهم التهنة بالظفر والسلطان، وكانت تلك البداية للعلاقات السياسية ومن ثم الفكرية قد بدأت بتلك التهنة عام 1337/738م(1).

واستمر التهادي والتواصل بين المرينيين وسلاطين مالي في عهد خلف منسا موسى أخيه السلطان منسا سليمان، حيث أكمل مسيرة أخيه منسا موسى في مواصلة التهادي والسفارات مع بني مرين، حيث عبّر السلاوي عن ذلك بقوله: "السلطان منسا موسى بن أبي بكر، وأخوه منسا سليمان اللذان كان بينهما وبين السلطان أبي الحسن المريني من المهاداة والمواصلة ما تقدم ذكره"(1).

ووصل أمر العلاقة القوية بين المملكتين إلى قيام السلطان منسا سليمان برسم التعزية في وفاة السلطان أبي الحسن المريني في حاضرة ملكه، حزناً على فقدان المسلمين للسلطان المريني(1)، ووافقت إقامة تلك المراسم وجود ابن بطوطة في ذات الوقت بمملكة منسا سليمان، فدعاه السلطان المالي لحضور تلك التعزية، فتأثر رحالتنا غاية التأثير بهذه المبادرة التي ظلت عالقة بذهنه، فسجلها ضمن ما سجله عن مملكة أحوال مالي المسلمة(1).

كما أن الشاعر الأندلسي أبا إسحاق الساحلي الذي تعرف عليه منسى موسى بمكة أثناء حجته المشهورة عام 724هـ/1324م(1)، ثم استقدمه معه لمالي في السنة الموالية بغاية الاستفادة من علمه وخبرته الهندسية في العمارة، كان له دور لا يستهان به في توطيد العلاقات بين البلاطين المريني والمالي.

وحقيقة الأمر وعطفاً على ما سلف، فإن ممالك السودان الغربي قد شهدت بعض مظاهر التلاقح الثقافي مع بلاد المغرب الإسلامي منذ بواكير التمكن الإسلامي من تلك الممالك، وقرار الدين الإسلامي في أوساط الناس بعد رسوخ العقيدة لديهم، في ظل ظاهرة انتشار الإسلام في معظم مناطق وممالك الصحراء الأفريقية بمؤثرات وأسباب تدخل في إطار الأسلمة لا الفتوحات العسكرية(1).

إذ الملاحظ على تغلغل الإسلام في صحراء أفريقيا أنه كان مترافقاً مع أعمال التجارة والدعوة الحسنة، والتأثر بأعمال وأخلاق المسلمين، ما جعل أهل الصحراء يدخلون الدين رغبة فيه، وقناعةً بتعاليمه وتأثراً بقيمه العقيدية(1). ولكي تكتمل الصورة الصحيحة للدين لدى سكان الممالك الإسلامية في تلك البقاع، ظهرت الحاجة إلى تعلم العربية، إذ بدون اللسان العربي الصحيح لا مجال لقراءة وحفظ القرآن الكريم(1)، كما لا تصح أهم العبادات الإسلامية وهي الصلاة الركن الثاني في الإسلام(1)، وهذا قاد إلى مزيد من التطلع إلى فهم الدين بشكل أعمق وفهم السنة النبوية بشكل صحيح، والتفقه في الدين الإسلامي بصورة أكثر قرباً إلى العقيدة الصحيحة.

أسس العلاقات الثقافية المرينية بممالك غرب أفريقيا:

لما فهم الناس في السودان الغربي علاقة الإسلام بالعلم، لم يألوا جهدهم في البحث عن المعرفة والسعي للتعلم، فتطلعوا إلى أقرب البقاع الإسلامية التي تتقن العربية، وتنتهج تعليم القرآن والفقه والعلوم المرتبطة بالكتاب والسنة. ولأن مسلك التجارة مع الغرب الإسلامي كان مهياً قبل الإسلام بين تلك المناطق، استمرت دروب التجارة في انسياب السلع والمنقولات ومعها العلوم والمعتقدات(1)، فصار التاجر المسلم سفيراً لدينه، قدوة لمن يتعامل معهم من التجار والناس، ناقلاً لما حصله من علوم الدين، سواء ما يحفظ من آيات القرآن، أو ما يروي من أحاديث النبي الكريم، أو بما يتمكن من إيصاله من أوامر ونواهي العقيدة الإسلامية(1) بلسان الناس في مناطق الغرب الإفريقي. وباستمرار التواصل بين أهل المغرب الإسلامي وسكان ممالك الغرب الأفريقي، شاع الإسلام وانتشر المذهب المالكي في تلك البقاع(1)، وذاعت كتب الفقه المالكي التي ألفها العلماء المغاربة بين رواد العلم من أهل ممالك الغرب الإفريقي(1)، فأصبح من المألوف ذهاب علماء المغرب إلى الممالك الأفريقية لتعليم الناس(1)، أو سفر

طلاب العلم الأفارقة نحو حواضر المغرب للتعلم، فتداولت كتب الفقهاء المغاربة المصنفة بالعربية في ممالك غرب أفريقيا، وكثر وجود العلماء العرب والمغاربة في أغلب الحواضر بالسودان الغربي (1).

ويروي عبدالرحمن السعدي عن سبب نشأة تنبكت الحاضرة المشهورة بالسودان الغربي، أن موضعاً يسمى (بير) كان ملتقى القوافل والمسافرين في طريق الصحراء نحو المغرب وفزان " ثم أخذ الناس يسكنون فيه ويزداد بقدرة الله وإراداته في العمارة، ويأتيه الناس من كل جهة ومكان حتى صار سوقاً للتجارة ... وسكن فيه الأخيار من العلماء والصالحين وذوي الأموال من كل قبيلة ومن كل بلاد من أهل مصر ووجل وفزان وغدامس وتوات ودرعة وتغلاة وفاس وسوس وبيط إلى غير ذلك، ثم انتقل الجميع إلى تنبكت قليلاً قليلاً حتى استكملوا فيه وزيادة، مع جميع قبائل صنهاجة بأجناسها فكانت عمارة تنبكت خراب بير، ولم تأت العمارة إلا من المغرب لا في الديانات ولا في المعاملات" (1).

وتماهت تلك الدفقة التفاعلية مع ظهور أنماط من الرحلات العلمية المنطلقة من أمصار السودان الغربي إلى حواضر المغرب كثمرة لتزايد الاستتفاف وفشو ظاهرة انتشار العلوم العربية في السودان الغربي، استفادة من مسالك التجارة الرابطة بين الصحراء وحواضر المغرب (1).

وعلاوة على نهل السودان من علوم المغاربة المطردة، ساهم المغرب في انتقال علوم الأندلسيين إلى السودان، ووصول علوم المشاركة كذلك، لأن حركة التثاقف العلمية وتياراتها وأفكارها كانت تترى بين المشرق والمغرب والأندلس، في ظل تنامي ازدهار أمصار العلم في المغرب الإسلامي مثل القيروان وفاس وسجلماسة، وتنوع أنواع العلوم من القراءات والفقه والتفسير وعلم الحديث وعلوم العربية وآدابها.

وبالتالي برزت حواضر المغرب الإسلامي كمراكز علم (1)، يرنو أهل السودان ورودها والسفر إليها بسبب تأثير عوامل القرب في الجوار، حيث لا فواصل مائية، ولا دروب جبيلة تفصل الرحلة عن الوصول، إنما هي الصحراء الممتدة المنبسطة التي ألف هؤلاء وأولئك طرقها والسفر عبرها، حتى حفظوا مسالكها عبر دروب التجارة المطروقة سلفاً (1).

يقول المستشرق الفرنسي المهتم بتاريخ السودان الغربي الإسلامي (جوزيف كيوك)، وفي معرض حديثه عن حرص علماء وأهل السودان الغربي على الاستتفاف من مدن الغرب الإسلامي وخاصة فاس حاضرة بني مرين، أن تحصيل العلم من فاس يتلو تماماً حرصهم على أداء فريضة الحج وزيارة مكة المكرمة، ويضيف نصاً: "إذا كانت طريق التقوى والورع تنتهي بالسودانيين إلى مكة المكرمة، فإن طريق العلم كانت تنتهي بهم إلى فاس" (1).

مظاهر التثاقف العلمي بين الممالك الأفريقية والدولة المرينية:

في عهد أشهر سلاطين مالي (منسا موسى) وفد إلى تنبكتو العالم الفقيه عبدالرحمن التميمي، الذي كان من دارسي الفقه والفتيا، بيد أنه وجد من أعلام الفقه المالكي في تنبكتو من بزه في العلم والإفتاء، ما اضطره إلى السفر إلى فاس للزود من علماء المالكية هناك، ثم العودة إلى تنبكتو والتوطن بها حتى وفاته، فاشتهر فقهه في حياته ومن بعده، وذلك بتواصل نسله من الولدان والحفدة في التفقه والافتاء، حتى إن حفيده حبيب التميمي كان من أشهر أعلام الفقه المالكي في مالي، ويكفي الفقيه عبدالرحمن التميمي أنه عمل معلماً وفقهياً بالجامع الكبير المعروف بجامع سنكري (1)، وهو من أشهر دور العلم والفقه في تنبكتو، وقيل إن ازدهار تدريس العلوم الفقهية والعربية في جامع سنكري وفي الجامع الكبير الذي شيده السلطان منسا موسى عام 730هـ/1330م جعلهما مؤسستان علميتان تظاهيا الأزهر في الشهرة وتحاكياه في انتهاج سبل العلوم العربية (1).

ومعلوم كذلك أن السلطان (كنكان موسى) ولشدة ثقته في علم أهل المغرب، قد أوفد كاتبه ومنشيء رسائله الشيخ الإمام سيدي أحمد إلى فاس، ليستزيد من العلم والفقه على يد علمائها، وقد كان الشيخ سيدي أحمد من أعلام زمنه في العلم والفصاحة (1)، وهو الذي حرص عند أوبته من فاس على اصطحاب أحد أعلامها العرب معه إلى تنبكتو حاضرة سلطنة ككان موسى، وهو علامة وقته الفقيه عبدالله البلالي (1) الذي تولى إمامة المسجد الكبير في تنبكتو، وجلس للفتيا والتدريس بها.

ويورد عبد الرحمن السعدي في كتابه (تاريخ السودان) إفادة عن رحلة علمية قام بها طالب علم من السودان الغربي، وتحديدًا في عهد السلطان ككان موسى (707هـ - 733هـ/1307م - 1332م) نحو بلاد المغرب، ويرجح

أن تكون الرحلة كانت ضمن رحلات سابقة وتالية لها، حتى تظهر لدى السعدي بشكل عرضي دون ذكر لتفاصيلها. وهذا يومئ إلى أن المعتاد في ذلك العهد أن يشد طلاب العلم الرحال نحو المغرب المريني للزود بعلوم فاس وأرباضها، والدراسة في جامع القرويين المشهور (1)، بحيث أضحى من المؤلف أن تضم حلقات الدرس في المساجد المرينية طلاب علم من سلطنات غرب أفريقيا.

وفي تراجم السعدي لأعلام مسجد سنكري ما يفيض من أسماء العلماء الأعلام، من الذين تفقهوا في اللغة والأدب ورواية الحديث وتدريس القرآن الكريم، وكان بعضهم على صلة بالمغرب ومدنه وعلمائه، منها على سبيل المثال ترجمته للشيخ أبوحفص عمر بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت، النحوي المشهور، والذي مات شهيداً بالمغرب(1).

وكذلك ترجمته للشيخ أبي العباس أحمد بابا، وهو ابن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت السالف ذكره، حيث قال عنه: "لا يناظره في العلم إلا أشياخه، وشهدوا له بالعلم، وفي المغرب اشتهر أمره وانتشر ذكره وسلم له علماء الأمصار في الفتوى..."(1).

وفي ترجمته للشيخ مخلوف بن علي البلبالي(1)، يقول: "سافر للغرب فأخذ عن ابن غازي وغيره، واشتهر بقوة الحافظة حتى ذكر عنه العجب في ذلك، ودخل بلاد السودان ككنو وكش وغيرهما، وأقرأ هناك وجرت له أبحاث في النوازل مع العاقب الأنضمامي، ثم دخل تنبكت وأقرأ بها ثم رجع إلى المغرب فدرس بمراكش، وسُمّ هناك فمرض فرجع لبلده، ومات بعد الأربعين والتسعمائة"(1).

إن مثل هذه الرحلات العلمية لم تكن مثيرة للاستغراب في وقتها، بل كانت مزية اعتادها أهل السودان الغربي، وانتهجها سكان المغرب الإسلامي، فقد كان عرب وبربر وساكنة (ولاتة) و(تنبكت) يتوجهون إلى مدينة فاس للدراسة في القرويين حتى قبل عهد كانكان موسى(1)، كما أن جامع القرويين استقبل منذ القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي أعدادا كبيرة من طلاب بورنو وكانم(1).

ومن العلماء المشهورين الذين توطنوا السودان الغربي كذلك الشيخ محمد بن الفقيه الجزولي، الذي يعد من أشهر المهاجرين إلى مالي، وهو صهر السلطان منسا سليمان، حيث تزوج من ابنة عم منسا موسى(1).

ويبدو أن الشيخ الجزولي قد توطن في حي معروف يسمى محلة البيضان بمالي(1)، والتي اكتسبت اسمها من كثرة القاطنين بها من أهل المغرب ومصر والحجاز(1)، والشيخ الجزولي هو الذي زاره ابن بطوطة في تلك المحلة حيث قال: "وصلت إلى مدينة مالي حضرة ملك السودان فنزلت عند مقبرتها، ووصلت محلة البيضان وقصدت محمد بن الفقيه فوجدته قد اكرى لي داراً إزاء داره.... ولقيت الترجمان دوغا وهو من أفاضل السودان... وكان ابن الفقيه متزوجاً ببنت عم السلطان"(1).

كما دون ابن بطوطة أنه لقي في مدينة ولاتة قاضيه المغربي محمد بن عبدالله بن ينومر(1)، ثم التقى فقيهاً مغربياً أصله من مدينة سلا اسمه ابن بداء، وقابل شقيقه الشيخ يحي(1)، الذي يعمل معلماً وفقهياً بمدينة ولاتة(1).

كما التقى في مدينة تكده(1) شيخ المغاربة بها الفقيه إبراهيم بن إسحاق المغربي(1)، وشيوخ العلم بذات المدينة، الشيخ الفقيه أبا حفص المسوفي(1)، والشيخ المزوري المراكشي(1)، والمقريء الشيخ عبدالواحد، والفقيه سعيد بن الجزولي(1).

ومن أعلام المغاربة الذين توطنوا بلاد السودان الغربي، شيخ فقيه يعرف بابن شيخ اللين، أصله من تلمسان، قرّبه أكرمه السلطان منسا موسى وأغدق عليه العطايا، ومثله ولده الذي كان يُعَلِّم الناس القرآن، وقد لقيهما ابن بطوطة، كذلك التقى الفقيه أبا العباس الدكالي الذي تولى القضاء والفتيا للسلطان منسا موسى(1).

كما سجّل ابن خلدون أن الفقيه أبا عبد الله محمد بن وانسول كان من علماء الفقه الذين وفدوا الصحراء من المغرب، وأصله من سجلماسة، ثم تولى القضاء في دولة مالي، وقد نقل عنه ابن خلدون الكثير من أحوال وأخبار ملوك مالي، حيث التقاه سنة 776هـ(1).

كما كان من أشهر الوافدين الذين لهم أعظم الأثر في بلاد السودان الغربي أبو إسحاق الساحلي الغرناطي(1)، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الساحلي الغرناطي المعروف بالطويجن، ولد بغرناطة ثم رحل إلى مصر والشام والعراق، وفي سنة (724هـ/1325م) حج والتقّى بالسلطان منسا موسى ملك التكرور بمكة المكرمة،

فاصطحبه معه في رحلة العودة إلى بلاده، وأقام عنده حتى وفاته سنة 740هـ على وجه التقريب، وكان له أثر كبير في بلاد السودان في المجالات السياسية والثقافية، حيث كان له الفضل في إدخال أساليب العمارة الأندلسية وعناصرها إلى بلاد السودان الغربي، وكان قد شيد لملك مالي كثيراً من العمائر لصلاته القوية بملوك بني مرين، وكانت إقامته وأعماله محل تقدير من قبل السلطان منسا موسى الذي عرف عنه احترامه لعلماء المغرب الإسلامي وتشجيعهم على القدوم إلى دولته وإكرامهم ومعرفة قدرهم(1).

وفي المقابل فقد توطن الشيخ أحمد بابا بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت في مدينة مراكش، وجلس في حلقة مشهورة له بجامع الشرفاء للتدريس، فتزاحم عليه الناس وجلس عنده طلاب العلم، بل وتتلذذ علي يديه عدد من قضاة مراكش(1).

وفي مديني جاو حاضرة مملكة صنغي كان هناك مسجد جامع كبير سمي بجامع البيضان لكثرة رواده وأئمنته من أهل المغرب، فقد أمّ الناس فيه الفقيه الإمام محمد الفيلاي، ثم الفقيه الإمام محمد بن عمر المكناسي، وكذلك الفقيه محمد الوجدي التازي(1).

علاوة على تواتر ظاهرة أخرى لها طابعها الاجتماعي والعلمي في العلائق بين ممالك أفريقيا والمغرب الإسلامي، وهي ظاهرة انتقال واستقرار عوائل كاملة بين ههنا وهناك، فقد كان طلاب العلم الراحلين نحو الشمال يصحبون في بعض الأحيان عوائلهم أطول مكثهم طلباً للعلم، وفي المقابل استقرت عوائل مغربية في مدن وحواضر وقرى غرب أفريقيا وغير غرب أفريقيا.

فما ذكره السعدي في تاريخ السودان أن عائلات كثير من العلماء جاءت واستوطنت مدن السودان، ففي تنبكت وحدها اشتهرت عوائل علماء جاءت من ورقلة الجزائرية، ومن غدامس وفزان الليبتيين، ومن فاس ومن تافيلات ومن درعة ومن توات(1).

والواضح أنه برزت للعيان مظاهر التأثير المغربي في العصر المريني علوم ساكنة وعلماء ممالك غرب أفريقيا، حيث تجلت المؤثرات المباشرة في تفشي اللغة العربية الفصيحة في خطاب وتصانيف علماء الممالك الأفريقية، وكذلك طريقة الكتابة المتسمة بذبوع الخط المغربي برسمه وشكله، حتى أن كُتّاب تلك الممالك قد أتقنوا فنون البلاغة العربية، وصاغوا مراسلات وكتب السلاطين بصيغة عربية بلاغية رصينة.

كما أجاد السلاطين التحدث بالفصحى، وقراءة المصحف قراءة صحيحة فصيحة، وقد استدلل ابن فضل الله العمري على صحة كتابة وقراءة أولئك الناس، وتمكنهم من العربية نطقاً ورسمياً، بأنه رأى كتاباً وصل من السلطان منسا موسى المشهور إلى السلطان المملوكي بمصر مكتوب بالخط المغربي وبشكل جميل، كتبه بعض خواص السلطان منسا موسى، ويقول عنه العمري: "جاء كتاب من هذا السلطان إلى الحضرة السلطانية بمصر وهو بالخط المغربي في ورق عريض، السطر إلى جانب السطر، وهو يمسك فيه ناموساً لنفسه مع مراعاة الأدب، كتبه على يد بعض خواصه ممن جاء يحج، ومضمونه السلام والوصية بحامله، وجهاز معه على سبيل الهدية خمسة آلاف متقال من الذهب"(1).

ولقد انتشرت الكتب العربية في بلاد السودان الغربي، فإلى جانب كتب التفسير، وكتب الحديث خاصة الصحيحين، اشتهرت مجموعة من المؤلفات التي كانت تدرّس في مدن السودان الغربي ويقتنيها العلماء، أشهرها موطأ الإمام مالك، والمدونة للإمام سحنون، والرسالة لأبي زيد القيرواني، والشفاء للقاضي عياض، وغيرها.

ويبدو أن طلاب العلم في الممالك والمدن بالغرب الأفريقي كانوا يقضون مدة تربو عن السنوات الثلاث، أو تزيد قليلاً في دراسة الموطأ باعتباره كتاباً لا غنى عنه في الفقه والفتيا(1)، ومن جملة الكتب المشهورة في مدارس تنبكت ما ورد في ترجمة السعدي للشيخ محمد الكابري الذي يسميه شيخ الشيوخ، ويورد بعض مشهور الكتب في زمنه الموافق للقرن التاسع الهجري، حيث يقول: "توطن تنبكت في القرن التاسع... أخذ عنه الفقيه عمر بن محمد أقيت، وقيل لا ينسلخ شهر إلا ويختم عليه تهذيب البرادعي(1)، لكثرة قرائه، والبلد حافلة يومئذ بالطلبة السودانيين من أهل المغرب المجتهدين في العلم والصلاح... وهو ممن له حظ عظيم عند الأمراء والشرفاء، وكان يسرد لهم صحيح البخاري في رمضان"(1).

الخاتمة:

ظهر من خلال البحث في صور الثقافت والاستتفاف العلمي الفكري المعرفي، بين ساكنة السودان الغربي، وحواضر الغرب الإسلامي في عهد الدولة المرينية، أن تلك العلائق تطورت بشكل واضح، وتماهت مع العلائق التجارية والاجتماعية والسفارات المتواترة بين السلاطين من ملوك بني مرين وملوك وسلاطين غرب أفريقيا، ووصل أمر الأواصر القوية بين المملكتين أن قام السلطان منسا سليمان برسم التعزية في وفاة السلطان أبي الحسن المريني في حاضرة ملكه، حزناً على فقدان السلطان المريني.

وتبين من خلال البحث أن أسس العلائق الثقافية المرينية بممالك غرب أفريقيا كانت ذات علاقة وثيقة بفهم الناس في السودان الغربي لعلاقة الإسلام بالعلم، حتى لم يألوا جهداً في البحث عن المعرفة والسعي للتعليم، فطلبوا إلى أقرب البقاع الإسلامية التي تتقن العربية، وتنتهج تعليم القرآن والفقه والعلوم المرتبطة بالكتاب والسنة، وكان الغرب الإسلامي الوجهة الأمثل.

وظهر أن مسلك التجارة مع الغرب الإسلامي كان مهياً قبل الإسلام بين تلك المناطق، واستمرت دروب التجارة في انسياب السلع والمنقولات ومعها العلوم والمعتقدات، فصار التاجر المسلم سفيراً لدينه، قدوة لمن يتعامل معهم من التجار والناس، ناقلاً لما حصله من علوم الدين، سواء ما يحفظ من آيات القرآن، أو ما يروي من أحاديث النبي الكريم، أو بما يتمكن من إيصاله من أوامر ونواهي العقيدة الإسلامية بلسان الناس في مناطق الغرب الإفريقي. فانبرت عقول الأفارقة ترنو للرحلة للنهل من علوم المغاربة المطردة، وساهم المغرب في انتقال علوم الأندلسيين إلى السودان، ووصول علوم المشاركة كذلك، لأن حركة التثاقف العلمية وتياراتها وأفكارها كانت تترى بين المشرق والمغرب والأندلس، في ظل تنامي ازدهار أمصار العلم في المغرب الإسلامي مثل القيروان وفاس وسجلماسة، وتنوع أنواع العلوم من القراءات والفقه والتفسير وعلم الحديث وعلوم العربية وآدابها. وتماهت تلك الدفقة التفاعلية مع ظهور أنماط من الرحلات العلمية المنطلقة من أمصار السودان الغربي إلى حواضر المغرب كثمرة لتزايد الاستنطاق وفشو ظاهرة انتشار العلوم العربية في السودان الغربي، استفادة من مسالك التجارة الرابطة بين الصحراء وحواضر المغرب.

وفي ثنايا البحث أمثلة وصور لحالات التثاقف بين تلك الحواضر العلمية شمالاً وجنوباً، فذاك يسكن ههنا، وهذا يرحل إلى هناك، حتى برز جيل من العلماء الأعلام في مدن الغرب السوداني، نهل من علوم العربية، وفقه الدين، والحديث والرواية، والنحو العربي، وغيرها من العلوم.

وفي ذلك تبيان لنتيجة تلك الصور من الاستنطاق، بحيث أضحت حواضر السودان الغربي مدناً للعلم ومنارات للمعارف، وصارت بتقادم العهد ومسير الأيام قبلة للعلم ومستقراً لطلاب العلم، وصارت جوامعها معاهد علم، وحلقات درس واستنكار واستنطاق طبع تلك البقاع بسمة الفكر الإسلامي العربي الرصين.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

_ ابن الأحمر: أبو الوليد إسماعيل بن يوسف، نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، ط1، تحقيق محمد رضوان الداية، بيروت، مؤسسة الرسالة للنشر، 1396هـ.

_ الأرواني: أحمد بابير، السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، ط1، تحقيق الهادي المبروك الدالي، طرابلس، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، 2001.

_ البراذعي: أبو سعيد خلف بن أبي القاسم محمد الأزدي القيرواني، التهذيب في اختصار المدونة، ج1، ط1، تحقيق محمد أمين ولد محمد سالم الشنقيطي، دبي، منشورات دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، 2002.

_ ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن عبد الله، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المسماة رحلة ابن بطوطة، بيروت، منشورات دار القلم، 2020.

_ التنبكتي: أبو العباس أحمد بابا بن أحمد التكروري، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق حماد الله ولد السالم، بيروت، دار الكتب العلمية، 2013.

_ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، ج6، بيروت، دار لبنان، 1980.

_ ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي، المحلى بالآثار في شرح المجلى باختصار، تحقيق حسان عبد المنان، عمان، بيت الأفكار الدولية، 2003، ص319.

_ الحنبلي: جمال الدين يوسف بن عبد الهادي الحنبلي، غاية المرام شرح مغني ذوي الأفهام، ج4، ط1، تحقيق عبد المحسن بن ناصر آل عبيكان، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1998.

- _ السطيفي: محفوظ بن ساعد بو كراع، الفرقد النائر في تراجم علماء أدرار المالكية الأكابر، تحقيق أبوبكر سالم ضيف الجلفاوي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2016.
- _ السعدي: عبدالرحمن بن عبدالله بن عمران بن عامر، تاريخ السودان، تحرير أوكتاف هوداس، أنجي، مطبعة بردين، 1898م.
- السلاوي: أبو العباس شهاب الدين أحمد الدرعي الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2، بيروت، دار الكتب العلمية، 2014.
- _ ابن فضل الله: شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج4، تحقيق كامل سلمان الجبوري، بيروت، دار الكتب العلمية، 2010، ص58.
- _ القزويني: زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار الكتب العلمية، 2031.
- ثانيا: المراجع:**
- _ الأحمر: أحمد مصباح ، تاريخ العلاقات العربية الأفريقية، بيروت، دار الملتقى، 2001.
- _ بوعزيز: يحيى، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، الجزائر، دار هومة، 2001.
- _ تكيته: جميلة امجد، مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الأسكيا محمد الكبير 1493-1528م، طرابلس، مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية، 1998.
- _ التليسي: بشير رمضان، الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، بيروت، دار المدار الإسلامي، 2003.
- _ الجهيمي: حمد محمد، دراسات في تاريخ مملكة غانا فيما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين: مرحلة انتشار الإسلام، طرابلس، مجلس الثقافة العام، 2008.
- _ حركات: إبراهيم، (طبيعة العلاقات المغربية مع إفريقيا الغربية في العصر الوسيط)، مجلة دعوة الحق، العدد 269، أبريل- مايو 1988.
- _ الدالي: الهادي المبروك ، مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا من القرن 13-15م: صفحات من تاريخ العلاقات العربية الإفريقية، بيروت، دار الملتقى، 1993.
- _ زبادية: عبدالقادر، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1971.
- _ الشكري: أحمد ، الإسلام والمجتمع السوداني: إمبراطورية مالي، أبوظبي، المجمع الثقافي، 1999.
- _ العمراني: أحمد الأمين ، الحركة الفقهية في عهد السلطان محمد بن عبد الله العلوي 1171_1204هـ / 1757-1790م، الرباط، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1996.
- _ عيسي: عبد الله، بحوث ودراسات في تاريخ مملكة مالي، القاهرة، دار البشير للثقافة والعلوم، 2021.
- _ الغنيمي: عبدالفتاح مقلد، حركة المد الإسلامي في غرب أفريقيا، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، 1985.
- _ الكيلاني: شمس الدين، الآخر في الثقافة العربية: صورة الشعوب السوداء عند العرب في العصر الوسيط، دمشق، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، 2009.

- _ مخلوف: محمد بن محمد بن عمر بن قاسم بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج2، تحقيق عبدالمجيد خيالي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2010.
- _ مرجان: سحر عنتر، فقهاء المالكية وأثرهم في مجتمع السودان الغربي في عهد مالي وصنغي، ط1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2001.
- _ ولد أباه: محمد المختار، تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 2008.
- _ يعقوب: علي، (دولة مالي الإسلامية 628-834هـ/1230-1430م) مجلة قراءات أفريقية، العدد العشرون، منشورات المنتدى الإسلامي، لندن، 2014.
- _ Cuoq: Joseph, Histoire de l'islamisation de l'Afrique de l'Ouest, des origines à la fin du XVIe siècle, Paul geuthner, paris, 1984, p109.

تأثير اللغة العربية على الإسلام في دول إفريقيا جنوب الصحراء دولة تشاد نموذجاً

إعداد

د/ عفاف محمد عليش

مقدمة

إن اللغة العربية، وهي أقرب فروع السامية إلى أصله؛ لأن العرب لم يختلطوا بغيرهم، كاختلاط سواهم ببعض الأمم والأجناس؛ مما أدى إلى أحداث التأثير والتأثر، الذي غيرت في سياق هذه اللغات. واللغة العربية، كانت سائدة في شبه الجزيرة العربية واليمن في فترة ما قبل الإسلام، وكانت هي لغة التواصل بين القبائل العربية، كما كانت هي لغة الفنون الأدبية، كالخطابة والشعر.

وقد تمكنت اللغة العربية، التي كانت تنتقل عبر المداولة الشفهية من إبراز مكانتها الجمالية والثراء اللغوي فيها، والاشتقاق لو حذفت وكشفت عن نفسها بأنها لغة طيبة، قابلة لكل التعامل مع من المبدع في حيث ما يرمي إليه وما يقصده من معنى، وقد انتشرت اللغة العربية مع انتشار الإسلام على نطاق واسع بين الأمم، التي اعتنقت الدين الإسلامي، ومع الفتوحات الإسلامية لمصر، وشمال أفريقيا عرفت اللغة العربية طريقها إلى بلاد ما وراء الصحراء الكبرى، والذي يعرف بالسودان الأفريقي، وهو يتشكل من الدول الأفريقية الواقعة جنوب الصحراء الكبرى.

وقد عرفت بعض هذه الأقاليم الهجرات العربية إليها قبل الإسلام، غير أن هذه الهجرات التي قامت بها القبائل العربية، لم تخلف تأثيراً كبيراً في مجال انتشار اللغة العربية، في إقليم السودان الإفريقي. ومع دخول الإسلام وانتشاره في هذه الأقاليم انتشرت اللغة العربية وصارت هي اللغة الرسمية في تلك الكيانات السياسية التي عرفت المنطقة الممتدة من دولة الحبشة حتى المحيط الأطلسي بالسنغال.

وقد أثرت اللغة العربية كثيراً على أنماط الحياة الاجتماعية في الجماعات القاطنة في هذه المناطق، وغيّرت من أساليب حياتهم وتقاليدهم وعاداتهم وتسمياتهم للأشياء والأفراد، حيث انتشرت الأسماء العربية بين الأفراد والبلدان والمدن كما أكسبت اللغة العربية حيزاً كبيراً في ساحة المعارف والعلوم والتربية والتعليم؛ مما جعل تأثيرها على هذه الأقاليم، يتسم بميزات كبيرة في هذا المجال، وبخاصة إقليم حوض بحيرة تشاد الذي نزلت فيه العديد من القبائل العربية واتخذته موطناً لها، طلباً للكأ والماء من أجل المواشي، واختلطت بالسكان، وعبر التزاوج والسكن والمعاملة؛ طبعت اللغة العربية هذه الأقاليم بطابعها، وصارت هي اللغة المتداولة بين جميع أفراد المجتمع في إقليم تشاد.

كما أثرت في التوجهات العقديّة ودعمت العاطفة الدينية في السكان المحليين، وبذلك صارت اللغة العربية هي التي تعكس الحضارة والثقافة والأصالة في هذه البلاد الواقعة جنوب الصحراء الكبرى؛ وبالأخص جمهورية تشاد التي أصبحت العربية جزءاً لا يتجزأ من تاريخها وحضارتها وثقافتها وهويتها، بل وصارت هي الوسيلة الوحيدة التي يتفاهم بها ويتواصل بها ويعبر بها جميع أفراد الشعب التشادي، وقد أثرت هذه اللغة في جميع الممارسات التي يمارسها هذا الشعب سواء من الناحية المادية العملية، أو من الناحية الروحية المعنوية.

هجرات القبائل العربية إلى أفريقيا:
... "البلاد الأفريقية الواقعة جنوب الصحراء الكبرى، كانت تسمى في التاريخ القديم بالسودان الأوسط، وهو جزء من السودان الغربي أو غرب أفريقيا، وعرفت أيضاً بأفريقيا جنوب الصحراء، وهذه كلها تسميات واصطلاحات أطلقها الكتاب العرب واستعملوها، واستعملها أيضاً الكتاب الأوروبيين"1.

وحدود هذه المنطقة تبدأ من بحيرة تشاد إلى ساحل المحيط الأطلسي غرباً وإلى بلاد الحبشة شرقاً، وتشغل هذه المسافة أراضي السافانا التي تلتقي مع الغابات الاستوائية الوسطى.

... "وأطلق العرب كلمة السودان وأرادوا بها أصحاب البشرة السوداء بصفة عامة، ويشمل هذا المصطلح جغرافياً ما أعرف لدى المؤرخين باسم الحزام السوداني، الممتد من قلب القارة الأفريقية من الشرق إلى الغرب، ولكن هذا المصطلح يكاد ينصب على سكان غرب أفريقيا؛ لأن العرب أطلقوا على أصحاب البشرة السوداء أوصافاً أخرى في غير هذا الجزء من القارة"1.

... "فبلاد السودان كما وصفها الاصطخري بأن سكانها ليسوا بنوبة ولا بزنج ولا بحبشية ولا من البجة إلا أنهم أشد سواداً وأنقى"1.

ويصف أبو الفداء الكتاررة، وهم جنس من سكان غرب أفريقيا يقول: "إنهم أشبه بالزنج وكذلك فعل ياقوت الحموي وغيرهما"¹.

وقد شهدت هذه الأراضي التي عرفت باسم السودان الأفريقي، جنوب الصحراء الكبرى، قيام حضارات وكيانات سياسية عديدة مثل: ممالك غانا ومالي وسنغي وسلطنات بلاد الهوسا، حيث ازدهرت وتوسعت وبلغت شأواً كبيراً من النماء الاقتصادي والعلمي، وكانت ثقافتها ولغتها هي اللغة العربية كما يقول أوكافور: "عندما جاء الاستعمار الأوروبي إلى غرب أفريقيا في القرن التاسع عشر، كان المثقفون الأفريقيون يكتبون ويقرأون باللغة العربية، وكانت جميع المدونات والسجلات مكتوبة باللغة العربية"¹.

ويلاحظ أن وجود القبائل العربية بعد هجرتها إلى إقليم السودان الأفريقي جنوب الصحراء قبل الإسلام لم يكن بتلك الكثرة التي يمكن أن تحدث تأثيراً كبيراً بين السكان الأصليين في هذه المناطق الشاسعة التي تضم العديد من اللغات الأفريقية المحلية التي كانت وسيلة التواصل بين السكان الأصليين كما أن الكيانات السياسية التي عرفت هذه المناطق قبل مجي الإسلام، كانت تمتاز بأنها كيانات قبلية ذات أعراق موحدة تجمع بينها خصائص عرقية، مما يسهم في الحفاظ على اللغة المتداولة بين أفراد المجتمع الواحد، في تلك البقاع قبل مجيء الإسلام.

... "وعندما دخل الإسلام إلى شمال أفريقيا بعد فتح مصر، وما تبع ذلك من نشاط كبير، ممهداً الطريق لهجرات مكثفة وكبيرة نحو أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، ومن ضمن تلك المناطق التي نزح إليها العرب بكثافة منطقة بحيرة تشاد، التي نشأت فيها مملكة كانم، وإلى هذه القبائل التي هاجرت إلى كانم بعد الفتح الإسلامي لشمال أفريقيا يعود الفضل في إدخال الإسلام إلى بلاد كانم بالطرق السلمية، كما حملت معها العادات والتقاليد العربية الإسلامية، التي كانت سائدة في الجزيرة العربية"¹.

وتعد بلاد كانم نموذجاً في مجال التأثير العربي الإسلامي في مناطق أفريقية جنوب الصحراء الكبرى، فالعرب الذين قدموا إلى تلك البلاد، قد عكسوا ثقافات وعادات لم تكن منتشرة أو معهودة في هذه المناطق الأفريقية. وقد انتشرت اللغة العربية في بلاد كانم، كما انتشر الإسلام روحاً وتطبيقاً ومعاملة، فكان التأثير الاجتماعي أبلغ وأسرع وأقوى في بلاد كانم من غيرها من البلاد الأفريقية الواقعة جنوب الصحراء الكبرى.

ومع أن الدين الإسلامي قد انتشر في كل الأقاليم الأفريقية جنوب الصحراء، وفي إقليم أفريقيا العربية، واعتنق السكان المحليون الديانة الإسلامية، إلا أن انتشار اللغة العربية فيها لم يكن بتلك السعة والتي عرفت مناطق حوض بحيرة تشاد؛ وذلك بسبب وجود القبائل فيها، حيث اتخذت من هذا الإقليم موطناً ومأوى، مما أدى إلى انتشار اللغة العربية بجلاء، وعلى نطاق واسع حتى صارت اللسان هو الذي يتفاهم به ويتواصل به جميع أفراد المجتمع، وأسهم التأثير الجنسي في ترسيخ اللغة العربية عبر الامتزاج والتزواج والمصاهرة عوضاً عن المعاملات والتفاعل الاجتماعي.

ويبدو أن ذلك قد ميز المجتمع في إقليم حوض بحيرة تشاد، من المجتمعات الأفريقية الأخرى في السودان الأفريقي جنوب الصحراء، حيث أسهم ذلك في ظهور مجتمع إفريقي عربي، يتحدث اللغة العربية بإتقان إلى جانب اللغات الأفريقية المحلية.

... "وانتشار العرب منذ الفتح الإسلامي والمبكر في كثير من البقاع، وبخاصة في مناطق أفريقيا الغربية، خلفت آثاراً ثقافية في ميادين العقيدة واللغة والجنس باقية تتحدى الزمن، وتحكي عن تاريخها شامخة بالمجد والقوة والصمود، ومن الطبيعي أن يصل العرب إلى بلاد كانم وحوض بحيرة تشاد، وهي ملتقى الطرق التجارية عبر إفريقيا الغربية، ومنشأ الحضارات منذ القدم"¹.

ويكتب طرخان قائلاً: "أن العرب وصلوا إلى منطقة تشاد من بلاد كانم عن طريق النيل من جهة الشرق، وعبر الصحراء من ناحية الشمال، وانتشرت مجموعاتهم بصفة خاصة في إقليم كانم الأول، الواقع شمال البحيرة، وفي إقليم البرنو الواقع غرب البحيرة، كما انتشروا في الإقليم الشرقي والأوسط حتى إقليم دار فور التابع للسودان الشرقي"¹.

وعلى ذلك فإن نزوح القبائل العربية وهجرتها إلى منطقة أفريقيا جنوب الصحراء، كان له الأثر الكبير في أحداث طفرة في المجال اللغوي والثقافي في مناطق أفريقيا جنوب الصحراء، وإن كانت هذه الطفرات والتغيرات التي حدثتها التأثيرات الثقافية للقبائل العربية، واللغة العربية ثم الإسلام تتباين من إقليم إفريقي لآخر، ويبدو أن إقليم تشاد، أكثرها تأثراً بهذا الاحتكاك العربي، وانتشار الإسلام واللغة العربية فيه. دخول الإسلام إلى أفريقيا جنوب الصحراء:

إن تأثير اللغة العربية على بلاد السودان الأفريقي الرابط جنوب الصحراء مرتبط ارتباطاً وثيقاً بدخول الإسلام وانتشاره في هذه البقاع الشاسعة، المتباينة الأجناس المختلفة الألسن واللغات، والمتعددة الثقافات والعادات والتقاليد والأعراف.

غير أن هذا التأثير العربي للغة العربية على مجتمعات هذه البقاع يبدأ تأثيره بانتشار الإسلام واعتناق الأهالي للدين الإسلامي، ودخول الإسلام إلى أفريقيا جنوب الصحراء مرتبط بالفتح الإسلامي لشمال أفريقيا الذي جاء نتيجة لفتح مصر التي تعتبر المدخل الأساسي لدخول الإسلام إلى الشمال الأفريقي.

ويلاحظ أن فتح شمال أفريقيا، قد "لعبت قبائل البربر فيه دوراً كبيراً، حيث شاركوا في الفتح الإسلامي ونشر الثقافة الإسلامية، وتعميق تعاليمه السامية بين سكان غرب أفريقيا، وتجدر الإشارة على أن الصحراء الكبرى لم تكن مانعة بأي حال من الأحوال عن قيام الارتباط بين المناطق الواقعة إلى الشمال من بلاد غانا وبلاد المغرب، وشمال أفريقيا وبين بلاد كانم جنوب الصحراء الكبرى"1.

... "وكانت القوافل تجتاز الصحراء الكبرى، عبر طرق استخدمتها القوافل التجارية، حيث قامت في أراضي الأقاليم الغربية جماعات من المواطنين اشتغل بعضها بالرعي وبعضها بالزراعة، وكانت تحتاج للكثير من السلع الضرورية كملح الطعام والكساوي المصنوعة من المنسوجات القطنية التي ترد من بلاد مصر والشام"1.

وقد كان دخول الإسلام وانتشاره في أقاليم جنوب الصحراء الكبرى عن طريق السلم، حيث تكفل الدعاة والتجارة والعلماء والمشايخ وطلاب العلم، بنشر الدين الإسلامي في هذه البقاع، وذلك من خلال القوافل التجارية المحملة بالسلع والبضائع التي تجوب الصحراء الكبرى قاصدة بلاد السودان الأفريقي جنوب الصحراء.

... "فكما انتشر الإسلام سلمياً في شمال أفريقيا عبر السياسة الحكيمة والرشيطة التي اتبعتها الولاة والقواد المسلمين في الشمال الأفريقي أمثال: حسان بن النعمان وموسى بن نصير الذين أدركوا أن الحكمة والدعوة سلمياً هي أشد تأثيراً وأكثر نفعاً مع قبائل البربر، وقد أفاد هذا الأسلوب في انتشار الإسلام بين البربر"1.

كذلك من العوامل التي ساعدت على انتشار الإسلام في الشمال الأفريقي الجهود التي بذلها الخلفاء في تنوير البربر في معرفة شؤون الدين الإسلامي.

... "وقد انتقل الإسلام عن طريق القوافل التجارية إلى إقليم أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، وانتشر في بلاد كانم حول حوض بحيرة تشاد، وقد أدى دخول الإسلام وانتشاره في كانم إلى ازدهار المملكة وعظمتها، فكانم لم تبلغ من قوة وعظمة إلا بعد أن صارت دولة إسلامية، فقد أضحى الدين الإسلامي بثقافته الراقية عصب قوتها الروحية والمادية، كما صارت اللغة العربية هي اللغة الرسمية في شتى مناحي الحياة، من نظم الحكم والأدب والثقافة والاقتصاد والعلوم والفنون"1.

بل أضحت اللغة العربية هي لغة التخاطب والمعاهدات بين كانم والدول الإسلامية، سواء كانت تلك الدول داخل القارة الأفريقية كبلاد المغرب ومصر، أم خارجاً عنها كالدول الإسلامية المشرقية مثل الحجاز والشام، ويؤكد العديد من المؤرخين بأن بالإسلام تبدأ الصلات التاريخية لأفريقيا السوداء.

والمقصود بأفريقيا السوداء، البلاد الواقعة جنوب الصحراء الكبرى، وتعد بلاد كانم مثلاً يعكس ذلك البعد التأثيري للإسلام واللغة العربية، ليس على سدة الحكم في البلاد فقط، وإنما على المستوى الاجتماعي الشعبي، الذي تغيرت أنماط حياته وثقافته ومعاملاته وعاداته، من جراء تأثير اللغة العربية عليه والأثر الإسلامي الكبير **تأثير اللغة العربية على الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء:**

منذ أعقاب الفتح الإسلامي أقبلت القبائل العربية في هجرات متتالية قامت بها بطون من قريش وقيس وأزد وحمير ولحم وبنو هلال وبنو سليم وجذام وجهينة وقفزار وغيرهم من القبائل الأخرى.

هذه القبائل تفرقت من مصر متجهة نحو الشمال الأفريقي ومنه اتجهت نحو الجنوب عبر الصحراء الكبرى، إلى حوض بحيرة تشاد، عن طريق برقة وطرابلس، وتونس والمغرب الأقصى حتى وصلت إلى نهر السنغال، ومنها امتدت مسيرتها في الإقليم السوداني الأوسط، حتى استقر بها المقام في حوض بحيرة تشاد.

ولما طاب المقام لهذه القبائل بأرض بحيرة تشاد بعثوا يستدعون أخوانهم من أرض مصر والجزيرة العربية ليلحقوا بهم.

وعاش العرب في هذه الديار حياة لا تختلف عن حياتهم في أوطانهم الأصلية وكانت حياتهم الاجتماعية مبنية على عصبية الدم ورباط القبيلة والانقياد التام لزعم القبيلة، وحافظوا على عاداتهم الأصلية الطيبة التي منها: إكرام الضيف وإغاثة الملهوف، وهي العادات العربية الأصلية التي كانت سائدة في حياتهم الأولى الجاهلية، وكلما أصابهم مكروه اعتمدوا على روح الجماعة في رفع الضرر عنهم وهذا ما نجده في استغاثاتهم (يا آل أبي فاطمة انجدو ويا أبا العباس...)، وكما أثرت اللغة العربية على سكان إفريقيا فتصنع الاستجداد والاستغاثة بألفاظ عربية يطلقها ويلفظها

الزواج بكل فصاحة وطلاقة، فيقال: (يا محمد العربي) (ويا شيخ أحمد التجاني) (وببركة الشيخ عبد القادر الجيلاني) ... الخ.

... "والعرب إلى جانب عاداتهم القديمة اكتسبوا بعض العادات والتقاليد الأفريقية نتيجة اختلاطهم وامتزاجهم بالسكان في كثير من مناحي الحياة"1 "ولكن تلك العادات التي اكتسبوها لم تطبع على طابعهم العربي الأصيل"1. فعلى الصعيد السياسي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي خلف والعرب اللغة العربية أثراً كبيراً على المجتمعات الأفريقية جنوب الصحراء الكبرى، وذلك من خلال التفاهم والتواصل باللسان العربي، الذي أسهم في انتشار اللغة العربية على نطاق واسع في هذه الأقاليم الأفريقية جنوب الصحراء الكبرى. فعلى سبيل المثال: إن اللغة العربية قد تغلغت في اللغات واللهجات المحلية الأفريقية، وصارت تضم العديد من المفردات والعبارات العربية، مثل: لغة الهوسا والفولاني وحتى لغة البامبرا وغيرها من اللغات واللهجات الأفريقية.

ويلاحظ أن أسماء الأفراد والأماكن والبلدان تحمل ألفاظاً عربية وكأنها في البلاد العربية، مثل يوجد في تشاد أم التيمان أم حجر وقوز بيضا والبطحا والشوائل والنحلة وبرك وغيرها من أسماء القرى والبلدان والمدن. وعلى صعيد الملابس والكسوة، تغيرت أسماءها وأخذت تحمل أسماء عربية فصيحة تتم على أسماء عربية أصيلة.

... "فالتواصل الحضاري والسكاني بين الوطن العربي وبين مناطق السودان أسهم كذلك في إنشاء وظهور مراكز ثقافية لعبت دوراً مهماً فيما وراء الصحراء الكبرى، وبخاصة في القرون الوسطى، وأصبحت منارات علمية زاهرة، يؤمها العلماء والطلاب من كل حذب وصوب، وقد شهدت هذه المراكز الثقافة خاصة في فترة ما بين القرنين الرابع والسادس عشر الميلاديين نهضة ثقافية وفكرية، متأثرة بالنهضة الثقافية التي كانت سائدة في مناطق الوطن العربي مثل فاس ومراكش وجبل نفوسة وطرابلس والقاهرة وتونس والحجاز وسجلماسة وتوات وشنقيط وغيرها وكان من أبرز المراكز الثقافية في أفريقيا جنوب الصحراء تمبكتو وجنى ونياني، ورغم هذه المراكز قد انشئت في بادئ الأمر كمراكز تجارية فإنها لعبت أدواراً ثقافية أيضاً وفكرية مهمة"1.

ويبدو تأثير الثقافة العربية، في مختلف الأصعدة في مناطق جنوب الصحراء الكبرى، سواء من ناحية الوعي الديني والشريعة الإسلامية التي أضحت اللغة العربية وسيلة شرحها وفهمها وتطبيقها، والوعي الفكري الثقافي الظاهر في النتاج والإبداعات الفكرية والفنية الأفريقية الناطقة بالعربية، أو في المجال الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، كما تبرز سمات العربية ومعالمها في المجال الشعبي والممارسات اليومية وتسمية الأشياء باللغة العربية. ومن خلال هذا كله يبدو أن اللغة العربية قد صارت هوية وواجهة للشعب الأفريقي الذي تخلص عن الكثير من الممارسات والعادات التي لا تتفق والإسلام، واهتم بما يتلاءم مع الثقافة العربية الإسلامية، وإن كان بعض الشعوب ما زالت محتفظة بلغاتها ولهجاتها الأفريقية، إلا أن تأثير اللغة العربية عليها كبير، وخاصة في البعد الديني.

خاتمة:

ختاماً لهذا البحث الموجز الذي يتعرض لموضوع: (تأثير اللغة العربية على الإسلام في دول أفريقيا جنوب الصحراء)، وعبر سياقات البحث، توصلت الباحثة إلى النتائج التالية:

1. أن إقليم السودان الأفريقي الواقع جنوب الصحراء الكبرى قد شهد قيام كيانات سياسية منذ فترات بعيدة
2. أن القبائل العربية قد هاجرت من موطنها الأصلي إلى بلاد أفريقية جنوب الصحراء الكبرى قبل الإسلام
3. أن النزوح العربي قبل الإسلام لم يحدث أثراً كبيراً في إقليم السودان جنوب الصحراء الكبرى
4. أن حقول الإسلام إلى إقليم السودان الأفريقي جنوب الصحراء الكبرى قد أسهم في ازدهارها وتطورها وتوسعها
5. أن هجرات القبائل العربية بعد فتح شمال أفريقيا خلفت أثراً كبيراً في ميادين الحياة المختلفة
6. أن اعتناق الأهالي في إقليم السودان الأفريقي جنوب الصحراء الكبرى قد أسهم على تسهيل انتشار اللغة العربية.
7. أن وجود القبائل العربية في منطقة حوض بحيرة تشاد قد ميزها بانتشار أوسع للغة العربية فيها.
8. أن الامتزاج بين القبائل العربية والسكان المحليين أدى إلى انتشار العادات والتقاليد العربية النبيلة.
9. أن اللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء قد أثرت كثيراً في مختلف الميادين الحياتية وبالاخص على مستوى البعد الديني.

10. أن اللغة العربية في أفريقيا أمست رمزاً للديانة والعلم والمعرفة.
11. أن اللغة العربية قد أسهمت في تخليص الأهالي من العادات والممارسات السلبية.

التوصيات:

توصي الباحثة بالتالي:

1. تكثيف الدراسات والبحوث في مجال اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء.
2. مساعي لفتح مركز للدراسات اللغوية الأفريقية والعربية في دول جنوب الصحراء الكبرى.
3. إشراك المفكرين والباحثين من دول أفريقيا جنوب الصحراء في دورات عالمية في مجال تطوير اللغات وتطوير البحوث والدراسات حوله.

مصادر ومراجع:

1. القرناطي ، تحفة الباب، ص 41، نشرة قرار 1925م باريس ليدن المسيحية والإسلام والسلالات الأفريقية، لندن 1888م.
2. أبو الفداء، كتاب تقديم البلدان، ترجمه ونشره سولفييه، الجزائر 1819م.
3. الاصطغري، المسالك والممالك، تحنيف الجنبي ، ومراجعة غربال ، مصر 1961م ، ج7.
4. okafur – A – History of west africq – London 1953 – p45
5. د/ فضل كلود الدكو، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لامبراطورية كانم، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط1، 1988م.
6. د/ إبراهيم طرخان، امبراطورية برنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975م.
7. د/ جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، معهد البحوث والدراسات العربية، 1975م.
8. حسن محمود، قيام المرابطين.
9. د/ عبد الحميد يونس، الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، ص 88 .
10. سر الختم عثمان العلاقات بين مصر والسودان في العصور الوسطى، رسالة غير منشورة في القاهرة ، جامعة القاهرة.
11. مطير سعد غيث، التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر، توزيع، دار الرواد، ط1، 1996م.

المناهج الدراسية الحديثة ودورها في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها
أنموذج المدارس الابتدائية ولاية كـنو نـيجـيريا
د. علي عبد الله النـيجري

مستخلص البحث:

تناولت هذه الدراسة عنوان: " المناهج الدراسية الحديثة ودورها في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها (أنموذج المدارس الابتدائية ولاية كـنو نـيجـيريا) وهو بحث يحتوي على تطوير منهجية تدريس اللغة العربية السائد لدى المدارس الابتدائية في القارة الأفريقية جنوب الصحراء عموماً ونيجيريا خصوصاً، فقد سادت المدرسة التربوية التقليدية التي تمثل المنهج التقليدي بالاعتماد على نقل المعرفة والثقافة إلى الأجيال اللاحقة، من أجل تنمية قدراتهم العقلية والمعرفية والمهارية،

والمناهج الحديثة جاءت لتسد تلك الفجوات أو الثغرات التي تركت المدرسة التقليدية فراغا واسعا في تعليم اللغة العربية

في نيجيريا، منها عدم الاهتمام برغبات التلاميذ وحاجتهم، ولم تراعي الفروق الفردية بينهم، وكل هذا وذلك جاءت المناهج

الحديثة لتتلائم مع متطلبات المنهجية الحديثة في تعليم اللغة العربية وتطوراتها الحديثة عبر استخدام المستجدات التربوية والتقنيات الحديثة.

ومن هنا جاءت فكرة استخدام المناهج الدراسية الحديثة ودورها في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها (أنموذج المدارس الابتدائية ولاية كـنو نـيجـيريا).

وتهدف هذه الدراسة إلى لقاء الضوء على المناهج الحديثة في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها ، ثم كيفية الاستفادة بالمناهج الدراسية الحديثة في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها، ثم إلى معرفة كيفية التخطيط السليم والتنفيذ لتصميم المنهج الدراسي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها ، ثم نوعية التقويم المناسب لقياس قدرات المناهج الحديثة في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها. وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج التي تتمثل في:

1:ملائمة المناهج الحديثة مع متطلبات عصر العولمة، والتكيف الثقافي وتطوراتها الحديثة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

2: التكيف الاجتماعي للسياقات الاجتماعية لدى المناهج الدراسية الحديثة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

محتويات الدراسة :1 تاريخ موجز عن نيجيريا وولاية كـنو.

2:وضعية التعليم العربي والمناهج الدراسية في نيجيريا.

3 :مفهوم المنهج لغة واصطلاحا.

4 :أنواع المناهج الحديثة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

5 :نموذج تصميم المنهج الدراسي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

Abstract:

This study dealt with the title: “Modern curricula and their role in teaching Arabic to non-native speakers (the model of primary schools in the Kano state Nigeria), which is a research that contains the development of the methodology of teaching Arabic language prevalent in primary schools in the sub-Saharan African continent in general and Nigeria in particular, The traditional, which represents the traditional curriculum based on the transfer of knowledge and culture to subsequent generations, in order to develop their mental, cognitive and skill capabilities, and the modern curricula came to fill those gaps or gaps that the traditional school left a wide void in teaching Arabic in Nigeria, Including the lack of attention to the students’ desires and needs, and did not take into account the individual differences between them, and all of this and that the modern curricula came to fit with the requirements of the modern methodology in teaching the Arabic language and its recent developments through the use of educational developments and modern technologies.

Hence the idea of using the modern curricula and its role in teaching Arabic to non-native speakers (the model of primary schools in Kano state, Nigeria.)

This study aims to shed light on modern curricula in teaching Arabic to non-native speakers, then how to benefit from modern curricula in teaching Arabic to non-native speakers.

Then to know how to properly plan and implement the design of the curriculum in teaching Arabic to non-native speakers, and then the appropriate evaluation to measure the capabilities of modern curricula in teaching Arabic to non-native speakers.

The study reached a number of results, which are:

:1Facilitating the use of modern curricula in teaching Arabic to non-native speakers, by designing the modern syllabus and the appropriate academic content with the students’ abilities and their need to teach Arabic to non-native speakers.

:2Compatibility of modern curricula with the requirements of the era of globalization, cultural adaptation and its recent developments in teaching Arabic to non-native speakers.

:3Social adaptation to social contexts in the modern study curricula in teaching Arabic to non-native speakers

Study contents:

:1A brief history of Nigeria and the Kano state.

:2The status of Arab education and curricula in Nigeria.

:3The concept of curriculum language and idiomatically.

:4Types of modern curricula in teaching Arabic to non-native speakers.

:5Curriculum design model for teaching Arabic to non-native speakers.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد أفضل من نطق بالضاد، وأفصح الكلام وأوجز البيان، وأنهج السبيل، القائل (أوتيت جوامع الكلم)، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

فقد أصبح أمر المناهج الدراسية من أكبر القضايا التي تشغل بال المفكرين الغيورين على حماية اللغة العربية في هذا العصر، فقضية المناهج المستخدمة من الضغوط التي يواجهها دارسو اللغة العربية، حيث يحتل المناهج الموضوعية لتعليم اللغة العربية، فسنالاحظ أن معظم تلك المناهج لا تلبي احتياجات التعليم لأنها ليست مبنية على أسس علمية ، كما عبر ذلك دكتور مختار الطاهر حسين في كتابه"1

"أن معظم تلك المناهج لا تقوم على أسس علمية ، ولا نبتعد عن الحقيقة كثيراً، إذا قلنا بأننا لا نملك عن الحقيقة كثيراً، إذا قلنا بأننا لا نملك حتى الآن مناهج محددة لتعليم اللغة العربية ، كل ما نملك في هذا المجال مناهج مضطربة مختلطة، يعتمد بعضها على بعض تجارب ذاتية غير دقيقة أو اجتهادات نظرية غير مرتبطة بالواقع ، وبعض تلك المناهج منقول من اللغات الأخرى نقلاً مشوهاً ، أو نقلاً صحيحاً غير أنه مطبق تطبيقاً خاطئاً على اللغة العربية" .

"فإن العولمة تعد من الاتجاهات الحديثة التي أثرت على ميدان التربية عامة، ومجال المناهج وطرق التدريس بخاصة، حيث يوجد العديد من الشواهد الواضحة تدل على عولمة التربية والتعليم كمنظومة كبرى ، وكذلك المناهج وطرق التدريس كجزء من هذه المنظومة ، حيث يتم تطوير المناهج الدراسية بما يتناسب وأفكار العولمة" .1

كما تعتبر الاتجاهات السياسية التي تسود العالم لها بالغ الأثر في تغيير اتجاهات التربية ، لأن خدمة الفكر السياسي قائم على التوجه التربوي، فكان هناك العديد من الأفكار التي سادت العالم وكان لها بالغ الأثر على التربية ، ومن هذه الأفكار الفكر الاشتراكي والفكر الرأسمالي، فمن لوازم هذه الأفكار أن تجعل المجتمع متقبلاً للمنهج الاشتراكي ، والوسيلة التي تساعد على تقبل المجتمع أن يكون الإتجاه في التربية يخدم هذه الأفكار ويساعد على تبنيها، ويكون لكل فكر سياسي مبادئ وأهدافه التي يسعى لتحقيقها، والانتقال في المناهج والتربية يكون بانتقالية الفكر السياسي .1

أما عن منهجية تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها وبالأخص في القارة الأفريقية جنوب الصحراء تعتمد تارة بمناهج دول العربية التي منها السعودية ومصر والسودان وغيرها، فقد صارت مضرب التطبيق بين الأفكار السياسي المستوردة –الاشتراكية والرأسمالية – اللذان يمثلان العالم الثالث بالتبعية العمياء، حيث أنه لا يوجد في هذه الدول أنظمة قانونية تمثل المجتمع أو الكيان الثقافي الذي يسوده.

أسئلة الدراسة :

1: ما فعالية المناهج الدراسية الحديثة في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها؟

2: ما إمكانية المناهج الدراسية الحديثة ودورها في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها؟

3: ما مدى مطابقة التقويم المناسب لقياس قدرات المناهج الحديثة في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها؟.

4: ما دور المنهج الحديث المصمم لتدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها في المدارس الابتدائية ولاية كـنو نيجيريا؟.

أهداف البحث :

1: التعرف على فعالية المناهج الدراسية الحديثة في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها.

2: التعرف على إمكانية المناهج الدراسية الحديثة ودورها في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها.

3: التعرف على كيفية الاستفادة للتخطيط السليم والتنفيذ بالمناهج الدراسية الحديثة في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها.

4: التعرف على كيفية التقويم المناسب في تصميم المنهج الدراسي الحديث في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها في المدارس الابتدائية ولاية كـنو نيجيريا.

حدود البحث : يركز الباحث على المدارس الابتدائية في ولاية كـنو نيجيريا، ويركز أيضاً على إمكانية تصميم المنهج الدراسي الحديث وتطبيقه في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها في المدارس الابتدائية ولاية كـنو نيجيريا .

منهج البحث: يركز الباحث على المنهج الوصفي والتجريبي لمعالجة هذا الموضوع.

نتيجة البحث: تصميم منهج افتراضي لتدريس اللغة العربية في المدارس الابتدائية ولاية كـنو نيجيريا مبنياً على تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها .

المحور الأول: تاريخ موجز عن نيجيريا وولاية كنو.

تقع نيجيريا في غرب إفريقيا، وكما يقول الجغرافيون: إن موقع نيجيريا – موقعاً متميزاً واستراتيجياً أيضاً، وذلك لأن الدولة تطل على المحيط الأطلسي في الجنوب، وهذا المحيط معروف أنه تمرُّ به، أو عليه خمس وعشرون في المئة من تجارة العالم (25%).¹ وتحدها كذلك شمالاً النيجر، وفي أقصى الشمال الشرقي دولة تشاد، وتحدها من الشرق دولة الكامرون، وتحدها في الغرب دولة بنين، وتقع نيجيريا أيضاً، بين خطي عرض (17300) وبين خطي طول (22300).

ولاية كنو هي إحدى الولايات الستة والثلاثين (36) التي تتكون منها جمهورية نيجيريا الفدرالية الحاضرة، تقع هذه الولاية في وسط الولايات الشمالية لدولة نيجيريا، وعاصمتها كنو، وتحدها من الشرق ولاية (جغاوا) وجزء من ولاية (كشنة)، ومن الجنوب ولاية (كادونا) وجزء من ولاية (بوشي)، وتعد من أهم المراكز التجارية والثقافية في نيجيريا قديماً وحديثاً، وكانت طرق القوافل التجارية والصحراوية تمرُّ بها، وهذا الذي أتاح للكثير من العلماء والتجار فرصة المرور بها أمثال (السيوطي)⁽¹⁾ و(المغيلي)⁽¹⁾.

وتعتبر كنو من أهم المدن التجارية في غرب إفريقيا ومقل قبائل الهوسا، وهي عاصمة الولاية، ومركز الثقافة الإسلامية والعربية في العصر الراهن، وكانت محاطة بسور ضخيم طويل بناه أميرها (عاجي ماسو) وذلك لسد غارات الناس على سكانها، وكان لكل بوابة حارس يقفلها في منتصف الليل ويفتحها بعد الفجر، وذلك في زمن قديم ويبلغ عدد البوابات اثنتي عشرة بوابة.¹

المحور الثاني : وضعية التعليم العربي والمناهج الدراسية في نيجيريا

إن وضعية التعليم العربي في نيجيريا يرجع إلى تاريخ دخول الإسلام فيها، إذ أن دخول اللغة العربية في مناطق جنوب الصحراء ونيجيريا خاصة يقوم على دور الدعاة في سبيل نشر الإسلام وعلومه فيها، ونجد دور الدعاة الواعظين

والصوفية والتجار الذين جالو مناطق غرب إفريقيا جنوب الصحراء، حاملين أمتعتهم وتجارهم، مهدو نشر التعاليم الاسلامي بسلوكهم ومعاملتهم التجارية، إلى أن جاء دور التعليم الإسلامي العربي بدخول العلماء الربانيين الذين ضحو حياتهم سبيل نشر الإسلام وتعاليمه، ومن ذلك نسرد المدارس الإسلامية ودور الصوفية في نشر الإسلام منها : فقد انتشرت الثقافة العربية بما فيها اللغة العربية والتعليم العربي، وازدهرت ازدهاراً واسعاً في بلاد نيجيريا لا سيما إقليمها الشمالي عبر العصور بجانب الدين الاسلامي، حيث اتخذت العربية لغة رسمية للدولة في مملكة كانم برنو وولايات الهوسا، وفي عهد الخلافة الإسلامية سكوتو، فكانت تصدر بها المراسيم وتجري المراسلات والمكاتبات في الشؤون الداخلية أو العلاقات الخارجية، وبها يدون التاريخ والقرارات السياسية والإدارية والقضائية، كما تبرم بها العقود التجارية وغير ذلك هذا إلى جانب استعمالها لغة الشعائر الدينية، ونشر التعليم وتأليف الكتب ونظم القصائد الشعرية

مناهج المدارس العربية الإسلامية في نيجيريا

أما عن مناهج اللغة العربية في المستوى الابتدائي فهي مناهج مزدوجة مؤخدة من الدول العربية، وتعتمد على مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بها، وتستخدم المدارس العربية الإسلامية المقررات الدراسية المستوردة من تلك الدول العربية مثل السودان ومصر والسعودية وغيرها، والمناهج السائدة الثانوية مؤخودة في معظم المدارس الثانوية وبخاصة شمال نيجيريا - وتشرف عليها لجنة اللغة العربية والدراسات الإسلامية بمعهد التربية لجامعة أحمد بلو في زاريا.¹

المناهج الدراسية في المدارس العربية الإسلامية تعاني مشكلات وصعوبات كثيرة ترجع إلى عدم الإمكانات المادية، وإلى عدم وجود كوادر من العلماء المتخصصين النابغين في المجال التربويين الذين يشرفون على المناهج والمدارس إشرافاً تاماً ودقيقاً، وكذلك عدم توافر أساليب الإشراف التربوي المناسب الذي يرفع من قدرات المعلمين وأدائهم .

فلاحظ أنه لا توجد كتب مطبوعة لبعض المواد فالأمر متروك لاجتهاد المدرس، فإذا نظرنا إلى المطبوعة منها فإننا نجد بعضها فوق مستوى معظم الطلاب، كما أنها كتبت بأقلام كتاب غير مواطنين، وتعكس ظروف بيئية مغايرة لبيئتنا قد ألفت من أجلها، وكان مما ينبغي للتعليم أن يكون نابعاً من البيئة، وأن تؤخذ ظروفها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في الحسبان .¹

المحور الثالث: مفهوم المنهج لغة واصطلاحاً

المنهج لغة: طريق واضح ومنه قول تعالى : لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا "1

وفي معجم المغني: منهج جمع مناهج هو الطريق الواضح "والمنهج جمع للمناهج بمعنى يسير وفق منهج محدد، وفق خطة محددة المعالم ، أي تحكمه قواعد علمية مضبوطة للوصول إلى إظهار حقيقة أو حقائق بالبرهان والدليل

—عالم له منهج علمي دقيق والمنهج الدراسي " المنهج التعليمي . 1

واصطلاحاً : المنهج من المصطلحات التي تستعمل في كثير من الأحيان بمعان مختلفة ودلالات متباينة ، يشوب استعمالها قدر كبير من الغموض والاضطراب لدى كثير من الباحثين مصطلح المنهج ، ولعل من أسباب هذا الغموض والاضطراب، أن كل باحث يعرف المنهج، وقفا لفلسفته العلمية، وخلفيته الثقافية، وحتى تجلي هذا الغموض الذي يحيط بهذا المصطلح ، نقول أن للمنهج مفهومين : مفهوم واسع ، وآخر ضيق. 1

والمعنى الضيق هو جميع الخبرات المخططة الممكن الحصول عليها التي توفر المؤسسة التعليمية، لمساعدة المتعلمين على تحقيق النتائج التعليمية المنشودة، إلى أفضل ما تستطيع قدراتهم 1

وأما المفهوم الحديث للمنهج بمعنى الواسع "هو عبارة عن مجموعة الخبرات التربوية التي تقدمها المدرسة بطريقة مقصودة سواء داخل المدرسة أو خارجها، بهدف مساعدة التلاميذ على التكيف والنمو الإيجابي الشامل، وفي عبارة

أخرى " الخبرات التربوية تعني جميع أنواع التعلم المرغوب فيها، وتتضمن الخبرات المباشرة وغير المباشرة،

بما في ذلك المناشط التعليمية المختلفة النظرية التي تساعد على تغذية العقل بالمعلومات وتنشيطه في التفكير،

والمهارية التي تدرب عضلاته وتنمي النواحي الحرفية، والوجدانية التي تساعد على نمو الشخصية السوية،

وتغرس الاتجاهات والقيم الصحيحة، وأما عبارة "داخل وخارج المدرسة " فتعني ما يمارس من مناشط في الفصل

المدرسي أو المعمل أو القناة أو خارج المدرسة في الرحلات أو المعسكرات أو الزيارات الميدانية وما شابه ذلك،

وعبارة " التكيف والنمو الإيجابي الشامل" تعني بإجمال القول الوصول إلى نمو الشخصية السوية في نواح إيجابية

تتفق مع القيم والمبادئ الصحيحة . 1

ولكي نوضح مفهوم المنهج بمعناه الواسع ، نعرض الموضوع في صورة أسئلة كما يلي:

1: لماذا نعلم اللغة ، أو نتعلمها ؟ (الأهداف)

2: ماذا نعلم ، أو نتعلم ؟ (المحتوى) .

3: كيف نتعلم ، أم نعلم ؟ (الطرائق والأنشطة التعليمية والوسائل)

4: ما لمراجع التي تعتمد عليها في التعلم والتعليم؟ (الكتب والمواد التعليمية) .

5: كيف نقيس عملية اللغة وتعليمها ؟ (التقييم) .

مميزات المنهج الحديث

إن المنهج الحديث يتميز بعدة خصائص عن المنهج القديم في فلسفته ومحتواه تجعله قادراً على تحقيق ما تصبو إليه

العملية التربوية من أهداف ، ومن أبرز هذه المميزات والخصائص مايلي : 1

1: يفترض أن يكون المنهج المدرسي الحديث في فلسفته ومحتواه محافظاً وتقدماً في الوقت نفسه ، إذ يجب أن يكون

محافظاً بحيث يتضمن تركيزاً على الأوجه الصحيحة من ثقافة الحقبة الماضية، ويجب أن يكون متقدماً متطوراً، بحيث

يؤكد الأوجه الثقافية الجديدة التي يجب أن يفهم إذا أريد للمدرسين أن يكيّفوا أنفسهم لكل ما يجد من حولهم في إطار

السماح لهم بخلق أنواع من العلاقات الاجتماعية التي يرغبون فيها .

2: يفترض أن يعد المنهج المدرسي بطريقة تعاونية يراعي عند تخطيطه وتصميمه الأمور الأتية :

أ: أن يراعي واقع المجتمع وفلسفته وطبيعة المتعلم وخصائص نموه، وإن يحصل ذلك في وضوء ما انتهت إليه دراسات المتخصصين في هذه المجالات .

ب: أن يظهر التفاعل بين الطالب والمدرس والبيئة المحلية وثقافته المجتمع

ج: أن يضم جميع أنواع النشاط التي يؤديها الطلبة تحت إشراف المدرسين وتوجيههم.

د: أن يتم اختيار الخبرات التعليمية التي يضمها في حدود الامكانيات المادية والبشرية القائمة والمنظرة .

هـ: أن يؤكد أهمية العمل الجماعي وفعاليته وضرورة ارتباط الفردية .

و: أن يحقق التناسق والتكامل بين عناصر المنهج.

المحور الرابع : أنواع المناهج الحديثة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.
حدثت في السنوات الأخيرة تطورات كثيرة في مجال وضع أهداف التعلم، وفي نظرتنا لطبيعة اللغة، وعملية التعلم، وفي المواقف التي يتعلم فيها الناس اللغة، وأدت تلك التطورات مجتمعة إلى ظهور مناهج مختلفة في تعليم اللغات الأجنبية ، وكان من أهم تلك المناهج ما يلي:1

- 1: المناهج القائمة على النحو 2: المناهج القائمة على الوظيفة (الاتصالية)
 - 3: المنهج المبنية على المواقف 4: المنهج القائم على العملية 5: المنهج القائم على التنوع " الشامل
- ومن هنا يود الباحث سردها على الإيجاز.

أولاً : المناهج القائمة على النحو The grammar –Based –Curriculum

وهي تلك المناهج التي تجعل همها، تمكين الدارس من النظام النحوي للغة، (عرف ويلكنز المناهج النحوية ، بأنها تلك التي تحاول أن تطوف بالدارس عبر سائر النظام النحوي للغة ، بصرف النظر عن تفاوت الأبواب النحوية في درجة فائدتها بالنسبة إلى الدارس).

إن أهم ما يحتويه مناهج تعليم اللغة العربية في هذه الحالة، هو: القواعد والمفردات، وهذا ما نجده في كثير من المناهج القائمة على النحو، ومن أهم أسس المناهج النحوية مايلي: 1

1: الهدف الأساس لتعليم اللغة، هو تمكين المتعلم من إتقان قواعد اللغة، واستظهار مفرداتها .

2: يتم تحديد الأهداف عن طريق ربطها بالتركييب النحوية والمفردات.

3: يتم عرض التراكيب النحوية بطريقة متسلسلة ، في ضوء المعايير التالية :

أ: الصعوبة والتعقيد ب: الأهمية والفائدة ت: سهولة التعلم

د: تزويد المتعلم بأمثلة من تراكيب اللغة ومفرداتها، من خلال نصوص معدة أساساً لتحقيق هذا الهدف .

هـ: تهدف الأنشطة التعليمية داخل الصف، إلى تمكين المتعلم من استعمال الأشكال اللغوية بصورة صحيحة، ما أمكن ذلك.

ويمكن القول، بأنه ظهرت ثلاثة مناهج قائمة على النحو وهي :

أ: مدخل القواعد والترجمة ب: المدخل البنوي ج: المدخل التحويلي التوليدي.

ثانياً: المناهج القائمة على الوظيفة الاتصالية The Process Based Curriculum

وهي المناهج التي تربط بين اللغة والوظائف الاتصالية(إن الهدف الأساس للمنهج الوظيفي، إعداد الدارس للاتصال الهادف، وذلك بالتأكيد على إنجازه الأغراض الاتصالية إنجازاً ناجحاً ، ومن ثم فإن سيطرة الدارس على المنهج الاتصالي أو الوظيفي هي التي ينبغي أن تقوم بقياس مدة قدرته على الاتصال وليس بقياس مدى سيطرته على الشكل اللغوي .

ويتحقق الهدف التعليمي هنا بإعداد المتعلمين ، ليصبحوا جزءاً من المجتمع، وبناء على ذلك يبتعد المنهج من التركيز على التراكيب النحوية، ويركز على الوظائف التي تؤديها تلك التراكيب في عملية الاتصال نفسها،وقاد هذا التحول إلى أنواع مختلفة من المناهج، تقوم على الحاجات، التي يرغب المتعلمون في تحقيقها باللغة الأجنبية، وفي مثل هذه المناهج الوظيفية ما يلي: 1

1: الهدف الأساس، هو إعداد المتعلمين ليحققوا حاجاتهم الاتصالية عبر سلسلة من الوظائف الملائمة لهم.

2: يتم تحديد الأهداف عبر مصطلحات سلوكية ، مثل التعبير عن وظائف اتصالية أو أفكار معينة أو فهم وظائف، أو أفكار اتصالية، أو اكتساب مهارة مفيدة .

3: يقوم معدو المنهج باختيار الوظائف والمهارات الملائمة، وعرضها بصورة متسلسلة، تبعاً للمعايير التالية : الفائدة ، والمستوى اللغوي الذي تتطلبه تلك الوظائف والمهارات .

4: تعرض المادة التعليمية في هذه المناهج نماذج من اللغة المستعملة فعلاً لتحقيق أغراض اتصالية محدودة والمواد في الغالب نصوص أصلية غير مصنعة.

5: تدرب الأنشطة التعليمية بالصف المتعلمين، على عمليات توصيل المعاني وفهمها.

ثالثاً: المنهج القائم على العملية The Process Based Curriculum

ينعكس هذا المنهج مفهوم أن التعلم ، يجب أن يسهل النمو الطبيعي للمتعلم، ومن سمات هذا المدخل مايلي:1

1: اختيار السياقات التي تثير النمو اللغوي الطبيعي للمتعلم .

2: يتم اختيار المحتوى في شكل وظائف وأنشطة ومشكلات ، يواجهها المتعلم، وعليه أن يضع حلاً لها .

3: نركز المادة التعليمية على استعمال اللغة، من أجل تبادل المعاني حول الوظائف والموضوعات المختلفة .

4: تهدف أنشطة التعليم إلى تمكين المتعلم لاستخدام اللغة لأغراض اتصالية.

5: لا تراعي التدرج في عرض التراكيب النحوية - وهناك حد أدنى من التصحيح اللغوي، إذا العناية هنا موجهة لبناء الكفاية الاتصالية وإن شابها شيء من القصور اللغوي .

رابعاً: المناهج المبينة على المواقف Situation Syllabus

وهي المناهج التي تعرض اللغة من خلال المواقف التي يمر بها الدارس والفكرة الأساسية وراء هذا الاتجاه، تقوم على أن استعمال اللغة إنما يتم من خلال السياقات الاجتماعية ، ويرى المنهج القائم على المواقف أن اللغة تحدث دائماً في سياق أو موقف اجتماعي، ولهذا ينبغي عدم تجريدها في أثناء تعليمها من سياقاتها الطبيعية والوحدات التعليمية في هذا المنهج ، ليست ذات طابع نحوي ولا وظيفي ، وإنما تنبثق العناصر النحوية في هذا المنهج من المواقف الذي يستخدم فيه اللغة، وبهذا يصعب الالتزام بعنصر التدرج ، والتسلسل في عرض الأبنية النحوية في هذا المنهج ، كما يحدث في المنهج النحوي ، وتتخذ الوحدات في هذا المنهج عناوين ، مثل: التحية ، التعارف ، في السوق ، في العيادة ، في الحافلة ، (وعرف ويكلنز المنهج المواقفي، بأنه الذي يقدم اللغة في سياقاتها الاجتماعية ، ويعتمد على التنبؤ بالمواقف التي يحتمل أن يواجهها الدارس باللغة الأجنبية .1

ويؤخذ على المناهج المبينة على المواقف ما يلي :1

1: يصعب حصر المواقف التي تستخدم فيها اللغة، وخاصة المواقف غير المرئية.

2: يصلح مثل هذا المنهج لمجموعات خاصة من الدارسين ، ولا يصلح لجميع الدارسين.

3: من الصعب على الدارس في هذا المنهج ، أن يخرج بتعميمات نحوية واضحة، تكشف له طبيعة النظام النحوي للغة التي يتعلمها .

4: تعلم اللغة في هذا المنهج -أحياناً -كسلوك ، حيث يدرّب المتعلم على كيفية الاستجابة للمواقف التي تعد له مسبقاً .

5: تخط بعض المناهج المبينة على المواقف - أحياناً- بين الأبواب النحوية والمواقف الاجتماعية .

6: تعرض المواقف والسياقات قي بعض هذه المناهج عرضاً مبتوراً.

خامساً: المنهج القائم على التنوع الشامل The Veriable Focus Curriculum

وهو المنهج الذي يستعين بجميع ما وصل إليه الإنسان في علم تعليم اللغات الأجنبية، ويوظفه من أجل تحقيق تعليم وتعلم أفضل دون أن يقيد نفسه بنظرية معينة من نظريات علم اللغة ، أو من نظريات تعلم وتعليمها، كما أنه من الناحية التربوية يجعل الموقف التعليمي الموجه الأساس، لاختيار الطرائق والأساليب الملائمة، ذلك يعني أن هذا النوع من المناهج، يستفيد من التراث الإنساني في المجالات اللغوية والنفسية والتربوية والاجتماعية وغير ذلك، ويتم في هذا المنهج المزج بين المنهج البنوي، والمنهج الوظيفي، والمنهج التجريبي، ويتم التكامل في هذا المنهج بين الجوانب اللغوية والثقافية والاتصالية بصورة متوازنة، ويرى بعض الخبراء أن التركيز في المرحلة الأولى من تعليم اللغة يبدأ أولاً ببناء الأساس البنوي، عن طريق تدريبات التراكيب النحوية، ثم يلي ذلك التركيز على الجانب الاتصالي، وصولاً إلى تمكين الدارس من المشاركة في عمليات الاتصال الحي في الحياة الحقيقية .

المحور الخامس: نموذج تصميم المنهج الدراسي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

مفهوم التصميم لغة: يعني العزم والمضي على أمر بعد دراسة الأمور من جميع جوانبها ، وهو مشتق من (صمم)، وأما التصميم اصطلاحاً: فهو عملية تخطيط منهجية تسبق التنفيذ، أو هندسة لشيء ما وفق معايير محددة .1 وتصميم المنهج هو تنظيم مكونات المنهج وعناصره ، ويعرفه قاموس التربية بالتعريفات التالية :

1: الطريقة التي تنظم بها مكونات المنهج لتسهيل التعلم وللمساعدة المدارس على وضع جداول يومية وأسبوعية مناسبة .

ب: العملية التي يتم عن طريقها تصور العلاقات بين التلاميذ والمدرس، والمواد والمحتوى ، والزمان من جانب ، ومخرجات التدريس من جانب آخر .

قال فريد بيرسفال (fred Percival) وهنري البيغون (henry Ellington) (1984) أن تصميم المناهج الدراسية هو تطوير عملية التخطيط ، والتصديق وتنفيذ وتقويم المناهج الدراسية ، ويتم تصنيف هذه العملية بشمول وتدرجي ومستمر . 1

خصائص تصميم المنهج :

في تصميم المنهج الدراسي لتعليم اللغة العربية هناك خمسة خصائص ذات أهمية جدا تجعله مقبولاً لدى المدارس والدارسين للغة العربية وهي مايلي :1

1: الاتساع وينبغي أن يكون المنهج يحمل الطلبة في اتصال مع سعة المناطق من تجربة التعلم ، ويجب على المدرسين أن يكونوا مسؤولين أمام الصف والعمل كمستشارين في موضوع معين، أو في نطاق المنهج الدراسي حتى يتحقق هذا الحال المرجو .

ب: التوازن بين مختلف أنواع التعليم، والتعلم، والتدريس، والمناهج التعليمية، وتنظيم الصفوف .

ج: الصلة : التي تتعلق بقدرة الطلاب في بناء نفسه، سواء في الوقت الحاضر أو في المستقبل المنظور.

د: التمايز : يجب اتباع المنهج والتكيف مع الاختلافات في القدرات والخصائص لكل طالب .

هـ: التقدم والاستمرارية، واعتمادهما في تجربة التعلم سوف يؤدي إلى نتائج تراكمية، تدعم تحسين القدرة على التعلم من الطلاب خلال الوقت المحدد.

إن مصمم المنهج الدراسي يحتاج إلى مراجعة عدة مصادر من المناهج الدراسية، مما يتطلب منه كثير من المعارف والخبرات التربوية لوضع المنهج المناسب، ثم التعرف على البيئة المحلية ليتسنى للمتعلم مواكبة التطورات التعليمية الحديثة، وكثير من المصممين يغفلون هذه الفكرة في إنشاء أو وضع المنهج الدراسي، وبالأخص تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها ومن هنا : يقترح رشدي طعيمة تعريفاً إجرائياً لمنهج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، يتضمن العناصر التربوية ، وهو التعريف الاجرائي الذي يقترحه للمنهج في مجال تعليم اللغة العربية كلغة ثانية هو: تنظيم معين يتم عن طريقه، تزويد الطلاب بمجموعة من الخبرات المعرفية والوجدانية والنفس حركية ، التي تمكنهم من الاتصال باللغة العربية، التي تخالف عن لغاتهم ، وتمكنهم من فهم ثقافتها، وممارسة أوجه النشاط اللازمة داخل المعهد التعليمي أو خارجه، وذلك تحت إشراف هذا المعهد .1

في ضوء ما سبق نجد أن المنهج بمفهومه الحديث أو الواسع تميز في أوجه مثيرة عن المنهج القديم ومن هذه الميزات ما يأتي : 1

1: ظهور فكرة الأهداف التربوية، والإيمان بها كموجه للعمل في المدرسة ، وكذلك محاولة ترجمة الأهداف إلى مواقف ومناشط تعليمية .

2: أصبحت المواد الدراسية وسيلة لتحقيق أهداف تربوية محددة، وليست غاية في حد ذاتها .

3: لم يعد يقتصر محتوى المنهج على المعلومات، ولكن ظهرت العناية بالمهارات والميول والاتجاهات وغيرها، من جوانب مهمة في إنماء الشخصية المتوازنة المتكاملة.

4: لم تعد مهمة المدرس مجرد تلقين وإبلاغ معلومات لتلاميذه، بل ليست هذه المهمة إلى إنتماء قدرات التفكير ومراعاة الفروق الفردية الموجودة بين التلاميذ، وظهرت طرائق تدريس كثيرة كل منها يسهم في تحقيق مجموعة من الأهداف التربوية.

5: ارتبطت الدراسة إلى حد كبير بالبيئة المحيطة بالمدرسة، وأصبح هناك تفاعل إيجابي بين المدرسة والمنزل .

6: ظهرت فكرة التقويم الشامل لجميع جوانب الشخصية، فأصبح كثير من المربين ينادي بضرورة قياس ونمو التلاميذ في نواحي وجدانية وسلوكية كثيرة، بجانب النمو المعرفي. وعليه فإن المفهوم الحديث للمنهج يوجه الانتباه إلى ضرورة تحقيق أسمى أهداف التربية، وهي تخريج المواطن الصالح القادر على الانتاج وحل المشكلات بل والتطوير والتجديد، وفي الوقت نفسه يزرع المعرفة العملية المتوارثة عبر الأجيال في عقول التلاميذ.

عناصر المنهج

يتضح من تعريف المنهج سابقاً على أنه يتكون من مجموعة من العناصر المرتبطة فيما بينها ارتباطاً عضوية يؤثر في الآخر يتأثر به، وهذه العناصر قد حددها رالف تالير (Relph Tyler) في أربعة تساؤلات هي: 1

1: ما الأهداف التربوية التي ينبغي أن تسعى المدرسة إلى تحقيقها ؟

2: ما الخبرات التربوية الممكن توفيرها لتحقيق هذه الأهداف؟

3: كيف يمكن تنظيم هذه الخبرات التربوية حتى تكون فعالة؟.

4: كيف يمكن معرفة ما إذا كانت الأهداف قد تحققت؟

وهذه التساؤلات توجه إلى الإنتباه إلى عناصر المنهج الأربعة وهي :

أ :الأهداف (Objective) التي ينبغي تحديدها أو صوغها لتتناسب مع حاجات الطلاب وقدراتهم واهتماماتهم من جهة ، ومطالب المجتمع وحاجاته من جهة أخرى .

ب: المحتوى (Content) الذي يتضمن مجموعة من الحقائق والمفاهيم والتعميمات التي يرجى تزويد الطلاب بها، وكذا الاتجاهات والقيم التي يراد تنميتها لديهم، وأخيراً المهارات التي يراد اكسابهم إياها، بهدف تحقيق النمو الشامل المتكامل لهم في ضوء الأهداف التربوية المتفق عليها.

ج: نشاطات التعليم والتعلم (Instruction & Learning Activities) التي ينبغي أن يمر بها الطلاب داخل المدرسة أو خارجها، تحت إشراف معلمهم بقصد تسهيل عملية التعلم وتحقيق الأهداف المنشودة .

د: التقويم (Evaluation) الذي من خلاله يتم التأكيد من مدى تحقيق الأهداف الموضوعية منذ البداية للمنهج المدرسي ذاته .

ينبغي عند إعداد وتصميم منهج اللغة العربية للناطقين بغيرها، تقديم العناصر اللغوية لجميع الدارسين، بغض النظر عن حاجاتهم ورغباتهم الخاصة، ويتضمن النظام الصوتي للغة العربية، والأبنية النحوية الأساسية، وقدرًا مناسباً من المفردات، ويتم تحقيق هذا المنهج من خلال المهارات اللغوية الأربع، وهو يضم موضوعات عامة ، يعني بها جميع الدارسين ، ومن ذلك الموضوعات التالية :1

1: التحية والتعارف 2: الأسرة 3 : السكن 4: الحياة اليومية 5: الطعام والشراب

6: الصلاة 7: الدراسة 8: العمل 9: التسوق 10: الجو

11: الناس والاماكن 12 :الهويات 13: السفر

14: الحج والعمره 15 :الصحة 16 :العطلة.

نموذج المقرر الدراسي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

الوحدة الأولى : التحية والتعارف

الدرس الأول : الحوار الأول : انظر واستمع وأعد

علي : السلام عليك.

علي : اسمي علي ، ما اسمك ؟

أحمد : اسمي أحمد

أحمد : بخير وعافية والحمد لله .

وكيف حالك أنت ؟ علي : بخير والحمد لله
أحمد: من أين أنت ؟ علي : أنا من نيجيريا .
أحمد: هل أنت نيجيري ؟ علي : نعم أنا نيجيري ، ومن أين أنت ؟
أحمد : أنا من كامبيرون . علي : هل أنت كامبيروني ؟
أحمد : نعم : أنا كامبيروني علي : أين تقع دولة كامبيرون
أحمد: تقع في وسط أفريقيا، ولها حدود مع نيجيريا من الشرق .
علي : ما شاء الله ، وهل أتيت طائراً أحمد : لا ، أتيت راكباً على الحافلة ..
علي : إلى اللقاء أحمد : مع السلام
الحوار الثاني : انظر واستمع وأعد
رقية : السلام عليك عائشة : وعليك السلام
رقية : اسمي رقية ، ما اسمك أنت ؟ عائشة : اسمي : عائشة
رقية : كيف حالك؟ عائشة : بخير وعافية والحمد لله ، وكيف حالك أنت ؟
رقية : بخير والحمد لله عائشة : من أين أنت ؟
رقية : أنا من نيجيريا . عائشة : هل أنت نيجيرية ؟
رقية : نعم أنا نيجيرية، ومن أين أنت ؟ عائشة : أنا من كامبيرون .
رقية : هل أنت كامبيرونية ؟ عائشة : نعم : أنا كامبيرونية
رقية: أين تقع دولة كامبيرون ؟ عائشة : تقع في وسط أفريقيا، ولها حدود مع نيجيريا من الشرق
رقية : ما شاء الله ، وهل أتيت بالطائرة ؟ عائشة : لا ، أتيت راكباً على الحافلة .
رقية : إلى اللقاء . عائشة : مع السلام
التدريب الأول : تبادل السؤال والجواب مع زميلك.
ط 1 : اسمي محمد ، ما اسمك ؟ ط 1: اسمي أحمد، ما اسمك؟
ط 2: اسمي ما اسمك ؟ ط 2: اسمي ما اسمك ؟
ط 3: أنا من نيجيريا ، من أين أنت ؟ ط 3: أنا من كامبيرون، من أين أنت ؟
ط 4: أنا من من أين أنت ؟ ط 4: أنا من من أين أنت ؟
ط 5: أنا نيجيري ما جنسيتك ؟ ط 5: أنا كامبيروني ما جنسيتك ؟
ط 6: أنا ما جنسيتك ؟ ط 6 : أنا ما جنسيتك ؟
(يذكر كل طالب اسمه ، وجنسيته) .

التدريب الثاني : أجب عن هذه الأسئلة

- 1: ما اسمك ؟ 2: كيف حالك ؟ 3: من أين أنت؟
- 4: ما جنسيتك ؟ 5: أين تقع دولة كامبيرون؟

التدريب الثالث : تبادل السؤال والجواب مع (زميلك أو زميلتك) .

- ط 1 : اسمي عائشة ، ما اسمك ؟ ط 1: اسمي رقية ما اسمك ؟
- ط 2: اسمي ما اسمك ؟ ط 2: اسمي ما اسمك ؟
- 3: أنا من نيجيريا ، من أين أنت ؟ ط 3: أنا من كامبيرون من أين أنت ؟
- 4: أنا من من أين أنت ؟ ط 4: أنا من من أين أنت ؟
- 5: أنا نيجيرية ما جنسيتك ؟ ط 5: أنا كامبيرونية ما جنسيتك ؟
- (يذكر كل طالب اسمه، وجنسيته) .

النتائج والتوصيات

لقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج تتمثل فيما يلي:

- 1: إن الحكومة النيجيرية تعاني من غموض وعدم وضوح الرؤية في الفلسفة التربوية لتدريس مادة اللغة العربية ومناهجها في نيجيريا.
- 2: إن منهجية تعليم اللغة العربية في المستوى الابتدائي، يعاني من القصور في استخدام المهارات اللغوية الأربعة بشكل جيد.
- 3: يقتصر تعليم اللغة العربية في المستوى الابتدائي في نيجيريا، على محاكاة وتطبيع مقررات تعليم اللغة العربية للناطقين بها، وذلك في استخدام مناهج الدول العربية مثل مصر والسودان والسعودية وغيرها.
- 4: تسهيل استخدام المناهج الدراسية الحديثة في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها ، وذلك من خلال تصميم المنهج الدراسي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.
- 5: ملائمة المناهج الحديثة مع متطلبات عصر العولمة، والتكيف الثقافي وتطوراتها الحديثة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.
- 6: التكيف الاجتماعي للسياقات الاجتماعية لدى المناهج الدراسية الحديثة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

التوصيات

- 1: إنشاء مراكز لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، على المستوى المحلي، الإقليمي، والدولي ليراعي مستقبل التعليم العربي ومستجداته عبر التقنيات التربوية الحديثة.
- 2: تأسيس جمعية اللغة العربية للناطقين بغيرها، لتراعي الثقافة الإسلامية العربية، ونشاطها تقديم مسابقات سنوية في الشعر، والنثر، والخطابة، والصحافة، وتشكيل دورات تدريبية، تكون على المستوى المحلي والإقليمي والدولي.
- 3: التنسيق الكامل مع مندوب كل دولة إفريقية سنوياً لمعرفة وضع اللغة العربية وضع خطط رامية لمستقبلها.
- 4: تصميم منهج موحد لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها-للدول افريقية جنوب الصحراء- الذي يراعي ثقافات المجتمع الإفريقي وبيئته وحياته التي يعيش فيها .

المراجع:

- 1: القرآن الكريم المصحف المدني
- 2: طاهر مختار مصطفى " تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ضوء المناهج الحديثة" ط 1، سنة 2011م.
- 3: محمد علي السيد " اتجاهات ونطبيقات حديثة في المناهج وطرق التدريس "الطبعة الاولى سنة 2011م
- 4: السيوطي، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، دار الفكر، بدون التاريخ
- 5: شيخ سعيد غلادني، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، الطبعة الثالثة " شركة الأبيكان للطباعة والنشر، الرياض .السنة 1993م.
- 6: علي عبد الله محمد " فعالية استخدام استراتيجية التعلم الذاتي في تعليم القرآن الكريم وتحفيظه في المدارس الابتدائية، بحث غير منشور، سنة 2019م
- 7: محمد أبوبكر ، أثر الثقافة العربية في شمال شعوب نيجيريا ، دراسة مسحية نحو اكتشاف افاق جديدة لاستثمار .
- 8: خالد حسن عبد الله " التعليم العربي الاسلامي في نيجيريا ، مجلة اللغة العربية ، 2-اكتوبر – 2020م
- 9: ملحقة سعيدة الهوية وآخرون " المعجم التربوي " المركز الوطني للوثائق التربوية الجزائرية " سنة 2009م

- 10: أحمد ابراهيم قنديل " المناهج الدراسية الواقع والمستقبل " مصر العربية للنشر والتوزيع سنة 2008 م
- 11: سعد علي زائر ، وإيمان اسماعيل عايز " مناهج اللغة العربية وطرائق تدريسها ، الطبعة الاولى، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان سنة 2014م
- 12: عبد الحافظ محمد سلامة " تصميم التدريس " دار الخريجي للنشر والتوزيع 1424هـ
- : ابراهيم بيسوني عميرة " المنهج وعناصره " الطبعة الثالثة : القاهرة " دار المعارف 1991م " 13
- 141: غسرى حياتي درمان " تصميم المنهج على أساس متعدد الأبعاد لتعليم اللغة العربية في المعهد الاسلامي " بحث تكلمي لنيل درجة الماجستير في تعليم اللغة العربية " سنة 2012م
- 15: عبد الرحمن ابراهيم الفوزان وآخرون " العربية بين يديك " الكتاب الأول ، المطبعة ، منظمة الوقف الاسلامي ، الرياض (2001).
- 1: AKPAN P,C. 1980k MODERN LOAL GOVERNMENT ADMINISTARATION IN .NIGERIA Kano

**مناهج واساليب تعليم اللغة العربية فى الماضى والحاضر فى المؤسسات
الأهلية والنظامية فى تشاد الأجيال والتحديات .
الدكتور / فضل خلود الدكو
مدير مكتب رابطة العالم الإسلامى فى نيجيريا**

المقدمة :

ان هذا الموضوع : مناهج تعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية، قسمته الى مقدمة وثلاثة فصول، المقدمة خصصتها لأعطاء فكرة عامة عن التعليم العربى فى المراحل التى تناولتها وهى الفصول التى خصصتها لدراسة هذا الموضوع،

الفصل الأول :

مناهج واساليب التعليم العربى الإسلامى فى افريقيا جنوب فى العصور القديمة منذ بداية التعليم العربى فى العالم الإسلامى وكيفية وصوله الى اقاليم بلاد افريقيا جنوب الصحراء

الفصل الثانى :

مناهج تعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية فى المؤسسات الأهلية والنظامية فى القرن العشرين الميلادى وماتلاه ، مع ذكر نماذج للأجيال والتحديات

الفصل الثالث :

مناهج تعليم اللغة العربية فى المؤسسات الأهلية والنظامية منذ بداية القرن العشرين وامتدادا الى القرن الحادى والعشرين ثم ذكر الأجيال والتحديات

الخاتمة :

ولخصت فيها النتائج التى خرج بها البحث ثم التوصيات

والله ولى التوفيق،،

-إن التعليم العربى الإسلامى فى عصوره الأولى، وقبل حقبة الاستعمار الغربى فى تشاد، كان مرتبطا بدخول الإسلام الى منطقة بحيرة تشاد وما حولها، وذلك منذ ظهور دولة كانم (تشاد) فى مهدها الأول فى اقليم كاوار الواقع فى شمال شرق بحيرة تشاد فى القرن العاشر الميلادى، حينما كانت عاصمتها الأولى فى (بلما) *
وهنا تناول البحث ظروف واحوال التعليم العربى الإسلامى، ومدى انتشاره وما وصل اليه من تنوع ، وذلك لأعطاء فكرة لمن ليس له المام بهذا النوع من التعليم فى هذه الحقبة الزمنية،من عصوره الأولى، وكذلك لأتاحة الفرصة للمقارنة بين ماكان عليه التعليم العربى الإسلامى قديما وما وصل اليه لاحقا وما ال اليه حديثا .
فالتعليم العربى الإسلامى منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام كان تعليم دينيا مرتبطا بالقيدة والخلق القويم، ويبدأ بتعليم القرآن الكريم، والعبادات، وذلك اتباعا لقول الله تعالى وما خلقت الجن والأنس ألا ليعبدونى . وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يعلم الصحابة القرآن الكريم فى مسجده بالمدينة المنورة، ومن اشهر الذين تلقوا هذا التعليم من الصحابة، على هذا المنهج النبوى، ابو هريرة رضى الله عنه، وابوبكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلى بن ابى طالب، ومعاوية بن ابى سفيان كاتب الوحي .
وكان اسلوب التعليم فى بادئ أمره شفهيًا، يعتمد على الحفظ والذاكرة، ثم أصبح كتابية بعد ما أمر النبى عليه الصلاة والسلام، بعض الصحابة بكتابة ماينزل عليه من الوحي، وهم الذين عرفوا بكتاب الوحي

الفصل الأول :

مناهج وأساليب تعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية في العصور الأولى للإسلام

التعليم العربى الإسلامى فى العصور الأولى لم يكن مرتبطا بمكان او جدار او منهج معين، بل كان مرتبطا بالمعلم، من حيث الزمان والمكان، وهو يتمثل فى وجود العالم والمتعلم، بمعنى وجود العالم والمتعلم أى طالب العلم، فى أى مكان وزمان، وقد تكون المدرسة تحت ظل شجرة أو ظل ثقيفة من القش أو من سعف النخيل، أو أرضاً فضاء أو حتى على ظهر دابة.

عن أبى العباس عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم يوماً فقال : يا غلام انى اعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، اذا سألت فاسأل الله، استعنت فاستعن بالله، وأعلم ان الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء كتبه الله لك، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء كتب الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف.(1)

مناهج تعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية قديماً كانت تبدأ بقراءة القرآن الكريم، ثم الحديث الشريف ثم الفقه ثم التوحيد... الخ وكان المسجد هو أول مكان بدأ فيه التعليم العربى، وكان مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام، أول مسجد يبدأ فيه التعليم، وكان ممن جلس للتدريس فى المسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة، ربيعة الراى وبياتيه مالك بن أنس والحسن البصرى، وفى مسجد الرسول(ص) ألف الإمام مالك بن أنس كتابه : الموطأ، وفى جامع عمرو بن العاص بالقاهرة ألف الإمام الشافعى كتابه : الأم ، وفى مسجد البصرة كتب الخليل بن احمد الفراهيدى كتابه: العين ، وفى مسجد الكوفة جلس الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه يعلم الناس أصول الدين والعبادات. - ومن أهم أماكن التعليم العربى فى تشاد فى عهد الكانمى المسيج (مسيجد) أصله مسيحد تصغير لكلمة مسجد، وكان للمسيح دور هام فى التعليم العربى الأهلى، فهو بمثابة المسجد الكبير فى القرى الصغيرة التى لا يوجد فيها مساجد كبيرة جامعة، (2) .

فمن أهم أماكن التعليم العربى الإسلامى، منازل التجار والأغنياء فى المدن الكبيرة، وكذلك قصور السلاطين والحكام، الذين يستقدمون العلماء ليعلموا ويؤدبوا ابنا السلاطين ويعدوهم للحكم وإدارة شئون البلاد، ووراسة العرش وقيادة الجيوش، وتسند للعلماء وظيفة الافتاء والقضاء فى مجلس الصلطان، وكان السلاطين يكرمون العلماء ويقربونهم اليهم، ويهبونهم الأقطاعات الكبيرة من الأراضى الخصبة ليعيشوا من ريعها، وتكون ملكاً لهم وللأبنائهم من بعدهم،

ويصدرون فى حقهم المحارم أى (المراسيم) السلطانية التى تضمن لهم تلك الامتيازات، وبعد السلاطين تأتى طبقة التجار والميسورين من الأغنياء، الذين يغدقون على العلماء ويهبون لهم المساكن الجيدة أو يسكنونهم معهم أو بجوارهم، ويوكلون اليهم شئون تعليم وتأديب أبنائهم وأسراهم، بل منهم من يزوج ابنته للعالم ويتكفل بدفع الصداق عن العالم، حتى ينالوا شرف المصارة ، وذلك لأيمانهم بان العلماء سيكرمهم الله بالشفاعة يوم القيامة، بعد الشفاعة الكبرى للنبي عليه الصلاة والسلام، فيشفع العالم فى اهله وذريته ومن لهم صلة رحم به، وهذه العادة لازالت مرعية ومتبعة فى المجتمع التشادى المسلم لما من جذور اسلامية طيبة،

ومن أشهر السلاطين الذين درسوا على ايدى العلماء ،فى قصورهم السلطان أومى جلمى (1086- 1097) وقد درس على العالم محمد بن مانى، وصادر السلطان فى حقه محرماً أى (مرسوماً) سلطانياً منح فيه ابن مانى أرضاً خصبة ليعيش من ريعها هو واسرته وذريته من بعده الى يوم الدين، ويذكرون فى المحرم انه يحرم على من يتولى الحكم من بعده ان يغيره.(3)

-وهذا من أعظم فضائل هذا التليم العربى القرانى، فى مناهجه وأماكن تعليمه البسيطة، وكان المسلمون يطلبون العلم لذاته، وللتقرب به الى الله تعبدًا واتباعاً لتربية الرسول صلى الله عليه وسلم، واتباعاً لقول الله سبحانه وتعالى ، انما يخشى الله من عباده العلماء ، وقوله تعالى لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون. وبحلول القرن السابع عشر الميلادى، اضحت اللغة العربية لغة التخاطب والقرءة والكتابة فى الإدارات والسجلات الحكومية، ولغة القضاء والبيع والشراء فى مملكة كانم الإسلامية، وبها سجلوا تاريخهم وحضارتهم. (4)

وهناك ايضا التعليم العربى الأهلى المتنقل مع قبائل العرب البدو الرحل، وهذا النوع من التعليم يقوم به بعض المعلمين فى الخلاوى المتنقلة، بين القبائل العربية الراحلة التى تنتقل من مكان الى آخر، وذلك طلباً للماء والكلاء لماشيتها، فهم فى ترحال دائم، من دار الى دار، ومن مرحال الى مرحال، وقد لا يستقرون فى مكان واحد لأكثر من

يوم او يومين اثنين، وبالتالي فإن معلم القران ينتقل مع تلاميذه من بادية الى اخرى، وهو مرتبط بتلك القبائل في حلها وترحالها.

وهذا النوع من التعليم العربى الاسلامى الأهلى المتنقل، مع القبائل البدوية الراحلة له أهمية كبيرة قد لا يدركها كثير من الناس، وغالبا مايكون المعلمين القائمين على هذا التعليم، هم من ابناء نفس القبائل العربية البدوية الراحلة، فهم ، معتادون على حياة التنقل والترحال، على الرغم من مشتقتها وعنائها، فهي حياة قاسية، لا يصبر عليها الا من كان منهم معتاد على الترحال والتجوال مع الماشية، شمالا وجنوبا وشرقا وغربا.

- مع ان هذا النوع من التعليم واساليب نشره يكون فى ظروف قاسية، الا ان له اهمية بالغة. فهذا النوع من التعليم حفظ لتلك القبائل البدوية، دينها وعقيدتها، وعاداتها وتقاليدها العربية الأصيلة، ولولاها لما بقى لتلك القبائل شيئا من عقيدتها، ولتحولت الى حياتها الجاهلية الأولى كما كانت فى الجزيرة العربية، بدون قراءة او كتابة. وفى الأوقات التى تستقر فيها تلك القبائل، يقوم هؤلاء المعلمين بتعليم الأطفال الصغار القران الكريم وشيئا من علوم العبادات والتوحيد،

هؤلاء العلماء وعلمى القران الكريم الرحل، قد يقشون بعض القرى والمدن احيانا، فى بعض الموسم، وفى الصيف احيانا ، ولكنهم يعودون الى بيئتهم اى فرقانهم (جمع فريق) والى حياتهم فى البادية التى القوها واعتادوا عليها، هكذا كانت كانت احوال التعليم العربى الأهلى واحوال القائمين عليه فى البادية، وكانت الحياة فى القرى والمدن فى ذلك الزمان ليست باحسن حالا من الحياة فى البادية، بل قد تكون الحياة فى البادية أطيب من الحياة فى القرى والمدن،

ففى البادية يتوفر العيش الرغد، ويعتمد الناس فى عيشهم على شرب اللبن، وأكل اللحوم، بل فى الأوقات التى تحدث فيه المجاعات وتعم البلاد، يلجأ الناس الى البادية، والبدو اصحاب الماشية بدورهم يشاركون اخوانهم سكان القرى والمدن، ويصحبونهم معهم فى رحلة الخريف ويقاسمونهم لحوم ماشيتهم والبانها، وينتقلون معهم فى رحلة طويلة من الجنوب الى الشمال، فى موسم الخريف، حتى تنقش سحابة الجوع ويحل موسم الحصاد (الدرت) وتجدد الأرض بخيراتها الزراعة، و تلك التى تنبت بدون حرث، فيعود الناس الى قراهم ومدنهم، وهذه الحياة رغم قسوتها فانها اوجدت علاقات انسانية وودا وتعاوننا فى السراء والدراء، فى اوقات الشدة واليسر، وكانت الحياة لها طعم وقيم، ومحبة ومودة وكان الناس يعيشون وفيهم روح الاسلام وقيمه، وكانوا على دين الله اخوانا، عاشوا فى نقاء وايمان وتركوا لنا تراثا وقيما تخلد حضارة الاسلام وجوهره العظيم الذى ينبغى على افريقيا جنوب الصحراء ان يفخروا به ويعملوا على اعادة هذا المجد التليد وقيمه الخالدة.

-وبمرور الزمن تبدل الحال، وتحسنت سبل الحياة، فى القرى والمدن وتقلص عدد المعلمين الرحل، وسكن الكثير منهم القرى والمدن، نظرا لاستقرار الأمن، وتحسن سبل العيش وانتشار الأسواق، وكثرت السلع وسهولة وسائل الانتقال، الأمر الذى فتح ابواب الكسب وسهولة العيش، فالمعلم صار يعتمد كثيرا على تلاميذه الذين يرسلهم الى الأسواق للقيام بكل ما يمكنهم من الحصول على المال، أو مايؤكل ويشرب، سواء باستجداء الناس (المهجر) او القيام بمساعدة الباعة والمتسوقين فى حمل امتعتهم، مقابل حسنة يدفعونها طوعا للتلاميذ او المهاجرين ومن يستقر من المعلمين يؤسس له مسجدا او زاوية ويلتف حوله تلاميذه وحواريه ومريده، وقد تكبر الخلوة او الزاوية وتكون قرية او مدينة اورباطا، يرتاده الناس من شتى البقاع من الحجاج والتجار وطلاب العلم من طول البلاد وعرضها .

وهذه الرباطات أو الأربطة، غالبا ما تكون فى الواحات الشمالية وسط الصحراء، وهناك من المسلمين من يسكن فى تلك الأربطة والدارس، ويقومون بخدمة المسافرين والحجاج او غيرهم، وكذلك لخدمة الطلاب القادمين لتلقى العلوم الإسلامية واللغة العربية، وذلك باعداد الطعام والشراب لهم ، وكذلك القيام بصناعة المواد التى تعين الطلاب اعلى التعلم مثل صناعةالمداد، اى الحبر الذى يكتب به الطلاب على الألواح، وكذلك صناعة الألواح من الخشب، وهؤلاء الأشخاص يقومون بذلك تطوعا وبدون أجر،ويبتغون بذلك رضى الله وثوابه، وهذا النوع من الأعمال يعد جهادا فى سبيل الله، ومن اشهر هذه الرباطات فى الصحراء الشمالية ، زاوية زليطن وزاوية الجغبوب فى ليبيا برقة .

وهكذا نرى بان التعليم العربى الاسلامى قد انتشر فى المدن والقرى والبوادي، واقبل الناس على حفظ القران الكريم وتحصيل العلوم الإسلامية، واتخذت اللغة العربية مكانها كلغة تخاطب وقراءة وتواصل بين بين شعوب افريقيا جنوب الصحراء وصارت القوافل التجارية متواصلة بين شمال افريقيا الى جنوب الصحراء، حاملة بضائع ومنتجات الشمال الى الجنوب، ومنه حاملة

-الذهب والفضة والعاج وجلود الأصلة وغيرها من كنوز القارة الى الشمال، وقوافل الحجاج الى بيت الله الحرام فى مواسم الحج والعمرة، وكانت اللغة العربية هى سيدة الساحة،

وكانت بحيرة تشاد بمثابة المركز التجارى وملتقى القوافل القادمة من الشمال الى الجنوب، والصادرة من الجنوب الى الشمال، فكل من اراد المال رحل اليها، ومن اراد العلم رحل اليها ومن اراد المال والعلم ايضا شد الرحال اليها، فكانت القوافل القادمة من الغرب الى الشرق يمر بكانم، وكذلك القوافل القادمة من برقة والمغرب ينتهى الترحال فى بحيرة تشاد، وامتزجت فيها جميع الأجناس والأعراق، فكانت اشبه ببوتقة وفسيفساء فى وسط افريقيا جنوب الصحراء والذى عرف ايضا ببلاد السودان الأوسط .

الفصل الثانى :

مناهج تعليم اللغة العربية فى المؤسسات الأهلية والنظامية الإيجابيات والسلبيات

ظهور المنهج النظامى فى مدارس التعليم العربى فى افريقيا جنوب الصحراء :

التعليم العربى الإسلامى فى افريقيا جنوب الصحراء لم يكن يعرف المدارس النظامية التى تسير على المنهج النظامى الا فى بداية القرن العشرين الميلادى، ونقصد بالنظامية، المدارس التى يكون لها جدول زمنى محدد للتدريس، ومواد معينة يدرسها الطلاب، وفى اوقات معينة، وبالتالي فان الطالب له مدة زمنية محددة يمكنه ان ينهى دراسته فيه. (5)

وفى هذه الحالة فان المدرسة غالبا ما تدفع روات او جريات اى معونات الى المعلمين، لينفروا للتدريس فى الأوقات المحددة، والطلاب يتواجدون فى داخل الفصول بينما ينتقل الأساتذة والمعلمون بين الفصول. وهذا النظام اول من اوجده الوزير نظام الملك الطوسى، فى بغداد . فى عهد الدولة العباسية، وأحدث بذلك ثورة فى التعليم ونظمه، الا ان التعليم النظامى لم يعرف فى افريقيا لاسيما افريقيا جنوب الصحراء الا فى النصف الأول من القرن العشرين،

- لاسيما السودان وتشاد ونيجيريا، لأن هذه البلدان الثلاثة لديها صفات كثيرة مشتركة، منها وجود العنصر العربى والقبائل العربية البدوية، التى تنتقل فى هذه البلدان بصورة واسعة، وتتحدث اللغة العربية اينما رحلت وأينما حلت، وهكذا تتأثر وتؤثر فى المحيط الذى تدور فيه،

ظهر التعليم العربى النظامى فى هذه البلدان فى بداية القرن العشرين، فمن اقدم المدارس العربية الإسلامية التى وجدت فى السودان، مدرسة بخت الرضى فى امدرمان، ظهرت فى النصف الأول من القرن العشرين، ومن اشهر الذين درسوا فيها الشيخ محمد الريح، وكان له الفضل فى انه أنشأ مدرسة العلوم العربية فى كاتسينا شمال غرب مدينة كانو بنيجيريا فى عام 1936 ميلادى وبعد فترة وجيزة انتقلت الى مدينة كانو بنيجيريا وظلت فيها حتى الآن،

تخرج فى مدرسة العلوم العربية فطاحل العلماء ومشاهير القضاة، ورجال السياسة فى شمال نيجيريا، الذين قادوا حركة التنمية والبناء فى البلاد، منهم الشيخ ابوبكر غومى قاضى القضاة فى شمال نيجيريا، ومنهم الشيخ خضر بنجى قاضى القضاة لولاية سكوتو عاصمة خلافة الشيخ عثمان بن فودى، والشيخ الدكتور أحمد ليمو قاضى القضاة لولاية النيجر،

والدكتور حسن غورزو قاضى القضاة لولاية كانو، والشيخ عبد القادر اوريرى قاضى القضاة لولاية كوارا، ثم كلية بايرو للعلوم العربية والإسلامية التى تطورت الى جامعة بايرو بكانو، ثم مدرسة الكانمى العليا للعلوم العربية والدراسات الإسلامية، فى مدينة ميدغرى ولاية برنو، ثم المعهد العربى فى اغيغى بمدينة لاغوس، لمؤسسه الشيخ عبدالله الألورى، وقد تخرج فيه مئات العلماء الذين شغلوا مناصب رفيعة فى دولة نيجيريا، ثم المدرسة النظامية فى سكوتو، ومؤسسه الشيخ مرافا سكوتو وعرفت باسمه، ولا زالت تخرج العشرات من ابنا المسلمين فى العلوم العربية والإسلامية، المركز الإسلامى لرابطة العالم الإسلامى فى انوفيا، جنوب شرق نيجيريا، وهى منطقة ذات اقلية اسلامية، تولته رابطة العالم الإسلامى فى عام 1982، وكان بمستوى مدرسة ابتدائية، فبنته الرابطة من 24 فصلا، ويضم الابتدائى والأعدادى والثانوي فصار معهدا نموذجيا.

- ظهور المدارس النظامية العربية فى تشاد :

اما فى تشاد فان من اوائل المدارس العربية النظامية : (6)

1 - المعهد العلمى العربى فى مدينة أبشة أنشأه الشيخ عليش عووضة فى عام 1946 ميلادى، على منهج الأزهر الشريف، وذلك بعد تخرجه من الأزهر الشريف وعودته الى البلاد، ويعرف ايضا بمعهد امسيوغو،

وعلى الرغم من الظروف القاسية التي تعرض لها الشيخ عlish عووضة، حيث كادله الفرنسيون ونفوه الى السودان، الا ان المعهد واصل مسيرته بخطوات بطيئة احيانا ومتعثرة أحيانا أخرى، الا أنه استطاع الصمود أمام كل الصعاب، وحمل رسالة الإسلام واللغة العربية وتخرج فيه المئات من العلماء الذين حملوا رسالة العلم وساهموا في التنمية وبناء

الدولة الحديثة، و كان فيهم العلماء والمعلمون الأوفياء ، والقادة المخلصون، والأداريون المحنكون والمربون الأتقياء، والقضاة العادلون.

2 - مركز الملك فيصل للعلوم العربية والإسلامية، في العاصمة انجمينا الذي أنشأه الملك فيصل بن عبد العزيز عليه رحمة الله، عند زيارته لجمهورية تشاد في السبعينيات من القرن العشرين، واسس على المنهج الحديث الذي يضم العلوم الحديثة علاوة على العلوم العربية والإسلامية، ويضم المرحلتين الإعدادية والثانوية العليا، للبنين والبنات وكان هذا المركز هو النواة الأولى لميلاد جامعة الملك فيصل الإسلامية الأهلية، في انجمينا عاصمة تشاد، لتستوعب خريجي المدارس العربية الإسلامية، بل صارت تستوعب طلابا من أكثر من عشرين دولة أفريقية، أغلبهم على منح دراسية

3 - جامعة الملك فيصل في انجمينا - بتشاد

سوف نتحدث عن جامعة الملك فيصل الإسلامية الأهلية بشيء من التفصيل لأهميتها في تشاد والقارة الأفريقية، لاسيما إفريقيا جنوب الصحراء نظرا للدور الذي قامت به وطنيا في تشاد وإقليميا في البلاد المجاورة أهم المدارس العربية الأهلية التي نشأت في النصف الثاني من القرن العشرين :

واثر ذلك على المسلمين في تشاد ودول غرب إفريقيا جنوب الصحراء، سوف نذكر عددا منها، وشيئا عن سيرة العلماء الذين أنشؤوها ونشروا بها القرآن الكريم واللغة العربية وعلومها في ربوع البلاد، شرقا وغربا. جنوبا وشمالا ، في البوادي والقرى والمدن والحضر،

وسوف نذكر بعض النماذج وليس الحصر، فان حصرها يتطلب الكثير من الجهد والعناء والوقت والتنقل من إقليم الى آخر ومن مدينه الى أخرى ومن قرية الى بادية، ومن بادية الى فريق (منزل العرب الرحل) والمجال هنا يتطلب الاختصار.

1 - مدرسة العالم الفقيه الشيخ ادم بركة في ابشة، له مدرسة في بيته لتدريس العلوم الإسلامية الفقه والحديث والتفسير واللغة العربية، تتلمذ عليه المئات من طلاب العلم كبارا وصغارا، وكان بمثابة جسر عبر عليه العشرات من التلاميذ الى المدارس النظامية، والحكومية ، كما انها تعتبر رافدا أساسيا لمعهد الشيخ عlish عووضة، الذي أنشأه في عام 1948 ميلادية، في امسيوغو في ابشه .

2 - مدرسة الغونى دريمة في جامع الحرازية في مدينة فورلامى (انجمينا) ويدرس الطلاب فيها علوم الفقه والحديث واللغة العربية، وهو امام وخطيب جامع الحرازية

(دوتم عبد الرحمن امام مسجد النور، مرجان دفق (7) -

4 -مدرسة الشيخ الفقيه على طه في مسجدة ببيتته، وهو من العلماء الفطاحل في العلوم الإسلامية، في الفقه والحديث والتفسير، و عضو المجلس الإسلامى الأعلى في تشاد .

5 -مدرسة الشيخ ابوكوثره لتعليم القرآن الكريم، وهى من أهم خلاوى تعليم القرآن الكريم بمدينة انجمينا. (8)

6 -- مدرسة الشيخ الفقيه القاضى أحمد طبيق، في مدينة ام حجر البطحاء .، عالم ضليع لايشق له غبار ، في العلوم الشرعية، تولى القضاء لأكثر من عشرين عاما، له مدرسة في بيته ، يدرس فيها علوم الفقه والحديث والتفسير، تتلمذ عليه المئات من طلاب العلم من مختلف

الأعمار، ومن شتى المدن والقرى في طول البلاد وعرضها، وكان يلقي دروسه في الفقه بعد صلاة العشاء، وكان شيخنا ومعلمنا الفكى نقالة طبيق يحضر تلك الدروس، وكنا نحن صغارا، نجلس خلف الكبار ننصت ونستمع، ونفهم أقل مما نسمع، وكانت التقاليد المرعية أن ذاك تقضى بعدم السماح بالسؤال عما لم نفهم، بل كان السؤال يعد منا فيا للأدب، وعلى الحاضرين

حسن الانصات والأصغاء، وابداء غاية السرور في السماح لنا بحضور تلك الحلقات . (رواية عن المؤلف شاهدعيان) (9)

- 7 - مدرسة القونى محمد زين عليو لتحفيظ القرآن الكريم، فى مدينة ام حجر، تخرج فيها المآت من حفاظ القرآن الكريم فى طول البلاد وعرضها، ومنهجها الدراسى ينقسم الى، قسم للطلاب صغار السن ابتداء من عمر سبع سنوات، والقسم الآخر يشمل الكبار من جميع الأعمار، ومن جميع الأقطار والأجناس.
- 8 - مدرسة القونى النور التور فى مدينة يتكن، وهى تضم المآت من الطلاب الذين يواصلون فيها دراسة القرآن الكريم الى مرحلة نيل لقب قونى، وقد تخرج فيها المآت من القوانى حفاظ القرآن الكريم، ونظامها ايضا يقضم قسما للصغار من عمر السابعة، ثم قسم آخر للكبار من كل الأعمار، والى ان يتخرج الطالب اما بحفظ القرآن كله اونصفه او الى اينال لقب قونى.
- 9 - مدرسة مبروكة لتحفيظ القرآن الكريم فى مدينة سار، وتخرج المآت من حفاظ القرآن الكريم، وهى ايضا تحظى بالعون والمساعدات من الجهات الخيرية وافراد المحسنين وبرنا مجها التعليمى يضم قسما للصغار وآخر للكبار.
- 10 - مدسة القونى فضيل طبقيق كلود الدكو وأخيه القونى هارون طبقيق كلود الدكو، وهى فى مدينة ام التيمان جنوب تشاد، وتضم مدرسة لتعليم القرآن الكريم والعلوم الإسلامية كالفقه والحديث والتجويد، وبها ومسجدا كبيرا.
- وفى الثمانينات من القرن العشرين حدث تحول عظيم وطفرة نوعية فى التعليم الأهلى العربى فى تشاد، لاسيما فى تعليم القرآن الكريم وحفظه واتقان علوم التجويد وعلوم القراءات، وذلك بارسال بارسال بعثات من حفاظ القرآن الكريم الى الأزهر الشريف بمصر.

الدفعة الأولى :

من حفاظ القرآن الكريم، وكان عددهم اربعة، هم : الغونى حسن عمر طاهر ، والقونى طه عباس، والقونى يوسف اسحاق، والقونى محمد احمد،
اما الدفعة الثانية :

وتتكون من أثنى.هما: القونى جبريل بركة، والقونى محمد الحر، هم الذين ابتعثوا الى مصر والتحقوا بمعهد القراءات بالأزهر الشريف فى القاهرة عام 1975م وبعد اتمام دراستهم عادوا الى تشاد، بعضهم صار وا معلمين فى بعض المدارس الأهلية او النظامية مثل معهد الملك فيصل فى رحاب المسجد، وبعضهم أنشأوا لهم مدارس اسلامية عربية وبعضهم ارتحل الى البلاد المجاورة مثل افريقيا الوسطى والكمرون ونيجيريا والسودان، وأثروا فى تلك البلاد علميا، وصار لهم تلاميذ نابغين ذاع صيتهم وأناروا تلك البلاد بنور العلم والمعرفة،
من العلماء الذين ابتعثوا الى الأزهر الشريف وأكملوا دراستهم فى معهد القراءات فى عام 1975 ثم عادوا الى البلاد نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر،

1 / الشيخ القونى حسن عمر طاهر ابراهيم القرشى من الدفعة الأولى للأزهر الشريف، وهو من مواليد قرية شاور بمديرية البطحاء وسط البلاد، حوالى عام 1935 ميلادى تلقى تعليمه الأولى فى مدارس تحفيظ القرآن الكريم الأهلية، ثم ارتحل الى بحر الغزال والتحق بالشيخ القونى محمد ابوشيب، ولازمه لبضع سنوات الى ان اتم عليه حفظ القرآن الكريم، وبلغ مرحلة الأتقان، فرفعه شيخه الى درجة غونى، ثم التحق بمعهد القراءات بالأزهر الشريف كما سبق ذكره، حتى نال الشهادة العليا ثم عاد الى البلاد فى عام 1978م وتولى ادارة معهد القراءات من 1981 الى 1982م وقد اثرى المكتبة القرآنية بالكثير من المؤلفات القيمة فى علوم القراءات وغيرها (10)

2 / الشيخ القونى جبريل بركة، وهو من الشيوخ حفاظ القرآن الأوائل الذين قادوا حركة التجديد فى مدارس تحفيظ القرآن الكريم، وادخال علوم التجويد والقراءات العشر، ولد الشيخ جبريل بركة بن محمد بن حسين الميغنى فى سنة 1941 للميلاد، فى بيكورو، ثم ارتحل الى آتيا البطحاء لطلب العلم على القونى عبدالله التميز، ثم على الشيخ القونى الغالى، ثم على الشيخ الغونى عبد الرحمن، ثم رحل الى بتكن فقرء على الشيخ ادم عمر ثم على الشيخ موسى صالح المعروف بالقونى موسى ابن الفلاتية، ثم رحل الى دربالى، فقرء على الشيخ القونى حسين ادم المعروف بالغرباوى، ثم على الشيخ القونى صالح بن الشيخ ابوبكر اشيقر، ثم ارتحل الى مدينة فورلامى (انجمينا) والتحق بمدرسة الشيخ القونى عيسى ولد كندلة، الى ان اجازه فى القراءة والأقراء، ومنحه درجة قونى فى سنة 1964م

وفى عام 1975 سافر ضمن البعثة الثانية الى الأزهر الشريف بمصر، والتحق بمعهد القراءات بالأزهر الشريف، ودرس فيه حتى نال شهادة الأجازة فى القراءات العشر، عن طريق

الدرة الشاطبية 1979م ثم عاد الى تشاد في 1980م وصارت له حلقة عامرة بالعشرات من طلاب علوم القرآن وعلومه والتجويد وعلومه، وقام بجولات عديدة في البلاد المجاورة منها الكمرون ونيجير، والف العديد من الكتب في علوم القرآن والتجويد ، للمزيد انظر (11)

الأيجابيات في هذه الفترة ان التعليم العربى لم يكن تحت سيطرة اى جهة سواء مذهبية او ايديولوجية سياسية، وكان العلماء احرارا في انشاء مدارسهم في اى مكان ويقومون بالتعليم في اى زمان، كما يمكن للشخص ان يلتحق بالتعليم العربى الاسلامى دون ان يكون مقيدا بعمر محدد، او الارتباط بعلم معين ، بل يمكن للإنسان ان يبدأ باى علم ير ان يتعلمه،

وهذا اعطى فرصة لكثير من الطلاب ان يبرزوا ويتفوقوا في اى فن يريدونه، سواء في الفقه او التوحيد او النحو او البلاغة .. الخ

الفصل الثالث ::

مناهج واساليب تعليم اللغة العربية في المؤسسات الأهلية والنظامية في تشاد بعد الاستقلال، الايجابيات والتحديات .

على الرغم من ان تشاد نالت استقلالها منذ العام 1960م الا انها لم تسعد بهذا الاستقلال، بل كان الاستقلال منقوصا ومزيفا، والأسباب تعود الى عاملين ، الأول ان المستعمر لم يكن صادقا في اعطاء الشعب التشادى الحرية المطلقة، والسيادة الكاملة في ارضه وترابه، بل اراد لها ان تكون ربيبة تعيش تحت ظل فرنسا وتنفذ اوامرها، وتلبى مصالحها، وان تكون بقرة حلوبا ومطبعة، وهذا الأمر جعل السكان ينقسمون الى قسمين، قسم راضى ومقتنع بالواقع، وهم الذين تربوا على النهج الفرنسى والذى يؤمن بان فرنسا هي الأم الحنون التى لا يطيّب العيش بدونها، والقسم الثانى يرى بان فرنسا ليس من حقها ان تسيطر على مقاليد الحكم وتسيير الأمور على هواها و لا يجوز لها ان تتصرف وكأنها وصية على العباد والبلاد،

وهكذا بدأت الحرب تطل بقبورها بعد الاستقلال، وكان من اصعب التحديات التى واجهت البلاد والعباد، وعلى اللغة العربية التى وفقت لها فرنسا بالمرصاد وحتى بعد الاستقلال.

الأمر الذى ادخل البلاد في حروب دامية امتدت لعقود من الزمن ، حروب اكلت الأخضر واليابس، حروب أشعلت نارا لم يسلم من سعيها الغنى ولا الفقير ولا الصغير او الكبير، ولا العالم او الجاهل، حروب افقرت الأغنياء وأفنت الفقراء ، وضاعت البلاد بابنائها، رغم اتساعها وعرضها وغنائها وكثرة خيراتها، وكادت البلاد تنجرف الى حرب اهلية مدمرة ساحقة ومحقة مثل الحرب التى حدثت في رواندا بين الهوتو والتوتسى، وادت بحياة الملايين من ابنا روندا الأبرياء، ولكن الله لطف بتشاد ووصل بعض ابنائها الغيورين على هذا البلد الطيب بلد الحضارات والرقى عبر التاريخ، وصل هؤلاء وتولوا مقاليد الحكم فى البلاد فسعدت البلاد بقسط من الأمن والاستقرار، حيث اولت الدولة اهتماما كبيرا بالتعليم فى جميع مراحلها، وادخلت التعليم العربى فى المنظومة التعليمية للدولة، والحقته بوزارة التربية والتعليم، ثم وزارة التعليم العالى وارتفعت به الى مصاف الجامعات والمعاهد العليا، وبذلت كل الجهود المتاحة واصدرت العديد من المراسيم الحكومية التى تعترف بالتعليم العربى، كما اصدرت العديد من القرارات التى تساوى بينه وبين التعليم الفرنسى، وجاء قرار الثائية اللغوية أكبر انتصار للغة العربية فى البلاد، وهو من اعظم الانجازات الايجابية فى تشاد والله الحمد والشكر،

ففى ظل الأمن والاستقرار الذى ساد فى البلاد منذ التسعينات من القرن الماضى واطلاق حرية الكلمة وحرية التنقل فى داخل البلاد وخارجها، انعكس ذلك ايجابا على حركة التعليم بصفة عامة، والتعليم العربى على وجه الخصوص، فى جميع مراحل تخطيطا وتنفيذا ورعاية مادية وأدبية، الأمر الذى يعد من اهم انجازات التعليم العربى ومساهمته فى خطوات النهوض بالأمة، كما تم انشاء العديد من الجامعات والمعاهد العليا فى طول البلاد وعرضها والتى تضم اقسا ما للغة العربية، الأمر الذى يعد من اهم علامات الأزدهار والانتشار للغة العربية وتعليمها، ومن الانجازات ايضا ان خريجى التعليم العربى صاروا يتمتعون بجميع الامتيازات الى يتمتع بها أقرانهم من خريجى المدارس الفرنسية، وذلك بنص دستور الدولة، ففى ظل الأمن الذى ساد

فى الدولة فى الفترة من 1990 حتى 2021 انتشر التعليم العربى وازدهر اضعاف ماكان عليه منذ عهد الاستقلال الى التسعينات من القرن الماضى.

جامعة الملك فيصل الأهلية في انجمينا : (12)

رأينا ان نفرد صفحة لجامعة الملك فيصل لما لها من اهمية بين المؤسسات التعليمية النظامية، في البلاد ولما لها من دور عظيم في نشر التعليم عامة والعربي على وجه الخصوص ، فجامعة الملك فيصل هي اول جامعة اهلية اسلامية غير حكومية، ولدت في عام 1991 م ومقرها انجمينا عاصمة تشاد، وأنشئت بجهود شخصية من المحسنين في داخل تشاد ومن خارجها، ومن الهيئات الخيرية العالمية، كما انها وجدت الرعاية والدعم الأدبي من الدولة، جامعة الملك فيصل حباها الله منذ نشأتها بادارة حكيمة مؤهلة ومخلصة لدينها وامتها ووطنها، وتحت رعاية رشيدة تمثلت في الفروفسير الدكتور/ عبد الرحمن عمر الماحي، عليه رحمة الله، الأكاديمي والأداري القدير، والمربي الصابر المحتسب، وبمساعدة نخبة ممتازة من الأساتذة والدكاترة، من العلماء على رأسهم فضيلة الشيخ حسن حسين، رئيس المجلس الإسلامي الأعلى لتشاد، وهو احد المؤسسين، وبمساعدة العلماء والدكاترة والأساتذة المخلصين، أعضاء هيئة التدريس، والأداريين الأكفاء، ووقوف بعض الخيرين من العلماء والتجار المخلصين من ابناء الوطن، الذين بذلوا الجهد والكثير من امكانياتهم المادية والمعنوية، لوضع اسس متينة لنظام أكاديمي رصين، فاستطاعة الجامعة في فترة وجيزة ان تمد جسور الثقة المتبادلة بينها وبين الجامعات الإسلامية في البلاد العربية، وأكتسبت سمعة طيبة لدى تلك الجامعات والهيئات العلمية الثقافية الدولية، واقامة العديد من المؤتمرات الدولية الناجحة بكل المقاييس.

أهم انجازات جامعة الملك فيصل :

وتتمثل في التالي

- 1/ استيعاب العشرات من المثقفين باللغة العربية كاساتذة واداريين
- 2/ تأهيل اعداد كبيرة من الكوادر العلمية لقطاع التعليم بجميع مراحه
- 3 / توفير اساتذة للجامعات والمعاهد العليا من خلال برامج الدراسات العليا وعقد اتفاقيات ثقافية مع الجامعات في البلاد العربية كالسودان ومصر وليبيا وغيره
- 4/ ساهمت في احياء التراث العربي الإسلامي من خلال انشاء مركز المخطوطات الأفريقية (مركز البحوث والدراسات الأريقية والترجمة) 5/عقدت الكثير من الندوات الدولية الناجحة.

الخاتمة :

على الرغم من الخطوات التي العظيمة التي خطاها التعليم العربي والمرحلة الجيدة التي احتلها في الدولة، الا انه لايزال يواجه الكثير من التحديات، ويحتاج الى بذل المزيد من الجهد والدعم المادي والأدبي من الدولة، ومن القائمين على شؤون التعليم، والمحسنين من انصار اللغة العربية والتعليم العربي، ومن التحديات الشاخصة هشاشة المنهج الوطني الذي انجز جزء كبير منه في الماضي القريب، ولازال في طور التجريب، وكذلك الاحتياج الى تدريب واعداد معلمين أكفاء، لتولى مسؤولية التعليم بشقيه الأهلي والحكومي، في مراحله الأساسية، الابتدائي والاعدادي والثاوي العالي، وذلك بالتعاون مع المؤسسات التعليمية في البلاد العربية، التي سبقتنا في هذا المجال، وذلك لاكتساب الخبرة في صياغة وتطوير المناهج، حتى تكون مواكبة للعصر الحديث والتكنولوجيا.

والله ولي التمه ولي التوفيق ،،

المراجع والهوامش :

1/ رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

2 / د/ فضل كلود الدكو

الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لأمبراطورية كانم برنو ص 157 ط1998م ليبيا

3 / د/ فضل كلود الدكو المصدر السابق ص 335

4 / د فضل خلود الدكو ، أثر اللغة العربية في الأمة التشادية(اجتماعيا- ثقافيا- اقتصاديا)

ندوة اللغة العربية في تشاد، طبعة جمعية الدعوة الإسلامية ليبيا ص553 ط 2003م

5 / د . فضل خلود الدكو ، التعليم الأهلي في تشاد تنوعه وتطوره ص10 ط2020 نيجيريا

6 / د محمد صالح ايوب مكانت تحفيظ القرآن الكريم في المجتمع التشادي المعاصر ص13 الندوة العلمية الدولية 2004م

- 7 / د فضل خلود الدكو التعليم الأهلى فى تشاد المرجع السابق ص11
- 8 / د محمد صالح ايوب مكانة تحفيظ القران الكريم المرجع السابق ص12،13
- 9 / د فضل خلود التعليم الأهلى فى تشاد المرجع السابق ص 13
- 10 / د محمد صالح مكانة تحفيظ القران الكريم المرجع السابق ص 24،25
- 11 / د فضل خلود الدكو التعليم الأهلى فى تشاد المرجع السابق ص13،14
- 12 / التعليم الأهلى فى تشاد تنهعه وازدهاره خلال خمسين عاما
- (1960 - 2010) ص 18، 19، ط 2018، ط 2020م نيجيريا

اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء (الفرص والمهددات)

إعداد/ الدكتورة فوزية عمر محمد علي العوض
أستاذ النحو والصرف المشارك بقسم اللغة العربية – كلية التربية
جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم – السودان

مستخلص:

هدفت هذه الورقة إلى تسليط بعض الضوء على فرص انتشار اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء (تعليمياً وتعلمياً)؛ والمتمثلة في: العدد الكبير من المسلمين الذين يجب عليهم تعلمها أو تعلم الشيء الذي يؤدون به شعائرهم الدينية. والاحتكاك المباشر لكثير من الأفارقة بالمتحدثين بها من جيرانهم العرب، وعلاقات التعايش والتصاهر. والجذور التاريخية المشتركة لكثير من اللغات الأفريقية مع اللغة العربية. كما هدفت إلى تبیین التحديات التي تواجهها، والمتمثلة في: التباين بين اللغة الأم ولغة التعليم والتعلم؛ سيما لو كانت للدولة لغة رسمية أجنبية؛ الأمر الذي يزيد من احتمال صعوبة تعلم اللغة العربية. وكذلك السياسة الاستعمارية التي فرضت لغتها وثقافتها على الدول والشعوب. إضافة إلى ضعف الثقافة العربية وانحسار مكانتها في العالم اليوم. وغياب دور الدول العربية في تبني خطط ومناهج وبرامج تساهم في انتشار اللغة العربية. وتمكن أهمية هذه المداخل في دراستها لواقع اللغة العربية في إفريقيا؛ لتشخيصه، ومحاولة إيجاد فرص للمساهمة في نشرها. واتبع الباحث المنهج الوصفي؛ لوصف الظواهر التي تمثل فرصاً ومهددات، مستعيناً بالمنهج التاريخي؛ لاسترداد المعلومات عن تاريخ اللغة العربية في إفريقيا. ومن النتائج التي توصل لها الباحث: عمق الجذور التاريخية للغة العربية في إفريقيا، ووجود فرص كبيرة أمامها لتسود، وكذلك هناك مهددات تعيق ذلك التمدد، يمكن مواجهتها بالوعي الجاد بمتطلبات ومستحققات ذلك الانتشار. وأوصت الدراسة بقيام هيئات ومؤسسات عربية أفريقية همها الأول النهوض باللغة العربية في إفريقيا، وتطوير وسائل تدريسها ومناهجها.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، بلسان عربي مبين، سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد.
فاللغة العربية أبلغ اللغات، وأبينها، وأجملها، وأبهاها، وأكرمها، عظمها الله تبارك وتعالى، وكتب لها الخلود؛ لتبقى عذبة طرية حية ندية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
تناولت هذه الدراسة موضوع: اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء (الفرص والمهددات)؛ بغرض الوقوف على الفرص والمعطيات المتاحة؛ لتقويتها، والنظر في المهددات والتحديات؛ لتجنبها، ومحاولة تحييدها.
أهداف الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى الآتي:

- = تبیین فرص انتشار اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء.
- = توضيح المهددات التي تعيق انتشار اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء.
- = تقديم مقترحات قد تساعد في انتشار اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في تسليطها الضوء على واقع اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء؛ وتحاول المساهمة في تشخيص ذلك الواقع وإيجاد الحلول الناجعة.
منهج الدراسة: الوصفي والتاريخي.
أسئلة الدراسة:

- = ما الفرص المتاحة لانتشار اللغة العربية في إفريقيا؟
- = ما مدى الاستفادة من مراكز تعليم القرآن المنتشرة في إفريقيا – في تعليم اللغة العربية؟
- = كيف تساهم علاقات الجوار الإفريقي العربي في نشر اللغة العربية؟
- = ما المهددات التي تواجه انتشار اللغة العربية في إفريقيا؟
- = كيف تواجه هذه المهددات؟

مصطلحات الدراسة:

اللغة العربية: لغة البيان التي اختارها الله تعالى وعاءاً لكتابه الخالد.

إفريقيا: القارة السوداء البكر الغنية بمواردها وإنسانها.

جنوب الصحراء: الجزء من القارة الواقع إلى الجنوب من الصحراء الكبرى التي تكاد تفصل القارة نصفين غير متكافئين.

الفرص: المعطيات والمميزات.

المهددات: التحديات والمعوقات.

هيكل الدراسة: تحتوي الدراسة على ثلاثة مباحث: الأول: يعرف باللغة العربية، وميزاتها. والثاني: يسلط الضوء على فرص انتشار اللغة العربية في إفريقيا. والثالث: يستعرض المهددات التي تعيق ذلك الانتشار.

المبحث الأول

اللغة العربية: تعريفها، ومميزاتها:

اللغة: لغة من (لغا، لغوت) إذا تكلمت، قال ابن فارس: "(لَغَو) اللَّامُ وَالْعَيْنُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلَانِ صَجِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى الشَّيْءِ لَا يُعْتَدُّ بِهِ، وَالْآخَرُ عَلَى اللَّهَجِ بِالشَّيْءِ. فَالْأَوَّلُ اللَّغْوُ: مَا لَا يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ أَوْلَادِ الْإِبِلِ فِي الدِّيَةِ... يُقَالُ مِنْهُ لَعَا يَلْعُو لَعْوًا. وَذَلِكَ فِي لَعْوِ الْإِيمَانِ. وَاللَّعَا هُوَ اللَّغْوُ بِعَيْنِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ} [البقرة: 225]، أَيَّ مَا لَمْ تَعْفُدُوهُ بِقُلُوبِكُمْ... وَالثَّانِي قَوْلُهُمْ: لَعِيَ بِالْأَمْرِ، إِذَا لَهَجَ بِهِ. وَيُقَالُ إِنَّ اسْتِقَاقَ اللَّغَةِ مِنْهُ، أَيَّ يَلْهَجُ صَاحِبُهَا بِهَا"1.

واصطلاحاً: هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم1.

و(عربية): منسوبة إلى "العرب" وذلك لما يعزى إليها من الفصاحة، والإعراب والبيان؛ لأنَّ لِسَانَهَا أَعْرَبُ الْأَلْسِنَةِ، وَيَبَانُهَا أَجْوَدُ الْبَيَانِ.

والإعراب مشتق منها، فهو لغة: مصدر أعربت عن الشيء إعراباً، وهو: الإظهار والإبانة؛ تقول: أعربتُ عمّا في نفسي إذا أبنته وأظهرته1. وفي الحديث: ((الثَّيْبُ تُعْرَبُ عَنْ نَفْسِهَا وَالبَكْرُ رِضَاهَا صَمْتُهَا))1 أي: تبين رضاها بصريح النطق. وهو يشترك معها في المعنى، وهو الإبانة عن المعاني بالألفاظ المركبة؛ فهو يفرق بين المعاني في الأساليب اللغوية المختلفة، وبابه النحو العربي.

مميزات اللغة العربية:

خص الله (جل وعلا) اللغة العربية بخصيصة البيان، التي انفردت بها عن لغات الدنيا؛ حيث تميزت بالاعتدال، والاتساع في: أصواتها، وفي نحوها، وفي صرفها، وفي دلالاتها، وفي تراكيبها وأساليبها؛ الأمر الذي يسر تعلمها وتعليمها.

قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} سورة الشعراء (192-195)، فوصفه جلّ ثناؤه بأبلغ ما يوصف به الكلام، وهو البيان. وقال تعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ

أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} سورة النحل103. وقال تعالى:

{خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} سورة الرحمن (4،3)، فقدّم جلّ ثناؤه ذكر البيان على جميع ما توحّد بخلقه وتفرّد بإنشائه، من شمس وقمر ونجم وشجر وغير ذلك من الخلائق المحكمة والنشاي المتقنة. فلما خصّ جلّ ثناؤه اللسان العربيّ بالبيان علّم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه1.

إذن أول مميزات اللغة العربية أنها لغة القرآن الكريم؛ قال تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} سورة الزخرف3. وأنها لغة نبينا محمد ﷺ، ولغة أصحابه رضي الله عنهم، وهي الوعاء الذي نقل إلينا أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) والعلوم الشرعية.

من خصائص اللغة العربية اتساع معجمها اللفظي بما اشتملت عليه قواعدها من الترادف، والتضاد، وتعدد أوجه التصريف؛ فالمعنى الواحد ألفاظ متعددة، إذا عجز المتكلم عن إدراك لفظة أتى بمرادفها، فلا تقف الألفاظ حاجزاً في طريق فهمه وإفهامه غيره، وتلك منقبة تربوية لهذه اللغة، إذ تجعل المتكلم بها شجاعاً في خطابه بقدر سعة إلمامه بمفرداتها، فلا يهاب التلعثم، ولا النسيان، وتزِيلُ الخوفَ عمن يصعب عليه نطق بعض الحروف، حيث من مقدوره أن يعمد إلى مترادفات التي خلت مما يعجز عن لفظه من الأحرف1. قال ابن فارس: ((وحدثني أحمد بن محمد بن

بندار قال: سمعت أبا عبد الله بن خَالَوَيْهِ الهمداني يقول: جمعت للأسد خمسمائة اسم وللحية مائتين. وأخبرني علي بن أحمد بن الصباح قال: حدثنا أبو بكر بن دريد قال: حدثنا ابن أخي الأصمعي عن عمه أن الرشيد سألته عن شعر لابن حزام العُكَلِيِّ ففسره، فقال: "يَا أصمعي، إن الغريب عندك غَيْرُ غريب" فقال: "يَا أمير المؤمنين، ألا أكون كذلك وَقَدْ حفظت للحجر سبعين اسماً؟" وهذا كما قاله الأصمعي))1.

أما من ناحية الأصوات، فأهم ما يميز أصوات اللغة العربية هو ثباتها واستقرارها على حالها لم تتبدل ولم تتغير مع مرور العصور، ولم تفقد أيّاً من أصواتها. أما التنوع النسبي في النطق ببعض تلك الأصوات، فشيء طبيعي، عرف منذ معرفة اللغات. ولا يمكن أن يتصور أن ينطق الناس كلهم الأصوات بطريقة واحدة؛ إلا لما أمكن تمييز لهجة شخص من لهجة أخرى. أما اللغات الأخرى المعاصرة، فأصواتها تتبدل وتتحوّل، بل وتموت تماماً؛ فيبقى رسمها، وينتهي نطقها1.

من العلوم الجليّة التي خصت بها العرب الإعرابُ الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما مُيزَ فاعل من مفعول، ولا مضاف من مَنعوت، ولا تَعَجُّبٌ من استفهام، ولا صَدْرٌ من مصدر، ولا نَعْتٌ من تأكيد1. قال السيوطي: ((الإعراب فيه تميّز المعاني ويوقّف على أغراض المتكلمين وذلك أنَّ قائلًا لو قال: ما أحسن زيد غير معرب لم يُوقف على مراده فإذا قال: ما أحسن زيدا أو ما أحسن زيد أو ما أحسن زيد أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراد. وللغرب في ذلك ما ليس لغيرهم فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني يقولون: مُفْتَحٌ لِلآلَةِ التي يُفْتَحُ بها ومُفْتَحٌ لموضع الفتح ومَقْصٌ لآلة القص ومَقْصٌ للموضع الذي يكون فيه القص ومَخْلَبٌ للقدح يُخْلَبُ فيه ومَخْلَبٌ للمكان يُخْتَلَبُ فيه ذَوَاتُ اللَّبَن. ويقولون: امرأة طاهر من الحيض لأن الرجل لا يَشْرُكُها في الحيض وطاهرة من العيوب لأن الرجل يَشْرُكُها في هذه الطهارة...))1.

ولا يخفي على ذي نظر دور قواعد النحو في حفظ كيان اللغة العربية، وضمان استمرارها؛ الأمر الذي جعلها تنتقل من جيل إلى جيل، وهي طرية غضة كما نطق بها الأولون. يقول المستشرق الألماني يوهان فك: ((ولقد تكلفت القواعد التي وضعها النحاة العرب في جهد لا يعرف الكلال، وتضحية جديرة بالإعجاب بعرض اللغة الفصحى وتصويرها في جميع مظاهرها، من ناحية الأصوات، والصيغ، وتركيب الجمل، ومعاني المفردات على صورة شاملة، حتى بلغت كتب القواعد الأساسية عنده مستوى من الكمال لا يسمح بزيادة لمستزيد))1.

والنحو أو (علم العربية) كما يطلق عليه الأقدمون، يستمد قدسيته من قدسية اللغة العربية، ووجوده مرتبط بوجودها. فتعلمه واجب على كل مسلم؛ والقرآن نزل بلسان العرب دون غيره؛ لأنه لا يعلم من إيضاح جُمَلِ عِلْمِ الكتاب أحد، جهل سعة لسان العرب، وكثرة وجوهه، وجماع معانيه، وتفرقها. ومن علمه انتفت عنه الشبهة التي دخلت على من جهل لسانها1.

وتتضح أهمية النحو في كونه الأساس في فهم الدين الإسلامي: أصوله وشرائعه. والحاجة إلى تعلمه ملحّة؛ قال الجرجاني في دلائل الإعجاز: ((وأما زهدهم في النحو واحتقارهم له، وإصغارهم أمره، وتهاونهم به، فصنيعهم في ذلك أشنع من صنيعهم في الذي تقدّم، وأشبهه بأن يكون صدّاً عن كتاب الله، وعن معرفة معانيه؛ ذاك لأنهم لا يجدون بُدّاً من أن يعترفوا بالحاجة إليه فيه، إذا كان قد علم أن الألفاظ معلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحائه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يُعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه، لا يُنكر ذلك إلا من يُنكر حسّه، وإلا من غلط في الحقائق نفسه، وإذا كان الأمر كذلك، فليت شعري ما عذر من تهاون به وزهّد فيه، ولم ير أن يستقيه من مصبه، ويأخذه من معدنه، ورضى بالنقص والكمال لها معرض، وأثر الغيبة وهو يجد إلى الربح سبيلاً))1.

فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير، وأمر به من التسبيح، والتشهد، وغير ذلك1. وأما التصريف فإن شأنه في العربية عظيم، فيه تعرف أحوال الألفاظ، وعلاقاتها بعضها ببعض، ومن ذلك مثلاً: الاشتقاق، حيث تشترك صيغ متعددة في معانٍ متقاربة؛ مما ييسر تعلم العربية، ويسهل تعليمها؛ لأنها لغة معتدلة في عدد حروف الكلمات، فتجد أكثرها موضوعة على ثلاثة أحرف، والقليل منها أصله رباعي أو خماسي؛ وهذا يجعل العربية تتصف بالاعتدال، غير اللغات الأخرى التي لا يراعى فيها ذلك الاعتدال.

المبحث الثاني

فرص انتشار اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء.

مما لا شك فيه أن إفريقيا عرفت اللغة العربية منذ زمن بعيد، خصوصاً شرقها وشمالها الشرقي، المتاخمان لحدود بلاد العرب الغربية والجنوبية الغربية. غير أن التوسع في العربية صاحب الفتوحات الإسلامية لإفريقيا؛ فانتشرت في كل البلاد التي وصل إليها الفتح الإسلامي. واللغة العربية أكثر اللغات الوطنية انتشاراً في القارة الإفريقية، فأكثر من نصف سكان إفريقيا يتعاملون باللغة العربية، فمن المعلوم بالضرورة أن إفريقيا احتضنت عدداً مقدراً من الدول العربية في شمالها (مصر، وليبيا، وتونس، والجزائر، والمغرب)، وفي وسطها، وشمالها الشرقي (السودان، وإريتريا)، وفي شمالها الغربي (موريتانيا)، وفي شرقها (الصومال، وجيبوتي، وجزر القمر). ومما لا شك فيه أن وجود هذا العدد الكبير من الدول العربية في إفريقيا يشكل فرصة كبيرة، ومواتية لنشر اللغة العربية، إذا اضطلعت تلك الدول العربية بدورها، ووعت رسالتها، وتحملت مسؤوليتها تجاه نشر لغتها، والاعتراز بثقافتها. ومن الفرص الماثلة أمام انتشار اللغة العربية في إفريقيا إضافة إلى ما تقدم:

1/ نسبة السكان المسلمين:

فقارة أفريقيا أول قارة شهدت نور الإسلام بعد مكة المكرمة في الجزيرة العربية إذ قفز الإسلام رأساً من مكة المكرمة فحل في الحبشة الإفريقية. حل الإسلام في ذلك الجزء من أفريقيا قبل أن يعرج على أي مكان آخر حتى على المدينة المنورة دار الهجرة. وذلك عندما اشتد على نبي الرحمة وأصحابه أذى الكفار ولم يتمكنوا من عبادة ربهم بحريتهم وأذن النبي ﷺ لأصحابه في الهجرة إلى الحبشة بعد أن طمأنهم بأنه يوجد في تلك الأرض ملك لا يظلم أحد بجواره وهو النجاشي رحمه الله. وهو يومئذ لا يزال على نصرانيته¹.

تضم قارة إفريقيا عدداً كبيراً من السكان المسلمين الذين يتعاملون مع اللغة العربية، ويهتمون بتعلمها وتعليمها؛ الأمر الذي يمثل فرصة لنشر اللغة العربية بين هؤلاء المسلمين، وقد يتأثر بهم من حولهم من غير المسلمين، ويتعرفون على شيء منها. فمن المعلوم أن اللغة العربية هي لغة الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية في مناطق من إفريقيا سكانها مسلمون ولا تسودها اللغة العربية؛ وذلك لأنه ينبغي على كل مسلم حفظ قدر من أي القرآن الكريم؛ لأداء الصلاة التي هي عماد الدين، وهذا الحفظ للآيات يستوجب تعلم القراءة والكتابة العربية. أما العلماء المسلمين من الأفارقة، فعليهم التعمق في فهم الدين؛ وذلك بإجادة علوم اللغة العربية (النحو، والصرف، والبلاغة)؛ لفهم كتب الفقه الإسلامي، وكتب العقيدة، والأحاديث النبوية الشريفة.

ففي كثير من دول إفريقيا ذات الجماعات أو الأغلبية الإسلامية توجد معرفة باللغة العربية. كما في نيجيريا الشمالية التي يعيش بها حوالي عشرة ملايين مسلم، ويتناول التعليم الديني عندهم في أدنى مراحل الخط العربي والقرآن ومعظم تلاميذه من البنين، وفي المراحل الأعلى يتناول برنامج الدراسة الإسلامية: النحو العربي وعلم الكلام وعلم الحديث وقدر من النصوص الأدبية، وهناك كتب مشهورة في المعاهد الإسلامية في نيجيريا الشمالية مثل كتاب الأحاديث الأربعين للنووي، ومختصر خليل في الفقه ويطلق عليه الكتاب، ومقامات الحريري. إلا أن العربية في هذه المنطقة ليست وحدها لغة الثقافة، فلغة الهاوسا متداولة غير أن المعرفة بها لا تزيد على المعرفة بالإنجليزية. ويخلق الصراع بين النزوع إلى التدين والرغبة في ممارسة الحياة الحديثة. قيام مشكلات كثيرة تؤثر بالضرورة على تعليم اللغة العربية في تلك المنطقة¹. أما في شرق إفريقيا فتعتبر زنجبار أكبر نقطة تركيز إسلامية تتوسل بالثقافة العربية، وهم مرتبطون في قسم منهم بالجنوب العربي عرقياً وثقافياً. أما في أوغندا فالمسلمون من أصول هندية ويمنية وعدد كبير منهم من أصول إفريقية، وهناك تعليم ديني يقوم به رجال الدين، ويطلق على الواحد منهم ملا وهي التسمية الفارسية لرجال الدين ويقتصر هذا التعليم على المراسم الدينية، أما كبار رجال الدين فليدهم إجازات في الباكستان ودار السلام وزنجبار وحضرموت وعدن، وشبيه بهذا ما يلاحظ في كينيا والمشكلة التي تواجه اللغة العربية هناك أنها مرتبطة بالماضي وتعلم كأداة لفهم الدين، فمعاهد العلم التي تتيح تعلم العربية هي معاهد إسلامية¹. ويمكن الاستفادة من المعاهد العلمية في نشر اللغة العربية؛ وذلك بتعزيز دورها في المجتمع، ومدها بكل ما من شأنه المساعدة على إنجاز هذه المهمة؛ من مناهج علمية، وتقنيات حديثة، ومعلمين ربانيين.

2/ وجود العنصر العربي في عدد من الدول الإفريقية غير العربية:

يعيش الكثير من السكان المنتمون إلى العنصر العربي في كثير من الدول الإفريقية غير العربية؛ وقد أدت علاقات المعاشية والتجاور والتصاهر، إلى الانصهار مع السكان، مع الاحتفاظ باللغة؛ يقول الأستاذ محمود فهمي حجازي: ((هذا وتوجد في المنطقة الممتدة من تمبكتوا إلى كانم ووادي إلى غرب السودان تجمعات بشرية كثيرة

تحدثت العربية كلغة أم، أو تستخدم العربية كلغة تداول، وليست لدينا دراسات تفصيلية عن الحياة اللغوية لهذه الجماعات الأثنية، غير أننا نستطيع -اعتماداً على ما جاء في كتب الرحالة العرب في العصور الوسطى وبعض الرحالة الأوروبيين في العصر الحديث- أن نعرف بعض هذه الجماعات العربية في قلب إفريقيا، وترسم المصادر الصورة التالية العربية هناك: منطقة تشاد بها حوالي مليون عربي، وهؤلاء العرب مرتبطون بعرب الشرق الإفريقي، فهم ينتمون إلى بطون جهينة، وهم بذلك امتداد لبطن جهينة في السودان، وأكثرهم يعيش إلى الآن حياة بدوية قبلية...))1. هذا إضافة إلى وجود عدد إحدى عشرة دولة عربية على أرض إفريقيا؛ تجاور دولاً كثيرة يحدث بينها التأثير والتأثر في المجالات كافة سيما اللغة.

13/ عمق الصلة بين اللغات الإفريقية واللغة العربية:

تنتمي اللغة العربية إلى فصيلة اللغات السامية، التي تضم اللغات: (الآشورية، والبابلية، والآرامية، والكنعانية - ويراد بها العبرية - والفينيقية - ثم العربية، والحبشية). وتنقسم اللغة العربية إلى قسمين هما: هما العربية الجنوبية، والعربية الشمالية. والعلماء يطلقون على العربية الجنوبية اسم: "اليمنية القديمة"، أو "القحطانية"، ويلقبها بعضهم أحياناً "بالسبئية" تسمية لها بإحدى لهجاتها الشهيرة التي تغلب عليها جميعاً في صراعها معها، وإن كثيراً من النقوش المدونة على التماثيل والقبور والأعمدة والصخور والمذابح وجران الهياكل والنقود، قد هدتنا إلى أصول هذه العربية الجنوبية القديمة، وإلى طريقة رسمها وأسلوب تعبيرها، فعرفنا منها أن هذه اللغة بلهجاتها المتعددة تختلف عن اللغة العربية الشمالية "التي هي المقصودة بالعربية عند الإطلاق" اختلافاً جوهرياً أساسياً في القواعد النحوية، والمظاهر الصوتية، والدلالات المعنوية¹.

قامت الدولة السبئية، وهي: دولة القحطانيين، ويرجح العلماء أن أصل القحطانيين الذين يسمون: (العرب

المتعربة)، من الحبشة؛ وكان ظهور دولتهم على ما تحققه من القرن الثامن إلى سنة 115 قبل الميلاد؛ وابتدأت

الدولة الحميرية من سنة 115 قبل الميلاد واستمرت إلى سنة 525 بعده، وهو العهد الذي زهت فيه عربية مضر. أما الأحباش فيرجح بعضهم أن أصلهم عرب هاجروا من اليمن زمن المعينيين، وأخذوا معهم لغتها، واستدلوا على ذلك من مشابهة لغتهم المعينية والبابلية في ضمير الغائب "السين" ثم من مشابهتها للغة الحميرية حتى إن أحرف الكتابة تكاد تكون واحدة في اللغتين، غير أن الأحرف الحبشية تكتب من اليسار إلى اليمين، وهم يزيّدون رسم الحركات مما لم يكن عند الحميريين. هذا غير ما يرى من تشابه الملامح في الأحباش وأهل اليمن، وتماثل الآثار في البلدين، ونحو ذلك مما يرجح أنهم طارئون على تلك البلاد من اليمن¹.

ويذهب البعض إلى أن اللغة الحميرية وهي لغة القبائل التي كانت تسكن الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية - حضرموت واليمن - تأثرت باللغة الحبشية؛ حيث جاوروا (الأحباش) وهم أقرب الأمم إليهم، وكثر اختلاطهم بهم فتأثرت لغتهم بالحبشية، مما جعل بعض المستشرقين يعتبر (الحميرية) و (الحبشية) لغتين شقيقتين لما وجد من كثرة التشابه بينهما في المفردات والخصائص، ولم يكن هناك مفراً أمام (الحميرية) من التأثير بشكل واسع بالحبشية بسبب هجرات اليمنيين والغزوات المتبادلة، وقد أقام (الأحباش) زمناً طويلاً باليمن وحكموها فاللغة الحميرية فأضافت إلى ما ورثته من لغة العرب البائدة خصائص ومفردات جديدة¹.

هذا الاتصال التاريخي والتجاور الجغرافي يدل على عمق الصلات بين اللغات العربية والإفريقية منذ القدم، ويشير كذلك إلى إمكانية وجود قواسم مشتركة تجمع بين اللغات الإفريقية واللغة العربية.

المبحث الثالث

مهددات انتشار اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء.

إن التحديات التي تواجه انتشار اللغة العربية في إفريقيا كبيرة، وفهم هذه المهددات، ومواجهتها يحتاجان إلى تضافر جهود كبيرة، وعمل ضخم يقع على عاتق الأمة العربية، والإسلامية معاً؛ لأنه لا فهم للإسلام دون معرفة بالعربية. ونحاول في هذه المداخلة الوقوف على بعض هذه المهددات:

أولها: استهداف اللغة العربية:

بغرض أنهاء وجودها والتخلص منها ومن هيبتها في نفوس أبنائها. وجاء في صور عدة، منها:

1/ إشاعة صعوبة تعلمها؛ سيما النحو الذي هو أساس العربية؛ يقول الدكتور عبده الراجحي: ((والمتتبعون لتاريخ

العربية في العصر الحديث يعلمون أنها تعرضت لخطة مدروسة تستهدف القضاء عليها من خلال القضاء على نحوها، وظلت هذه الخطة تعمل عملها حتى وقر في أذهان الناس أن النحو العربي صار جامدا لا يساير العصر، وأن علينا أن نبحث عن نحو جديد، وظهرت إلى الوجود تجارب من هنا ومن هناك ماتت الواحدة منها بعد الأخرى، وظل

النحو العربي هو هو دون أن يصل المخططون إلى ما يبغيون من القضاء عليه))1. وقد ساهم وضع مناهج ضعيفة، غير قادرة على جعل تعلم اللغة العربية شيئاً ممتعاً، وجاذباً- ساهم في تكريس هذا الادعاء.

2/ إشاعة كونها غير مواكبة للعلم الحديث، وهي التي وسعت كتاب الله لفظاً وغايةً.

وظهرت فئة من أبناء الوطن المستعمر الذين تشربوا ثقافته، وأعجبوا ببريقه الزائف، تتبنى الدفاع عن تلك الفرية، وتدعو إلى استبعاد اللغة العربية، بدعوى عدم مواكبتها للعلم الحديث، كأنهم قد نسوا أو تناسوا استيعابها لكل علوم الدنيا، حين دانت لأهلها الأمم، وعمرت حضارتها الأرض، إلا أنها عقدة النقص التي تنشأ عند المغلوب؛ إذ أنه مولع أبداً بالافتقار بالغالب؛ على رأي ابن خلدون1.

3/ محولة احتقار المتخصصين فيها الذين لا ينالهم ما نال أقرانهم من ذوي التخصصات في اللغات الأجنبية؛ نظراً للوظيفة المرموقة التي تنتظر هؤلاء، دون أولئك.

ثانيها: ضعف الثقافة العربية:

يعتبر ضعف الوجود الثقافي العربي، وغياب دوره في العصر الحاضر، مهدداً يعيق انتشار اللغة العربية؛ ذلك أن المرحلة التي يمر بها العالم العربي اليوم، مرحلة صعبة من تاريخه. فالمنطقة العربية الآن تشهد تراجعاً لأدوارها السياسية والقيادية، بسبب الصراعات في مناطق مختلفة، والحروب التي تدمي جوانب من جسدها المنهك بالتمزق وشتات الأمر. كل ذلك أثر على أداء المجامع والهيئات العلمية، ودور الطباعة والنشر التي كانت تزود الأمة بحاجتها من المخزون الثقافي؛ في العراق وسوريا وفي اليمن وليبيا. نتج عن ذلك تحجيم أدوار الدول العربية في أداء رسالتها الثقافية، التاريخية، والحضارية.

إن قوة الأمة تكمن في لغتها التي تتكلم بها، فإن الأمم الضعيفة التي لا تمتلك من الخصائص الحضارية والفكرية ولا يكون لها كيان سياسي قوي، لا تستطيع أن تحافظ على لغتها فضلاً عن أن تنشرها وتفرضها على الناس.

ثالثها: السياسة الاستعمارية في إفريقيا والبلاد العربية:

عمل المستعمرون في البلاد التي احتلوها على القضاء على اللغات الوطنية، وخصوا العربية بمزيد من حربهم، فقد فرضت فرنسا اللغة الفرنسية في مستعمراتها خاصة الجزائر، فيما شجعت إنجلترا اللغة الإنجليزية في جنوب السودان على حساب العربية1. كما عملت السياسة الاستعمارية على إبعاد اللغة العربية عن الحياة العلمية، واستبدالها بلغة المستعمر؛ إمعاناً في إذلال الشعوب وسلخهم عن هويتهم. وقد استخدمت السياسة الاستعمارية أشكالاً عديدة في محاربة اللغة العربية؛ نذكر منها:

أولاً: نشر ما أطلق عليه: التعليم النظامي الذي قدم اللغة الأجنبية على أنها لغة العلم، ووفر له كل المستلزمات التي من شأنها إغراء الأهالي لإلحاق أبنائهم به؛ فكان يقدم مكافآت مالية مجزية، أثناء الدراسة، كما أنه باستطاعة الشخص الذي تلقى ذلك النوع من التعليم أن يحصل على أرقى الوظائف في الدولة. بالمقابل أضعف التعليم الديني الذي كان سائداً؛ كالخلاوي، التي تعتمد اللغة العربية، وتقوم بتحفيظ القرآن الكريم، والعلوم الشرعية؛ مما زهد الدارسين فيه، ورغبهم عنه: طمعاً في التعليم الحديث ذي الدخل المادي الجاذب، والمستوى الاجتماعي المرموق.

ثانياً: إحياء اللهجات المحلية، والتشجيع على التعامل بها دون العربية؛ مما أدى إلى حدوث ازدواجية لغوية، حيث يجد المرء نفسه يتكلم لهجته المحلية، وهي غير اللغة التي عليه أن يتعلم بها في المدارس والجامعات، وعندما يكون مسلماً، عليه أن يتعلم شيئاً من العربية؛ وقد يشق ذلك على الإنسان العادي كثيراً. وهذا يمثل مهدداً خطيراً لانتشار اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء.

الخاتمة: (النتائج والتوصيات)

وفي ختام هذه الدراسة، يصل الباحث إلى النتائج الآتية:

= الجذور التاريخية والجغرافية الرابطة بين إفريقيا والوطن العربي تشكل فرصة ثمينة لانتشار اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء.

= الدين الإسلامي ووجوده الأصيل يساعد في انتشار اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء.

= القوة الداخلية للغة العربية المتمثلة في خصائصها الذاتية، والعناية الربانية، تقوي احتمالية انتشار اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء.

= غياب دور الدول العربية في نشر الثقافة العربية؛ يعتبر مهدداً أمام انتشار اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء.

= السياسة الاستعمارية التي عملت على إبعاد اللغة العربية عن مناهج التعليم، تمثل مهدداً خطيراً لتعلم اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء.

وللاستفادة من هذه الفرص، وتجنب تلك المهددات؛ يوصي الباحث بما يلي:

= تقديم منح دراسية مجانية ومدعومة، للطلاب الأفارقة في الجامعات العربية.

= ابتعاث أساتذة اللغة العربية إلى الدول الإفريقية، وتوفير كل ما من شأنه مساعدتهم على نشر اللغة العربية.

= تطوير المناهج العربية ووسائل تدريسها بما يواكب التطورات المتلاحقة في العالم.

= الاستفادة من التطور التقني، وتصميم برامج تعليم جاذبة وممتعة؛ تساعد على تعلمها والإقبال عليها.

= رعاية المؤسسات الإفريقية التي تعمل في مجال اللغة العربية، ودعمها من الناحية العلمية والإدارية والمالية والتقنية؛ حتى تتمكن من أداء دورها بكفاءة عالية.

= تطوير مؤسسات تعليم القرآن الكريم في البلاد الإفريقية، ورفدها بمناهج اللغة العربية، وطرائق تدريسها، وإدخال التقنيات الحديثة ما أمكن، كمعامل الأصوات؛ لإتقان مخارج الحروف، وصحة النطق.

= نشر الوعي بسهولة تعلم اللغة العربية، ودحض الإشاعات المقرضة التي تروج لصعوبة تعلمها.

المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: سنن ابن ماجة- تأليف: الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني - تحقيق محمود محمد محمود حسن نصار -

الطبعة الأولى 1419هـ / 1998م - دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الجزء الثاني - صفحة 430 (كتاب النكاح).

ثالثاً:

- الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية- تأليف: خالد بن حامد الحازمي- الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- الطبعة: العدد (121) , السنة (35) 1424هـ.
- الاستعمار في العصر الحديث ودوافعه الدينية- تأليف: منقذ بن محمود السقار- ترقيم المكتبة الشاملة آلياً.
- الإسلام في أفريقيا عبر التاريخ- تأليف: أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي (المتوفى: 1415هـ) - الناشر: الجامعة الإسلامية- الطبعة الرابعة 1404 هـ/ 1984م.
- تاريخ آداب العرب- تأليف: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: 1356هـ) - الناشر: دار الكتاب العربي- (بدون تاريخ).
- التطبيق النحوي- تأليف: الدكتور عبده الراجحي- مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الطبعة: الأولى 1420هـ 1999م.
- الخصائص- تأليف: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ) - الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب- الطبعة الرابعة (بدون تاريخ).
- دراسات في أصول اللغات العربية- تأليف: أبو مجاهد عبد العزيز بن عبد الفتاح بن عبد الرحيم بن الملاء محمد عظيم القارئ المدني- الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- الطبعة: السنة السادسة - العدد الثالث - رجب 1394هـ - فبراير 1974م.
- دراسات في فقه اللغة- تأليف: د. صبحي إبراهيم الصالح (المتوفى: 1407هـ) - الناشر: دار العلم للملايين- الطبعة الأولى 1379هـ - 1960م.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني- تأليف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ) - تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر- الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة- الطبعة الثالثة 1413هـ - 1992م.

- الرسالة- تأليف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ) - تحقيق: أحمد شاكر- الناشر: مكتبة الحلبي، مصر- الطبعة: الأولى، 1358هـ/1940م.
- الصاحبى فى فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب فى كلامها-تأليف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) - الناشر: محمد علي بيضون- الطبعة: الأولى (1418هـ-1997م).
- العربية دراسة فى اللغة واللهجات والأساليب - تأليف: يوهان فك - ترجمة الدكتور: عبد الحليم النجار - مطبعة الخانجي - القاهرة - 1951م.
- علم اللغة العربية- تأليف: د. محمود فهمي حجازي- دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع (بدون تاريخ).
- لسان العرب- تأليف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (المتوفى: 711هـ) - الناشر: دار صادر - بيروت- الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.
- المزهري فى علوم اللغة وأنواعها- تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) - تحقيق: فؤاد علي منصور- الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة: الأولى، 1418هـ-1998م.
- معجم مقاييس اللغة- تأليف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ) - تحقيق: عبد السلام محمد هارون- الناشر: دار الفكر (1399هـ - 1979م).
- مقدمة ابن خلدون- تأليف العلامة: عبد الرحمن بن خلدون- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى (1413هـ/1993م).
- منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة- تأليف الأستاذ الدكتور عبد المجيد الطيب عمر- تقديم الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس- مركز البحث العلمي وإحياء التراث- سلسلة أبحاث الحرمين العالمية- مكتبة الملك فهد الوطنية- الطبعة الثالثة 1439هـ

الشعر العربي في جمهورية مالي بين ماضٍ مشرق، وحاضر مخيب، ومستقبل مجهول

إعداد الباحث: مامادو دامبلي

طالب مرحلة الدكتوراه بالجامعة الإسلامية بالنيجر

ومحاضر الأدب العربي بجامعة الساحل، بـماكو.

البريد الإلكتروني: md76634989@gmail.com رقم الاتصال: 223 76 63 49 89 +

تقديم:

تعد جمهورية مالي موطن الشعر والشعراء الكبار قديما، لما كانت تتمتع بها هذه البلاد من ريادة في رعاية اللغة العربية والثقافة الإسلامية، بفضل حواضر علمية كانت تفتخر بكوادر من العلماء والمشايخ كانوا يزاولون قرض الشعر ويتباهون به بل يروونه زينةً للمشيخة، حتى اشتهرت هذه البلاد بشعرائها الكبار وإنتاجاتهم الشعرية الغزيرة، ولكن التحول الكبير الخطير الذي حدث في المنطقة سياسيا، وعكس ذلك سلبا أو إيجابا على الجوانب الحياتية الأخرى: العلمية والثقافية والاجتماعية... إلخ، كان ذلك منعطفا تاريخيا حاسما جعل الشعر العربي في هذه البلاد تشق لنفسه مسارا آخر مغايرا للمسار المتبع من قبل، وذلك بإلحاح عوامل جديدة تطلبت مسارا جديدا ورؤية جديدة.

ونظنّ ظنا أن هذا التغيير المساري لشعر المنطقة حدث عظيم في مشواره، لا ينبغي إهماله كأن لم يكن، وخاصة متى أردنا دراسة حاضره لاستشراف مستقبله، من هنا نتساءل عن حاضر الشعر العربي في جمهورية مالي: ما حقيقته وواقعه؟ ما مؤشرات ومعطياته؟ ما هي العوامل الفاعلة فيه سلبا وإيجابا؟ وما علاقته بماضيه؟ وماذا عسى أن يكون تأثيره في تشكيل مستقبله؟ الذي نسعى إلى استشرافه، ولكي لا نفاجئ بمستقبل سيء ينبغي رصد معطيات بحثية دقيقة تؤشر وتفصح عن كنه مستقبل هذا الشعر، وقتئذ سيكون لدينا الخيار في تداركه إن كان سيئا بتغيير الحاضر، أو في تقويمه وتعديله إن كان أمامه عقبات قد تعرقله بإحداث تعديل وتغيير في الزّاهن، وذلك في المباحث التالية:

المبحث الأول: ماضي الشعر العربي في جمهورية مالي.

المبحث الثاني: حاضر الشعر العربي في جمهورية مالي.

المبحث الثالث: استشراف مستقبل الشعر العربي في جمهورية مالي.

المبحث الأول: ماضي الشعر العربي في جمهورية مالي

إنّ الحديث عن حاضر الشعر العربي المالي لا يتأتى إلاّ بإلقاء نظرة ولو عاجلة على ماضيه، لبناء هذا الحاضر على ذلك الماضي وانطلاقه منه واستمداده له، وعليه؛ سنلقي نظرة سريعة على هذا الماضي، ونعني بـماضي الشعر العربي المالي ذلك الماضي القريب، لا الماضي البعيد الذي يقودنا إلى مسألة نشأة الشعر العربي في المنطقة، فهذا الماضي القريب لعله يؤرّخ بمجيء الاستعمار الغربي في هذه البلاد مرورا باستقلال جمهورية مالي في ستينيات القرن المنصرم، فواكب ذلك التحول الكبير الخطير في مجريات أحداث المنطقة من الممالك والامبراطوريات إلى الدويلات المصطنعة، والحديث في مثل هذا يطول، وسنقتصر على العوامل المؤثرة على شعر هذه الفترة، ونتلوها بذكر بعض أعلامه متوجا كل ذلك بإيراد روائع من نماذج.

1. العوامل المؤثرة في ماضي الشعر العربي المالي:

لقد واكب العصر الذي اصطلحنا عليه بالماضي القريب للشعر العربي المالي فترة ازدهار الشعر خصوصا والأدب عموما في المنطقة، على حدّ قوله: "لكن النهضة الأدبية الحقيقية إنما كانت في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، على أيدي شعراء القبائل العربية الكبيرة والمشهورة التي كانت تسكن صحراء تمبكتو، من طوارق وأنصار، وكنته ومن تتلمذ على أيديهم"¹، وعليه؛ سنورد عوامل عديدة كانت وراء هذه النهضة الأدبية في تلك الفترة باختصار شديد:

ظهور إمارة آل كنته: وهي إمارة إسلامية تأسست بعد أقول نجم الممالك الإسلامية الكبرى في المنطقة، وأكبر شيء أحدثتها هذه الإمارة في مجريات أحداث المنطقة؛ هي جعل قبيلة عربية في قلب الحركة السياسية، وتعرف دور هذه الإمارة / القبيلة في النهضة الأدبية عموما والشعر منها خصوصا عندما يطلع القارئ على الإنتاج الشعري الغزير في ظل هذه الإمارة، وخاصة إنتاج زعماء الإمارة أنفسهم، ويكفي استدلالا على ذلك إنتاجات الشيخ أحمد البكاي الذي اعتبر عميد الأدب العربي على حدّ قول الباحث: "غير أن ما تجدر الإشارة إليه؛ هو أنّ البكاي — بشهادة المؤرخين — كان عميد هذا الأدب وزعيمه غير المنازع، إذ استطاع بحيويته الأدبية أن يؤثر تأثيرا ملحوظا على مجريات

الأمر في المنطقة، حرّك روحها الأدبية وفجّر طاقاتها الكامنة، فجادت القرائح بالعديد من الأشعار رقت بالذوق الأدبي العام، لتوصله إلى أقصى مدارك الإنتاج والإبداع، أعادت لتمبكتو شيئا من مجدها الفكري وبريقها الأدبي".¹

النزاعات / الصراعات القبلية: والملاحظ أنّ هذه الصراعات والنزاعات "كانت تعود - رغم سلبيتها - ببعض النفع على الحياة الأدبية المكتوبة والمنطوقة باللغة العربية في منطقة الساحل الإفريقي، كان الشاعر إعلام ولسان القبيلة في حروبها وأيامها، تماما مثل ما كان في العصر الجاهلي وأشطّر من الإسلام، يرد على شعراء خصومها وينافح ويدافع عن مبادئها وطروحاتها، يشعر لم يخل من فحولة جاهلية وانفعالات تلقائي، ولكنه في النهاية ساهم بمقادير متفاوتة في تدبيح ديوان الشعر العربي في منطقة الساحل الإفريقي، بفصول وقطع من الشعر العربي الإفريقي الجيد".¹

وفادة الطرق الصوفية إلى المنطقة: وساهمت هذه الطرق بعد وفودها إلى المنطقة "في ازدهار الأدب العربي بمنطقة الساحل الإفريقي، وكان للقادرية والتيجانية القدح المعلى في نشر الإسلام واللغة العربية وأدبها الشعري والنثري..."¹ بل تكاد تكون "كل ما يذكر من آثار العلم والأدب والثقافة في تلك البلاد؛ إنّما هي غرس من أغراس رجال الصّوفية".¹ ومن حسناتهم أنّه "كثر في صفوفهم شعراء فحول ذوو مقدرة فائقة، كانوا يتمتعون بقدر كاف من الرّصيد اللغوي، وبشاعرية خلقة تجعل شعرهم يتدفّق دقات حيوية يبقى معها على مرّ الدهور".¹

الاستعمار الغربي وما حمله من كره للثقافة العربية الإسلامية وحاملها وعلى رأسهم الشعراء مما رشحه لأن يكون "أكبر عامل خارجي هزّ مشاعر الشعراء وأشعل فتيل بيئة الأدب العربي في منطقة الساحل الإفريقي، فحاول شعراء المنطقة التعبير عن هذه الأجواء بما أوتي من روح جهادية خالصة، وملكات شعرية صقلت الدربة والممارسة الدؤوبة".¹

2. من أعلام ماضي الشعر العربي المالي:

وقد قرّض الشعر العربي في هذه الفترة خلقا كثيرا، على حدّ قول القائل: "ففي هذا العصر نبغ شعراء كثيرون لمعت أسماؤهم فشرقت وغربت، وكان من أبرزهم: الشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي (1729 - 1811م)، والشيخ سيدي محمد المختار الكنتي (1765 - 1826م)، والشيخ سيدي أحمد البكاي الكنتي (1803 - 1865)، والشيخ أحمد سالم بن السالك الطارقي، والشيخ "هم" محمد بن الطاهر الأنصاري، والشيخ محمد المختار بن حود الأنصاري، وكلهم شعراء أفذاذ كانت لهم صولات وجولات في العديد من أبواب الشعر العربي، لا يسع الوقف عليها إلا أن يعترف بنبوغهم وبراعتهم في الأدب ومجلاته المتعددة"،¹ وغيرهم من شعراء جنوب جمهورية مالي في هذه الفترة، مثل الشيخ محمد المرجي، والشيخ الحاج إسماعيل سيلا، والشيخ فودي صمب الله درامي، وغيرهم الكثير.

3. نماذج مختارة من روائع ماضي الشعر العربي المالي:

لقد عالج شعراء هذه الفترة مجموعة الأغراض التقليدية للشعر العربي، زاندا على ذلك أغراض شعرية جديدة اخترعوها من عند أنفسهم، وسنورد هنا مقتطفات من روائع شعر هذه الفترة، كقول الشاعر محمد بن إبراهيم الأنصاري في الغزل: {الوافر}

أَلَا طَرَقْتُ خَدِيجَةً مُسْتَهَامَا فَظَلَّ وَجْفُهُ يَرْفُضُ دَمْعَا تُكَلِّفُهُ الْهُمُومُ إِذَا رَأَتْهُ هُمُومٌ كُلَّمَا كَلَّفَتْ نَفْسِي إِلَى غَيْدَاءٍ مِثْلَ الدُّرِّ لَوْئَا إِذَا ابْتَسَمَتْ فَمَا لَيْلٌ بَلِيلٌ تَزِيدُ مَحَاسِنًا فِي كُلِّ يَوْمٍ سَلَامُ اللَّهِ يَا "تَمَدِي" عَلَيْكُمْ سَلَامٌ كُلَّمَا مَرَّتْ حَمَامٌ أَقُولُ لَهَا حَمَامُ الْجَوْ: مَهْلًا لَأَنَّ الشُّوقَ بَعْدَ الْبَيْنِ شَيْءٌ	يُرَدِّدُ فِي حَيَازٍ مِنْهُ غَرَامَا عَلَى خَدْيِهِ يَنْسُجُ أَنْسَجَامَا يَطُوفُ بِدَارِهَا أَنْ لَا يَنَامَا تُجَمِّلُ شَأْنَهَا وَرَدَّتْ ذِمَامَا وَابْتِهَاجًا وَأَحْسَنَهُ ابْتِسَامَا وَتَحْتَشِمُ الْبُرُوقُ لَهَا اخْتِشَامَا بِعَيْنِ النَّاطِرِينَ لَهَا دَوَامَا وَلَوْ أَنْسَاكَ بَعْدَكُمْ الدِّمَامَا أَحْمِلْهُ لَهَا عَامًا فَعَامَا رُوَيْدَكَ بِلَغْيٍ عَنِّي كَلَامَا مُهَيِّنٌ مَنْ يُلَازِمُهُ لِزَامَا¹

ومن روائع شعر الحكمة قول الشيخ سيدي المختار الكبير: {السريع}

مَنْ لَا عَبَّ الثَّعْبَانِ فِي كَفِّهِ
وَمَنْ أَطَاعَ النَّفْسَ فِي شَهْوَةٍ
هَبْهَاتٍ أَنْ يَسْلَمَ مِنْ لُدْغَتِهِ
أَمْسَى غَرِيقًا فِي سَبَابِ غَفَاتِهِ

وَمَنْ يُؤْمِرْهَا عَلَى رُوحِهِ
وَمَنْ يُتَابِعْهَا عَلَى زَلَّةٍ
وَمَنْ يُرْكِبْهَا عَلَى رَغْمِهَا
مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهَا مَخْرَجًا

سُسْتُقِهِ السُّمَّ عَلَى سَكْرَتِهِ
سَيَفْرُغُ السِّنُّ لَدَى حَسْرَتِهِ
تَغْشَاهُ الْأَنْبَوَارُ فِي خُلُوتِهِ
وَتَأْتِيهِ الْأَرْزَاقُ فِي نَوْمَتِهِ¹

ومن شعر التضرع والمناجاة قول الشاعر محمد أحمد بن محمد: {البسيط}

أَشْكُو إِلَيْكَ وَلَا أَشْكُو إِلَى النَّاسِ
أَشْكُو إِلَيْكَ مَعَ التَّسْلِيمِ مُبْتَهِلًا
فَالطُّفُ بِنَا فِي مَجَارِي مَا تَقْدِرُهُ
وَلَا تَكُنْ لَنَا إِلَى تَدْبِيرِ أَنْفُسِنَا
وَاصْحَبْ بِطُفِكَ فِي الْحَالَاتِ يَا حَمْدُ
وَحُدْ بِنَا لِلنَّجَاةِ مَسْلُكًا أَمَمًا
أَسْبِغْ عَلَيْنَا دَلَاصَ عِصْمَةٍ وَنَجَا
وَارْمِ الْعِدَا بِسِهَامِ الْبَطْشِ هَانِبَةً
وَرُدْ مَنْ رَأَفْنَا بِمَكْرِهِ وَبَغْيِي
وَانصُرْ وَظْفِرْ وَأَثِرْنَا وَكُنْ عَضُدًا
وَلَا تَهَيَّا وَلَا تَشَمِتْ بِنَا أَحَدًا

فَقَرِي وَذَلِّي وَتَقْصِيرِي وَإِفْلَاسِي
فَأَنْتَ مَنْ لِحِرَاحِ الْمُنْتَجِي أَسِ
يَا مَنْ مَقَادِيرُهُ تَجْرِي بِقِسْطَاسِ
وَاجْعَلْ هَذَاكَ مُحَجَّتِي وَبِنَرَّاسِي
وَاجْعَلْ بِذِكْرِكَ رَبِّي طَيْبَ أَنْفَاسِي
يُنْجِي مِنَ الْهَلَاكِ وَالْبَاسِ وَالْبَاسِ
مِنْ مُوجِبِ الْمَقْتِ وَالْبَلَاةِ وَالْإِبْلَاسِ
مُسَوِّمَاتِ لَعَاتِ قَلْبِي قَبْلُوهُ قَاسِ
أَذِلْ مَنْ رَمَتْ مِنْ مُسْتَهْلِكِ خَاسِ
بِهِ الْمَصَالِ عَلَى تَهْوِيسِ الْأَهْوَاسِ
يَا مَنْ عِنَايَتُهُ حَزْرِي وَخَرَّاسِي¹

ومن روائع الوصف في هذا الفترة؛ كافيّة الشيخ المختار الكبير الكنتي في وصف أهل النار وأحوالهم ونزلهم، وطعامهم وشرابهم، وما أعدّ لهم من عذاب الله تعالى، وكل ذلك في براعة فائقة، منها قوله: {الطويل}

فَفِي النَّارِ كَفَتْ لِلنُّفُوسِ عَنِ الْهَوَى
حَمِيمٌ وَغَسْلِيلٌ، ضَرْبٌ وَغُصَّةٌ
سُمُومٌ وَزُفُومٌ، وَحَوْلٌ وَحَيَّةٌ
مَقَامُهُمْ مِثْلُ الْجِبَالِ شَدِيدَةٌ
سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَفَوْقَهُمْ
عَقَارِبُهُمْ مِثْلُ الْبَعَالِ شَدِيدَةٌ
تَكَادُ مِنَ الْعَيْظِ الشَّدِيدِ تُمِيرُهُمْ

سَلَّاسِلُهَا زُرْقٌ وَخُلَاكٌ عَلَى خُلَاكِ
وَتَقْطِيعُ أَمْعَاءٍ وَدَرْكٌ عَلَى دَرْكِ
رَبَائِيَّةٌ طَفْسُ الْوُجُوهِ بِلَا شَاكِ
بِأَيْدِي غِلَاطٍ لَا تَحْسُنُ وَلَا تَشَاكِ
ظِلَالٌ مِنَ الْيَحْمُومِ مُحْكَمَةٌ السَّكِ
وَتُرْبَتُهَا الْكُبْرِيَّتُ صَادِقَةُ الْفَتَاكِ
إِذَا افْتَحَمُوهَا وَهِيَ حَامِيَّةٌ تُزَكِّ¹

ومن وصف مجلس الشاي قول حتاح بن الصادق: {الطويل}

وَبَيْنَا أَمْنِي النَّفْسِ وَافِيَتْ فَنِيَّةً
وَكَاسَاتُهُمْ صَفٌّ عَلَى الطُّبْلِ وَاحِدٌ
كَمَا يَلْمَعُ الْبَذَرُ التَّمَامُ وَحَوْلُهُ
رَمَوْا فِيهِ كَيْلَ الْكَاسِ مِمَّا تَضَمَّنَتْ
وَجَرْدٌ دُوِِرٌ عَيْنٍ بِيضًا نَقِيَّةً
وَتَبَسُّمٌ فِي ذَاكَ الْكُؤُوسِ كَأَنَّهَا
فَلَمَّا رَشَفَتْ الْكَاسَ مِنْهَا تَفْتَقَّتْ

وَمَعْرَاجُهُمْ وَقَّتِ الْعَدِيَّةُ طَالِعُ
وَبَرَادُهُمْ بَيْنَ الْأَجْبَةِ لِأَمْعُ
نُجُومُ الدَّرَارِي حِينَ تَصْحُو الْمَطَالِعُ
بَوَائِرَ بَحْرِ سَبْقُهُ الشَّاهُ شَائِعُ
وَحَضْرَاءُ ذَاكَ الْوَصْفِ لِلْفَضْلِ جَامِعُ
تُعَوِّرُ الْعَدَارَى حِينَ تُنْضَى الْبَرَاقِعُ
يَنَابِيعُ شِعْرِ مَنْ طَوِيلَ هَوَامِعُ¹

وغيرها من روائع شعر هذه الفترة، التي لا يسع المجال لإيراد أكثر مما أوردنا، على أنّ الشعر العربي في هذه اللحظة التاريخية الحاسمة استطاع أن يخطو خطوة جريئة ثابتة صوب الازدهار والتطور، ولعل عوامل مثل ما يلي تثبت ذلك، من:

1. تسرّب الشعر العربي إلى الأقاليم الواقعة في جنوب جمهورية مالي، كانت مدينة تمبكتو المركز الوحيد الذي انفرد بالشعر والشعراء من بقية المراكز الدينية / التعليمية، فبدأنا نرى الشعر والشعراء في مراكز علمية أخرى ولو في شكله الساذج، كظهور طلائع الشعر العربي في منطقة "كاي" ببروز خيط شعري جديد ممتد من بلاد الشنقيط

وما جاورها من منطقة سنجامبيا، ولقد أنتج هذا الخيط الشعري شعراء مثل الشيخين الشاعرين: الحاج إسماعيل سيلا، الشيخ فودي صمب الله درامي رحمهما الله رحمة واسعة.

2. ظهور فنون / أغراض شعرية جديدة في شعر هذه المنطقة، كفن النقائض الشعرية: من ذلك ما دار حول الشاي "أتاي" من تحريم وتحليل، وشعر التصوف الذي بدأ ملامحه تبرز بوفادة الطرق الصوفية إلى المنطقة، وإتباع جمع غفير من العلماء هذه الطرق الصوفية، ثم راحوا يعبرون عن هذه النزعة الصوفية في أشعارهم، وفي ذلك دلالة على مدى النضج الفني الذي وصل إليه شعر المنطقة.

3. خروج الشعر العربي في المنطقة من الإقليمية إلى العالمية، ويعني به خروج الشعر والشعراء عن الانكماش والانطواء على ذواتهم وأحداث بلدانهم وقبائلهم إلى الخوض في القضايا العالمية الكبرى عصرئذ.

4. توسعة موضوعات الشعر وأغراضه في هذا الطّور، كتوسعة غرض المدح حتى اشتمل مدح الشاي "أتاي" ووصف مجالسه، وتوسعة الوصف حتى احتوى على الوصف الصوفي الديني ومثاله وصف الجنة والنار وغيرهما.

المبحث الثاني: حاضر الشعر العربي في جمهورية مالي

إنّ الحديث عن حاضر الشعر العربي المالي حديث ذو شجون، لكونه موضوعا مترامية الأطراف، صعب المسلك، غير مكتمل الحلقات، رغم ذلك سنقف مع عناصر منه نراها تسهم بطريقة أو بأخرى في تجسيد هذا الحاضر الشعري، على النحو التالي:

1. أجيال شعراء حاضر الشعر العربي المالي:

من خلال تتبّعي القاصر لحاضر الشعر العربي المالي، وتصفّحي لدواوينه، وقراءتي المتواضعة لأشعاره؛ أرى تقسيم شعراء حاضر الشعر العربي المالي إلى جيلين شعريين، يسيران في خطين متوازيين، مختلفين في الرؤية والرؤى، والمنبع والمنهل، وهذا الاختلاف تجلّى في إنتاجهم الشعري، وهاك شيئا عن هذين الجيلين في شيء من التفصيل:

1.1. الجيل الأول: جيل الشيوخ:

ونعني بجيل الشيوخ أولئك العلماء الذين بجانب كونهم علماء ودعاة؛ كانوا يزاولون قرض الشعر، بل كانوا يرون قرض الشعر زينة للمشايخ والعلماء خلافا للإمام الشافعي القائل: {الوافر} لَوْلَا الشَّعْرُ بِالْعُلَمَاءِ يَرْزِي لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرُ مِنْ لَيْدٍ 1

ولعلّ أقصى ما اتصف به هذا الجيل وميّزهم عن غيرهم منهلا ومنبعاً، أنّهم تلقوا تكوينهم التعليمي في الكتاتيب والمحاضر والزوايا فقط، أو غلب عليهم هذا التكوين الكتابي على حساب التكوين المدرسي الحديث، وهذا ما أكده قول القائل في حق الشيخ دنبا وافي بأنّه نموذج "من آلاف النماذج من التراث الإسلامي الإفريقي الضخم من الأفارقة الذين أتم تحصيلهم العلمي "الشّرعّي والأدبي" في المجالس العلمية العتيقة، بدون أن يلتحقوا بأي جامعة خارج القارة الإفريقية السوداء"، 1 وقول الآخر "والشيخ الأديب محمد العاقب من الشعراء الذين تخرّجوا في الكتاتيب والمجالس التقليدية الدينية، وقد تربّى في كنف الزوايا على إنشاد المدائح النبوية من أمثال بردة البوصيري وهمزيته وغيرهما، في المناسبات الدينية وحلقات الذكر"، 1 ويعني هذا أن جيل الشيوخ ثمرة التعليم الإفريقي الخالص. وهذه الصفات تنطبق تماما على الرّعين الأول من شعراء جمهورية مالي، فجّلهم كانوا علماء معلّمين ودعاة، قبل كونهم شعراء وأدباء، وأغلبهم لم يحظوا بالتعليم الأكاديمي، فتجربتهم الطّلابية كانت تجربة كتابية في المحاضر والزوايا، أو غلبت عليهم هذه التجربة، أمثال الشيخ دنبا وافي البراويلي، والشيخ محمد العاقب السّوسي السيقي، والشيخ عبد الوهاب سل الخاني، والشيخ محمد حبيب كان الكاتي، والشاعر شيخ أحمد حيدر السّوسي، وهاتان الصّفتان: "كونهم علماء، وتكوينهم الكتابي" قد صبغت شعرهم صبغة خاصة تميّزه عن شعر من أتوا بعدهم من الأجيال القادمة، ومن تلكم الصّبغ ما يلي:

الصّبغة التقليديّة: من أهمّ سمات شعر جيل الشيوخ تقليده الشعر العربي القديم ومحاكاته إياه في ألفاظه وتراكيبه وصوره وأخيلته، فشعرهم شعر تقليديّ في كل مستوياته، ولعلّ يرجع سبب ذلك إلى طابع تكوينهم الكتابي، الذي يمنحهم فرصة الاحتكاك بالشعر العربي القديم، وخاصة الشعر الجاهلي الذي أخذ مكانه في مقررات الزوايا والمحاضر المتمثل في "ست الشعراء" للأعلم الشنتمري و"المعلقات"، وزد على ذلك عدم اطلاعهم على الشعر

العربي الحديث بمفاهيمه الحداثية الجديدة، من هنا لم يظهر في شعرهم ملامح التجديد الحداثي لا شكلا ولا مضموناً، ومن النماذج الحية الدالة على تقليدية شعر هذا الجيل في ألفاظه؛ هذه الأبيات للشيخ محمد البشير الجاوي قال: { الوافر }

حَوَى فَحَوَى مِنَ الْكَلِمَاتِ حَاوٍ نَوَى وَنَوَى مِنَ الْمَقْصُودِ نَاوٍ
غَوَى فَهَوَى بِوَادِي الدُّلِّ جَهْرًا فَتَّارَ وَصَارَ فِي الْوَيْلَاتِ غَاوٍ
بَدَا فَبَدَا مُسَاوٍ فِي التَّسَاوِي جَفَا فَشَفَى جَوَى وَشَفَاهُ جَاوِي 1

هذه الأبيات تحاكي مقامات الحريري في لغتها المعجمية وفي أسلوبها البديعي، من جناس بين "حوى، فحوى، حاو" وبين "نوى، نوى، ناو"، فهذا الأسلوب يذكرنا بقول الحريري بما فيه من تجنيس: {مجزوء البسيط}

لَمْ يَبْقَ صَافٍ وَلَا مُصَافٍ وَلَا مَعِينٌ وَلَا مُعِينٌ
وَفِي الْمَسَاوِي بَدَا التَّسَاوِي فَلَا أَمِينٌ وَلَا ثَمِينٌ 1

ومثال تقليدهم الشعر القديم في تراكيبه وأخيلته قول الشاعر عبد الله وافي: {الطويل}

أَلَمْ يَأْبُرْ بِنُجُوعِ دَارِسٍ مُتَقَادِمٍ تَعَاوَرَهُ مَرُّ الرِّيحِ الْوَيْحِ الْوَاسِمِ
وَعِيْرَهُ مِنْ كُلِّ وَبِلٍ سَجِيحُهُ فَأَصْبَحَ مِثْلَ الْوَشْمِ مِنْ كَفِّ وَاشِمِ
عَهْدَتْ بِهِ وَالْحَيُّ إِذْ ذَاكَ جِيْرُهُ وَغَضُنُ الْهَوَى دَانِي الْجَنَى أَمْ سَالِمِ 1

فتصوير البيت الثاني تقليد/ محاكاة لتشبيه الشاعر الجاهلي طرفة: {الطويل}

لِحَوْلَةِ أَطْلَالٍ بِزُرْقَةٍ تَهْمِدُ تَلُوحُ كَبَائِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ 1

الأصالة والمعاصرة: ونعني بالأصالة التمسك بتلك المجموعة من التقاليد الفنية التي كان يسير عليها الشعراء الكبار الأقدمون، والسير في نفس الطريق الذي سار فيه الأقدمون وخاصة الشعراء الجاهليون من حيث بنية القصيدة وتأليف عناصرها، 1 بينما نقصد بالمعاصرة تجلي أحداث العصر ووقائعه وظروفه وبيئته في مضمون هذا الشعر، حتى يعد الشعر من مصادر أحداث هذه العصور التاريخية والثقافية والاجتماعية والسياسية، فالأصالة هنا صفة للشكل والمبنى بينما المعاصرة نعت للمضمون والمعنى، فراح أغلب شعر جيل الشيوخ يتأرجح بين هاتين الصفتين أصالة في الصياغة ومعاصرة في تجسيد المضمون، كقول شيخ أحمد حيدره في ذكرى أكبر حدث عرفها جمهورية مالي ألا وهو الاستقلال: {البسيط}

تَبَّ النَّسَاطُ، فُكَّ الْقَبْذُ وَأُنْدَثَرَا بِالسَّيْفِ وَالْفَاسِ ثَارَ الشَّعْبُ فَأَنْتَصَرَا
دُقُوا الطُّبُولَ، فَشَهْرُ الْمَجْدِ قَدْ طَلَعَا إِنْ يَ أَرَى النُّورَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ انْتَشَرَا
سِبْ بَتَمْبَرِ الْمَجْدِ أَهْلًا غَدَتْ مُفْتَخِرَا يَا شَاهِدَ الْعِزِّ أَقْبِلْ لَا تَخَفْ ضَرَرَا
نَحْنُ الْبُنَاءُ، بَنَيْنَا الْمَجْدَ مِنْ أَرْلِ نَحْنُ الْحَمَاءُ، إِذَا مَا خَائِنٌ غَدَرَا
تَبَّتْ يَدَا سَارِقٍ وَتَبَّ مَا كَسَبَتْ يَدَاهُ مِنْ عَمَلٍ وَكُلِّ مَا ادَّخَرَا
نَهَبَتْ مَوَارِدَنَا، أَفْنَيْتْ مَنَاجِمَنَا، وَأَتَيْتْ كَرَامَتَنَا، فَلُنَا: كَفَى وَتَرَا
إِنِّي أَرَى الْخُرَّ لَا تَضْحَى سِيَادَتُهُ وَشَعْبُ "سُونَجَة" أَخْرَارٌ وَأَنْتِ تَرَى
إِنَّا بَنِي السُّودِ لَا نَرْضَى مُسَاوَمَةً وَمَوْقِفُ السُّودِ فِي التَّارِيخِ إِشْتَهَرَا
وَأَسْأَلُ فَرَنْسَا، وَسَلْ مَنْ رَامَ عِزَّتَنَا نَحْنُ الدِّمَارُ، وَنَحْنُ السِّلْمُ مُفْتَدِرَا
مَالِي الْبُطُولَةِ تَحْيَى خُرَّةً أَبَدًا نَحْنُ الشَّابَابُ أَتَيْنَا نَدْرُسُ الْعِبَرَا
مَالِي الْحَضَارَةِ ضَمِّي الصَّدْرَ حَانِيَةً لِنَحْضُنِي فِي جَمَاكِ الْبَيْضِ وَالسُّمَرَا 1

فهذه القصيدة وعشرات مثلها من شعر الشيوخ تتراوح بين الأصالة والمعاصرة أصالة في البنية الشكلية ومعاصرة في المضمون والمحتوى.

النزعة الصوفية في أشعارهم: ويراد بذلك هيمنة التصوف على أشعارهم وسيطرته عليها غرضاً وموضوعاً وأسلوباً، فيدور شعرهم مع التصوف حيث دار في أغلبه، وتتجسد هذه النزعة الصوفية من خلال النقاط التالية:

أ - صوفية الأغراض الشعرية: وهي ربط أغراضهم الشعرية بالتصوف، وتطعيمها به، فعلى سبيل المثال يقصرون غرض المدح في مشايخهم الصوفية، مجسداً مناقبهم في الطريقة، ودرجاتهم فيها، ومتى افتخروا يفتخرون بدرجاتهم الصوفية وانتماءاتهم في الطريقة، ومواهبهم فيها من مكاشفات وغيرها، وإذا قصدوا وصف شيء يصفونه بمنظار صوفي راق، مجسدين قدرة الله وجلالته في الموصوف جراء التأمل والتفكير الشديدين، حتى تغدو كل الأغراض الشعرية تحت خدمة التصوف، ومثال هذا المدح الصوفي قول الشيخ دنبا وافي في مدح شيخه: {البسيط}

شَيْخٌ بِهِ عَزَزَ الْبَارِي شَرِيعَتَهُ
كَنْزُ الْحَقِيقَةِ، بَخْرُ الْعِلْمِ مَعْدُنُهُ
عَمَّ الْأَنَامَ "وَرَبِّي"، نُورٌ فَكَّرْتَهُ
وَتَزْدَرِي فِي الدُّجَى بِالْبَدْرِ عُرَّتُهُ
نُورُ السِّبْلِ وَمُحْيِيهَا وَبَهْجَتُهَا
فُطْبُ الرِّحَى مَجْدُ دِينِ اللَّهِ زِينَتُهُ
مَا زَالَ يَسْمُو إِلَى الْعُلْيَاءِ بِهَمَّتِهِ
لَمْ تَلْتَفِتْ قَطُّ لِلدُّنْيَا بِصِيرَتِهِ
هُوَ الْإِمَامُ الَّذِي طَابَتْ مَنَاقِبُهُ
وَلَاهُ رُشْدُ الْوَرَى بِالْعِلْمِ خَالِفُهُ
فَكَمْ أَجَارَ بِنَا بَخْرًا بِهِ عَرَقَتْ

فِي الْعَرْبِ لَمَّا بَدَتْ فِي غَايَةِ الْوَهْلِ
طُودُ الْعُلَا، عَلَّمَ فِي أَقْوَمِ السُّبُلِ
وَسَادَ بِالْمُؤْمِنِينَ: الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ
وَالشَّمْسُ تَحْجُلُ مِنْهَا وَهِيَ فِي الْحَمَلِ
كَهْفُ الزَّمَانِ فَرِيدُ الْعَصْرِ وَالذُّوْلِ
شَمْسُ الشَّرِيعَةِ مِعْوَانُ الَّذِي أَمَلِي
حَتَّى اسْتَقَلَّ وَجِيدًا فِي ذُرَى الْقُلُلِ
فَكَيفَ وَهُوَ بِرَبِّ الْعَرْشِ فِي شُغْلِ
وَحُسْنِ أَوْصَافِهِ يَغْلُو عَلَى رَحْلِ
بَخْرٍ بِهِ يَرْتَوِي مَنْ كَانَ ذَا عِلَلِ
أَوَّلُو الْبَصَائِرِ قَبْلَ اللَّحْجِ بِالْمَقْلِ 1

ولا يخفى على القارئ ما في هذه الأبيات من الصبغة الصوفية، فهو يمدح شيخه بمقاماته الصوفية بأنه كنز الحقيقة، شمس الشريعة، قطب الرحي، كهف الزمان، فريد العصر.

ب - كثرة تناول الموضوعات الصوفية في شعرهم: من شدة هيمنة التصوف على حياة هؤلاء المشايخ راحوا يعالجون أغلب الموضوعات الصوفية معالجة فنية شعرية، كحقيقة البقاء الإلهي، ومفهوم الوجود، والحقيقة المحمدية، وقد يعالجون كل الموضوعات الحياتية بمنظار صوفي، على حد قول الباحث عبد اللطيف كوليبالي في معرض ذكر صوفية موضوعات شعر الشيخ يعقوب دوكوري "كالمديح النبوي، وأفانين الوصف الديني الصوفي، والحبلية الجديدة في رثاء فطاحل العلماء الغالب عليه الطابع الصوفي، والشكر والعرفان الإلهي، لقصد التعبد؛ وإحصاء أشخاص الأسرة؛ لقصد الدعاء لهم، وحب الوطن بأسلوب صوفي رمزي، وحقيقة البقاء الإلهي، ومفهوم الوجود، وعبارات من الدعاء والمناجاة والثناء على الله، والعطاء الإلهي الشاملة للعالمين، والحب الإلهي الذي يعتبر قسيم المعرفة في التصوف الإسلامي". 1 ومن حضور الموضوعات الصوفية في شعر جيل الشيوخ قصيدة الشيخ حبيب كان بعنوان "حقيقة القوم" فقال: {البسيط}

أَلْحَقْ فِي الْقَوْمِ هُمْ قَوْمٌ بِلَا ذِمَمٍ
وَالْحَقْ فِي الْقَوْمِ هُمْ لِلْحَقِّ أَنْجَذُوا
وَالْحَقْ أَنَّهُمْ مَوَّعَبُوهُ وَأَنْسَبَحُوا
وَالْحَقْ أَنَّهُمْ مَوَّعَبُوهُ فِي حَبِّهِ أَنْسَجَمُوا
وَالْحَقْ أَنَّهُمْ مَوَّعَبُوهُ فِي عَشْقِهِ أَنْوَلَهُوا
وَالْحَقْ أَنَّهُمْ مَوَّعَبُوهُ فِي حُسْنِهِ أَنْوَلَعُوا
وَالْحَقْ أَنَّهُمْ مَوَّعَبُوهُ فِي نُورِهِ أَنْدَشُوا
وَالْحَقْ أَنَّهُمْ مَوَّعَبُوهُ فِي بَهْوِهِ أَنْبَهَرُوا
وَالْحَقْ أَنَّهُمْ مَوَّعَبُوهُ فِي قَاعِهِ أَنْسَهَرُوا
وَالْحَقْ أَنَّهُمْ مَوَّعَبُوهُ فِي نَادِيهِ أَنْسَمَرُوا

خَافُوا الْإِلَهَ وَصَانُوا الْعَهْدَ فِي الدِّمَمِ
وَأَسْتَعْلَقُوا فِيهِ مِثْلَ اللَّحْمِ فِي الْعَظَمِ
فِي يَمِّ طُوفَانِهِ عَامُوا إِلَى الْغَطَمِ
وَأَسْتَمَزَجُوا فِيهِ مِثْلَ الزُّبْدِ فِي الرِّهَمِ
وَأَسْتَنْدَهُوا اسْمَهُ فِي الْجَهْرِ وَالْكِتَمِ
وَأَسْتَلْهَمُوا دَاتَهُ فِي الطَّيْفِ وَالرُّسَمِ
وَأَسْتَنْيَقُونَهُ بِلَا شَاكٍ وَلَا وَهَمِ
وَأَسْتَنْشَرَفُوا وَبِهِ هَامُوا بِلَا لَمَمِ
وَأَسْتَنْبَهَجُوا بِأَلْسِنَةِ الْأَلْمَعِ النُّجُمِ
وَأَسْتَمْتَعُوا بِأَيْلَالِي الْأَشْهُرِ الْخُرَمِ 1

يسعى الشاعر في هذه الأبيات إلى رسم صورة فنية لهذه الجماعة الصوفية، صورة حافلة بالمصطلحات الصوفية ورموزها مما أضفى عليها طابعاً رمزياً من: الحب والعشق، والحسن والنور، واللحظ والكأس، والبحر والعين، والارتواء والارتشاف، والحسو والسكر، على أن هذه رموز لمدلولات خاصة بين أهل التصوف.

فهذه الخصائص المذكورة من الصبغة الصوفيّة والنزعة التقليديّة وغيرهما؛ صفة طبيعيّة في شعر جيل الشيوخ، وهو الأصل فيه، فلم يخرج عن ذلك إلا نادرا، ولا يعني ذلك ضرورة توقّر هذه الصفات كلها في شعر كل شعراء هذا الجيل، بل نصيبهم من هذه الصفات يختلف من شاعر لآخر، وقد نجد شيئا من هذه الخصائص السابقة في شعر جيل الشباب، ولكنها ليست هي الغالب على شعرهم، وليست بصفة طبيعيّة لديهم، فجيل الشباب في الغالب لا يتسم شعرهم بهذه الخصائص إلا عن طريق الصنعة والتكلف تارة، وتارات أخرى من باب الصدفة وتوارد الخواطر.

وحاصل القول إنّ شعر جيل الشيوخ يعتبر امتدادا طبيعيا لماضي الشعر العربي في جمهورية مالي، ويتصف بكل ما كان يتصف به ماضي هذا الشعر، وعليه؛ قد لا يمثل هو حاضر الشعر العربي المالي، أو لا يشكل نسبة كبيرة في تمثيله. والملاحظ في الآونة الأخيرة أنّ هذا الجيل بدأ يختفي وينقرض بوفاة الشعراء الشيوخ طورا، وبانعدام التكوين الكتابي الذي كان عمدة هذا الجيل الشعري، التكوين الذي حازمه التكوين المدرسي حتى يكاد يقضي عليه.

2.1. الجيل الثاني: جيل الشباب:

ونقصد به كل شاعر غلب عليه التكوين الأكاديمي، إذ لا يكاد يخلو دارس عربي في جمهورية مالي عن تجربة التعليم الكتابي قبل التحاقه بالمدرسة، اللهم إلا في الآونة الأخيرة التي تكاد تختفي الكتابات فيها بكل أشكالها، وقد ساهمت عوامل عديدة في تكوين هذا الجيل وبروزه على مسرح الأحداث الشعرية، منها:

ظهور المدارس العربية الإسلامية: لقد كان ظهور المدارس العربية الإسلامية حدثا عظيما في جمهورية مالي، حين جاءت تعزيزا لدور الكتابات والزوايا ومنافسا لها في الوقت نفسه، وقد كان له أثر كبير في الشعر والشعراء الذين باتوا على كثب من روائع الشعر العربي، التي كانت لا تتاح لكل من هبّ ودبّ في الكتابات والمحاضر، وصار جميع التلاميذ مرشحين لدراسة الأدب عموما والشعر خصوصا ضمن المناهج التعليمية في هذه المدارس، بينما كانت دراسة الشعر في الكتابات اختياريا، فساهمت المدارس بمناهجها ومقرراتها في خلق جيل شعري من الشباب وتكوينه وتزويده بالبيات تمكنه من قرض الشعر العربي وتذوقه في أقرب وقت ممكن.

المنح الطلابية إلى الدول العربية: إذا كانت مساهمة المدارس العربية الإسلامية هي تقريب الشعر العربي إلى الدارسين وفرض دراسته عليهم؛ فإنّ المنح الدّراسة إلى الدول العربية جاءت لتتوجها لها الجهد، المتمثل في اطلاع الطّلاب على مستجدات الشعر العربي الحديث في عقر داره، من اتجاهات ومذاهب ومدارس شعرية، الأمر الذي كان له عائدا كبيرا على حاضر الشعر العربي المالي، حيث أنتجت كوادر من الشعراء الماليين استطاعوا اعتلاء عرش الشعر العربي إقليميا ودوليا.

وهذان العاملان وغيرهما لعبا دورا محوريا وجوهريا في إيجاد الحركة الشعرية الشبابية في جمهورية مالي، وجعلا شعر هذا الجيل يختلف جوهريا عن شعر الشيوخ لاختلاف المشارب والمناهل، وجيل الشباب هذا؛ هو الذي يمثل حاضر الشعر العربي المالي وراهنه تمثيلا حقيقيا، لكون عدد شعراءه في تزايد مستمر، ولكونه هو مشروع الغد والمستقبل، وعليه؛ سنقف مع هذا الجيل وقفة طويلة لمعرفة ما له وما عليه.

2. واقع حاضر الشعر العربي المالي

إنّ واقع حاضر الشعر العربي المالي واقع مُفرّج مُألّم، حيث يتأرجح بين تقدم وتأخّر، وتجمع بين مؤشرات النجاح والفشل معا، وتحضن مظاهر إيجابية وأخرى سلبية، مما يجعله يبشر تارة ويخيّب تارات أخرى، ولعل ذلك راجع إلى التّحول الخطير الذي يمرّ به حاضر الشعر العربي المالي المتمثل في إحداث قطيعة معرفية مع ماضي هذا الشعر، واستهداف قمة الشعر العالمي، وهو هدف سام، ولكن المشكلة أنّه ليس كل الشعراء بمرشحين لتحقيق هذا الهدف السّامي، أو لنقل تحقيقه بحاجة إلى آليات وأدوات لا بدّ من توقّرها لدى الشّاعر، ولذا سنرى من الشعراء من هو جاهز للقيام بهذه المسؤولية بل قام بها ولو بعض الشيء، ومنهم من ليس مرشحا لهذا المهام، وكان ينبغي أن يكون هذا الصنف الأخير خارجا عن المشروع، وأن يعلن جهارا نهارا تنازله وتوبته عن قرض الشعر، ولكن مع الأسف الشديد ليس هذا هو الذي حدث، بل حاول هؤلاء بالقوة والفعل إضفاء شرعية إلى شاعريتهم وتأكيد إخلاصهم وانتماءهم لهذا المشروع، وأدى ذلك إلى وجود واقعين في حاضر الشعر العربي المالي، وهما:

1.2. الواقع الإيجابي لحاضر الشعر العربي المالي:

ونعني بذلك مجموعة من مظاهر إيجابية تسجّل لحاضر الشعر العربي المالي، إيجابيات توشح بنجاح وتقدم، ولعلّ هذه المظاهر الإيجابية ترجع بطريقة أو بأخرى إلى عوامل عديدة، ساهمت في تطوّر حاضر الشعر العربي المالي، منها:

تأسيس الجمعيات الأدبية: من أهم عوامل إيجابية حاضر الشعر العربي في جمهورية مالي ظهور الجمعيات الأدبية التي باتت تراقب الإبداع الشعري عن كثب، وتساييره جنبا بجنب، وتقوّمه وتوجّهه، ومن أهم تلك الجمعيات ما يلي:

أ - نادي الأدب والثقافة: وهو ناد أدبي تأسس برئاسة الأستاذ حسين يوسف تراوري، وسكرتارية الأستاذ طاهر ميغا وغيره، ومن أهم مهام هذا النادي الأدبي التي تساهم مباشرة في تطوّر الشعر العربي المالي، ما يلي:

1. جمع أشعار شعراء جمهورية مالي في الدواوين ثم طباعتها ونشرها، من مطبوعاتهم: ديوان الشاعر الشيخ محمد البشير الجاوي، وديوان الشاعر باكسما دوكوري، وديوان الشاعر عبد الله درامي، وغيره.

2. إعداد دراسات وبحوث حرّة حول الشعر العربي المالي، كدراسة الأستاذ طاهر ميغا المعنونة بـ "أشنيات من أدب الشباب الإفريقي"، ودراسة الأستاذ حسين تراوري بعنوان "شباب وقصائد".

3. العمل لإدراج الأدب العربي الإفريقي ومنه الشعر العربي المالي في منهج التعليم الثانوي والجامعي الحكوميين، وقد تحقّق ذلك منذ أعوام.

ب - منبر الشعر والشعراء: وهو عبارة عن حركة شعرية شبابية، تم تأسيسها تحت رعاية الشاعر الفلاني أبي بكر بولي، على حدّ قول الباحث: "وقامت حركة شبابية أدبية بقيادة الشاعر الفلاني تحت مسمى "منبر الشعراء"، والتي لها مساحة في إذاعة داميبي "Dambe" يتنافس عليها الأدباء، مما جلب اهتماما كبيرا - في أوساط التلاميذ والطلاب - إلى المشاركة في هذا الفنّ، كما ساهم بشكل ملحوظ في رفع مستويات التلاميذ والطلاب، وذلك أنّ الشعر لا ينبري له من به عاهة في اللغة وقواعدها، ولا من به عمه ثقافي".1

تنظيم المسابقات والمهرجانات والأماسي الشعرية في جمهورية مالي: ومن مفاخر حاضر الشعر العربي المالي وإيجابياته؛ تنظيم المسابقات الشعرية تارة، والمهرجانات طورا، والأماسي أنا آخر، وهو حدث لم يعهده ماضي هذا الشعر، وساهمت هذه الأنشطة الشعرية في خلق ذائقية شعرية واسعة النطاق، وكانت أيضا وسيلة تشجيع للشعراء وتهييجاً لبواعثهم الشعرية، كالأماسي الشعرية السنوية التي تقام في مدينة "طوبى"، وأمسيات "منبر الشعر والشعراء" المكثفة البالغة عددها أكثر من خمسة أمسيات متنقلة، والمسابقات الشعرية بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية، وغيرها من المهرجانات والأمسيات والمسابقات الشعرية التي لا شك أنّ لها عوائد كبيرة لراهن الشعر العربي المالي. وبفضل هذه العوامل وغيرها ظهرت مظاهر إيجابية عديدة في جبين حاضر الشعر العربي المالي، مظاهر تعدّد من أقصى ما توصل إليه هذا الشعر، من أهمها:

أ - مشاركة الشعراء الماليين في المهرجانات والمسابقات الدولية، كمشاركة الشاعر عبد الله درامي في المهرجان الشعري الخليجي في المملكة العربية السعودية ومهرجانات وزارة الثقافة الموريتانية المكثفة، ومشاركة الشاعر علي جبريل والشاعر شيخ عمر في مسابقة "أمير الشعراء" بدبي، في الموسم الخامس والسادس.

ب - ظهور أشكال شعرية حديثة في الشعر العربي المالي كظهور تجربة شعر التفعيلة "الشعر الحرّ" عند بعض شعراء شباب مالي، وفي ذلك دلالة على محاولة هذا الشعر الالتحاق بالركب العالمي، وقد خاض تجربة شعر التفعيلة كلّ من الشاعر ياسر جكيّتي، والشاعر الدكتور يوسف ماريكو، والشاعر علي بن أحمد سيدبي، يقول هذا الأخير في قصيدة أسماها بـ "أميرة النساء":

سَنَلْتَقِي فِي زَحَامِ الدُّنْيَا،
سَنَلْتَقِي فِي دُرُوبِ الْحَيَاةِ،
سَنَلْتَقِي فِي دَوْرَةِ الزَّمَانِ،
فِي الْأَوْطَانِ،
فِي كُلِّ مَكَانٍ.
سَأَبْحَثُ عَنْكَ وَأَبْحَثُ عَنْكَ:

بِالْعَقْلِ وَالْوَجْدَانِ،
بِالْقُوَّةِ وَالسُّلْطَانِ،

سَيَلْتَقِي الْقُلُوبَانِ فِي شَوْقٍ وَحَنَانٍ،
وَتَنَسَّابُكَ الْيَدَانِ، وَبِالْحُبِّ تَتَحَدَّثُ الشَّفَتَانِ،
فِي شَوْقٍ وَحَنَانٍ، بِالْإِخْتِصَانِ.
أَوْدُ أَنْ أَعِيشَ بِهَجَّةِ الْأَنْتِصَارِ1

ج - عصنة اللغة الشعرية: استطاع شعراء هذا الجيل التحرّر من ربقة اللغة التقليدية القديمة التي كانت سائدة عند جيل الشيوخ، من لغة المقامات التي تميل إلى الفخامة والجزالة، فراحوا يستخدمون لغة الحياة اليومية التي تتصف بالسهولة والليونة والسلاسة، من باب "السهل الممتنع" ومن أمثلة هذا الاستخدام اللغوي قول الشاعر عبد الله درامي: {البسيط}

لَا وَقَفْتُ عِنْدِي لِتَزْدِيدَ الْعِبَارَاتِ
لَا وَقَفْتُ عِنْدِي لِإِهْدَارِ الْوَعُودِ سُدَى
لَا وَقَفْتُ عِنْدِي لِإِنْعَاشِ وَتَسْلِيَةِ
سَادُخْلِ الْجَيْشِ كَيْ أَحْظَى بِأَوْسَمَةِ
غَدًا سَأَجْمَعُ أَوْرَاقِي أَرْتَبُهَا
لَا وَقَفْتُ عِنْدِي لِتَجْدِيدِ الْوَلَاءَاتِ
لَا وَقَفْتُ عِنْدِي لِإِجْرَاءِ انْتِخَابَاتِ
لَا وَقَفْتُ عِنْدِي لِزَفْعِ الْمَعْنَوِيَّاتِ
وَالْعُسْكَرِيَّةِ جُزْءٍ مِّنْ هَوَايَاتِي
لِأَشْعَلَ النَّارَ فِي كُلِّ الشَّهَادَاتِ¹

ويمثل هذا الواقع الإيجابي لحاضر الشعر العربي المالي كل من الشاعر عبد الله درامي، والشاعر محمد جبريل، والشاعر ياسر جكي، والشاعر الدكتور يوسف ماريكو، والشاعر علي بن أحمد سيدبي، والشاعر آدم توغورا، وكلهم من خريجي الجامعات العربية الإسلامية في الدول العربية.

1.2. الواقع السلبي لحاضر الشعر العربي المالي:

ويعني به الباحث تلك الظواهر السلبية التي تكبل الحركة الشعرية الراهنة في جمهورية مالي عن التقدم والالتحاق بالركب العالمي، ويؤرخ انطلاق هذا الواقع السلبي المتردي في مشوار الشعر العربي المالي؛ بظهور طبقة المتشاعرين وانتقالبهم على الحركة الشعرية المالية، واعتلاءهم عرش الشعر العربي المالي غصبا بدون استحقاق بمساعدة وسائل الإعلام تارة، ووسائل التواصل الاجتماعي تارات أخرى، واتصفت حركة هذه الطبقة بصفات ومظاهر سلبية تشكل خطرا داهما على مستقبل الوجود الشعري في هذه الدولة، ومن خلال تتبع الباحث القاصر لحركة هذه الطبقة؛ لاحظ مجموعة كبيرة من مظاهر سلبية، منها ما يلي:

1 - كثرة الأخطاء بكل أنواعها في شعر هذه الطبقة: ودونك كمثال واحد فقط ديوان أمير شعراء هذه الطبقة، الملقب عندهم بـ"أمير المنبر" صاحب ديوان مطبوع، مليء بالأخطاء بكل تجلياتها وسنكتفي بإيراد بعض شواهد هذه الأخطاء بدون تحليل وجه الخطأ معتمدا على ذكاء القارئ وفطنته:

أ - الأخطاء العروضية: وهي كثيرة جداً، والغريب ارتكابها من شاعر يقيم الدورات العروضية في المدارس العربية الإسلامية في بماكو أكثر من ست سنوات، منها قوله: {الوافر}

سَلَامُ اللَّهِ يَا دَارَ الْخَدِيثِ	عَلَيْكَ عَلَى الْخُضُورِ وَخَاضِرَاتِ
بُحْبُ خَالِصِ الْقِي عَلِيكَ	قَصِيدَ الشَّعْرِ أَحْلَى الْأَغْنِيَّاتِ
فَأَنْتِ الدَّارُ مَسْكَنُ دَارِ سَيِّئَاتِ	وَأَنْتِ الْأُمُّ بَعْدَ الْأُمَّهَاتِ
وَذَلِكَ أَنْ تَرَبَّيْنَا لِيَدِيكَ	عَلَى خَيْرِ الْخَصَائِلِ وَالصِّفَاتِ
فَفِيكَ تَضَاءُ أَنْوَارِ الْعُلُومِ	وَفِيكَ يُحَلُّ كُلُّ الْمُشْكِلَاتِ ¹

وقوله: {البسيط}

أَصَابَهُ هَرَمُ الْأَعْمَارِ بِالسَّقَمِ	وَالْمَرءُ ذُو ضَعْفٍ مِّنْ بَعْدِ مَا كَمَلَا
مَعَ النَّقْدِ فِي الْأَعْمَارِ وَالْهَرَمِ	فَلَا تَرَى فِي تَصَرُّفَاتِهِ خَلَا
كَمْ حِكْمَةٍ نَأْنُهَا مِنْ قَوْلِهِ الْعِطْرِ	قَدْ فَازَ مَنْ ذَا الَّذِي يَقُولُهُ عَمَلَا ¹

ب - الأخطاء التركيبية: توجد في هذا الديوان أخطاء تركيبية عديدة، نحوية كانت أم صرفية، كعطف النكرة على المعرفة في قوله: {الوافر}

فَشَكَرُكَ وَاجِبٌ فَرَضٌ عَلَيْنَا بِشُكْرِ الشَّاكِرِينَ وَشَاكِرَاتِ¹

وعطف المعرفة على النكرة بقوله: {البسيط}

وَفِيكَ يَنَالُ كُلُّ الدَّارِسِينَ مُرَادَهُمْ بَعِزٌّ وَالتَّبَاتِ¹

فظاهرة عطف النكرة على المعرفة أو العكس ليست من الضروريات الشعرية، فلا أرى مبرراً لتوظيفها من قبل الشاعر، وغيرها كالتعبير عن اللغات المحلية بحروف عربية.

2 - الضعف الفني في أغلب شعر هذه الطبقة حيث تجمع عشرات قصائد هذه الطبقة، وتحضر عشرات مهرجانهم الشعرية وأماسيهم لا تكاد تقع على قصيدة واحدة تتصف بالشعرية / الأدبية، ولا غرو فشعراء هذه الطبقة لا وجود لمصطلحات كـ "الشعرية / الأدبية" في قاموسهم.

3 — السَّعي لشعبوية حركتهم الشعريّة، أي محاولة جعل قرض الشعر وكتابته ظاهرة شعبية، بجعل كل من هبّ ودبّ شاعرا خنذيذا، استزادا في قائمة الحركة، وترويجا لها، وذلك شيء لم يحدث حتى في الوطن العربي الذي هو مهد الشعر العربي ولحده.

4 — كثرة المجاملات والمبالغات في تعال وتغطرس وزهو في الألقاب الشعريّة، من "أمير الشعراء"، و"كلونيل الشعراء" وغير ذلك من تلك الألقاب المصنوعة المتكفّة.

5 — محاولة إضفاء الشّرعية على حركتهم المتشاعرية، والسعي الحثيث إلى أن يكونوا ممثلي الشعر العربي المالي المعاصر.

وأخيرا نورد هنا قصيدة لشاعر من هذه الطبقة / الجماعة يلقّبونه بـ "الشاعر الكبير" تجمع كثيرا من المظاهر السلبية المذكورة، يقول في مدح النّبي ﷺ: {الوافر}

أَقُولُ الْمَدْحَ فِيكَ كَمَا أَشَاءُ	لَأَنَّكَ قَدْ خُلِفْتَ كَمَا تَشَاءُ
وَلِدْتَ مُحَمَّداً فَكَسَبْتَ حَمَداً	رَسُولاً عَشَيْتَ فِيكَ الْأَصْطِفَاءُ
دُعَيْتَ مُحَمَّداً فَحَمَدْتَ فِعْلاً	فَطَابَ بِكَ امْتِنَالٌ وَاهْتِدَاءُ
بَلَّغْتَ مَدَى الْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي	قَدُونُكَ فِي السَّمَاءِ الْأَنْبِيَاءُ
رَسُولُ اللَّهِ أَنْتَ لَأَنْتَ أَنْتَ	إِلَيْكَ وَمِنْكَ دِينٌ وَاقْتِدَاءُ
فَكُلُّ يَدْعِي مِنْكَ اقْتِرَابَا	تَسَامُ لَا يَكُونُ كَمَنْ سَمَاءُ
وَلَكِنِّي وَدَدْتُكَ وَدَّ قَلْبِي	وَفِعَلْتُ ذَا يَقِينٍ لَا ادِّعَاءُ
فَأَنْتَ مُبْرَأٌ مِنْ كُلِّ عَارٍ	وَمِنْ كُلِّ الْعُيُوبِ لَكَ الصَّفَاءُ
وَأَنْتَ هُدًى وَنُورُ الْكَائِنَاتِ	فَقَدْرُكَ فِي الْوَرَى فِيهِ اغْتِلَاءُ 1

لتقف على بعد الهوة والفجوة بين شعر جيل الشيوخ وشعر طبقة المتشاعرين؛ وزن / قارن هذه القصيدة في مدح النّبي عليه السلام بقصيدة الشيخ حبيب كان في الغرض نفسه: {البسيط}

نُورٌ أَنْجَلَى فِي سَمَاءِ الْأَعْصُرِ الدُّهْمِ	بَعْدَ انْسِبَاةِ الدَّنَا فِي غَيْهَبِ الظُّلَمِ
كَالْبَدْرِ لَاحَ بُعِيدِ الْخَسْفِ مُنْأَلَقَا	أَضْوَاؤُهُ انْتَشَرَتْ فِي الْجِلِّ وَالْخَرَمِ
إِنْهَلَّ فِي شَهْرِنَا الْبَاهِي الرَّبِيعِ وَقَدْ	عَمَّ الْفَسَادُ بَمَنْ فِي السَّهْلِ وَالْعَلَمِ
إِنْهَلَّ فَانْحَلَّتِ الْأَغْرَاقُ مِنْ مَلَلِ	وَأَنْحَلَّ مَا بِمَسَامِ الْكُلِّ مِنْ وَرَمِ
إِنْهَلَّ فَانْحَلَّتِ الْأَعْضَاءُ مِنْ عِلَلِ	مَا عَادَ عِرْقٌ بِجِسْمِ الْخَلْقِ فِي بَرَمِ
إِنْهَلَّ فَانْحَلَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مَلَلِ	عَوَجَاءَ لَمْ يَبْقَ غَيْرُ الْقَيْمِ الْعَصَمِ
هَالَاتُ ضَوْءِ عَلَوْنِ الدُّنْيَا بَعْدَ دُجَى	أَوْدَى بِهَا النُّورُ جُنْدَ الظُّلَمِ وَالظُّلَمِ
يَا طَيْبَ مَكَّةَ مِنْ عِبْقِ الرَّبِيعِ فَقَدْ	فَاحَتْ شَدَاهُ عَلَى الْوُدَيَّانِ وَالْتِهَمِ
شَهْرُ الرَّبِيعِ أَتَى وَالْبِشْرُ تَمَّ بِهِ	كَمَا يَزْمَرُ عَمَّ الْبِشْرِ فِي الْحَطَمِ
طَابَتْ بِهِ الْأَرْضُ وَأَخْضَرَتْ مَرَابِغُهَا	وَطَابَ مِنْ طَيْبِهَا الْقَاعُ كَالْأَكَمِ
وَانْقَاضَ بِالْغَيْثِ بَطْحًا وَهِيَ قَاجِلَةٌ	وَاسْتَشْمَلَ الْخَيْرُ كُلَّ الْفَقْرِ وَالْأَجَمِ
بُشْرَى لَكُمْ مَعْشَرَ الْوَادِي الْمُقَدَّسِ مِنْ	سَعْدٍ يَدُومُ دَوَامَ الْبَيْتِ ذِي الدَّعَمِ 1

ونتيجة الموازنة بين هاتين القصيدتين تجسّد مدى تدهور حاضر الشعر العربي المالي وتقهره وترديّه شكلا ومضمونا بين جيلين تقاسما مائدة حاضر الشعر العربي المالي، وخاصة على يد طبقة المتشاعرين.

المبحث الثالث: استشراف مستقبل الشعر العربي في جمهورية مالي

إن استشراف مستقبل الشعر العربي المالي؛ ضرب من التّكهن والتّخمين، حتى لو اعتمدنا على معطيات حاضر هذا الشعر، فلا يزال مستقبله مجهولا، إذ معطيات الرّاهن /الحاضر لا تكاد تفصح عن مؤشرات كبيرة له، وهذه المؤشرات بدورها لا تبشر بمستقبل زاهر لهذا الشعر، إنّه ثمة رهائن عديدة وركائز كثيرة يتعلق بها مستقبل الشعر العربي في جمهورية مالي، وهو مرهون بها إيجابا أو سلبا، منها ما يلي:

1. مستقبل الشعر العربي عموما، إذ ثمة تكهّن من بحث الدراسين حول مستقبل الشعر العربي يدل على تقليص دوره يوما بعد يوم، ومزاحمته من قبل السرديات، مما أدى ببعضهم إلى مقولتهم المشهورة "دالت دولة الشعر"، جراء

تلك الأزمة التي عرفها الشعر العربي الحديث "إنها أزمة حقيقة عاصفة، أزمة وجود وبنية واستمرار، وهي توحى في ساعات التشاؤم أن الشعر جنس أدبي يسير في طريق الموت والاندثار مثلما اندثرت الملحمة والمقامة والحكاية الشعبية من قبل"،¹ وقولهم أيضا إنه "إذا كان الشعر ديوان العرب قديما، فإن السرديات "الرواية" ديوان العرب" في العصر المعاصر"، ولا شك أن مستقبل الشعر العربي المالي مرهون بمستقبل الشعر العربي الأم، وخاصة في وقت تحاول الأول الالتحاق بركب الثاني.

2. مستقبل اللغة العربية في جمهورية مالي: حيث يلاحظ ضالة حضور اللغة العربية وتقليص دورها يوما بعد يوم في المؤسسات التعليمية وغيرها، وذلك بمزاحمة اللغة الفرنسية لها في عقر دارها، عن طريق النظام الجديد في المدارس العربية الإسلامية، الذي هو تبني التعليم الثنائي / العربي - الفرنسي، وقد سبقنا في ربط مستقبل الأدب العربي المالي بمستقبل اللغة العربية في هذه الدولة الباحث حسين يوسف تراوري حين قال: "إن مستقبل الأدب العربي المكتوب باللغة العربية مرهون بمستقبل اللغة نفسها، فمتى استطاعت اللغة العربية أن تفرض نفسها على أوسع نطاق، وعلى أكبر شريط، بحيث تعلق مستقبل وحياة الكثيرين بها، فعند ذلك تصير بضاعة مزجاة، وسوقا رائجة وقبلية يؤمها الموهوبون".¹

3. التدهور الملحوظ في الحركة الشعرية الزاهنة، وخاصة ذلك الواقع السلبي في حاضر الشعر العربي المالي، الذي فصلنا القول فيه سالفًا، فهو أمر لا شك ستلعب دورا كبيرا وخطيرا في مستقبل هذا الشعر، وخاصة ظاهرة التطفل على مائدة الأدب عموما والشعر خصوصا في جمهورية مالي، فثمة جمهرة كثيرة ممن ينسب نفسه إلى الشعر والشعر بريء منه براءة الذنب من دم ابن يعقوب.

4. أزمة الشعر العربي المالي: كما اصطلح عليه الباحث فهي مجموعة من عقبات ومعوقات تحول دون مستقبل زاهر للشعر العربي المالي، إن شئت فقل: ليس لهذا الشعر مستقبل بدون التغلب عليها وإيجاد حلول إجرائية لها عاجلا أم آجلا، ودونك أهم تلك المعوقات:

أ- حصر الشعر العربي المالي في اتجاه شعري واحد فقط، ألا وهو الاتجاه التقليدي "الكلاسيكي"، اللهم إلا في محاولات عديدة من فلان وعلان، كالرمزية الصوفية عند المشايخ الصوفيين، وقصائد مصبوغة بصبغة رمزية أو رومانسية من باب الصدفة لا غير.

ب- انعدام وسائل النشر والتوزيع لدى الشاعر المالي من دور النشر والمطابع، والصحف، والمجلات وغيرها.
ت- قلة الدراسات العلمية الأكاديمية والبحوث الحرة حول الشعر العربي المالي، نعم؛ ثمة دراسات عديدة من قبل بعض الباحثين على رأسهم نادي الأدب والثقافة، والباحث الأستاذ عمر كان، والدكتور سامبي ماغاسوبا، والأستاذ عمران سعيد ميغا في رسائلهم العلمية الأكاديمية، بيد أن حجم الشعر العربي المالي أكبر وأهم من هذه الدراسات والبحوث القليلة.

ث- قصور الحركة الشعرية المذكورة أعلاها على مدينة باماكو فقط بتهميش أقاليم مالي، فكل من كان خارج باماكو فليس له أدنى نصيب من أنشطة الحركة الشعرية.

ج- غياب مراكز تنشيط وتحفيز من الدول العربية الإسلامية كما توجد مراكز تنشيط وتحفيز لنظيره الفرنسي الممول من قبل المنظمات الفرنكوفونية.

فهذه العوامل المذكورة لعلها تتحكم في مستقبل الشعر العربي المالي إيجابا أو سلبا، ومتى استشرطنا مستقبل هذا الشعر بناء على هذه العوامل؛ فسوف نصل إلى نتيجة مفادها أن مستقبل الشعر العربي المالي مجهول، لكون بنيان هذا الشعر غير مرصوص في كل الجوانب، ولكون العوامل الخارجية التي كان من المفترض أن يعتمد عليها الشعر العربي المالي في تراجع وتقهقر وتدهور تارة، وفي انقراض واضمحلال تارات أخرى.

ولكن واقع / حاضر الشعر العربي المالي - والحمد لله - ما زال يمكن استدراكه واستغاثته، بالبحث عن آفاق جديدة لهذا الشعر. ويقترح الباحث من تلك الآفاق الجديدة التي قد يعتمد عليها الشعر العربي المالي خلال رحلته صوب العصرية والمواكبة والخروج عن هذه الأزمة؛ ما يلي:

1. تنظيم الندوات والدورات التوعوية حول الشعر العربي المالي، لإبراز ما له وما عليه، لمعرفة ماضيه وتفسير حاضره واستشراف مستقبله.

2. تكثيف المسابقات الشعرية بين الشعراء الماليين، عسى أن تكون ذلك حافزا ودافعا لهم صوب الإبداع والإنتاج، من باب التشجيع والتحفيز.

3. الإكثار من المهرجانات والأمسيات الشعرية، وتنظيمها في كل أقاليم مالي لترقية الوعي الجمهوري بالشعر، وتحبيبه لهم جراء كثرة الاحتكاك به.
4. إصدار مجلة أو صحيفة شعرية، لتكون تلك منبرا لشعراء جمهورية مالي، ومرجعا للباحثين والدارسين.
5. ترجمة روائع مختارة أو دواوين شعرية من الشعر العربي المالي إلى اللغة الفرنسية بغية تقديم هذا الشعر إلى الآخر الناطق باللغة الفرنسية وتعريفه إياه.
6. تأسيس تجمع أو رابطة أو اتحاد لشعراء جمهورية مالي، بغية توحيد صفوفهم وتنظيمه وتفعيله فيما يهمهم جميعا.
7. تضلع مراكز التنشيط العربية ومنظماتها مبادرة تمويل هذه الأنشطة الشعرية من مسابقات ومهرجانات وأمسيات، كما تفعل نظيرها الفرنسية في هذه الدولة.
- وخاتما والحديث بالحديث يذكر، نورد هنا الآفاق الجديدة التي اقترحها الدكتور عبد العليّ الودغيري - رئيس الجامعة الإسلامية بالنيجر سابقا - للشعر العربي الإفريقي عموما - والشعر العربي المالي جزء منه - في رسالة إلى الشاعر الغيني المرحوم الدكتور محمد الأمين جابي رحمه الله، التي منها ما يلي:
1. أن يُبادر مجموعة من طلاب الدراسات الجامعية العليا الأفارقة المسجلين في عدد من الجامعات العربية بالشرق والمغرب وغيرها من الجامعات الأوروبية والآسيوية، إلى اختيار موضوعاتٍ لرسائلهم وأطاريحهم الجامعية من هذا الأدب العربي الإفريقي، تحقيقاً ودراسةً وتأريخاً وتقديماً وتحليلاً. أما المتخرجون منهم - وقد أصبحوا كُثراً والحمد لله - فما عليهم إلا أن يُشتمروا على سواعد الجدِّ والانكباب على دراسة آداب بلدانهم وأقطارهم وجمع نصوصها والتعريف بأصحابها، فهم أدرى الناس وأولى بها من غيرهم.
2. أن تُبادر مؤسسات في الدول العربية، رسميةً كانت أم أهلية، وخاصةً المهتمة بقضايا اللغة العربية، ومنظمتا الألكسو والإيسيسكو، ومعاهد الدراسات الإفريقية، إلى الإعلان عن جوائز سنوية خاصة بالأدب الإفريقي المكتوب بالعربية، تشجيعاً له ولأصحابه، على غرار ما تفعله فرنسا التي توزّع الأموال الطائلة وتخصّص الجوائز المتنوعة لتشجيع الأدب المكتوب بالفرنسية عبر بلدان العالم.
3. أن تسعى اتّحادات الكتّاب في العالم العربي إلى دعوة أدباء أفارقة في كل المناسبات والاحتفاء بهم وتكريمهم والتعريف بإنجازاتهم وتنظيم مؤتمرات ومُلتقيات خاصة بالأدب العربي الإفريقي.
4. أن تبادر دور النشر العربية في الشرق والمغرب إلى طبع مختارات ونصوص من الأدب العربي الإفريقي بالتعاون مع جهات مختلفة وهيئات وأفراد.
5. أن تُبادر شخصيات من العالم العربي والإسلامي تمتلك قُدرةً ماليةً وأريحيةً وسخاءً، للتطوُّع بالإنفاق على طبع سلسلة من الأعمال الأدبية والثقافية الإفريقية المكتوبة بالعربية، بما فيها الرسائل والأطاريح الجامعية والدراسات الرّصينة، وتمويل المهرجانات والمؤتمرات ومعارض الكتب التي تحثفي بهذه الأعمال وتُكرِّم أصحابها.
6. أن يعمل الأدباء الأفارقة الذين يكتبون بالعربية على جمع شملهم في هيئة أو جمعية إفريقية كبيرة، أو فيدرالية إقليمية مكوّنة من جمعيات وهيئات محلية، تحتضنهم وتُعنى بشؤونهم وقضاياهم وتدافع عن أدبهم وتُسهم في التعريف به ونشره ومَدِّ إشعاعه، وإيصال صوته إلى أسماع العالم.

المصادر والمراجع:

1. أدب أفريقيا فيما وراء الصحراء، الهادي المبروك الذّالي، دار صنين للطباعة والنشر، ط/1، بيروت، لبنان، 1996م.
2. الأدب العربي في تنبكت من خلال خزائنه النّصيّة، من أوليته إلى أواخر القرن الثالث عشر الهجري "19 ف"، دراسة تاريخية، وصفية تحليلية، إعداد الطالب: سامبي خليل ماغاسوبا، إشراف الدكتور: عبد الحميد عبد الله الهرّامة، رسالة الماجستير، كلية الدّعوة الإسلامية، قسم الدّراسات العليا، شعبة اللغة العربية وآدابها، 2001م.
3. استمتع بالقصائد اللؤلؤية، ديوان الشاعر أبو بكر عبد الله بولي، ط/1، 2017م.
4. أشنات من أدب الشباب الأفريقي، محمد الطاهر ميغا، طباعة نادي الأدب والثّقافة، بماكو، مالي، ط. بدون، 2012م.

5. التّصوف الإسلامي في غرب أفريقيا، د. موسى عبد السلام أبيكن، مجلة حوليات التّراث، جامعة مستغانم، الجزائر، ع/13، عام: 2013م.
6. جهود الشّيخ محمد العاقب السّوسي في نشر اللّغة العربية وآدابها في جمهورية مالي، دراسة تاريخية وصفية، الباحث: يوسف سالييف سماكي، إشراف الدكتور: علي يعقوب، رسالة الماجستير، جامعة الحاج محمود كعت العالمية للعلوم والتّربية واللّغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 1437 هـ - 1438م.
7. الحركة الأدبية في تمبكتو في النّصف الأوّل من القرن التاسع عشر الميلادي، أحمد البكاي نموذجاً، إعداد الطالب/ عمر كان، إشراف أ. د. عبد الرّحمن عبد الرّؤوف الخانجي، رسالة الماجستير، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، 1426 هـ - 2005م.
8. درّة الأشعار، ديوان الشّاعر عمرو عبد اللّطيف ساغو، ط. بدون، 1432 هـ - 2011م.
9. ديوان الإمام الشافعي "الجوهر النّقيس في شعر الإمام محمد بن إدريس"، إعداد وتعليق: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، بدون الطبع والتاريخ.
10. ديوان الشاعر محمد البشير الجاوي، طباعة نادي الأدب والثّقافة، بماكو، مالي، ط. بدون، 2010م.
11. ديوان الشّيخ حبيب عبد الله كان، ط. ت: بدون.
12. ديوان الشّيخ دنبا وافي، شرح وتحقيق: الشّيخ محمد المصطفى وافي، دار الرّشاد الحديثة، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 1437 هـ - 2016م.
13. شباب وقصيدة، حسين يوسف تراوري، طباعة نادي الأدب والثّقافة، بماكو، مالي، ط. بدون، 2017م.
14. شرح المعلقات السبع، الزوزني، تحقيق وتعليق/ محيي الدّين عبد الحميد، دار الطّلائع، القاهرة، 2009م.
15. الشّعر العربي بالغرب الإفريقي، خلال القرن العشرين المسيحي، د. كبا عمران، رسالة الدّكتوراه، إشراف أ. د. عبد الحكيم الأربد، كلية الدّعوة الإسلامية، قسم الدّراسات العليا، شعبة اللّغة العربية وآدابها، 2006 - 2007م.
16. الشعراء الصوفيون في غرب إفريقيا "النيجر ومالي" نموذجاً، دراسة وصفية تحليلية، رسالة الماجستير، إعداد الطالب: موسى إدريس ميغا، إشراف الدّكتور: يوسو منكيلا، قسم الدراسات العليا، كلية اللغة العربية والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية بالنّيجر، 2016 - 2017م.
17. الشّيخ سيدي المختار الكنتي الكبير حياته وجهوده الأدبية في السّودان الغربي، دراسة تاريخية وصفية تحليلية، إعداد الطّالب: عبد الله أحمد جاكنتي، إشراف الأستاذ الدّكتور: هاشم المهدي الشّريف الوداني، شعبة اللّغة العربية وآدابها، كليّة الدّعوة الإسلاميّة، 1376 هـ - 2008م.
18. طيور حائرة، ديوان الشّاعر عبد الله درامي، طباعة نادي الأدب والثّقافة، بماكو، مالي، بدون التّاريخ.
19. عربي بين الحضارتين، عمر الفهري، ط. بدون، 2004م.
20. الفكر الصوفي في ديوان "طب الجنان في القوائد الحسان"، دراسة تحليلية نقدية، رسالة الماجستير، للباحث: كوليبالي عبد اللطيف، إشراف الدكتور: كوني صوالحو، جامعة الحاج محمود كعت العالمية للعلوم والتّربية واللّغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2014 - 2015م.
21. كتاب أضواء الإتقان في أفنان الفرقان، عبد الله محمّد المصطفى وافي، دار الرّشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط. بدون، 1436 هـ - 2015م.
22. مجلة الناقد، مقالة "توقفوا سنة عن كتابة الشعر"، علي كنعان، ع/17، نوفمبر، 1989م.
23. مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، "الشّعر العربي في شبه القارة الهندية بين الاتجاهين: الأصالة والمعاصرة"، د. قديرة سليم، ع/ 16، فيفري، 2016م.
24. مقامات الحريري، درا الفكر للطباعة والتوزيع، بدون الطبع والتّاريخ.
25. نماذج من الشعر العربي في الصحراء، د. محمد سعيد القشاط، شركة الملتقى للطباعة والنّشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1996م.

مشكلات تعلم اللغة العربية في الصومال
معهد اللغة العربية للناطقين بغيرها - جامعة جولة فرع مدينة برعو نموذجاً
إعداد الدكتور / محمد أحمد إدريس إدريسي
(الأستاذ المشارك بجامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم - السودان)

مستخلص البحث

يأتي هذا البحث بعنوان : مشكلات تعلم اللغة العربية في الصومال
 معهد اللغة العربية للناطقين بغيرها جامعة جولة فرع مدينة برعو نموذجاً
 تكمن مشكلة البحث في توضيح بعض المشكلات اللغوية التي تعيق تمثيل العربية نطقاً وكتابة لدى الدارس الصومالي، واقتراح حلول مناسبة لها ، ويهدف إلى تتبع المشكلات اللغوية التي تواجه دارس العربية بالمعهد المذكور عليه ، وتقديم أمثلة لها، والسعي إلى معرفة أسبابها وجذورها، والعمل على تذليلها ومعالجتها ، حيث تبين للباحث من خلال عمله في تدريس اللغة العربية بالمعهد أن الطلاب يواجهون مشكلات صوتية ، وصرفية ، ونحوية - تؤثر بشكل مباشر في تعبيرهم بالعربية تحدثاً وكتابة ، وذلك رغم اهتمامهم الكبير بحفظ ودراسة القواعد النحوية ، والصرفية ، والبلاغية. وما حفظ القواعد إلا وسيلة لتحقيق التعبير باللغة عن جوانب الحياة المختلفة ، وهذه هي الغاية التي من أجلها فُقدت القواعد ، ودُونت الدواوين.

يقع البحث في تمهيد ، وثلاثة محاور ، يتناول أولها مشكلات صوتية ، والثاني مشكلات صرفية ، والثالث مشكلات نحوية . تناول التمهيد تعريفاً مختصراً بالصومال ، ودخول الإسلام إليه ، والعلاقة بين اللغة العربية واللغة الصومالية التي تعود كثير من كلماتها إلى اللغة العربية محافظة على أصلها العربي ، أو طارئاً عليها تغيير في البنية ، أو الصوت ، حيث انتقلت هذه الكلمات من العربية العدنانية إلى الصومالية. أشار البحث إلى بعض الدراسات التي تعد الصومالية من اللغة العربية البائدة ، وألمح إلى ما قام به المستعمر من عزل للصومال عن محيطه العربي والإسلامي ، وحيد من انتشار اللغة العربية فيه . توصل البحث إلى عدة نتائج منها: أن هذه المشكلات اللغوية غير مستعصية ومن الممكن تجاوزها إذا تم التنبيه عليها، ومنها أن الصومالية حفظت أصواتاً عربية عتيقة (الضاد، الطاء) وهي غير موجودة في العربية المعاصرة بصفاتها القديمة ؛ لما أصابها من التطور . أوصت الدراسة باعتماد التدريس باللغة العربية ، وعدم الاستعاضة عنها باللغة المحلية ، لاسيما في تدريس علوم اللغة العربية المختلفة ، كما أوصت بتشجيع الطلاب على التحدث بالعربية ، وتعزيز ثقتهم بأنفسهم ؛ حتى يتمكنوا من تطبيق القوانين اللغوية في الحوار والإنشاء والكتابة. اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على من بعث بالهدى والنور والدين نبينا محمد سيد الأولين والآخرين. وبعد فهذا بحث بعنوان : مشكلات تعلم اللغة العربية في الصومال - معهد اللغة العربية للناطقين بغيرها جامعة جولة فرع مدينة برعو نموذجاً ، أحببت أن أسهم به في توضيح بعض المشكلات اللغوية التي وقفت عليها ، وأحاول أن أقدم لها مقترحات حلول لعلها تعمل على تذليلها ومعالجتها.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية موضوع البحث في تنبيهه على مشكلات لغوية ماثلة ، وسعيه لحلها ، ومساعدة المتعلمين على تجاوزها بمعرفة الصواب اللغوي ، ومن ثم الالتزام به ؛ حفاظاً على بنت عدنان من التغيير والتبديل .

أسباب اختيار الموضوع:

- ما لمست من مشكلات تواجه دارس العربية الصومالي - دعاني إلى البحث عنها ، ومحاولة معرفة أسبابها.
- انتشار الأخطاء اللغوية بين متعلمي العربية الصوماليين ، ومستخدميها وهو ما استلزم التنبيه عليها ، والسعي لمعالجتها.
- قلة الاهتمام بالتحدث بالعربية ، والاكتفاء بحفظ القواعد اللغوية ، وتدريس علوم اللغة العربية المحلية ، وهذا هو السبب المباشر في عدم قدرة الكثير من الصوماليين على التعبير بالعربية .

أهداف البحث:

- الوقوف على العلاقة بين اللغة العربية واللغة الصومالية.

- الوقوف على الآثار السالبة التي ترسنت على محاربة المستعمر للغة العربية في الصومال .
 - توضيح المشكلات اللغوية التي يعاني منها دارس اللغة الصومالي.
 - الحث على الاهتمام باللغة المنطوقة ، وعدم الاستعاضة عنها بمعرفة القواعد اللغوية.
- أسئلة البحث :**

- ما العلاقة بين اللغة العربية واللغة الصومالية ؟
- ما المشكلات اللغوية التي تواجه متعلمي اللغة العربية الصوماليين ؟
- ما الحلول المناسبة لمعالجة هذه المشكلات ؟
- ما الآثار السالبة المترتبة على تدريس علوم العربية باللغة المحلية ؟

فروض البحث :

المشكلات اللغوية في الصومال يمكن إيجاد حلول لها بإرشاد المتعلمين إلى الصواب اللغوي .

هيكلية البحث :

يتكون البحث من تمهيد وثلاثة محاور ، ومقدمة وخاتمة . يتناول التمهيد علاقة اللغة الصومالية باللغة العربية ، والمحور الأول بعنوان : مشكلات صوتية ، والثاني بعنوان : مشكلات صرفية ، والثالث بعنوان : مشكلات نحوية.

منهج البحث: اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

تمهيد : العلاقة بين اللغة العربية واللغة الصومالية

تعد جمهورية الصومال إحدى دول القرن الإفريقي ، وهي دولة مسلمة، و عضو في جامعة الدول العربية . ولا يعرف على وجه التحديد تأريخ دخول الإسلام إلى الصومال ، إلا أن المؤرخين أجمعوا على نقطتين :

الأولى : أن الإسلام دخل الصومال في القرنين الأول والثاني

الثانية : أن الإسلام لم يدخل الصومال عن طريق القتال ، وإنما عن طريق الدعوة السلمية المباشرة . دلت البحوث على أن كثيرا من مفردات اللغة الصومالية عربية الأصل انتقلت من العربية القديمة ، ومن العربية العدنانية إلى الصومالية ، مع تغيير في بعض هذه المفردات في الصوت أو البنية، وبغض النظر عن صحة هذه المعلومة ، أو عدم صحتها ، فإن من الثابت وجود التشابه الكبير بين اللغتين ، وربما نتج ذلك عن التأثير والتأثر، أو أن الصومالية فرع العربية كما مر . فعلى المستوى الصوتي ليس عند الصوماليين ما سماه الفيروز أبادي بحرف العجز والضرورة 1، وهو أن ينطق الحرف بصيغة حرف آخر ؛ لعجز الناطق عن نطق الحرف الأصلي كان ينطق الذال زايا أو العكس ، وذلك خلافا لغالب الأعاجم الذين يشق عليهم نطق بعض الحروف خاصة حروف الحلق.

كتابة اللغة الصومالية:

قام الشيخ يوسف الكونين بترجمة حركات التهجي العربية إلى الصومالية ، وذلك قبل أكثر من سبعة قرون خلت ، وتبعه آخرون منهم السيد محمد عبد الله الحسن ، ومحمد يabal ، ولم تزل هذه الأبجدية قائمة حتى جاء المستعمر الذي حارب اللغة العربية أشد محاربة ، وكان يعتقل كل من يستخدم الأبجدية العربية في كتابة اللغة الصومالية ؛ فعل هذا كرها للعربية وحسدا لها ، وعزلا للشعب الصومالي عن محيطه العربي . ومازالت الحرب قائمة حتى عام 1973م ، والذي أعلن فيه كتابة اللغة الصومالية بالحرف اللاتيني 1 ، وهو قرار لم يراع رغبة الشعب الصومالي المحب للغة العربية ، والمستمسك بدينه القويم ، ويعد استهدافا واضحا للإرث الحضاري والتأريخي للشعب الصومالي . ولو بقيت الصومالية مكتوبة بالحرف العربي لكانت الصلة بين اللغتين أقوى مما هي عليه الآن ؛ لأن الكتابة إحدى المهارات اللغوية التي لا يتحقق تمكن الإنسان من اللغة إلا إذا إتقناها ، ولما كان هناك انقطاع بين الماضي والحاضر ، وهذا الانقطاع هو نتاج طبيعي لاختلاف لغة الوثائق بين الأمس واليوم ، ومعلوم أن الكتابة جزء مهم من الهوية اللغوية للأمة .

المحور الأول : مشكلات صوتية :

يعد علم الأصوات أحد فروع علم اللغة ، بل هو الفرع الأول من فروع علم اللغة ؛ لأن تعلم أي لغة يبدأ من تعلم أصواتها التي تتألف منها ، وقد عرفه الدكتور رمضان عبد التواب بأنه : " العلم الذي يدرس الأصوات اللغوية ، من ناحية وصف مخرجها ، وكيفية حدوثها ، وصفاتها المختلفة ، التي يتميز بها صوت عن صوت ، كما يدرس القوانين التي تخضع لها هذه الأصوات في تأثرها بعضها ببعض عند تركيبها في الكلمات أو الجمل " 1 . اهتم علماء العربية بهذا العلم قديما وحديثا ؛ حيث أولاه الخليل بن أحمد (ت 175 هـ) عناية خاصة ، حتى استحق أن يوصف برائد علم

الأصوات في العصر الأول ، فهو الذي غني بدراسة الأصوات ، وموسيقى اللغة ؛ وذلك بدراسته للأوزان الشعرية ، واستخراجه بحور الشعر ، وتأليفه معجم العين الذي رتبته ترتيبا صوتيا حسب المخارج ، يقول عنه تلميذه الليث بن المظفر : " وإنما كان ذواقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف نحو أب أت أح أع أغ فوجد العين أدخل الحروف في الحلق فجعلها أول الكتاب " 1 .

ويليه جهد سيبويه الذي عقد في كتابه بابا للإدغام ، يقول عن جهوده الحرفية : " وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه وما تبدله استئقالا كما تدغم وما تخفيه وهو بزنة المتحرك " 1 .

بعد الخليل وسيبويه يأتي الدور الذي لعبه أبو الفتح عثمان بن جني من خلال كتابه سر صناعة الإعراب . وأما المحدثون من الباحثين العرب فقد بذلوا جهودا لا تخطئها العين في الدراسة الصوتية ، ومن أهمها كتاب الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس صدر عام 1947م ، وهو أول كتاب كامل عن الدراسة الصوتية ، ومنها كتاب مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان ، حيث عقد فيه فصلا بعنوان : مناهج الأصوات ، ومنها فقه اللغة لمحمد المبارك ، وبه فصل للأصوات اللغوية ، وغيرها من الجهود التي استشعر أصحابها أهمية الدراسة الصوتية . بالنظر إلى متعلمي العربية في الصومال لم ألاحظ عجزاً عن نطق أي حرف من حروف العربية ؛ ويشهد لذلك قراءتهم القرآن غضا طريا كما أنزل ، وهذا ما يحفز على التنبيه على الأخطاء ؛ طالما هناك قدرة على تجنبها ، والتزام الصواب اللغوي . علما بأن بعض الناطقين بغير العربية يعجزون عن تحقيق نطق بعض حروفها . بالرغم من عدم عجز الصوماليين عن نطق أي حرف من حروف العربية - نجد بعض الحروف التي طالها التغيير ، في الصفة أو المخرج ، ومن ذلك الحروف التالية :

1 / الثاء ، وهذا الصوت فُقد في بعض اللهجات العامية السائدة في المجتمعات العربية المعاصرة ، واستعيض عنه فيها بالطاء 1 ، وحدث له الأمر نفسه في اللغة الصومالية ، مثال ذلك قولهم (تون) للثوم بالإبدال في الثاء والميم ، وفي كثير من الكلمات يبدل الصوماليون صوت الثاء سينا ، كما هو الشأن في العاميتين السودانية والمصرية ، فما السر في تغيير هذا الصوت ، والاستعاضة عنه تارة بالطاء ، وأخرى بالسین ، رغم سهولته مخرجا وصفة ؟ .

2 / الجيم وهو صوت غاري انفجاري مجهور 1 . يصف رمضان عبد التواب حرف الجيم بالحرف المزدوج حيث يقول : " هذا الصوت يجمع بين الشدة والرخاوة ، بمعنى أنه يبدأ شديدا انفجاريا ، وينتهي رخوا احتكاكيا ، ولهذا نسميه بالصوت المزدوج ، كما يسميه آخرون بالصوت المزجي أو الصوت المركب ... وفي اللغات الأخرى نظائر لهذا الصوت ؛ مثال ذلك في الإنجليزية ch " 1 . سُلبت الجيم في استعمال الصوماليين صفة الجهر التي تمتاز بها

الجيم الفصحى ، وهو ما جعلها مماثلة تماما لنطق الحرف الانجليزي ch ؛ لخلوها التام من صفة الجهر . تجدر الإشارة هنا إلى أن اللهجة الصومالية ليست وحدها في تغيير حرف الجيم ، بل يُعدّ تغييرها الأخف إذا ما قورن بالجيم القاهرية ، والجيم الشامية المشبهة لصوت الشين .

قال المهدوي : " إن الشين تلي الكاف ، والجيم والياء يليان الشين ، وهذه هي الحروف الشجرية 1 " . ويقول عبد الصبور شاهين " ليس من الممكن بالتجربة نطق صوت من وسط الفم من مخرج الشين والياء وهو مجهور ؛ نظرا لعدم تحكم اللسان في هذه المنطقة من الفم في الهواء المحتبس تحكما كاملا شديدا بما يحدث في الكاف أو القاف (من أصوات أقصى الفم) ، أو بما يحدث في التاء أو الباء (من أصوات مقدم الفم) مثلا . فإذا أراد الناطق إحداث هذا الصوت الانفجاري في هذه المنطقة الوسطى ، لحقت شدة الصوت أثارة من رخاوة ، هي التي جعلت الجيم الفصحى توصف بأنها معطشة ، أو مركبة مزدوجة الصفة " 1 .

والنصان عاليه يؤكدان أن الجيم الفصحى هي المعطشة التي نسمعها في تلاوة القرآن الكريم ، وليست الجيم القاهرية التي تنطق كافا مجهورة كالحرف الانجليزي (g) ، ولا الجيم الشامية . وفي ذلك رد على ما ادعاه رمضان عبد

التواب من أن الجيم القاهرية هي الأصل ، والجيم الفصحى متطورة عنها ، وذلك بقوله : " والظاهر أن صوت الجيم المزدوج هذا (يقصد الجيم الفصحى) ، ليس أصليا في اللغة العربية القديمة ، وإنما هو متطور عن جيم تشبه نطق المصريين لهذا الصوت . والدليل على ذلك مقارنة اللغات السامية الأخرى ، كالعبرية والسريانية والحبشية ، فصوت الجيم في هذه اللغات صوت شديد يشبه نطق المصريين " 1 . وهذا الكلام فيه نظر ، فكيف يهمل وصف الجيم الفصحى ، والذي أوضح أنها من شجر اللسان بعد الشين ، والأهم من ذلك ما نجده في تلاوة القراء المجيدين ، حيث لم يسمع من أحدهم القراءة بهذه الجيم القاهرية ، وهم الذين تلقوا القراءة مشافهة جيلا بعد جيل . مما يجدر ذكره هنا

أن الجيم القاهرية لها وجود أيضا في استعمال الصوماليين ، كما في نطق كلمة (هرجيسا) وهي عاصمة صومالاند ؛ حيث تنطق جيما قاهرية .

3- الزاي وهو صوت رخو مجهور مرقق ، يتم نطقه بوضع طرف اللسان في اتجاه الأسنان ، ومقدمته مقابل اللثة العليا ، ويشاركه السين في مخرجه وصفته بيد أنه مهموس 1. يبدل الزاي سينا في نطق الصوماليين كقولهم : (حمسة ، والسبير ، وسينب ، وعبد العسيس ، وعبد الرساق ... إلخ) في (حمزة ، والزبير ، وزينب ، وعبد العزيز ، وعبد الرزاق) . لكن الصوماليين ليسوا وحدهم من يبدل الزاي سينا ، فالعاميتان السودانية والمصرية فيهما كلمات تم فيها إبدال الزاي سينا ، كما في كسبرة وهي كزبرة اسم لبقلة تضاف إلى بعض الأطعمة 1 .

وهذا النطق يفي بالغرض ، ويحقق الفهم والإفهام ، لكنه قطعاً يمتد إلى تمثيل الفصحى ؛ فاعتياد اللسان على نطق صوت متغير في العامية له تأثيره السالب في الفصحى ، وأشد منه أن يحدث التغيير في أسماء الله ، أو يؤدي إلى معنى محذور ، كما في عبد العسيس ، والعسيس الذئب ، قال في اللسان : " والعسوس والعسيس الذئب الكثير الحركة والذئب العسوس الطالب للصيد ويقال للذئب العسوس والعسوس لأنه يعس الليل ويطلب وفي الصباح العسوس الطالب للصيد قال الراجز واللعلل المتهتبل العسوس وذئب عسوس وعسوس وعسوس طلب للصيد بالليل وقد عسوس الذئب طاف بالليل 1 . وقال في التهذيب : " والعسيس : الذئب الكثير الحركة 1 . وأسماء الله يجب أن تنزه عن كل تغيير ، لاسيما إذا أفضى إلى معنى محذور . يقول الدكتور حسن الملح : " لم يحفظ عن العرب - في حدود علمي - النسب إلى لفظ الجلالة (الله) كما هو ، بل شاع عنهم عند النسبة إليه إرجاع الهمزة المحذوفة ، فقالوا : (إلهي ، والإلهي) إذ يعيد النسب الحروف المحذوفة من الكلمة أحيانا ... ويبدو أن المانع احترازي لا تحقيقي ؛ ذلك أنه يخشى من تشابه الصورة الإملائية عند النسب إلى لفظ الجلالة . (الله) كما هو ، بالصورة الإملائية للاسم المنقوص اللاهي اسم فاعل من الفعل (لها يلهو) 1 . ومعلوم صرفاً أن ياء المنقوص تحذف في الوقف والشعر ؛ وبالتالي ستصبح صورة اسم الفاعل من لها يلهو (اللاه) ، ولولا حذف الألف من لفظ الجلالة ؛ لشابهت صورته صورة هذا الاسم ، الأمر الذي يسبب اللبس .

4- الطاء : هو صوت مهموس مفخم وهو المقابل للمفخم للتاء هذا هو وصفه الحالي لكن القدماء وصفوه بأنه شديد مجهور مفخم ، يقول سيبويه : " ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا 1 ، وهذا يبين أنه نظير الدال المفخم عند سيبويه ، خلافاً لما هو عليه الآن من كونه نظير التاء المفخم كما تقدم .
يميل علماء اللغة المحدثون إلى أن هذا الصوت أصابه التطور ، فاختلف عما كان عليه في السابق ، وصار إلى ما هو كائن اليوم . يرى برجشتراسر أن حرف الطاء القديم انمحي وتلاشى تماماً 1 ، ويخالفه شاده الذي يؤكد وجوده في جنوب الجزيرة العربية بقوله : " سكان جنوب الجزيرة العربية مثلاً ، يلفظون الطاء وكأنها ضاد المصريين ، والقاف كأنها جيم المصريين بإطباق ، فيقولون مثلاً : (وجع فوجنا مضر) يعني : وقع فوقنا مطر ، أو (قضعت ورجة) أي : قطعت ورقة . ومثل ذلك يصح عن غير لهجة جنوب جزيرة العرب ، من اللهجات العصرية 1 . وما ذكره شاده نجده مثلاً في نطق الصوماليين للطاء فهي عندهم دال مفخمة أحيانا ، وبغير تفخيم عند بعضهم ، فيقولون مثلاً : (داهي) في طه ، وآخر اسمه (خضر) كتبه خطر ؛ لعدم تمييزه بين الحرفين ، و(توجدبر) في توجطير (اسم إقليم في الصومال) ينطقونها دالا تخرج من طرف اللسان مع احتكاك بالثة ينحرف معه طرف اللسان إلى الخلف انحرافاً يسيراً ، وهذه الدال تخالف الدال العربية المعروفة ، وقريبة جداً من الضاد الحالية ، وينطقها بعضهم ضادا تماماً ؛ وذلك خلافاً لغالب الأعاجم الذين ينطقون الطاء تاء .

وبهذا تكون الصومالية قد حفظت مع لهجات جنوب الجزيرة العربية نطق الطاء العتيق ، كما حفظت نطق الضاد العتيق التي تنطق لاما في الصومال ، يقولون : (فرل) في فرض ، و(لد) في ضد ، و(عول) في عوض ، و(حيل) في حيض . يقول رمضان عبد التواب متحدثاً عن وصف الضاد القديمة : " ويبدو من وصف القدماء لها ، ومن تطورها في بعض اللهجات واللغات ، أنها كانت لاما مطبقة 1 . ويقول المستشرق هنري فليش : " ولقد كان العرب يتباهون بنطقهم الخاص لصوت الضاد ، وهو عبارة عن صوت مفخم ، يحتمل أنه كان ظاء جانبية أي أنه كان يجمع الطاء واللام في ظاهرة واحدة ، وقد اختفى هذا الصوت فلم يعد يسمع في العالم العربي ، وأصبح بصفة عامة إما صوتاً انفجارياً ، هو مطبق الدال ، وإما صوتاً أسنانياً هو الظاء 1 . ونسبة لهذا التقارب بين الضاد القديمة واللام جاء عن العرب الإبدال بينهما ، كما في (الطجع) في (اضطجع) قال في الصحاح : " قال المازني : بعض العرب يقول : الطجع ، ويكره الجمع بين حرفين مطبقين ، ويبدل مكان الضاد أقرب الحروف إليها وهي اللام 1 .

5- الميم : حرف الميم يبدل نونا عند الصوماليين فمثلا يقولون : (تون ، آدن ، قلن ، عبد الحكين ، عبد الكرين ، عبد الرحين) في (ثوم ، آدم ، قلم ، عبد الحكيم ، عبد الكريم ، عبد الرحيم) والنون والميم يختلفان مخرجا ، فالنون تخرج من طرف اللسان ، بينما تخرج الميم من الشفتين ، لكنهما متفقان في الغنة ، ولعل سبب الإبدال هو هذا الاشتراك في الغنة .

المحور الثاني : مشكلات صرفية

علم الصرف من أهم علوم العربية ؛ لأنه المتكفل بحفظ بنية الكلمة ، وبيان جذرها اللغوي ، ووزنها الصرفي ، وما فيها من حذف ، وزيادة ، وقلب ، وإعلال أو إبدال ، وصحة واعتلال ، وله مقاييسه وضوابطه التي تبين الواجب ، والجائز ، والمحظور .

وبعد التأمل والملاحظة لتعاطي دارس العربية الصومالي للغة ؛ تبين أن بعض المشكلات الصرفية التي تحتاج من الدارس أن ينتبه لها ؛ ليتمكن من تمثيل العربية كما ينبغي ومن هذه المشكلات ما يلي :

1- القلب المكاني : وهو أن يجعل واحد من الفاء والعين واللام في موضع الآخر 1 والقلب ظاهرة لغوية معروفة . والناظر إلى اللغة الصومالية يجد القلب واضحا في كلمات ذات أصل عربي ، إلا أن القلب أحالها إلى العجمة ، حتى صارت لا تعرف إلا بعد ملاحظة وتأمل ، فمن ذلك مثلا : (نعمة ، حويان ، ملعام ، إربة ، ملقعة) في نعمة ، وحويان ، وملعام (مركز تحفيظ القرآن الكريم) ، وإربة ، وملقعة . من خلال عملي في تدريس اللغة العربية في الصومال ؛ تبين لي أن القلب يعد ظاهرة لا تخطئها العين في سلوك دارس اللغة الصومالي ، وفيما يلي أقدم أمثلة لما سمعته مقلوبا : (أسماك ، أشعاب ، يتقلب ، يتخلص ، هجر ، وفق) في أسماك ، أعشاب ، يتقلب ، يتخلص ، جهر ، وقف - وهذا التغيير بالقلب يسبب خلطا بين المعاني المختلفة ، مما يؤثر سلبا في التواصل اللغوي -

2- الخلط بين الماضي والمضارع : ينقسم الفعل إلى ماضٍ ومضارع وأمر ، ولكلٍ علاماته ، ودلالته الخاصة ، يقع بعض الدارسين في الخلط بين الفعلين الماضي والمضارع ، فيستخدمون الماضي في موضع المضارع أو العكس ، قال أحدهم - في حديث له عن نصرة أم المؤمنين خديجة لرسول الله ﷺ - تقف خديجة إلى جانب رسول الله ، وتنطلق معه إلى ما يريد ، وذلك في موضع لا يصلح فيه إلا الماضي ، ومن ذلك استخدام الفعل الماضي مع الحدث المتكرر ، والذي لا يناسبه إلا الفعل المضارع ، كقول بعضهم : استيقظت كل يوم قبل صلاة الفجر ، وصليت الفجر مع الجماعة ، وقرأت جزءا من القرآن الكريم .

3- الجمع : وهو اسم ناب عن ثلاثة فأكثر ، بزيادة في آخره ، مثل : (كاتبين ، وكاتبات) ، أو تغيير في بنائه ، مثل : (رجال وكتب وعلماء) وهو قسمان : سالم

ومكسر 1- والجمع له مباحثه ، وأحكامه الخاصة التي بينها الصرفيون معتمدين على المسموع والمقيس من كلام العرب الفصحاء -

من مشكلات الدارس الصومالي الجمع على غير قياس ولا سماع ، كجمع غير العاقل جمع مذكر سالما نحو قول بعضهم : جبال شاهقون ، وقياسها شاهقات أو شاهقة ؛ لأنها صفة غير العاقل 1 ، وقول بعضهم : قريات في جمع (قرية) ، وجمعها الذي ذكرته المعجمات ، وورد في القرآن الكريم هو (قرى) قال الفيومي : " و"الْقَرْيَةُ" هي الضيعة وقال في كفاية المتحفظ : "الْقَرْيَةُ" كل مكان اتصلت به الأبنية واتخذ قرارا وتقع على المدن وغيرها والجمع "قُرًى" على غير قياس قال بعضهم ؛ لأن ما كان على فعلة من المعتل فبابه أن يجمع على فعال بالكسر مثل ظبية وظباء وركوة وركاء "1 ، وقول بعضهم : (مدينات) في جمع مدينة ، والمسموع (مدن ومدائن) ، جاء في اللسان : " والمدينة الحصن يبني في أصطمة الأرض مشتق من ذلك وكل أرض يبني بها حصن في أصطمة فهي مدينة والنسبة إليها مديني والجمع مدائن ومُدُن "1 . وأما (مدينات) _ وإن كان القياس لا يأباه _ فإن السماع لا يسنده حسب اطلاعي ، ومن المعلوم أن السماع مقدم على القياس ، ومنه قول بعضهم : (خدمات) في جمع خادم ، و(صديقات) في جمع صديق .

4- التذكير والتأنيث : يخلط بعض الدارسين بين المذكر والمؤنث ، في نحو : هذا ، وهذه ، وهذان ، وهاتان ،

وكذلك إسناد الأفعال إلى الضمائر ، حيث يقع الضمير المذكر موقع المؤنث ، أو العكس ، كقول أحدهم : (النساء يريدون) ، أو استخدام ضمير العاقل لغير العاقل ، قال أحدهم : - وهو يتكلم عن عقبات الزواج - ذكرت هذه العقبات ؛ لظهورهم في المجتمع ، يقصد : لظهورها في المجتمع .

المحور الثالث : مشكلات نحوية

1/ التعدي واللزوم ، وهما من الأبواب التي تدرس صرفاً من حيث كونهما من حالات بنية الفعل، كما تدرس نحواً بالنظر إلى الحاجة إلى المفعول ، أو الاستغناء عنه - وعلاقة بنية الفعل بالتركيب النحوي علاقة تلازمية لا تقبل الانفكاك - عرف النحاة الفعل المتعدي بقولهم : " المتعدي هو الذي يصل إلى مفعوله بغير حرف جر نحو ضربت زيدا " ، واللازم بقولهم : " ما لا يصل إلى مفعوله إلا بحرف جر ، مثل : مررت بزيد ، أو لا مفعول له ، مثل قام زيد " 1 - لا يفرق كثير من الصوماليين بين المتعدي واللازم ، حيث يعدون أفعالاً لازمة لا تصل مفاعيلها إلا بوساطة حرف جر ، أو لا تحتاج إلى المفعول أصلاً ، وذلك نحو قولهم : (نتصلك ، نرحبك ، نسلمك ، نستفيدك ، سبح ماء ، تفقه علوم الشريعة ، شعرت ألماً ، أحس ألماً ، التحقت جامعة كذا ، سببنا كذا ، شرحني ، كتبني ... إلخ) ، والمراد على التوالي نفسه : (نتصل بك ، نرحب بك ، نسلم عليك ، نستفيد منك ، سبح في ماء ، تفقه في علوم الشريعة ، شعرت بآلم ، أحس بآلم ، التحقت بجامعة كذا ، سبب لنا كذا ، شرح لي ، كتب لي) . والأمثلة عالية رصدها من خلال متابعة الدارسين ، ومن خلال المحادثة مع شرائح المجتمع المختلفة في مستوياتها التعليمية ؛ مما يشير إلى أنها ظاهرة عامة ؛ تستوجب التنبيه والمعالجة -

أحياناً يحدث خلط بين الحروف التي تتعدى بها الأفعال بحيث يوضع حرف مكان آخر ، نحو قول بعضهم : (التحقت عن الجامعة) مراده بالجامعة ، وقول آخر (نظر به) يريد (نظر إليه) ، وقول ثالث : (جاء في أميركا) ، يقصد جاء من أميركا . ومثل هذا كثير ، فبعض الطلاب لا يفرق بين : ذهب به ، وذهب إليه ، وذهب معه ، ورجب فيه ، ورجب عنه ، ووقف معه ، ووقف عليه .

2/ حذف المفعول به : كثيراً ما يحذف المفعول به في تعاطي الدارس الصومالي ، سمعت أحدهم يقول : (اجعل ثلاثة) ، في حديثه عن دمج فصول في بعضها ، وقصده : اجعلها ثلاثة ، وقول آخر : (أرسلت إليك رسالة لتتظر) ، يقصد لتتظر إليها ، وقال آخر : - في حديث عن غلاء المهور - الحفل الكبير الذي تريد المرأة ، يعني : تريده

3/ الضمائر : يحدث خلط بين الضمائر ، فيقع الغائب في محل المتكلم ، أو المؤنث في محل المذكر ، أو المفرد في محل ضمير التثنية أو الجمع ، كما يقع الخطأ في المواقع الإعرابية للضمير ، مثل عدم التفريق بين ضمير النصب ، وضمير الرفع في : (أكرمنا ، و أكرمنا) .

4/ التعريف والتذكير : ويحدث هذا غالباً بين الصفة والموصوف ، فقد يكون الموصوف معرفة ، وتأتي الصفة منكراً ، أو العكس ، مع أن التطابق بين الصفة والموصوف لازم في التعريف والتذكير ، وهذه أمثلة للأخطاء في التعريف والتذكير : (رحلة القادمة ، العلوم شرعية ، موضوع التاريخي ، صعوبات المالية ، مدرسة إمام البخاري) ، في : (الرحلة القادمة ، والعلوم الشرعية ، والموضوع التاريخي ، والصعوبات المالية ، ومدرسة الإمام البخاري) . ويلاحظ هنا عدم التفريق بين النعت والمنعوت ، والمضاف والمضاف إليه ، قال أحدهم : (السن الدراسة) يعني : سن الدراسة ، لكنه جعل الدراسة نعتاً للسن ، وهي مضاف إليه .

يضاف إلى ما تقدم أخطاء في الدلالة ناتجة عن ضعف التمييز بين الكلمات التي تتشابه شكلاً ؛ لاشتراكها في الجذر ، أو في بعض الحروف ، وذلك نحو : أبيض وبيض ، وربوة وربو ، وحدث وحدث ، ودرس ودرّس ، وخارج ومخرج ، وعقبة وعقوبة ، ووصل ، وإلى غير ذلك مما لا يتسع المقام لذكره .

خاتمة البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على من بعثه الله هادياً وبشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً - نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً . وبعد

فهذه خاتمة هذا البحث الذي جاء بعنوان : مشكلات تعلم اللغة العربية في الصومال معهد اللغة العربية بجامعة جولة فرع مدينة برعو نموذجاً ، وتتضح مشكلته من كونه يحاول تتبع المشكلات اللغوية التي يعاني منها الطلاب في المعهد المذكور مع محاولة تقديم حلول لها ، وقد هدفت الدراسة إلى عرض هذه المشكلات عبر تقسيمها إلى مشكلات : صوتية ، وصرفية ، ونحوية ، معتمدة في تحقيق أهدافها على المنهج الوصفي التحليلي ، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج تتمثل فيما يلي :

- يعود عدد كبير من كلمات اللغة الصومالية إلى اللغة العربية ، مع تغيير في بنية أو حروف بعض هذه الكلمات .
- لا يجد الصوماليون عسراً في نطق أي حرف عربي ، وهذا يسهل من التزام الصواب اللغوي دون مشقة تذكر ، إذا تم التنبيه إليه ، وتوافرت الرغبة في التزامه .

- أهم مشكلات تعلم اللغة العربية في الصومال ، هي إهمال اللغة المنطوقة والاكتفاء بحفظ القواعد، يليها في الأهمية القلب المكاني ، والتعدي واللزم .
- حفظت الصومالية - مع نظيراتها من لهجات جنوب الجنوب العربية - أصواتا عربية عتيقة تطورت في اللغة العربية المعاصرة ، فخالفت وصفها الثابت عند اللغويين الأوائل ، وتمثل ذلك في صوتي (الضاد والطاء).
- التوصيات : أوصي الحاديين على العربية في الصومال ، وطلاب العلم ، والباحثين والعلماء بما يلي:
- الاستفادة من وسائل الإعلام المختلفة في تقديم برامج لغوية تعليمية .
- وضع مناهج محلية لمعاهد تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها ؛ لأن المناهج الوافدة لا تلبي حاجة الدارس المحلي؛ لعدم اصطحابها مشكلاته اللغوية .
- تدريس علوم العربية باللغة العربية ، وعدم الاستعاضة عنها باللغة المحلية .
- تشجيع الطلاب على التحدث بالعربية ، والتعبير بها عن مختلف أغراض الحياة نطقا وكتابة ؛ إذ الأصل في اللغة أن تكون منطوقة ، وليس من الممكن الاستغناء عنها باللغة المكتوبة ؛ لأن الكتابة فرع عن النطق .

قائمة المصادر والمراجع

- أصوات اللغة بين اللهجات والفصحى ، د رمضان عبد الله رمضان (مكتبة بستان المعرفة - الإسكندرية- ط1)
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، تحقيق محمد علي النجار - (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية -لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة 1416_ 1996م)
- تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (دار العلم للملايين - بيروت ط4-1407هـ-1987م)
- تحريفات العامية للفصحى ، شوقي ضيف (دار المعارف - القاهرة)
- التطور النحوي مظاهره وعلمه وقوانينه ، د. رمضان عبد التواب (القاهرة - 1981م)
- تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، (دار إحياء التراث العربى- بيروت - ط1 -2001م) .
- جامع الدروس العربية ، الشيخ مصطفى الغلاييني (المكتبة العصرية ، 1414هـ-1993م صيدا -بيروت ط28)
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد (دار الفكر- دمشق- الطبعة الثانية ، 1985)
- شرح نقره كار على مجموعة الشافعية في علمي التصريف والخط ، أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب ، تحقيق محمد عبد السلام شاهين (دار الكتب العلمية - بيروت)
- العربية الفصحى ، هنري فليش اليسوعي ، ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين (بيروت- 1966م)
- علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ، محاضرة للمستشرق الألماني (شاده) (صحيفة الجامعة المصرية - السنة الثانية 1931م) ص13، نقلا عن المخل ، رمضان عبد التواب
- العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي (دار ومكتبة الهلال)
- في التطور اللغوي ، عبد الصبور شاهين ، (بيروت- مؤسسة الرسالة- 1985م)
- الكتاب ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه ، تحقيق عبد السلام محمد هارون (دار الجيل - بيروت)
- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، تحقيق : عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله + هاشم محمد الشاذلي ' (دار النشر : دار المعارف - : القاهرة) .
- المحظورات اللغوية ، حسن خميس الملخ ، سهى فتحي نعجة (عالم الكتب الحديث - إربد- الأردن- ط1 -2015م)
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، د رمضان عبد التواب ، (مكتبة الخانجي - القاهرة- ط2 1405هـ - 1985م)
- المصباح المنير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ ، دراسة و تحقيق : يوسف الشيخ محمد، (الناشر: المكتبة العصرية)
- ندوة التعليم الإسلامي في إفريقيا، مركز البحوث والترجمة بجامعة إفريقيا (الخرطوم 1412هـ- 1992م)
- النشر في القراءات العشر ، أبو الخير محمد بن محمد المعروف بابن الجزري (دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان)

السياسة اللغوية في موريتانيا

(مساهمة في وصف الوضع اللغوي في التعليم والإعلام)

د محمد عبد الله محمد الشيخ

E-mail: macheikh.mabdellahi@gmail.com

تشهد موريتانيا منذ استقلالها عن فرنسا مطلع الستينات من القرن العشرين، نقاشا محتدما - لا يكاد يخفت - حول الهوية اللغوية للدولة، أدى في بعض الأحيان إلى انقسامات اجتماعية حادة، واضطرابات أثرت على قدرة صانع القرار على الحسم والاختيار النهائي بين العربية: اللغة الأم لأغلبية السكان، أو الفرنسية: لغة الإدارة الموروثة عن فرنسا، ولغة التكوين لكثير من أفراد النخبة الحاكمة.

ورغم أن "بلاد شنقيط (موريتانيا) كانت في القرون الثلاثة الأخيرة مختصة بالدراسات اللغوية والأدبية بالمقارنة مع سائر البلاد العربية"1، ورغم أن دستور البلاد قد حسم القضية نظريا منذ 1991م، حين نص في المادة السادسة منه على أن "اللغة الرسمية هي العربية"1، إلا أن ذلك لم يكن كافيا لتخفيف الانقسام الاجتماعي حول المسألة اللغوية، ولم تفلح جهود النخبة الوطنية بعد في كبح جماح اللغة الفرنسية التي ما زالت مهيمنة على التعليم بشكل شبه كامل، وعلى الإدارة بصفة أقل من ذلك بقليل، في مقابل احتفاظ العربية بالنصيب الأوفر من الفضاء الإعلامي خالصا لها، مع حضور ملحوظ للهجات المحلية، وآخر محدود للفرنسية، على نحو ما ستفصله الورقات القادمة.

في هذا الواقع اللغوي المركب، بفعل تداخل تأثير النزعات القومية، والنفوذ الأجنبي، والمصالح المحلية والأجنبية المتعارضة، تروم هذه الورقة تقديم قراءة واصفة للحالة اللغوية الراهنة في مجالي التعليم والإعلام في موريتانيا، بوصفهما من أهم نقاط الاشتباك في الصراع اللغوي في البلاد، ويتحدد الغرض من ذلك في وضع الإصبع على مستوى حضور كل لغة في المجالين التعليمي والإعلامي، تمهيدا لمحاولة رسم حدود النفوذ اللغوي بين قطبين: تمثل الأول منهما اللغة العربية التي تحظى بوجود راسخ في هوية الشعب وتاريخه، واللهجات المحلية بصفاتها لهجات تخاطب يومي بين فئات من النسيج الاجتماعي الموريتاني، ويتمثل الثاني في اللغة الفرنسية التي فرضت نفسها بقوة الدولة الغازية التي حكمت البلاد ومحيطها الإقليمي خلال النصف الأول من القرن العشرين، وأرادت إلى جانب الهيمنة على ثروات المنطقة، إحلال هويتها الثقافية بقوة سلطان الأمر الواقع، بديلا للهوية الثقافية والحضارية لشعوب هذه المنطقة.

وفي هذا سيدور الحديث على محورين أساسيين: يصف الأول منهما حالة لغة التدريس الراهنة في مراحل التعليم الأساسي الثلاث في موريتانيا: الابتدائية والإعدادية، والثانوية، وينصب الاهتمام في الثاني على وصف واقع لغة الخطاب في الإعلام العمومي المرئي والمسموع، ممثلا في قناة الموريتانية وإذاعة موريتانيا.

المحور الأول: لغة التدريس في موريتانيا.. جذور وواقع المسألة

مر التعليم الأساسي في موريتانيا بمراحل ومحطات متعددة في فترة قياسية، تعددت خلالها السياسات وتقلبت الخطط بتقلب المزاج العام للشارع وصانع القرار، ففي فترة لا تتجاوز الأربعين عاما من عمر الدولة الفتية، ترنح التعليم بين "إصلاحات" عديدة، كان أبرز متغيراتها تغيير لغة التدريس، التي بدأت في أول الأمر فرنسية، قبل رحيل فرنسا عن البلاد 1960م، ثم أدخلت عليها العربية 1967م، ثم أعلن تعريب متدرج وشامل 1973م، ثم تم التراجع عن شموله

لترضية المعترضين 1979م، وتقرر بدلا عن ذلك تقسيم التعليم إلى مسارين متوازيين؛ أحدهما فرنسي والآخر

عربي، ثم تم التراجع عن قرار التقسيم الأول بقرار تقسيم ثان عام 1999م، يقضي بتدريس المواد العلمية بالفرنسية، والمواد الأدبية بالعربية، وهو الذي ما يزال ساري المفعول.

وإذا أردنا تفكيك جذور هذه المسألة اللغوية في التعليم الأساسي بموريتانيا، فمن المهم - قبل الحديث حولها - الانطلاق من توصيف المفكر المغربي محمد عابد الجابري لتبعات الغزو الثقافي الذي شهدته بلدان المنطقة، والذي جاء فيه "أن الدول الأوروبية الاستعمارية استعملت الثقافة كوسيلة لشق الطريق أمام العملية الاستعمارية أولاً، ثم لترسيخها ثانياً.. فكانت الحملات التبشيرية والرحلات الاستكشافية والإرساليات التعليمية.. وظاهرة الاستشراق، هي الوسائل الثقافية التي استعملتها الدول الأوروبية في القرن الماضي من أجل السيطرة على بلدان العالم الثالث"1، "وبعد كل تلك المراحل اعتمد الاستعمار فرض أسلوب جديد مفاده الاختراق الثقافي، وهو قائم على نظام تعليمي

يهدف إلى نشر ثقافة المستعمر وآدابه وتاريخه.. لخلق جيل جديد متشبع بثقافة الغرب، وبذلك يحدث شرخ في ثقافة البلد المستعمر ويفرض الاستعمار ثقافته"1.

ويكاد هذا التوصيف ينطبق على الحالة الموريتانية موضوع الحديث، فقد ركزت السلطات الفرنسية - بعيد بسط سيطرتها على كامل التراب الموريتاني مطلع القرن العشرين - على نشر اللغة والثقافة الفرنسية في المجتمع الموريتاني، فعمدت أول الأمر إلى تطبيق استراتيجية خاصة لخداع المجتمع، وكسر ممانعته، من خلال تأسيس مدارس، تدرس اللغة العربية وعلوم الشريعة، لإيهام المجتمع بحسن نيتها تجاه ثقافته وهويته، ولخلق "جو من الثقة والاتصال الوثيق بين المستعمر والسكان، إذ بدون ذلك لا يتأتى استدراج هؤلاء القوم إلى المدرسة الفرنسية"1... وهكذا "شيئاً فشيئاً أخذت السلطات الفرنسية تزيج عن مدرستها قناع اللغة العربية والإسلام، فكانت كلما استوثقت من نجاح زائد وهيمنة صاعدة تحدث حصصاً فرنسية جديدة أو تزيد في وقتها"1، حتى توجت هذا المسار بقرارها الصادر سنة 1947م، القاضي بـ"توحيد نظام التعليم في مستعمرات غرب إفريقيا بما فيها إقليم موريتانيا، وتم بمقتضى هذا القرار تقليص وقت الدراسة العربية إلى أقل من 6 ساعات"1 في الأسبوع، كما صدر قرار آخر يقضي بحظر و"منع تعليم العربية في كافة مستعمرات فرنسا بغرب إفريقيا، ما عدا موريتانيا، وبشرط توفر أغلبية عربية من التلاميذ في المدرسة"1.

وقد كان هذا القرار الأخير بمثابة إلقاء بذور الشقاق داخل تربة المجتمع، الذي وجد نفسه فجأة بعيد الاستقلال، في حالة انقسام خطير بين نخبة مكونة بلغة فرنسا، أنتجها هذا القرار الذي يمنع تدريس العربية لغير العرب، وبين بقية النخبة والمجتمع بصفة عامة.. فلم تمض خمس سنين حتى "صادقت الجمعية الوطنية بالإجماع في يناير من 1965م على قانون يقضي بإعادة تنظيم التعليم الثانوي، وبوجوب تعلم اللغة العربية إلى جانب اللغة الفرنسية ابتداء من السنة الأولى من الإعدادية.. وهو ما أدى لنشوب أحداث 66 الأليمة"1، الأحداث التي راح ضحيتها عدد من القتلى والجرحى، وأوقفت الدولة الفتية على شفا الهاوية"1.

وبعد احتواء الأزمة شكلت سلطات البلاد مطلع السبعينات لجنة من الخبراء، عهدت إليها بوضع تصور إصلاح شامل للنظام التعليمي، وأصدرت هذه اللجنة خلاصة عملها، في تقرير نص على "أنه من الطبيعي أن تصبح اللغة العربية لغة التعليم في بلد مستقل؛ العربية هي لغته الوطنية والرسمية معاً، وهذا يقتضي بطبيعة الحال أن يكون التعليم في الدور الابتدائي معرباً، ولا تُدرّس اللغات الأجنبية إلا على مستوى التعليم الثانوي"1، وسجل التقرير إشادته بأهمية دور التعليم الأهلي التقليدي في الحفاظ على انتماء المجتمع للعربية، وضرورة الاهتمام بهذا الدور: "إن التعليم التقليدي الذي يمارس في المحاضر يستحق من طرق عديدة عناية خاصة، لأنه مكننا رغم الغزو الثقافي من أن نحتفظ بثقافتنا وحضارتنا العربية"1.

ولم يخف معدو التقرير توجسهم من الصعوبات التي تعترض هذا الطريق؛ فـ"الحقيقة أن الشعوب التي تعرضت لغزو ثقافي ستجد دائماً صعوبة في استرجاع قيمتها بما في ذلك لغتها القومية"1، ورغم ذلك فقد أقدمت السلطات على تنفيذ توصيات هذا التقرير، بإعلان تعريب متدرج للتعليم، ابتداء من سنة 1973م...

وتم "إنشاء شعبة عربية تمكن الطلاب من الدراسة باللغة العربية، إلى مستوى الشهادة الإعدادية"1. ولم يخب توقع لجنة الخبراء، فلم يعمر هذا الإصلاح الجديد طويلاً، حتى قرر النظام العسكري - الذي تولى سدة الحكم بعد انقلاب 1978م - تعديل قرار التعريب الشامل المتدرج، الذي أفرزه تقرير لجنة الخبراء السابق، ولجأ - تحت ضغط معارضي القرار - إلى إنشاء مسارين متوازيين: يعتمد الأول منهما على اللغة العربية في تدريس أغلب المواد، ويلبي الثاني - لمن شاء الانتقال إليه - الرغبة في دراسة جميع المواد باللغة الفرنسية، وهكذا نشأ من جراء ذلك "جيلان متوازيان ومتعاديان إلى حد كبير، وتم الانتقال من التمييز بين الشعب إلى التمييز بين الشعب"1.. ثم جاء "إصلاح 1999م"، الذي ما يزال مطبقاً إلى يومنا هذا، فحاول "تلافي الخلل الناتج عن مسار الازدواجية، فوحد لغة التدريس، لتصبح اللغة العربية هي اللغة الجامعة منذ السنة الأولى، على أن يتم تدريس اللغة الفرنسية منذ السنة الثانية، وزيادة على ذلك جعل تدريس المواد العلمية ابتداء من الصف الثالث ابتدائي باللغة الفرنسية قصراً"1.

وهكذا استقرت السياسة اللغوية في التعليم الأساسي بموريتانيا على اعتماد ثنائية لغوية تختص فيها اللغة العربية بالمواد الأدبية: التربية الإسلامية، التاريخ والجغرافيا، الفلسفة، التربية المدنية... إضافة لمادة اللغة العربية نفسها، وتختص الفرنسية بالمواد العلمية: الرياضيات والفيزياء والكيمياء، والعلوم الطبيعية، إضافة للغة الفرنسية كذلك، وستوضح لنا الجداول التالية، بصورة أكثر تفصيلاً صورة هذا الواقع اللغوي المركب، كما سنكشف لنا كيف يقوم هذا

الواقع على أساس محاصصة، تسوي في أحسن حالاتها بين اللغة الوطنية واللغة الأجنبية، وتعديل في غيرها عن سنن هذه التسوية الجائرة، إلى صريح الجور بتقديمها الثانية على الأولى.

1- المرحلة الابتدائية

تبدأ هذه المرحلة بالصف الأول، الذي يتلقى التلاميذ فيه دروساً أسبوعية مدتها 18 ساعة، كلها باللغة العربية، ينتقلون بعدها إلى الصف الثاني، الذي تضاف لهم فيه 6 ساعات من اللغة الفرنسية، ثم الفصل الثالث الذي يبدأ فيه تدريس الحساب باللغة الفرنسية، ثم الفصل الخامس الذي تدرس فيه العلوم الطبيعية باللغة الفرنسية¹، لتتحو بذلك ساعات التدريس باللغة الفرنسية منحى متزايداً، في مقابل منحى تنازلي لساعات اللغة العربية، على نحو ما يجليه الجدول التالي¹:

ج1: لغة التدريس في المرحلة الابتدائية (الحصة الأسبوعية من الساعات)				
الأقسام	الأول	الثاني	الثالث والرابع	الخامس والسادس
العربية	18	18	15	13
الفرنسية	0	6	12	13.5

2- المرحلة الإعدادية

لا يختلف الأمر كثيراً في المرحلة الإعدادية عن سابقتها، إذ تبدأ هذه المرحلة بتقسيم وقت التدريس بين العربية والفرنسية، وفق مبدأ "التسوية الجائرة" المشار إليه، ويأخذ نصيب الفرنسية كذلك من الوقت منحى متزايداً، على حساب العربية، حتى يبلغ صورته النهائية الأكثر حدة في الشعب العلمية من الثانوية، كما سيأتي قريباً. تتألف هذه المرحلة (الإعدادية) من أربع سنوات؛ في الصفين الأول والثاني على السواء، يكون نصيب العربية من ساعات التدريس 13 ساعة، وكذلك يكون نصيب الفرنسية، لكن هذه "التسوية الجائرة" لا تدوم طويلاً، حتى يرتفع نصيب الفرنسية بدرجتين في الفصلين المواليين على حساب العربية، على نحو ما يبينه الجدول التالي¹:

ج2: لغة التدريس في المرحلة الإعدادية (الحصة الأسبوعية من الساعات)		
العربية	الفصلين الأول والثاني	الفصلين الثالث والرابع
العربية	13	13
الفرنسية	13	15
الإنجليزية	2	2

3- المرحلة الثانوية

في هذه المرحلة المتوجة لمراحل التعليم الأساسي الثلاث، يتم توزيع مسارات التدريس على أربع شعب متخصصة، هي: العلوم الطبيعية، والرياضيات، والآداب العصرية، والآداب الأصلية، وفيما يلي نستعرض بإيجاز الحالة اللغوية في مختلف هذه الشعب، من خلال جداول تبين حصة المواد المدرسة بالعربية والأخرى المدرسة بالفرنسية من ساعات التدريس في كل أسبوع، وذلك طيلة مدة الدراسة في هذه المرحلة، المؤلفة من ثلاث سنوات؛ فتحصل من ذلك ما مجموعه اثنا عشر فصلاً دراسياً، تلخص واقعها اللغوي الجداول التالية، المرتبة على حسب الشعب.

أ- **شعبة العلوم الطبيعية:** يبلغ عدد المترشحين للباكلوريا في هذه الشعبة أكثر من 27 ألف تلميذ¹، وتبدأ حصة المواد المدرسة بالعربية في هذه الشعبة – الأكبر من حيث عدد التلاميذ - من عشر ساعات في الفصل الخامس،

وتنتهي بخمس في الفصل السابع، فيما تبدأ الفرنسية من 17 ساعة، وتنتهي عند حد 22 ساعة، كما يوضح الجدول التالي 1 (الجدول رقم 3).

ج3: لغة التدريس في شعبة العلوم الطبيعية (الحصة الأسبوعية من الساعات)			
السابع	السادس	الخامس	
5	9	10	العربية
22	17	17	الفرنسية
2	2	2	الإنجليزية

ب- شعبة الرياضيات: لا يكاد عدد المترشحين للبكالوريا في هذه الشعبة يبلغ ألفي تلميذ¹، وتبدأ حصة المواد المدرسة بالعربية في هذه الشعبة، من عشر ساعات - كذلك - في الفصل الخامس، وتنتهي بخمس في الفصل السابع، فيما تبدأ الفرنسية من 17 ساعة وتنتهي عند حد 22 ساعة كذلك، كما يوضح الجدول:

ج4: لغة التدريس في شعبة الرياضيات (الحصة الأسبوعية من الساعات)			
السابع	السادس	الخامس	
5	9	10	العربية
22	18	17	الفرنسية
2	2	2	الإنجليزية

ج- شعبة الآداب العصرية: يتجاوز عدد المترشحين للبكالوريا من هذه الشعبة حاجز 10 آلاف تلميذ¹، وتبدأ حصة المواد المدرسة بالعربية في هذه الشعبة من 14 ساعة في الفصل الخامس، وتنتهي عند حد 18 ساعة في الفصل السابع، فيما تبدأ الفرنسية من 12 ساعة وتنتهي عند حد 8 ساعات، كما يوضح الجدول التالي 1:

ج5: لغة التدريس في شعبة الآداب العصرية (الحصة الأسبوعية من الساعات)			
السابع	السادس	الخامس	
18	16	14	العربية
8	11	12	الفرنسية
3	3	3	الإنجليزية

د- شعبة الآداب الأصلية: يتجاوز عدد المترشحين للبكالوريا من هذه الشعبة حاجز 9 آلاف تلميذ¹، وتعد هذه الشعبة قبلة لطلاب التعليم الأهلي العتيق (المحاضر)، وتقتصر الدراسة فيها واقعيا على الفصل السابع، فيما لا توجد - حسب علمنا - فصول الخوامس والسوادس من هذه الشعبة في عموم الثانويات الوطنية العمومية والخصوصية، وتبدأ حصة المواد المدرسة بالعربية في هذه الشعبة - نظريا - من 25 ساعة في الفصل الخامس، وتنتهي عند حد 29 ساعة في الفصل السابع، فيما تقتصر حصة الفرنسية على ساعتين في الأسبوع، كما يبين الجدول التالي 1:

ج6: لغة التدريس في شعبة الآداب الأصلية (الحصة الأسبوعية بالساعات)			
السابع	السادس	الخامس	
29	25	25	العربية
2	2	2	الفرنسية
0	2	2	الإنجليزية

وبعد هذا العرض الذي تضمن بإيجاز جذور المسألة اللغوية في التعليم الأساسي الموريتاني، وتعرض بإسهاب لحالتها الراهنة، فمن الجائز القول إنه إذا كان اختيار لغة التدريس – من الناحية العلمية البحتة – يرتبط "بالرهانات التنموية والإدارية والاقتصادية والسياسية والثقافية.. والحقوق اللغوية للمجتمع، وكذا بالخيارات الاستراتيجية..1"، فإن الواقع يشهد أن صانع القرار الموريتاني قد أهمل هذه الاعتبارات، بتسويته بين اللغة الوطنية (العربية)، واللغة الأجنبية (الفرنسية)، بله في تقديم الثانية على الأولى في أمور أهمها تدريس العلوم، ذلك أن إصلاح 1999م الذي أفرز هذا الواقع "وإن سعى إلى إنهاء الازدواجية اللغوية المفرقة، إلا أنه أضاف معضلة شديدة دفعت الأجيال ثمنها بسبب ضعف المستويات نتيجة التدريس باللغة الفرنسية التي لا تمثل اللغة الأم لأي من فئات الشعب الموريتاني، وهو ما أدى إلى انهيار شديد في المخرجات بشكل لا يمكن التغاضي عنه"1، وهذا ما يتطلب ضرورة تخفيف سيطرة الفرنسية والبحث عن ازدواجية معيارية (العربية بنسبة كبيرة – الإنكليزية – الفرنسية)1.

وهذا ما يعيدنا إلى أسئلة سبق أن طرحها رواد "السياسة اللغوية" و"التخطيط اللغوي" خلال الستينيات، "تتعلق بالدول حديثة التحرر في آسيا وأفريقيا، التي تنتظرها قرارات لغوية تخطيطية كبيرة مثل: هل ينبغي الاستمرار في استعمال اللغة الكولونيالية ك لغة تدريس في المدارس؟ وأي لغة ينبغي اختيارها كلغة مشتركة في الدول متعددة اللغات؟"1

المحور الثاني: لغة الخطاب في الإعلام السمعي البصري في موريتانيا

يتحدد المقصود من عبارة "الإعلام السمعي البصري" في التلفزيون والإذاعة الحكوميين، ويتناول هذا المحور - بقدر ما يمكن من الإيجاز - واقع لغة الخطاب في المحتوى المرئي المشاهد على شاشة الأولى، والمسموع عبر أثر الثانية، بصفتها قطبا للإعلام الرسمي، الذي يعد مجالا حيويا في البلاد، وقناة تواصل يومي هامة بين الدولة ومواطنيها، وبين المواطنين أنفسهم.

لكن هذا التحديد لا يمنع من الإشارة إلى جذور ما نحن بصده من وصف للوضع اللغوي في هذا الإعلام الحكومي، تلك الجذور التي تعود إلى عقود الهيمنة الفرنسية على البلاد، حين "كانت السلطات الفرنسية تعمل على صبغ جميع جوانب الحياة الثقافية بالطابع الفرنسي الخالص... وحرصت هذه السلطات على إصدار صحفها الخاصة بالإدارة الاستعمارية، ولذلك لم تتوان عن ملاحقة الصحف الوطنية الناطقة باللغتين العربية والفرنسية ومصادرتها، والتكيل بأصحابها ومحريها طوال الفترة الممتدة فيما بين الحربين العالميتين1"، وهكذا بقي الإعلام في موريتانيا - كما هو الحال في بقية المستعمرات - حكرا على الإدارة الفرنسية للبلاد، وبقي لسنوات بعد الاستقلال يكابد مشاق التأسيس، في ظروف بالغة الصعوبة، بفعل نقص الكوادر، ومحدودية الإمكانيات.

ومع بداية تشكل الوعي بالهوية الحضارية للبلاد داخل نفوس النخبة، برز خطاب جديد يطالب بترسيخ الانتماء العربي المسلم للبلاد من خلال وسائل الإعلام، وتمثل ذلك في توصية لجنة الخبراء المكلفة بإصلاح التعليم 1973م - التي سبق الحديث عنها- بضرورة "تقوية وسائل الإعلام وتوجيهها حتى تقوم بدورها كاملا في ميدان التعريب1".

وهكذا تأسست أولى المؤسسات الإعلامية الموريتانية على نحو جديد، يسعى رواده للتخفيف من أعباء الإرث الاستعماري، ف"كانت صحيفة (الشعب) ابتداء من تموز يوليو 1975م و(إذاعة موريتانيا) التي تم إنشاؤها بجهود مضنية، كانتا لفترة طويلة هما القناتان الوحيدتان لحمل الأخبار إلى الداخل أو الخارج، وكانتا تصدران بانتظام بالفرنسية والعربية، مع ملخصات باللغات الوطنية..1"، "وكان ينعشهما ويحررها مسؤولون يجمعون إلى التفاني في الخدمة السيطرة السريعة على متطلبات المهنة بفضل الثقافة والطموح..."، "وفي الإذاعة ذكر الشيخ محفوظ ولد محمد الأمين العالم الجليل الذي أنعش بامتياز وكفاءة الحصة الدينية التي تجيب عن مسائل كثيرة ومتعددة تتعلق بتعميق التعاليم والقيم الإسلامية في المجتمع"1.

وجاء تأسيس التلفزيون الحكومي بعد ذلك بسنوات، حيث بدأت التلفزة الموريتانية في البث سنة 1982م "في إطار هيئة الإذاعة والتلفزة الموريتانية، لتنفصل لاحقا عن الإذاعة وتصبح مؤسسة مستقلة ذات طابع إداري، قبل أن تتحول بموجب قرار فتح الفضاء السمعي البصري الصادر سنة 2006م، إلى مؤسسة للخدمة العمومية باسم قناة الموريتانية1".

وإذا كانت سياسة الفرنسية الموروثة عن الاستعمار قد نالت حظا من النجاح في ميدان التعليم، فإن حظها بدا عاثرا حين تعلق الأمر بالإعلام، الذي أخذ في التوجه خطوة خطوة نحو الخروج من عباءة التبعية، حتى وصل اليوم إلى

تعريب شبه كامل، يؤطره قانون تنظيم الاتصال السمعي البصري، الذي تمت المصادقة عليه وإصداره عام 2010م، وفيه يبرز التأكيد على المسألة اللغوية، من خلال التنصيص في أكثر من مادة على ضرورة احترام القنوات العمومية والخصوصية للتنوع اللغوي في البلاد، وإلزامية تحديد حصص البرامج باللغات الوطنية العربية، والبولارية، والسوننكية، والولفية.

وعلى سبيل المثال، فقد نص هذا القانون على أنه يجب على متعهدي الاتصال السمعي البصري أن يساهموا في أمور، عد منها: "احترام تعدد الثقافات واللغات في مجتمعنا وفق حصص للغات الوطنية تحدد في دفتر الشروط والالتزامات"1، كما نص على وجوب "أن تبين دفاتر الشروط والالتزامات على الخصوص: التزامات صاحب الرخصة، ولا سيما فيما يتعلق بما يلي: المدة والمميزات العامة للبرامج ولا سيما حصة الإنتاج الذاتي للمتعهد، وحصص البرامج باللغات الوطنية (العربية، والبولارية، والسوننكية، والولفية)1"، وأضاف كذلك: "تقوم مؤسسات الاتصال السمعي البصري العمومية بمهام منها: توفر للجمهور العريض مسطرة برامجية عامة ومتنوعة تحترم قيم الحضارة الإسلامية العربية والإفريقية1..."

وقد تعزز هذا التأكيد النظري على الخصوصية اللغوية للبلاد، بما يتميز به الواقع العملي للإعلام الرسمي - والخصوصي كذلك - من حضور قوي للغة العربية، واللهجات المحلية، في مقابل حضور خافت للبرامج والنشرات التي تبت باللغة الفرنسية، ولعل صانع المحتوى الإعلامي الموريتاني وجد نفسه مدفوعا إلى ذلك بسلطة الأمر الواقع التي تحتّم عليه مخاطبة الجمهور باللغة واللهجة المألوفة لديهم في حياتهم اليومية، لا اللغة الأجنبية التي لم يفلح فرضها عليهم في التعليم والإدارة، في إرغامهم على التخلي عن لغتهم الوطنية (العربية) ولهجاتهم المحلية لصالحها. وفيما يلي نعرض نماذج من جداول البث اليومي في التلفزيون الحكومي والإذاعة الرسمية، تؤكد هذا وتعضده.

1- قناة الموريتانية

يتراوح عدد البرامج والنشرات اليومية في التلفزة الموريتانية بين 15 و18 برنامجا ونشرة، وتحوز اللغة العربية النصيب الأوفى من لغة الخطاب في هذه البرامج، إذ تتراوح حصتها بين 11 و13 برنامجا ونشرة في اليوم، أي حوالي نسبة 70% من مجموع البرامج والنشرات اليومية، تليها في ذلك اللهجات المحلية، التي تتراوح حصتها بين 3 و4 نشرات وبرامج في اليوم، ثم الفرنسية التي لا تزيد على نشرة واحدة في اليوم، مع برنامج أسبوعي واحد1، كما يوضح الجدول التالي:

ج7: جدول البث الأسبوعي لقناة الموريتانية				
يبين عدد البرامج والنشرات في اليوم ويصنفها حسب لغة الخطاب				
يوم البث	عدد البرامج والنشرات	العربية	الفرنسية	اللهجات المحلية
الأربعاء	18	13	1	4
الخميس	15	11	1	3
الجمعة	17	13	1	3
السبت	17	12	2	3
الأحد	17	12	1	4

2- إذاعة موريتانيا

أما إذاعة موريتانيا: المؤسسة الإعلامية الأقدم في البلاد كما تقدم، فلا يختلف الأمر كثيرا عن التلفزيون، حيث يصل عدد البرامج والنشرات اليومية التي تبثها هذه الإذاعة 43 برنامجا ونشرة، تتراوح حصة البث باللغة العربية منها بين 26 و 30 برنامجا ونشرة، أي حوالي نسبة 70% من مجموع البرامج والنشرات الإذاعية اليومية، وفي المقابل يبلغ عدد البرامج والنشرات التي تبث باللغات المحلية 12 برنامجا ونشرة، وهو ما يمثل حوالي نسبة 27% من المجموع، أما البرامج والنشرات التي تبث باللغة الفرنسية فلا تزيد على نشرة إخبارية في الصباح وأخرى في المساء من كل يوم، كما يبين الجدول التالي 1:

ج8: جدول البث الأسبوعي لإذاعة موريتانيا				
يبين عدد البرامج والنشرات في اليوم ويصنفها حسب لغة الخطاب				
اليوم	عدد البرامج والنشرات	العربية	الفرنسية	اللهجات المحلية
الأربعاء	43	29	2	12
الخميس	43	29	2	12
الجمعة	47	30	2	15
السبت	40	26	2	12
الأحد	41	27	2	12

إن المتابع للغة الخطاب في الإعلام الرسمي الموريتاني - كما رصدتها هذه البيانات- لن يجد عناء في الحكم عليها بأنها تكاد تكون عربية ومحلية خالصة، فاللغات الوطنية الأربعة: العربية والبولارية والسوننكية والولفية، هي أساس التخاطب اليومي في البرامج والنشرات، وبذلك لا يبقى من الإرث الاستعماري في الإعلام الحكومي سوى نشرة أنباء بروتوكلية، يبثها التلفزيون الحكومي مرة في كل يوم، في ونشرتين تبثهما الإذاعة الرسمية مرة في الصباح وأخرى في المساء، إضافة لبرنامج أسبوعي واحد ناطق بالفرنسية، يبثه التلفزيون الحكومي.

وأخيرا... يبقى بعد هذا أن نشير إلى أن عودة البلاد إلى جذورها وانسجامها مع مقتضيات هويتها الدينية والثقافية والتاريخية رهين بحفظ مكانة لهجاتها المحلية وتطويرها وتهيئة الأجواء لتدريسها كلغات تنوع ثقافي، كما هو رهين بالدرجة الأولى بترسيم اللغة الوطنية الوحيدة المؤهلة لأن تكون لغة التعليم - الذي رأينا كيف تستحوذ اللغة الأجنبية على أغلب مراحل وشعبه - ولغة الإدارة والاقتصاد... بحكم بنيتها كلغة عالمية، وبوصفها اللغة الرسمية للبلاد... هذا ولا شيء سواه هو عين المصلحة والصواب، ومقتضى ما جاء نصا بارزا في ديباجة دستور البلاد: "وتشكل اللغة العربية، اللغة الرسمية للبلاد واللغات الوطنية الأخرى، البولارية والسوننكية والولفية، كل في حد ذاتها، موروثا وطنيا مشتركا لجميع الموريتانيين يجب علي الدولة باسم الجميع أن تحفظه وتطوره" 1، وهو كذلك ما يتكرر دائما في أكثر من مناسبة على ألسنة الناصحين من الخبراء والمختصين.

المصادر والمراجع:

- دستور الجمهورية الإسلامية الموريتانية – الصادر بتاريخ 21 يوليو 1991 والمراجع في سنوات: 2006، و2012، و2017م
- المختار داداه، موريتانيا على درب التحديات (مذكرات)، النسخة الإلكترونية المنشورة منتديات المشهد الموريتاني 2007م
- محمد عالي الشريف، سيرة من ذاكرة القرن العشرين، دار الساقى 2019م.
- الخليل النحوي، شقيط أرض المنارة والرباط، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس 1987م
- المفتشية المكلفة بالتعليم الأساسي، وزارة التهذيب الوطني، الغلاف الزمني الأسبوعي للتعليم الأساسي، 2019/2018
- إدارة التعليم الثانوي وزارة التهذيب الوطني، جدول حصص وضوارب المواد، 2021/2020م
- مصلحة الامتحانات والتقويم، وزارة التهذيب الوطني، بيانات باكلوريا 2020م
- د محمد المختار اباه، تقرير حول إصلاح التعليم، وزارة التهذيب الوطني 1973م
- المفتش محمد سالم محبو، التعليم في موريتانيا.. مقترحات للإصلاح، مقال منشور في أكتوبر 2019 على الموقع الموريتاني: الإصلاح.
- د سيدي عبد الله المحبوب ومجموعة من خبراء التعليم، ورقة فنية حول إصلاح النظام التربوي الموريتاني، يوليو 2020
- الجمهورية الإسلامية الموريتانية، قانون تحرير الفضاء السمعي البصري، رقم 045-2010
- التلفزة الموريتانية، الورقة التعريفية، الموقع الرسمي للتلفزة 2021م
- التلفزة الموريتانية – دليل البرمجة، نوفمبر 2020م
- إذاعة موريتانيا – المسطرة البرمجية، يونيو 2021م
- د عواطف عبد الرحمن، قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1984م.
- عبد القادر الفاسي الفهري، السياسة اللغوية والتخطيط مسار ونماذج، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض 2014م
- محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1999م
- د عبد الرحيم ناجح، التخطيط اللغوي المدرسي: تدريس العلوم بين اللغات الأم واللغات الأجنبية، مجلة السياسة اللغوية والتخطيط، ع9، سبتمبر 2019.

اللغة العربية في الكاميرون بين انتشارها ومستواها لدى متعلميها

د. مؤمن إبراهيم/جامعة نغاوندرى-قسم اللغة العربية وحضارتها.

- الهاتف: 00237696649944. - وات ساب: 00237677673731.

- البريد الإلكتروني: dayybald@gmail.com

ملخص البحث:

الكاميرون، كإحدى دول وسط إفريقيا، عرفت اللغة العربية كلغة التعليم والمراسلة قبل الاستعمار بأكثر من قرن، حيث كان الجزء الشمالي منها جزءاً من دولة كانم الإسلامية، ثم من الدولة الإسلامية التي أسسها الشيخ عثمان بن فودي في شمال نيجيريا. ظل التعليم العربي في الكتاتيب هو التعليم الوحيد في البلاد إلى أن وصل إليها التعليم العربي العصري. تأسس إثر ذلك مدارس عربية؛ عربية شرعية غير رسمية، وأخرى رسمية مزدوجة. ظلت هذه المدارس تمتد الساحة بموارد بشرية تخرج عددٌ منها من الجامعات العربية، وقد أدى ذلك إلى مضاعفة أعداد المدارس العربية في البلاد بمختلف أنواعها ومستوياتها.

اتسعت رقعة التعليم العربي ليدخل في التعليم العالي. وقد تخرجت أعدادٌ كبيرة من الجامعات العربية ومن بعض الجامعات الكاميرونية حاملين شهادات عليا من بينها شهادات دكتوراه يعملون في مجالات مختلفة، وخاصة في مجال التعليم. ويمكن القول اليوم، إنه قد انكشفت الغربة عن اللغة العربية في البلاد، وخاصة في شمالها، حيث نصادف فيها أناساً قادرين على التعبير باللغة العربية تحدثاً وكتابة بشكل مثير للإعجاب أحياناً، ولكن إلى جانب ذلك تلاحظ مستويات عند أناس آخرين لا تكاد في جملتها ترقى إلى مستويات شهاداتهم التي تصادقها. والباحث في هذه السطور يسعى لعرض عوامل انتشار اللغة العربية في البلاد، وواقع مستواها لدى الدارسين بها تحدثاً وكتابة، وإلى الكشف عن الأسباب الكامنة وراء هذا الواقع.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية - الكاميرون - الانتشار - مستوى - الدارسين

تمهيد:

ظل الإسلام عاملاً أكبر من عوامل انتشار اللغة العربية في الكاميرون وفي غير الكاميرون في إفريقيا جنوب الصحراء، وعند الحديث عن موضوع دخول اللغة العربية في الكاميرون، يمكن التركيز بشكل خاص على منطقة كانت تعرف بالسودان الأوسط. وقد قامت في هذه المنطقة ممالك إسلامية متعددة، أشهرها مملكة الجزء الشمالي من هذه البلاد، ويشتمل على ثلاث ولايات إدارية، وهي أدموا التي حاضرتها نغاوندرى، والشمال، وحاضرتها غاروا، وأقصى الشمال، وحاضرتها ماروا. والولايات الثلاث تتميز عن باقي الولايات الكاميرونية بالوجود الإسلامي المبكر فيها، وخاصة أنها كانت تعد ضمن المنطقة التي كانت تسمى في المصادر القديمة بالسودان الأوسط: (المحي، 1998، 91) قبل أن تتفكك إلى ممالك متناثرة. وقد يكون ما ذكر من دخول الإسلام في المنطقة في هذا الوقت المبكر مجرد اتصاله بالمنطقة وأهلها، إذ إن اعتناق الإسلام في كانم بشكل رسمي يعود إلى النصف الثاني من القرن الخامس الهجري والحادى عشر الميلادي، ويذكر أن أول من اعتنق الإسلام من ملوك كانم هو السلطان أومي جلمي الذي حكم الدولة في الفترة ما بين عامي 479-490هـ/1085-1097م: (المصدر السابق، 192).

وما يهمننا أكثر في هذا المقام، هو أن تاريخ دخول الإسلام في المنطقة هو تاريخ دخول اللغة العربية فيها واتصال أهلها بها واتخاذهم إياها لغة التعبير عن الأمور الجادة إلى جانب لغة من اللغات المحلية. حديثنا عن اللغة العربية في هذا المقال يركز على الفترة التي ظهر فيها التعليم العربي الحديث في البلاد، لأنها الفترة التي يمكن أن تمثل بداية حقيقية لانتشار اللغة العربية في الكاميرون في ظل المعطيات التربوية الحديثة. والمقال بعنوانه "اللغة العربية في الكاميرون بين انتشارها ومستواها لدى متعلميها" ينقسم إلى قسمين؛ قسم خاص بانتشار اللغة العربية في البلاد وأهم أسبابه، والآخر ببيان مستوى التحدث أو الكتابة بها لدى متعلميها.

القسم الأول: انتشار اللغة العربية في الكامبيرون. إرهاصات التعليم العربي المعاصر.

لا يُعرف بالتحديد تاريخ بداية حركة التعليم العربي في الكامبيرون، ولكن من المؤكد أنه بدأ بدخول الإسلام إليها، إلا أنه بدأ ينشط، بشكل ملحوظ، بحركة الفتح الإسلامي على يد الشيخ عثمان ابن فودي رحمة الله تعالى¹، فنشأت كتاتيب ومجالس العلم في البيوت والأماكن العامة أحياناً، وظلت أهمية مادة اللغة العربية شاخصة في جميع المراحل التعليمية في الكتاتيب أو في مجالس العلم المتقدمة¹. فاللغة وسيلة لا يمكن بلوغ الغاية التواصلية إلا بها، والتواصل وسيلة مباشرة من وسائل الدعوة إلى الله، فالعربية، إضافة إلى أنها لغة العلم والمعرفة، فقد ظلت تخدم مجالات آخر مهمة، كالمراسلات الرسمية بين الملوك وتسجيل معاهداتهم. أو المراسلات الإخوانية.

أما التعليم العربي الحديث أو المعاصر الذي يسير على خلاف ما كانت عليه الكتاتيب أو حلقات العلم المتقدمة، فقد وفد إلى البلاد في وقت متأخر نسبياً، حيث ظهر في نهاية منصف القرن العشرين الميلادي قبيل استقلال البلاد، ثم ما لبث أن أخذ يتطور بعد الاستقلال لأسباب موضوعية.

استتب الأمر للاستعمار في البلاد على قدم وساق، فقام بتشديد مدارسه في البلاد، وبفرض لغته وثقافته ورؤيته التربوية على الشعوب المغلوبة. أما في الجنوب فقد كان القبول للمشروع الاستعماري حاصلًا من غير مقاومة، فالمقاومة الكائنة في هذا الجانب، إنما كانت وطنية¹ أكثر منها ثقافية، وكان هدفها المطالبة بالحكم الذاتي للبلاد. وأما عموم الشعب بشمال البلاد، حيث يغلب فيه طابع الثقافة الإسلامية، فلم يكن من السهل لدى شعبه، المسلم بالأخص، تقبل المدارس الاستعمارية، بل هجرها جملة وتفصيلاً، واعتبرها كفراً وتضليلاً، فظل ذلك الشعب محافظاً على ثقافته متقززاً من غيرها، وبالتالي نافراً عن المدارس الاستعمارية، وهو إلى يومنا هذا يعاني من آثار هذا الهجران التي تتجلى في التخلف التعليمي الملحوظ في هذا الإقليم.

تجب مواجهة هذا الهجران (التحدي) المتمثل في نفور هذا الجزء الاستراتيجي من البلاد واشتمزازه من لغة المستعمر ومن ثقافته.. تجب مواجهته بما هو مناسب من الوسائل حفاظاً على وحدة البلاد المستعمرة، فعمد لتحقيق ذلك إلى عدة وسائل، وأهمها توبلة مدارسه بشيء من الدروس العربية والتربية الإسلامية استجابة لأبناء المسلمين، ففتح لدعاة مسلمين ومدرسي اللغة العربية باباً، وهم يذهبون إلى المدارس المتوسطة والثانوية مساء كل أربعاء طواعية.

إن ظاهرة هجران مسلمي شمال الكامبيرون التعليم الغربي في الفترة المبكرة بُعيد الاستعمار أدت إلى ضرورة إنشاء مدارس ذات طابع مستساغ، جالب أبناء المسلمين إليها. تولت الجمعية الثقافية الإسلامية الكامبيرونية، وهي ممثل رسمي لمسلمي الكامبيرون في الداخل والخارج وداعمة للسياسة الاستعمارية، مهمة إنشاء مدارس أهلية ذات طابع إسلامي تجمع في مقرراتها بين برنامج الحكومة وبين اللغة العربية والتربية الإسلامية، وقد أطلق عليها اسم "المدرسة الفرنسية العربية" (franco-arabe) في المناطق الناطقة بالفرنسية، و"المدرسة الإنجليزية العربية" (arab schools) في المناطق الناطقة بالإنجليزية.

ظهور التعليم العربي المعاصر وتطوره.

ومن البديهي أن تظهر مشكلة جديدة في البلاد إثر إنشاء مدارس تعنى باللغة العربية والتربية الإسلامية إلى جانب المناهج الحكومية، وهي مشكلة الدعاة والمدرسين من ذوي الكفاءات التربوية. وقد استوجب الوضع السعي نحو توفير موارد بشرية تتولى تدريس اللغة العربية والتربية الإسلامية في المدارس الإسلامية الجديدة وفي غيرها من المنشآت التي لا تقل افتقاراً إلى الأساليب الفنية. فمعلوم أن العاملين في حقل التعليم العربي في الكامبيرون، قبل معرفة البلاد أساليب وطرق التدريس الحديثة، كانوا يعانون عجزاً كبيراً في أساليب التدريس وطرقه، وهم مع ذلك لم يكونوا على إحساس بمشكلاتهم هذه، ونتج عن ذلك عدم السعي لحلها أو، على الأقل، لتخفيفها، فظل التعليم العربي في البلاد يعاني قدراً كبيراً من الجمود والتخلف بسبب الممارسات الخاطئة التي تعانيتها مهنة التعليم العربي، تجاوزت آثار تلك الممارسات المستوى التطبيقي للغة العربية، الذي يعد مُعرّضاً بالدرجة الأولى لمثل هذه الممارسات، إلى المستوى النظري الذي يعد أقل تعرّضاً لها في غالب الأحوال.

المدرسة العربية الحديثة الأولى.

وكسعى لتوفير موارد بشرية قادرة على أداء مهمة التعليم والتربية في ميدان التعليم العربي، تم إنشاء مدرسة عربية في إحدى مدن الكامبيرون (مدينة قاروا) بشمال البلاد عام 1968م¹، وهي "مدرسة المعلمين" العربية، لتتولى مهمة إعداد معلمي اللغة العربية والتربية الإسلامية، فما لبثت أن تطورت كمّاً لتعم كلا من مدينة ماروا ومورا في

أقصى شمال البلاد، ومدينة نغاو ندري في أدموا. لقد بنّت هذه المدرسة"، بعد قرابة عقدين من الزمن، أجيالا ميمونة تعتبر اليوم أركاناً للدعوة في البلاد، وقد أسهمت بشكل فعّال في نشر اللغة العربية في الكامبيرون.

المعاهد الإسلامية العربية.

تطورت مدرسة المعلمين، بعد قرابة عقدين من العمل والعطاء، إلى معاهد إسلامية إعدادية لتتبنى مناهج أقرب إلى أكاديمية منها إلى مهنية، ولتكون كفيلة بتأهيل الشباب لمتابعة دراساتهم في مؤسسات أعلى مستوى خارج البلاد، وذلك في عام 1984م، وبعد عقد واحد من العمل من التحول، أضيفت إلى المرحلة الإعدادية المرحلة الثانوية، وذلك في عام 1993م.

تعددت المدارس العربية في البلاد بمرور الوقت، فصارت أصنافاً مختلفة تتسق مع الظروف اليومية للدارسين ومع طبائعهم؛ فمنها ما يدرس ليلاً وما يدرس نهاراً، ومنها ما يدرس في أيام الدوام وما يدرس في عطلة الأسبوع. وقد تكاثرت هذه الأصناف في جملتها وعمت إقليم الشمال حيث الأكثرية المسلمة. وابتداءً من عام 1996م، بدأت أقاليم الجنوب حيث الأقلية المسلمة تشهد وجوداً للتعليم العربي الإعدادي بمعناه الأكاديمي، في معهد الأقصى 1 للكبار بمدينة دوالا على يد مجموعة من الشباب الشمال، أشهرهم الدكتور عبد الكريم أببو يريما 1، والشيخ أحمد أببو وكاتب هذه السطور. وقد توالى بعد هذا المعهد معاهد أخرى متميزة، لها دور بارز في نشر اللغة العربية في الكامبيرون، ومن أشهر هذه المعاهد، المعهد الإسلامي بمدينة غاروا بلالي، الذي تم تأسيسه عام 2001م، ومنها معهد تأهيل الأئمة في فومبان، ومعهد تأهيل الدعاة في بامندا والمعهد الإسلامي الذي تم تأسيسه من قبل مجموعة من الدعاة بمدينة لاغودو عام 2008م ومعهد الأنصار الإسلامي بقيدير، وقد تم تأسيسه عام 2010م.

وقد لا تكاد اليوم تجد مدينة من المدن الكبيرة أو المتوسطة في البلاد تخلو من مدارس عربية تدرس الكبار أو الشباب رجالاً ونساءً، معاً أو كل جنس منهم على حدة، قلت هذه المدارس أو كثرت، فكلها تسعى، إضافة إلى تدريس الدين، لنشر اللغة العربية في أجواء شبه عربية في فنائها.

لقد تولت المعاهد العربية الإسلامية كبر نشر اللغة العربية وثقافتها في البلاد، فالمعاهد الإسلامية الأربعة الأولى في كل من غاروا ونغاوندري وماروا ومورا، وهي أكبر مدن في شمال الكامبيرون، إضافة إلى تلك التي نشأت لاحقاً في باقي كبريات مدن جنوب البلاد، كمدينة دوالا وياوندي وفومبان وبامندا، قد امتد أثرها، فوصل إلى خارج البلاد، وقد بلغ صداها إلى كل من جمهورية إفريقيا الوسطى والغابون والكنغو، كما أن هذه المعاهد قد أعدت أعداداً كبيرة من الطلاب سافر كثير منهم إلى الخارج لمواصلة الدراسة، وخاصة المملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية وجمهورية السودان، والجمهورية العربية الليبية، وجمهورية تشاد. وما تشهده هذه البلاد اليوم من انتشار اللغة العربية وازدهار آدابها وثقافتها، إنما هو ثمار لمدارس المعلمين وهذه المعاهد الإسلامية 1.

آثار المعاهد الإسلامية بادية في ساحة اللغة العربية بالكامبيرون بارزة، فبالإضافة إلى إعدادها عناصر صالحة لمتابعة دراستهم في المؤسسات العربية الكبيرة في الدول العربية السالف ذكرها، وغير العربية كأمثال جمهورية تشاد وجمهورية نيجر والجمهورية الفدرالية النيجيرية وجمهورية السنغال وجمهورية غانا وغير هؤلاء، كانت عاملاً أساسياً من العوامل التي أسهمت في دعم اللغة ورفعها إلى مستوى أداة البحث العلمي في التعليم العالي بالبلاد 1.

وقد تخرج من تلك المؤسسات خلق كثير من أبناء هذه البلاد تتراوح أعداد الحاملين للشهادات الجامعية ما بين ستمئة إلى سبعمئة شخص 1 احترفوا بالدرجة الأولى مهنة التدريس، يمارسونها باللغة العربية، هذا إلى جانب قيامهم بالأعمال الدعوية التي هي الأخرى ليست بأقل حاجة إلى هذه اللغة العربية من مهنة التدريس.

وفي التسعينات من القرن العشرين الميلادي أصبح الوضع متاحاً لفتح قسم اللغة العربية في جامعة نغاوندري، وقد خرّج هذا القسم أعداداً كبيرة من الدفعات. ثم توسعت دائرة اللغة العربية في ساحة التعليم العالي بفتح شعبة اللغة العربية في المعهد العالي لإعداد المعلمين في جامعة ماروا عام 2008م، ثم في كلية الفنون والآداب

والعلوم الإنسانية بنفس الجامعة عام 2013م. وهكذا دخلت اللغة العربية طوراً آخر جديداً يتميز عن الأطوار التي مرت بها سلفاً. فجامعة ماروا، من خلال بضع عشرة سنة، حققت نقلة نوعية في نشر اللغة العربية في الكامبيرون عبر تخريج عدد من دفعات مدرسي اللغة العربية خضعوا لإعداد تربوي، الذين تركوا في ساحة التعليم العربي بالبلاد آثاراً بالغة الأهمية.

هناك أمر آخر مهم يجب أن لا يغيب عن أذهاننا ونحن نتحدث عن انتشار اللغة العربية في الكامبيرون، هو دور بعض الشخصيات الأكاديمية التشادية في مساندة شعبة اللغة العربية في قسم اللغات الأجنبية التابع لمعهد إعداد المعلمين بجامعة ماروا بمبادرة من مدير المعهد البروفيسور سايبو عيسى. لقد أنفق هؤلاء، وخاصة البروفيسور عثمان محمد آدم والبروفيسور علي محمد قمر والبروفيسور محمد عمر فال، جهداً ووقتاً تركوا بعد عقد من الزمن جنياً يانعا في مجال تعليم اللغة العربية في البلاد، جعل جامعة ماروا تستقبل طلاباً من الداخل والخارج يحضرون الدكتوراه في اللغة العربية.

لقد خرّج المعهد العالي لإعداد المعلمين بجامعة ماروا أعداداً من معلمي اللغة العربية المؤهلين مهنيًا، عينوا مدرسين وإداريين في عدد من المدارس العامة، من متوسطة وثانويات في شمال البلاد وجنوبها. ولأول مرة دخلت اللغة العربية في الثانويات العامة بجنوب البلاد حيث الأقلية المسلمة، وحيث يُنظر إلى اللغة العربية على أنها مجرد الدين الإسلامي لا أقل ولا أكثر.

إلى جانب المعاهد الإسلامية وأقسام العربية في التعليم العالي، نوع آخر من التعليم العربي أسهم بشكل فعال في نشر اللغة العربية في الكامبيرون، وهو التعليم المزدوج؛ عربي-فرنسي أو عربي-إنجليزي يشمل المرحلة الابتدائية والثانوية وكذلك الجامعية. وقد بدأ هذا النوع من التعليم أيام الاستعمار، وأخذ ينمو ويتكاثر إلى أن عم البلاد اليوم. ويمكن معاينة نمو هذا التعليم في الجدولين الآتيين:

الجدول (أ): تقرير شامل للمدارس الإسلامية الأهلية للعام الدراسي 2007م-2008م1.

المنطقة	عام 2008م.					
	عدد المدارس	عدد التلاميذ			عدد المدرسين	
		ذكر	إنثى	مج	رجل	امراة
أدموا	10	796	785	1581	57	7
الوسط والجنوب والشرق	07	1070	938	2008	41	28
أقصى الشمال	33	2377	2126	4503	92	60
الساحل والجنوب الغربي	23	2514	1968	4482	68	55
الشمال	17	1386	1137	2523	69	30
الشمال الغربي	100	6971	6109	23080	260	182
الغرب	57	3960	3648	7608	236	49
المجموع	247	19074	16711	35785	823	411
				1234		

الجدول (ب): تقرير شامل للمدارس الإسلامية الأهلية للعام الدراسي 2007م-2008م1.

المنطقة	عام 2020م.					
	عدد المدارس	عدد التلاميذ			عدد المدرسين	
		ذكور	إناث	مج	رجل	امراة
أدموا	17	2086	1955	4041	76	51
الوسط والجنوب والشرق	23	3627	3820	7447	90	121
				211		

أقصى الشمال	68	6644	6267	12911	282	83	365
الساحل	7	1471	1304	2775	45	38	83
الشمال	37	4293	3774	8067	216	77	293
الشمال الغربي	125	4785	5268	10053	324	327	651
الغرب	85	4983	4815	9798	177	127	304
الجنوب الغربي	5	68	70	138	10	13	23
المجموع	365	27957	27273	55230	1220	837	2057

أخذ مفهوم اللغة العربية يتسع ويتبلور في لأذهان لينتقل من المفهوم الديني التقليدي البسيط إلى مفهوم جديد اجتماعي أكثر اتساعاً، فخرجت اللغة العربية بذلك من دائرتها الضيقة المحدودة إلى أخرى أكثر انفتاحاً، فصارت مطلباً للطلاب، غير محصور بأمر من الأمور يهدفه طلاب مسلمون وغير مسلمين. وقد أدى هذا المفهوم الجديد للغة العربية وما اقتضاه من تزايد أعداد طلابها إلى ضرورة زيادة أقسام اللغة العربية في الثانويات العامة والمتوسطة في البلاد.

إن اللغة العربية في شمال الكاميرون لغة تاريخية، عرفت فيها قبل أي لغة أخرى أجنبية، ولكنها مع ذلك ظل اختيارها مقصوراً في الثانويات العامة للمدن الكبرى مثل ماروا وغاروا وناغونديري. وأما الثانويات العامة في المدن الصغيرة أو القرى، فالعقبات أمام اللغة العربية تظل كثيرة، وحتى في بعض مدارس المدن الكبرى، وتتمثل هذه العقبات غالباً في إدارات تلك المدارس، وتتنوع أساليب الإعاقة ومستواها من شخص لآخر، وتكون غالباً بتنشيط التلاميذ الراغبين في اختيار اللغة العربية عن اختيارها حيناً، وبتلفيق أعداء يدعونها المانعة من فتح قسم اللغة العربية حيناً آخر.

ومنذ أن شهد مجال التعليم العربي في البلاد صنفاً آخر جديداً من المدرسين الخريجين من المعهد العالي لإعداد المعلمين، أخذ قسم اللغة العربية بجامعة ناغونديري، على سبيل المثال، يستقبل أعداداً متزايدة من الطلاب، متميزين في جملتهم بمستوى أفضل، لوحظ ذلك في مهارة الحديث والكتابة. وقد بدأ مستوى طلاب اللغة العربية في التعليم العالي في البلاد يزداد تحسناً كمّاً ونوعاً. فلم يكن مجموع الطلاب في قسم اللغة العربية وحضارتها بجامعة ناغونديري، قبل خمس سنين، ليتجاوز الثلاثين إلا في أوقات نادرة، ولكننا نجده اليوم يُعَدُّ في حصنه ما يزيد عن مائة طالب وطالبة.

القسم الثاني: مستوى ممارسة الدارسين للعربية.

يلاحظ أن اللغة العربية، ابتداءً من الطور التقليدي إلى يومنا هذا، ظلت تعاني من الفجوة الفاصلة بين التعليم النظري ومهارات تطبيقها في ميدان العمل، يستوي في ذلك المستوى الكتابي أو مستوى الحديث. أقصد بهذا الحكم الغالبية من متعلمي اللغة العربية، فقد كان هناك أناس يصغر حيالهم المرء عندما يعبرون بالعربية كتابة أو حديثاً، فهم بلا ريب أهل بأن يوصفوا بالمتقنين للغة العربية، فأنت لا تكاد تمل القراءة لهم، أو الإصغاء إليهم، ولكن في مقابل هؤلاء، نلاحظ مستويات اللغة العربية متفاوتة، ولكنها مستويات لا تكاد في جملتها ترقى إلى مستوى الشهادات التي تصادقها.

طبيعي أن يكون مستوى اللغة العربية في البلاد غير العربية مستوى عادياً في عمومها، لأن المؤسسات التي يتخرج منها الأفارقة، هي في غالبيتها ذات رسالة دينية، فالمادة الدينية تأخذ حيزاً أكبر من المساحة التعليمية لطلابها باعتبارها الأولوية، وتأتي اللغة العربية في الدرجة الثانية¹، يستوي في ذلك التخصصات الشرعية والأدبية، غير أن الدراسة في تلك المؤسسات العربية لها من القوة والمتانة ما يعكس على مستوى طلابها، وخاصة لدى الطلاب الحريصين المتميزين.

أما المؤسسات العربية الداخلية في الدول الإفريقية، والكاميرون على سبيل المثال، فالوضع يختلف. فقبل عقدين من الزمن، ما كنا لنتطرق إلى هذا الموضوع، ذلك لأن المؤسسات العربية الداخلية داخل الكاميرون ما كانت تمنح طلابها شهادة أعلى من الثانوية، وهذا لا يثير قلقاً كبيراً في قضية المستوى، إذ لا زالوا في بداية رحلتهم

العلمية، فإمكانية استكمالها في الخارج واردة. لكن بفتح أقسام اللغة العربية في بعض الجامعات الكاميرونية بدأ الدارسين بالعربية في البلاد يتحصلون على الشهادات العالية من الدولة، ومنها الدرجة العالمية الدكتوراه. وكان لا بد من إعادة النظر في مستوى الدارسين بالعربية. فبالرغم من الجهود المبذولة من قبل جميع الأطراف؛ ابتداءً من المؤسسة التعليمية ومرورا بالمدرسين في هذه الأقسام وانتهاء إلى الطلاب أنفسهم، إلا أن المستوى، في نظر الباحث، ظل نحيلا جميع جوانبه إلى حد كبير في..

هذا الوضع المثير للقلق، له أسبابه الموضوعية تعود إلى عقود متأخرة من تاريخ التعليم العربي الحديث في الكاميرون. وهي، في نظر الباحث، المسؤولة عن هذا الوضع الذي يستدعي وجوب العمل الكثير لتغييره. ويمكن سرد هذه الأسباب ومناقشتها بإيجاز في السطور التالية.

مفهوم مادة اللغة في المعاهد الإسلامية.

تعد المدارس العربية الحديثة الأولى (معاهد المعلمين) منطلقا للحديث عن اللغة العربية بمفهومها الاجتماعي في البلاد، وبعد سنوات من عمل هذه المعاهد، تطورت على أيدي مؤسسيها رحمهم الله لتصبح معاهد إسلامية إعدادية ثم ثانوية، وهذه بدورها خرجت جيلا ثانيا تسلم مهمة الدعوة ونشر اللغة العربية في ربوع الكاميرون وبعض مناطق إفريقيا الوسطى والكنغو والغابون. وهذه المدرسة تعد، بالطبع، نسخة مصغرة للجامعات العربية التي نهل منها الرعيل الأول والأجيال اللاحقة من حيث الهدف، ويعني هذا أن اللغة العربية في هذه المعاهد لم تكن لتجد ما تستحقه من العناية، فالمواد اللغوية في المعاهد الإسلامية ينقصها شيء كثير من اللغة بمفهومها الواسع، ومن عناصر منظومها؛ فمادة المطالعة، إضافة إلى ما تحمله من ثقافة عامة للطلاب، تُمدّه بمهارة القراءة وفهم المقروء وتحليله، كما تمده بضروب من الأساليب اللغوية الشيقة، وهي في نفس الوقت تمثل مجالا خصبا لمختلف التطبيقات اللغوية لقواعد اللغة المختلفة. هذا في المطالعة. فمادة الأدب العربي في هذه المعاهد أيضا لا تقل معاناة عن معاناة مادة المطالعة السالف ذكرها، ومع أن مادة الأدب تمثل جميع جوانب حياة أصحابه، إلا أنها تحولت، في ظل هذه المعاهد إلى نصوص مجردة تعاني من الجفاف ما لا تعانيه الصحراء القاحلة. وهكذا راح عدد من المواد، تعتبر من صميم اللغة العربية، ضحية لا اعتبارات عدة، كلها ناجمة عن مفاهيم خاطئة لمفهوم مادة اللغة العربية.

على أن الملامة، في شأن مادة اللغة العربية في مدارسنا، لا تقع البتة على الجيل الأول من الخريجين، فإنه جيل ميمون مبارك جهده، وهو، بلا ريب، قد قدم ما يسعه في سبيل بناء الأجيال. ومن أفراد هذا الجيل العظيم، الشيخ محمد علي ديوا في مدينة نغاوندي، والشيخ عبد الرحمن نصرو في ماروا، والشيخ عبد الرحمن قوني في قاروا، والشيخ عمر ليما في مورا، وكان كل واحد من هؤلاء العلماء الأجلاء يمثل مدرسة بأكملها، حيث كان كل واحد منهم يقوم بدور الإدارة وبتدريس جميع المواد الشرعية واللغوية، وهو وحده يدرس من الصباح إلى الظهر، ومن السبت إلى الخميس طوال العام الدراسي إلى أن فنيت أعمارهم وهم على ذلك. اللهم ارحمهم رحمة واسعة. فمسئولية تَقُّم واقع اللغة العربية وبذل الجهد المنشود لتغييره إذن تبقى على عواتق العاملين اليوم في حقل التعليم العربي في هذه البلاد.

أعتقد أنه إذا بُذِلَ مجهود مشترك لإعادة النظر في مكونات مادة اللغة العربية في مدارسنا، بحيث يُعطى كلُّ مكون حقه في الدراسة، سواء في المدة الزمنية المطلوبة أو في طريقة معالجتها، وخاصة المعاهد الإسلامية، لتُغيَّر الكثير من واقعها في بلادنا، فالموضوعات المقررة لكلِّ من مادة المطالعة والأدب، وكذلك الكتب المعتمد عليها في تدريس هذه الموضوعات، يجب التعامل معها بشكل واقعي، وهذا الذي سيؤدي إلى ما فيه كثير النفع لشباب الأمة.

أساليب تدريس اللغة العربية.

أساليب التدريس بعمومها تشكل معضلة في المدارس العربية في الكاميرون، فالمدرسون يبذلون ما يسعهم من جهد ووقت لتوصيل المادة العلمية إلى التلاميذ ولكن النتيجة لا تكون دائما على قدر المَبذول، فالكثير ممن يزاولون مهنة التدريس، وكاتب هذه السطور منهم، ينقصهم الشيء الكثير من التدريب الاحترافي غير ما يصادفهم أحيانا من بعض الدورات التدريبية. وحتى إذا افترضنا أن مدرس اللغة قد خضع للتدريب التربوي في سنواته أو دوراته الطبيعية، فإن الحاجة تبقى ملحة إلى التدريب الخاص بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها لمن يدرس اللغة العربية. إن المشكلات المتعلقة بتدريس مادة اللغة العربية في مدارسنا كثيرة؛ بدأ من تحضير الدرس اللغوي إذا افترضنا وجوده، ومرورا بالنشاطات اللغوية التي تمارس أثناء الدرس، وانتهاء إلى أساليب التقويم. كل ذلك يتم في ظل استعمال الكتاب المدرسي الذي لا يعكس شيئا من واقع التلاميذ بحال من الأحوال، بل لا يعكس شيئا من واقع غير واقع عربي، وهذا سر استئثار المصطلحات والعبارات الدينية الحيز الأكبر من مساحة اللغة العربية الفصحى في البلاد. وقد ظل كثير من التلاميذ غير قادرين على الإتيان بالنماذج اللغوية الأعم في خطاباتهم أو كتاباتهم. وإلا، فهي في الغالب آخذة بالطابع الديني لا محالة.

الكتاب المدرسي.

يجب أن يكون الكتاب المدرسي، وهو الأداة المنفذ بها محتويات المنهج التعليمي المرسوم، والمحقق بها مختلف الأهداف في عملية التعليم، مشتقا محتوا-من نصوص وأمثلة وتدريبات وغيرها من النشاطات اللغوية المودعة فيه- من حياة الدارسين وحاجاتهم¹. والكتاب المدرسي يقوم بوظيفته الأساسية هذه في جو ثقافي وحضاري لأهل اللغة.

إن الكتاب المدرسي الذي عرفه التعليم العربي عندنا، منذ فجره إلى يومنا هذا تقريبا¹، هو ذلك الكتاب الذي تم وضعه لبيئة أجنبية، وهي لا تمت إلى بيئتنا بصلة في معظم جوانبها¹. فالمعروف أن الكتب المدرسية، التي تستخدمها مدارسنا في البلاد بمختلف أصنافها ومستوياتها، مستوردة بكاملها من مختلف الدول العربية لمستويات وتخصصات مختلفة، وتصل إلينا بكميات، وهي لم تعد صالحة للاستعمال في بلادها وقت إرسالها إلى بلاد أخرى. إنه لا تخفى أهميتها في الجانب الديني، وحتى في كثير من الجوانب الأخرى، ولكنها لا توصل إلى الغاية المرجوة، فهي، بالإضافة إلى أنها وضعت لأبناء العرب، ولأهداف معينة وأعمار مختلفة، تقدم مجموعات من القواعد اللغوية في نصوص ونماذج لغوية لا تمت إلى احتياجات المتعلم بصلة، ولا تساعده بالتالي على إتقان اللغة العربية بالمستوى المطلوب.

إضافة إلى ما تقدم، فإن ثمة مشكلة أخرى تتعلق باستعمال الكتاب المدرسي في غير بيئته، وهي أن المدرس الذي يتعامل مع هذا الكتاب يحتاج إلى وعي مشكلة اللغة العربية، ثم إلى كفاية لغوية تجعله قادرا على محاولة تكييف هذا الكتاب تكييفاً يتطابق بمستوى الدارسين وأعمارهم، ويتطابق ببيئاتهم الثقافية، أي: يحاول قدر الإمكان أن يوائم بين الثقافة العربية التي لا غنى لمتعلم اللغة العربية عنها وبين الثقافة المحلية التي تساعده على توظيف اللغة العربية في وسطه الوظيفي والاجتماعي. ولكن ليس من الهين أن يكون الوعي المنشود لدى كثير من مدرسي اللغة العربية في تلك المراحل الأولى في هذه البلاد، فضلا عن أن تكون لديهم القدرة الكافية لتكييف ذلك الكتاب المدرسي تكييفاً يعود بالنفع على اللغة العربية.

الأساسيات في اللغة العربية.

يعاني معظم الدارسين بالعربية في الكامبيرون ضالة الأساسيات في اللغة العربية، والمعني بهذا الموضوع تحديداً، هو غالبية الطلاب الذين يلتحقون بأقسام اللغة العربية في الجامعات الكامبيرونية. فالسلم التعليمي لدارسي اللغة الثانية في الثانويات العامة يبدأ في الكامبيرون من الصف الثالث الإعدادي، ويستمر إلى الصف الثالث الثانوي، ويكون مجموع السنوات الدراسية في هاتين المرحلتين خمس سنوات. وحصيلة هذه السنوات الخمس هي الأساس الذي سوف ينبنى عليه المستوى القادم للطلاب الجامعي. لكن تلك السنوات الخمس التي تمثل المرحلة الأساس لطلاب أقسام اللغة العربية في الجامعة تعاني خلافاً بينا من عدة جوانب، أهمها:

(أ) / إن الطلاب الذين يختارون اللغة العربية في المرحلة الأساس (المتوسطة والثانوية) يبدأ معظمهم تعلمه اللغة العربية في هذه المرحلة، فقليل من هؤلاء من يأتي إلى هذه المرحلة بمستوى مناسب، وإن كان كذلك فإن هذا المستوى يكون نسبياً، أي: عبارة عن مقتطفات غير مؤسسة فاضل بها الطالب أكثر زملائه في الصف.

(ب) / ليس كل الطلاب الذين يختارون اللغة العربية في المرحلة الأساس يبدأون تعلمها من حيث المبدأ، فبعضهم يجربون لغة اختيارية أخرى قبل اللحاق باللغة العربية، وقد تكلفه التجربة أكثر من سنة، مما يجعل المرء قد يصادف ضمن طلابه من درس اللغة العربية سنة واحدة.. وربما بدأ تعلم الطالب اللغة العربية في المستوى الأول بالجامعة. فالمدرس في مثل هذا الظرف لا يكون في مأمن من مواهى المستويات المطربة، فيضطر إلى محاولة التوفيق بينها.

(ج) / ساحة التعليم العربي في الكامبيرون غير مضبوطة، فظاهرة تزيف المستندات والشهادات متفشية بسبب كون وسائل الكتابة والطباعة في متناول الجميع، فكثير ممن يدرسون اللغة العربية في الثانويات العامة ليسوا من المؤهلين لمهنة التدريس، لأنهم، بكل بساطة، فاقدون، وكان منهم من الفساد في هذا الشأن ما هو فوق التصور.

مجال المحادثة بالعربية.

اللغة تطبيق وممارسة شاملة لجميع مهاراتها. ومن أهم المهارات اللغوية التي تشد هم متعلمي لغة ثانية مهارة الحديث أو المحادثة. والمحادثة تعزز دافعية متعلم اللغة الثانية نحو استكمالهم السيطرة على قواعدها وإحكام استخدامها¹ بشكل يساعدهم على التفكير بها وإتقان تراكيبها والتفنن في تعابيرها.

يعاني الدارسون للغة العربية في الكامبيرون، بحكمها لغة ثانية في البلاد، غياب ما يشجعهم على ممارستها حديثاً، فإن مجال الحديث للطلاب باللغة العربية يكاد يكون محصوراً في قاعة الدرس، وربما في ساعة درس اللغة، فهم لا يجدون من خارج القاعة من مواقف ما يشجعهم أو يجبرهم على الحديث بهذه اللغة التي تتوق إليها نفوسهم. ويذهب عدد من الطلاب من مختلف المستويات في قسم اللغة العربية وحضارتها بجامعة نغاوندرى إلى أنهم يجدون

صعوبة في التعبير عن أفكارهم بعربية، وخاصة على مستوى الحديث الشفوي¹. وقد يُعَلَّل هذا العجز بمحدودية معجمهم اللغوي-وهذا ما يذهب إليه معظم أفراد العينة، ولكن من المعلوم أن الممارسة اللغوية هي، كما تقوم بترسيخ المفردات المكتسبة لدى الدارس، تدفعه كذلك إلى البحث عن مفردات جديدة للمعاني تبدو له في المواقف الكلامية، وإلى محاولة توليد الجديد منها والاستكثار منها.

الخاتمة.

إن تدني مستويات التلاميذ وطلاب الجامعة صار أمراً عادياً في هذه الأيام، وهو ليس مقصوراً على من يتعلمون اللغة الثانية فحسب. وقد أدركنا من خلال ما تقدم أن المستوى الواقعي لدارسي اللغة في الكامبيرون، عموماً، لا يصادق مستوى الدرجات العلمية الذي يطالبون بها، وقد تم، باختصار، ذكر أبرز الأسباب المشتركة التي أفضت إلى هذا التدني، والتي تتمثل في أساليب تدريس اللغة، وهي من مسئولية المدرس، والكتاب المدرسي المستخدم لتدريس اللغة، وهو من مسئولية المؤسسة، وكذلك ضعف الأساسيات الضرورية للغة العربية لدى الدارس، والدارس عنها مسئول إلى حد كبير. وهذا هو الوضع العام لمستوى اللغة العربية لدى دارسيها قبل التحاقهم بالجامعة حيث يتحصلون على الدرجات العلمية العالية التي تطالبني وإياك بمستوى لا يختلف كثيراً عنها.

وبالرغم مما يبذله دارسو اللغة العربية في التعليم العالي بالكامبيرون من جهد كبير محاولاً إتقان هذه اللغة تحدثاً وكتابةً، إلا أنهم يجدون صعوبة بالغة في ممارستهم لهذه اللغة يمكن إدراكها من خلال محاولتهم الحديث الشفوي بها أو التحرير الكتابي. اعتقد أن من أسوأ أسباب تدني مستوى طلاب اللغة العربية في هذه البلاد هو عدم كون مدرس اللغة العربية في المرحلة ما قبل الجامعة مُعَدَّاً إعداداً تربوياً، بدليل أن مستوى الطلاب أخذ يتحسن منذ أن بدأ تخرجهم على أيدي الدفعات التي تلقت إعداداً تربوياً من المعهد العالي لإعداد المعلمين بجامعة ماروا.

قائمة المراجع:

- الماحي، عبد الرحمن عمر، الدعوة الإسلامية في إفريقيا: الواقع والمستقبل. 1 الدَّو، فضل كلود، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، رسالة دكتوراه، ط، 1، 1998م.
- إسماعيل أحمد ياغي، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر - قارة إفريقية، 2 / 247، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1413هـ/1993م
- مؤمن إبراهيم، دور المعاهد الإسلامية في نشر اللغة العربية في الكامبيرون، مجلة المؤتمر الدولي السادس بدبي، 2017م، ص: 160.
- الشيخ عثمان حمدو، مؤسس المعهد، عبر مقابلة 03 يناير 2022. والشيخ من خريجي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام 2001م، وهو من أحسن الدعاة في الكامبيرون وله جهود دعوية بارزة في شرق البلاد وشمالها في مجال الدعوة والتعليم وفي مجال الإغاثة.
- الشيخ آدم موسى، أحد أعضاء اللجنة المؤسسة لهذا المعهد، مقابلة في 3 من يناير عام 2022م.
- الشيخ أبوبكر موديبو إبراهيم، مؤسس المعهد، مقابلة بتاريخ 22 ديسمبر 2021م. من خريجي الأزهر الشريف بجمهورية مصر العربية عام.... وهو المفتي لإمارة قيدير، وهو منصب كان يشغله والده في هذه الإمارة.
- الدكتور إبراهيم بابا، رئيس رابطة المثقفين بالعربية، مقابلة بتاريخ 04 يناير 2022م. لا أقدر على تسجيل إحصائية الخريجين من الجامعات العربية بالدقة، لأن عدد من تخرجوا في السنوات الثلاث الأخيرة لم يتم إحصاؤهم.
- الأمانة العامة للتعليم الإسلامي الخاص في الكامبيرون، تقرير لعام 2007م-2008م.
- الأمانة العامة للتعليم الإسلامي الخاص في الكامبيرون، تقرير لعام 2019م-2020م.
- وهيب سمعان وغيره، دراسات في المناهج، 437، مكتبة الأنجلو المصرية، 1982م.
- صابر المشرفي وغيره، التكلم، سلسلة لعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، 3، 6، ط1، دار النيل للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة 2014م.

الاستعارة التصريحية في شعر الشيخ محمد تکر هارون الباغوي بلاغية تحليلية

يحيى محمد هارون محاضر بقسم الدراسات العربية
جامعة فدرالية لافيا، ولاية نصرأوا نيجيريا.

2348039452644+، 2349065042838+

Email: Yahyamharon@gmail.com

التعريف بالشاعر:

نسبه:

نسبه من جهة أبيه: هو الشيخ محمد تکر بن هارون بن محمد بن أحمد مَعْدِي.
وأمه: هي السيدة حواء بنت الشيخ محمد أول دودو بن عمر، تنتمي قبيلته إلى قبيلة (الهوسا) وأبوه الشيخ هارون عالم كبير، وأديب متفنن، وإمام لمسجد الجامع في قريته، له تلامذة كثر يشغل حياته بدارسة العلم طول يومه وهو حرفته الوحيدة
مولد الشاعر:

ولد بقرية مشايا 1 (وتعني المنهل) يوم الأربعاء السابع من ربيع الأول سنة 1381هـ، وقد نظم أرجوزة في تاريخ ولادته، وهي ذات ثمانية عشر بيتا يقول فيها:
سبع ربيع أول قد ولد ** تکر لهارون فتى محمد
وسط ربيع في انسكاب المطر ** بورك فيه قد أتى كالبدر
مولد من أودع فيه السر ** في يوم الأربعاء صاب الخير
وسماها أرجوزة تاريخ مولد محمد تکر هارون التجاني الباغوي، ومشايا في حكومة (برسالي) ولاية (يوبي) نيجيريا،
انتقل أبوه من صكتو بغرب نيجيريا إلى موطن ولادة الشاعر شرقي نيجيريا، و"غوبر" حكومة في ولاية صكتو،
حيث انتقل والد الشاعر، وإليها تنسب حياة الشاعر.
نشأته:

نشأ الشاعر الشيخ محمد تکر هارون في رعاية والده في عفة، وصونة، وديانة، كما سبق أن والده شيخ كبير، عالم وأديب، وتلامذته كثر، والشاعر من جملة تلامذة والده، وقد أخذ أكثر علمه من والده منذ صغره، إلى أن شاب واشتاق إلى رحلات علمية في نواحي نيجيريا، فتتقل في حلقات علمية في مدن نيجيريا.
وترعرع بقرية (دورون باغا) وهي بالشاطئ الغربي من بحيرة تشاد وهي الناحية الشرقية من نيجيريا، حكومة (كوكاوا) برنو نيجيريا.

* الاستعارة التصريحية في شعر الشيخ محمد تکر هارون

الاستعارة تصريحية قرينتها عقلية كما يقول البلاغيون. " هي التي يُصَرَّحُ فيها بذات اللفظ المستعار، الذي هو في الأصل المشبه به حين كان الكلام تشبيهاً، قيل أن تُحْدَفَ أركانه باستثناء المشبه به، أو بعض صفاته أو خصائصه، أو بعض لوازمه الذهنية القريبة أو البعيدة. مثل: وقف الغضنفر على المنبر، وارتجل خطبته العصماء، على عليّة القوم والدهماء، فبشر وأندر، وأطمع وحذر، وقال: أنا أميركم المبعوث إليكم بالرحمة والسيف، والفضل والعدل، فمن أطاع واستقام، أصاب من الإنعام والإكرام، ومن عصى والتوى، فبنار إثمته احترق أو اكتوى. إن كلمة "الغضنفر" التي هي بمعنى "الأسد" قد استعيرت بذاتها من الحيوان المفترس، وأطلقت على الأمير المبعوث لقوم أهل شقاق وخلاف. فهي في هذا المثال استعارة تصريحية، إذ جاء فيها التصريح بذات اللفظ المستعار." 1

ولقد وردت الاستعارة التصريحية في شعر الشيخ محمد تکر بشكل واسع وتعددت بتعدد أبياته وقصائده، وتكون في الصورة التقليدية من أمثال العرب القديمة واستعاراتهم، وهذا يدل على تأثره بالشعر العمودي، حيث لا يستعمل الاستعارات الحديثة في شعره إلا نادراً.

يقول: في مدح الشيخ أبي الفتح رضي الله عنه: [من المتقارب]

وَمَا قُلْتُ بِالشَّعْرِ لَوْلَا الَّذِي ** يُشَحِّدُنِي بَانَ سَيْفِي كَلِيلًا
كَأَنِّي بَلِيغٌ وَلَوْلَا الَّذِي ** أَبَاهِي بِهِ زَلَّ طَرْفِي جَدِيلًا¹

الطَّرْفُ بالكسر: الفرس، وبالفتح العين أو الجانب، وبالضم: الخبر الجديد أو الغريب، الصورة الاستعارية في البيت الأول في قول الشاعر {يشحذني بان سيفي كليلًا} حيث صرح بلفظ المشبه به وهو السيف، واستعار السيف هنا للهمة والعزيمة والحزم، أو القول والنظم، واستعار "الشحذ" للتشجيع والتحريض، الذي يكون بمثابة الشحذ للسيف، والجامع بين المستعار والمستعار له الإمضاء والتنفيذ، والاستعارة تصريحية أصلية، والقيمة الفنية في البيت جمال التصوير المطابق للمعنى، والاستعارة هنا: "نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه؛ وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة؛ ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة؛ من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالاً".¹

وفي البيت الثاني عبر بلفظ الطرف (بكسر الطاء) وهو الفرس ويعني به الأمل، وعبر "بزلة الطرف" بمعنى خيبة الرجاء، على سبيل الاستعارة بالكناية، والشاعر يعبر عن تعلقه بالممدوح ومدى اهتمامه به حتى صار عنده كالشحذ عند مواجهة الخطوب، وكالفرس عند الإسراع إلى المرغوب.

يقول السيد أحمد الهاشمي عن الاستعارة التصريحية الأصلية: "فالأصلية: ما كان فيها المستعار اسم جنس غير مشتق، سواء أكان اسم ذات كالأسد للرجل الشجاع، أم معنى، كالقتل للإذلال"¹

وقال: في مدح الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي رضي الله عنه [من المتقارب]

بُرُوجُ الْهَدْيِ سَلَّمَتْ مَالَهَا ** مَنِ النُّورِ لِلشَّمْسِ تَبَغَّى الرَّحِيلَا
فَأَتَتْهُمْ الشَّمْسُ مِنْ ضَوْئِهَا ** عَلَى النُّورِ قَدْ كَانَ فِيهِمْ حَفِيلًا¹

استعار الشاعر لفظ (بروج) للشيوخ بجامع الرفعة وعلو المنزلة لكل، ثم استعار لفظ الشمس في المثال الثاني للممدوح، بجامع الظهور على سائر الكواكب، على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، ويعنى الشاعر بالبروج هنا الشيوخ الذين عاصروا الممدوح، وأنهم أذعنوا له، وسلموا له الأمر، وانقادوا لإشارته، فصاروا له تبعاء، كما أن الكواكب تدين للشمس حين طلوعها، فلا تنازعها في قوة هذا النور الساطع، وينبئ أيضا عن أخذ الشيوخ من الممدوح كأخذ الكواكب من نور الشمس.

وقول الشاعر "عَلَى النُّورِ قَدْ كَانَ فِيهِمْ حَفِيلًا" أي شاملاً وملئاً، ومن ذلك قول الآخر:

شَكَرًا عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ حَفِيلًا ** صَلُّوا عَلَيْهِ بِكَرَّةٍ وَأَصِيلًا¹

وقول الشاعر: في وصف حالته الوجدانية: من [الطويل]

عَوَاصِفٌ وَجْدِي لَا يَزَالُ هُبُوبُهَا ** عَلَى جَمَرَاتِ الْقَلْبِ تَدَابُّ ذُوبَتِي¹

استعار الشاعر لفظ عواصف لحالته النفسية الوجدانية، ليصور مدى هيجان عاطفته الجياشة، وما يعانیه من العشق والهيام الذي يشكل صورة العاصفة، ثم شبه نفسه بالشمعة التي تذوب بالوقود عليها، كحال العاشق الذي ينزوي. ومنه ما أنشده أبو العنبس:

ضرام الحبِّ عَشَّشَ فِي فَوَادِي ** وَحَصَّنَ فَوْقَهُ طَيْرَ الْبِعَادِ

وقد نبذ الهوى في دَنْ قَلْبِي ** فَعَرَّ بَدَتِ الْهَمُومُ عَلَى فَوَادِي¹

"وسمي العاشق عاشقا لأنه يذبل من شدة الهوى، كما تذبل العشقة إذا قطعت والعشقة: شجرة تخضر ثم تدق وتصفّر".¹ وهي نبت من نبات الأرض معروف تنزوي سرعان ما قطعت عن أصلها.

وقال الشاعر: في مدح الشيخ أبي الفتح رضي الله عنه [من الوافر]

بِأَرْضِكُمْ زَرَعْتُ جَمِيعَ بَذْرِي ** حُبُوبُ الْحُبِّ فِي حَقْلِ الْكِرَامِ

يَصِحُّ بِسَاحَةِ الْعَرْفَانِ ضَرْبِي ** خِيَامُ الْعِشْقِ فِي دَارِ السَّلَامِ¹

وفضل هذه الاستعارة وما شاكلها على الحقيقة أنها تفعل في نفس السامع ما لا تفعله الحقيقة؛¹ لأن الخيال

يلعب فيها دوره المهم.

في البيتين استعارتين تصريحتين ففي البيت الأول استعار لفظ الزرع والبذر لرسوخ الحب في القلب كرسوخ عروق الشجرة في الأرض، وصرح بقوله: حبوب الحب لا حبوب الدخن ولا الأرز وما في حكمهما، ثم استعار لفظ الخيمة للعشق الثابت، وصرح بنسبة العشق للخيام، والصورة في البيتين توحى بتشبث الشاعر بمحبوبه، وتعلق قلبه وحنينه إلى أرض ممدوحه، واستعمال لفظ "الزرع وضرب الخيمة دلالة على البقاء على عهد المحبة، وهو التعبير بلفظ الزرع والخيام، اللذين يشيران إلى المكوث وعدم الترحال، على طريقة الاستعارة التصريحية، لأن قلب الشاعر وجد أرض المحبة في محبوبه خصبة صالحة للزراعة، فبذر فيها حبه فصار القلب في تمكنه كالزرع

الذي استوى على سوقه، فكان الشاعر يقول: فلن أبرح الأرض حتى أفوز بمناي وهو القرب من محبوبي أو يحكم الله لي بالرجوع فقلبي في هيامه ما بقيت.

وقال: أيضا في مدح الشيخ أبي الفتح البرواوي رضي الله عنه [من الكامل]

حَرَمَ يَأْمَنُ كُلَّ دَاخِلِهِ ** عَنْ هَوْلِ يَوْمِ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ
بَلْ سُلِّمَ الدَّرَجَاتِ أَخَذَهُ ** يَغْلُو إِلَى الْجَنَاتِ وَالنَّهْرِ¹

كان الشاعر يحس بالأمن والطمأنينة بقربه من الممدوح، ولذا شبهه بالحرم بجامع التحصن والتحرز من المكروه، على سبيل الاستعارة التصريحية "التي هي أن تشبه شيئا بشيء، ثم تنقل لفظ المشبه به وتطلق على المشبه لأجله هذا التشبيه إطلاقا كأنه وضع له من غير تصريح بالتشبيه لا بالمشبه به على وجه يشعر بالتشبيه"¹ وجعل تأمين الحرم المعروف حسيا وتأمين الممدوح عقليا، لأن العالم كالسائق إما أن يكون حريصا على نجاح من يقودهم فيكون سببا في إنجائهم، أو مهملا غافلا فيكون سببا في إهلاكهم، (وقوله بل سلم الدرجات) ما يرتقي به الإنسان مراتب إلى الدرجات فهو إما حسي وإما معنوي "يقال: هي السلم، وهو السلم، أي: السبب والمراقبة، والجمع: سلالم"¹ ويكون في الأمر مبالغة من ناحية، ويكون حقيقيا من ناحية أخرى، لأن الأمن الحقيقي لا يتحقق إلا بالرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، ولا يتم ذلك إلا بمجالسة العلماء الصالحين الذين هم بمثابة السلم الذي يترقي الأخذ به إلى الفلاح والنجاح، وكان نوع التشبيه جمع بين الحقيقة والمجاز. "وإن بلاغة الحقائق التي تذكر من غير استعانة بمجاز أو تشبيه لا تقل عن المواضع التي كان فيها تشبيه أو مجاز"¹

وقال في مدح الشيخ إبراهيم إنياس رضي الله عنه: [من المتقارب]

أَيَا قَوْمٍ لَا تَرْقُدُوا بَعْدَمَا ** أَتَتْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ صَلُّوا طَوِيلًا¹

في البيت الاستعارة التصريحية تحقيقية، "وهي ما كان المستعار له فيها محققا حسا أو عقلا بأن كان اللفظ منقولا إلى أمر معلوم يمكن الإشارة إليه إشارة حسية، أو عقلية"¹ إن كلمة "ليلة القدر" التي هي بمعنى "الخير الكثير" قد استعيرت بذاتها ونقلت للإنسان، وأطلقت على العالم المشهور بإرشاد القوم بكلماته السديدة، فهي في هذا المثال استعارة تصريحية، إذ جاء فيها التصريح بذات اللفظ المستعار. "إن اللفظ نقل من مسماه الأصلي، فجعل اسما له على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه."¹ والمراد من استعارة ليلة القدر حث الناس على الالتحاق بالممدوح، وبمراعاة إحساس الناس في موافقة هذه الليلة، ولذا شبه الممدوح بليلة القدر بما لكل منهما من الخير الكثير، وفي هذا التشبيه حسن التضمن الذي ما تضمن، مع أنه بنى على ادعاء أن المشبه والمشبه به سواء، وعلى هذا قال صلوا طويلا، وإن كان المقصود بصلوا طويلا امكنوا طويلا.

وقال: في مدح أبناء الشيخ أبي الفتح رضي الله عنه [من البسيط]

نُجُومُنَا فِي سَمَاءِ الدِّينِ كَأَنَّ يَرَى ** شُعَاعُهُمْ مِنْ عَدَا لِلْسَّيْرِ عَكَا¹

شبه الشاعر أبناء الشيخ بالنجوم في البيت بجامع الإنارة وعلو القدر، واستعار لفظ "نجوم" للممدوحين، وصرح بالاستعارة بقوله: (سماء الدين) على طريق الاستعارة التصريحية، وأضاف الدين للسماء تشريفا وتعظيما لقدره، ونسبة الدين إلى السماء مجاز، وتشبيه الممدوحين بالنجوم لبيان مكانته بين هذه الأمة، وأنهم بمثابة النجوم في الاهتداء بهم، وإرشادهم إلى معالم الدين.

وقال: في مدح الشيخ أبي الفتح رضي الله عنه [من الكامل]

مُرْجَى الْبُضَاعَةِ قَاصِرُ الْفَكْرِ ** هَلْ تَعْطِفُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَرِ
أَوْ تَقْبَلُونَ ثَنَاءَهُ سَنَدِي ** حَتَّى يُصَادِفَ فَيْضَهُ الْبَحْرُ¹

استعار الشاعر لفظ البضاعة المزجاة للقصيدة وصرح بقوله: "أو تقبلون ثناءه" على سبيل الاستعارة التصريحية، بأن المقصود من البضاعة هنا الثناء أو القصيدة على وجه عام، واقتبس الشاعر هذا المعاني من قوله تعالى... وَجِئْنَا بِبُضَاعَةٍ مُرْجَاةٍ فَأَوْفَ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ¹ وفي هذا الاقتباس تفاؤل من الشاعر في أن يجد من الممدوح شبيه ما وجده إخوة يوسف، من إقبال، وجهاز كامل وعناية وقبول.

وقال: في مدح الشيخ أبي الفتح رضي الله عنه [من المتقارب]

أَبُو الْفَتْحِ شَيْخِي الَّذِي عِنْدَهُ ** فَتُوحٌ إِلَى النَّفْخِ لَمْ يَنْفَدِ
نَمَاءُ الْمُرِيدِينَ مَحْوُ السَّوَى ** نَهَارُ الْمُحِبِّينَ لَيْلُ الْعَدَى¹

استعار الشاعر لفظ "النهار" للدلالة على الفرحة والسرور الناتج عن لقاء المحبوب، حيث يزرع البهجة في الوجوه، ويضيئها عند المعاينة، واستعار لفظ "الليل" للدلالة على البغض والحقد والعداوة التي تسود النفوس الحاقدة. وجعله ليلا على الأعداء يزرعهم بوعظه، ويلقمهم الحجارة بالأدلة والحجج الساطعة، والقرائن العقلية واللفظية تدل على المراد من كلمتي النهار والليل، فكل منهما استعملت في غير ما وضعت له، على سبيل الاستعارة التصريحية،

وقد استنبط الشاعر، هذه المعنى من قوله تعالى: الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ⁽¹⁾. ففي هذه الآية استعارتان تصريحيتان:
الأولى: استعار كلمة "الظلمات" للدلالة بها على الكُفْر والجهل بعناصر القواعد الإيمانية، والجهل بمفاهيم الإسلام وشرائعه وأحكامه، ومنهاج الله للناس فيه.

الثانية: استعار كلمة النور للدلالة بها على الإيمان والعلم بعناصر القواعد الإيمانية، وبمفاهيم الإسلام وشرائعه وأحكامه ومنهاج الله للناس¹.
والقرائن الفكرية واللفظية تدلُّ على المراد من الكلمتين، فكلُّ منهما مستعمل في غير ما وُضع له في اصطلاح التخاطب، وعلاقته المشابهة، ولم يُذكر في اللفظ وجه الشبه، ولا أداة التشبيه، ولا لفظ المشبه، فالاستعمال جارٍ على طريقة الاستعارة التصريحية.

وأردف قائلا: [من الطويل]

أَيَا فَرْحَةَ الْأَحْبَابِ يَا غُصَّةَ الْعُدَى ** فَهَيَّئْتِ فِي أَخَذِ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ¹

شبه الشاعر هيئة من غاظه أن يرى نعمته على الآخرين أو من كلف نفسه العداوة به بهيئة من غص بشراب أو ريق، واستعار لفظ " غصة " للغيط الشديد، والجامع بينهما الحسرة والتعب الشديدين، على سبيل الاستعارة التصريحية.

قال الشاعر: في وصف القصيدة من [المقارب]

وَلِي دِيْمَةُ الْمَدْحِ تَهْمِي عَلَى ** أُولَى الصَّدَقِ فِي الْحُبِّ لِلْأَحْمَدِ
وَتَذْنُو سَحَابِيَهُ لِلشَّرَى ** تَصُبُّ الْقَصَائِدَ فِي الْمَقْصَدِ
وَتَرْعُدُ بِالْمَدْحِ إِذَا بَرَقَتْ ** وَتَسْقِي مِنَ الْعَشْقِ بِالْمُرْبِدِ¹

وشبه القصيدة بالسحابة وهي ترعد وتبرق بجامع التأثير في كل، واستعير لفظ السحابة للقصيدة على سبيل استعارة تصريحية. قال تعالى: هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (12) وَيُسْخِجُ الرَّعْدَ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (13) ¹ كما أن ذكرى الحبيب الذي حن القلب إلى لقائه، تنبت على وجه الحبيب السرور، ويعلو على خديه البهجة والحبور، فيكون التشبيه قد أخذ حظه من هذا وذاك، وتوحي الصورة بقوة العاطفة لدى الشاعر حيث شبه العشق بالويل المردار ليدل على وجدانه وعشقه النازل على قلبه كنزول على الغيث الأرض، "والعاطفة القوية هي التي تلهب التصوير، وتسري حرارتها في الصورة الأدبية، وتبعث في النظم قوة التأثير"¹ وأما ما ذكره الشاعر من رعد القصيدة والإبراق الذي يكون في السحابة، فيكون له معنيان:

الأول: ما يحصل للعاشق الوله عند ذكر محبوبته التي ما زالت تماطله وتدلل عليه من حالة فيرتعد قلبه رهبا ورغبا، لطمعه في اللقاء وخوفه من الحرمان والطرده.

وأما الثاني: فما يكون من الرجاء القوي للمحب المتعلق أمله، على القرب من حبيبته، كلما مر ذكرها على خاطره وقلبه، والأبيات الغراء التي تشبه البرق لمعا في عينه، كما يزداد رجاء الزارع ويقوى أمله كلما رأى البرق. "ألسنا نلاحظ مثل ذلك في طبائع النفوس وأحاسيسها، وسلوك ذوي الإرادات الحرة ؟ إن الملاحظة الذكية تستطيع أن تنصيد للشئ الواحد عدة أشباه ونظائر من هذا الوجود الكبير.

والقيمة الفنية في الأبيات هي رسم الصورة الأدبية البديعة الرائعة، التي تظهر قدرة الأديب على التعبير بأنواعه وأشكاله و"الصورة الأدبية هي التركيب القائم على الإصابة في التنسيق الفني الحي لوسائل التعبير التي ينتقيها وجود الشاعر- أعني خواطره ومشاعره وعواطفه- المطلق من عالم المحسوسات ليكشف عن حقيقة المشهد أو المعنى، في إطار قوي نام محسن مؤثر، على نحو يوقظ الخواطر والمشاعر في الآخرين."¹

وقال: في مدح أبناء الشيخ أبي الفتح رضي الله عنه [من الطويل]

مَعَادِنُ عِلْمٍ قَادَةُ النَّاسِ لِلْهُدَى ** وَيَرْضَى بِهِمْ مَنْ صَاغَهُمْ خَيْرَ شَيْخَةٍ
كَوَاكِبُ أَنْوَارٍ تَلِي مَنْ ذَكَرْتُهُمْ ** مِنْ أَبْنَاءِ شَيْخِي مِنْ ذُكُورٍ وَنِسْوَةٍ¹

في البيت الأول شبه اجتماع الخير بالمعدن، واستعير لفظ المشبه به وهو المعدن للمشبه وهم أبناء الشيخ أبي الفتح على طريق الاستعارة التصريحية، إذ صرح فيها بلفظ المشبه في البيت الثاني وهو قوله: مَنْ أَبْنَاءُ شَيْخِي، ثم شبههم أيضا بالكواكب بجامع النور والهداية.

الطرفان في هذا المثال حسيان هما " المعدن- والكواكب " والجامع بين المشبه والمشبه به بعضه حسي وبعضه عقلي، مثال " الكواكب " في الاستنارة والهداية، فالاستنارة حسية والهداية عقلية، " على طريق الاستعارة

التصريحية التبعية، ومثال ما إذا كان الطرفان حسيين، والجامع بعضه حسي، وبعضه عقلي، قولك رأيت بدرًا يضحك - تريد شخصاً مثل «البدر» في حسن الطلعة وعلو القدر، فحسن الطلعة حسي، وعلو القدر عقلي - ومثال ما إذا كان الطرفان عقليين ولا يكون الجامع فيهما إلا عقلياً¹ كقوله تعالى: ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ¹ وقال: في مدح الشيخ أبي الفتح رضي الله عنه [من مجزوء الكامل]
خَيْرُ الْعُقُودِ مِنَ النُّجُومِ ** مَ، عِلْقَتُهُ وَرَهَتْ نُحُورُ¹

العقود جمع عقد وهو ما تتزين به النساء على نحورهن، فاستعار لفظ "العقود" للبهجة والهيبة، وقرينة الاستعارة قوله علقته، إذ يستحيل نظم النجوم على شكل العقد وتعلقه على العنق، على سبيل الاستعارة التصريحية إذ صرح فيها بلفظ المشبه به.

والقرائن الحافة من الحال ومن المقال دالة على المراد، وأنه لم يقصد العقد الحقيقي ولا نسبة العقد للنجوم¹

وقال: في رثاء الشيخ يوسف عبد الله طندمي [من الكامل]

نَبِيٍّ عَلَى بَحْرِ الْمَعَارِفِ قَدْ سَرَى ** بِذَهَابِ يُوسُفَ كُلُّنَا مُتَأَسِّفٌ¹

استعار الشاعر لفظ البحر للمرثي، وقرينة الاستعارة قوله: " قد سرى " على سبيل الاستعارة التصريحية، إذ يستحيل السير للبحر، لأن السير من خاصية الذهاب على القدم، ويصور الشاعر حالته وجملته المريدين للشيخ يوسف عبد الله بحالة عطاش وما يغيظهم من فقد الماء وهم ظمأى، ف" قولك: " رأيت بحراً يتحدث " تريد: رجلاً عالماً، فقد استعير لفظ " البحر " للرجل العالم استعارة أصلية؛ لأن اللفظ المستعار اسم جنس حقيقة¹.

وقال: في وصف الفيضات الربانية والمنح الصمدانية [من الحفيف]

أَمْتَرِي أَعْظَمَ الضُّرُوعِ مِنَ السَّبِّ ** سِرِّ الَّذِي يَرْضَى بِدُونِ فِطَامٍ¹

ومعنى أمتري الناقصة: حلبها أي أمسح، والمسح من يمسح الضروع، وقد استعار الشاعر لفظ " ضروع " للمدد الإلهي الذي يمن به على من يشاء من عباده، وحاصله المواهب الربانية والمنن الإلهية، وصرح بقوله: من السر، واستعار لفظ " فطام " لانقطاع الممد الذي يتعوذ منه كل داع، ومنه دعوة الآخر: " ومزيدك أمتري، وعفوك أرجو، وفيك أتخير - يعني جمالك يحيرني - ومعك أطمئن، وإياك أعبد، وإياك أستعين، لا رغبة إلا ما نيت بك"¹.
 وقول الحريري:

وكننت من قبل أمتري نشبا ** بالأدب المقتنى وأحتلب¹

وقال الشاعر: في مدح الشيخ أبي الفتح رضي الله عنه [من المتقارب]

وَنَارُ الْهَوَى أَشْعَلَتْ جَهْرَةً ** عَلَى شَمْعَةِ الصَّبِّ أَضْحَى نَحِيلاً¹

شبه الشاعر هيئة الشمعة وهي موقدة عليها النار، بهيئة القلب وهو مغرم مشتاق واستعار لفظ " الشمعة " للقلب بجامع الاحتراق في كل منهما وإن كان احتراق القلب أمراً معنوياً واحتراق الشمعة أمراً محسوساً ظاهراً، ثم أخذ الوهم: في تصوير القلب بصورة الشمعة، فاخترع لها مثل صورة الهزال شيئاً فشيئاً وهو قوله أضحى نحيلاً، ثم أطلق على الصورة التي هي مثل صورة الشمعة، لفظ (أشعلت) فتكون لفظة (الشمعة) استعارة تصريحية، أو (تخييلية) مبالغة في التشبيه، و(نار الشوق) مذكورة على الاستعارة، وكذلك نار الوجد، ونار اللوعة، ونار الغرام، وما أشبهها، وقد أكثر الناس فيها نظماً ونثراً، ومنه قول أحمد بن أبي طاهر يهجو المبرد:

(ويوم كنار الشوق في قلب عاشق ** على أنه منها أحر وأوقد)¹

وقال الشاعر: في مدح الشيخ أبي الفتح رضي الله عنه [من البسيط]

بَحْرُ التَّعَشُّقِ فِي الْمَحْبُوبِ لَيْسَ لَهُ ** مِنْ سَاحِلٍ لَا أَرَى فِي الْحُبِّ أَطْرَافاً¹

شبه الشاعر من ابتلي بالحب بحال الغارق في البحر، واستعار الشاعر لفظ (البحر) للحب بجامع الشمول والإحاطة في كل منهما، على سبيل الاستعارة التصريحية، وذكر أنه بحر محيط بالقلب لا ساحل له ولا أطراف، حتى لا يطمع الغارق فيه للخلاص منه.

وقال الشاعر: يمدح الشيخ هاشم بن أبي الفتح رضي الله عنه في زيارته لقريّة الشاعر

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا ** مِنْ سَمَاءِ الْعَارِفِينَ

نَزَلَ الْوَيْلُ قُبَيْلَ الْـ ** فَيْضِ بَيْنِ الْيَاسِينَ

قَدِمَ الرُّوحُ قُبَيْلَ الْـ ** سِرِّ عِنْدَ الْفَائِزِينَ

مِنْ فَنَاءِ الْغُوثِ جَاءَ الْـ ** سِرِّ بَيْنَ الطَّالِبِينَ¹

في الأبيات استعارة تصريحية، حيث استعار الشاعر لفظ " البدر، والويل، والروح " للممدوح، وصرح بقوله: من فناء الغوث، والقرينة عقلية " وقوله: طلع البدر علينا من سماء العارفين " عن طريق الاستعارة التصريحية التبعية،

ومثال ما إذا كان الطرفان حسيين، والجامع بعضه حسي، وبعضه عقلي، قولك رأيت بدمراً يضحك - تريد شخصاً مثل «البدن» في حسن الطلعة وعلو القدر، فحسن الطلعة، حسي، وعلو القدر عقلي¹ وقوله: قدم الروح على طريق الاستعارة التصريحية التبعية - ومثال ما إذا كان المستعار منه حسياً، والمستعار له عقلياً، هو الممدوح والروح، والأمثلة كلها على سبيل الاستعارة التصريحية.

وقال: في مدح الشيخ أبي الفتح رضي الله عنه، [من الكامل]

يا أيها البحر المحيط بمهجتي ** والغير مثل الآل في القيعان¹

أطلق الشاعر في هذا البيت على الممدوح أنه البحر، على سبيل الاستعارة التصريحية إذ صرح فيها بلفظ المشبه به. والاستعارة التصريحية² وهي التي يصرح فيها بذات اللفظ المستعار، الذي هو في الأصل المشبه به حين كان الكلام تشبيهاً، قبل أن تحذف أركانه باستثناء المشبه به، أو بعض صفاته أو خصائصه، أو بعض لوازمه الذهنية القريبة أو البعيدة¹.

وقال في مدح الشيخ أبي الفتح الليرواوي رضي الله عنه: من [المتقارب]

سحابٌ على أرض أهل النهى ** فسقياً لها ثم سقياً لها¹

أطلق الشاعر في هذا البيت على الممدوح أنه سحاب، على سبيل الاستعارة التصريحية إذ صرح فيها بلفظ المشبه به، والقرائن الحافية من الحال ومن المقال دالة على المراد، وأنه لم يقصد السحاب الحقيقي، لقوله: على أرض أهل النهى "إذ لو كان السحاب الحقيقي لما اختصه بأرض أهل النهى، وفيه من المجاز، حيث نسب الأرض لأهل النهى وهم ذوو العقول السليمة"، وفيه تلميح على أن الأرض ليست حقيقية، والسحابة كذلك لعله يعني بها هنا النصح والإرشاد، الذي بمثابة الغيث بالنسبة للعقل، ويعنى بالأرض العقل الذي يقبل النصيحة والوعظ والإرشاد، ولما كانت المنافع تنقسم إلى ما يكون بالنسبة والملاءمة، إلى صور مناسبة لها نعيم وابتهاج... اقتضى انقسام الذكر الجميل إلى ما يتعلق بالمنافع والأشياء المناسبة لهوى النفس، وسمى ذلك نسيباً وعلى ما يتعلق بالأشياء المستدعية رضا النفس وسمى ذلك مدحاً¹

المبحث الرابع: الاستعارة المطفلة في شعر الشيخ محمد تكرر هارون

الاستعارة المطفلة². هي الاستعارة التي لم تقتزن عبارتها بأوصاف أو تفرعات أو كلام مما يلائم المستعار منه، أو يلائم المستعار له، باستثناء القرينة الصارفة عن إرادة المعنى الأصلي للفظ المستعار¹. أو هي ما لم يذكر معها شيء يلائم أحد الطرفين، فهي - وإن خلت مما يقوي تناسي التشبيه، ويدعم دعوى الاتحاد من ذكر ما يلائم المشبه به - ليس فيها ما ينافيهما من ذكر ما يلائم المشبه، وإذا كان هذا حالها كانت خليفة بأن تحتل مكاناً وسطاً بين أختيها: المرشحة، والمجردة¹.

وذلك قول الشاعر: في وصف حالته الوجدانية في اتجاهه الصوفي [من الوافر]

حلالٌ خمرٌ هذا الفيض نسقى ** شراب الصرّف مع ماء الغمام

حلا السنين في حلقى نديم ** فكيف السر في سكر المدام

به مسك الختام يرد عنه ** أولي الإنكار أصحاب الظلام

يمد السالكون من أهل فيض ** كؤوساً في السلامة عن زحام¹

استعار الشاعر لفظ الخمر والندماء والكؤوس، للوجدان والشعور وما يبعثه أكار الأحبة من النشوة والفرح، وقد جمع بين الاستعارة والمجاز، لأن المجاز حركة ذهنية تصل بين المعاني وتعتد بينهما روابط خاصة في شعور الشاعر وإحساسه الوجداني، وقرينة الاستعارة قوله: " يمد السالكون من أهل فيض كؤوساً في السلامة " وهو الفرق بين المعنى الحقيقي والذي استعير منه وهو العلاقة الوجدانية، لأن السالك هو القيم على الطاعة، والسلوك هو الاستقامة، ويستحيل للمتسقيم أن يوصف بالمتبادر من معاني الألفاظ في الأبيات، بل فيه شيء من الإلغاز، كما قال الدكتور شوقي ضيف: " ففي كلمات الشعر سحر، وفيها خفاء وفيها إيعاز وإيحاء، وهذا كله يجعلها غير محددة الدلالة، بل يجعل دلالتها تقبل احتمالات كثيرة، فكل صورها حسب حالته الوجدانية، وحسب ما يستطيع أن يستنبط منها، وحسب أصدائها في نفسه، وحسب ما تبعثه فيه من عواطف ومشاعر، وكأنها نافذة يطل منها على أفق واسع من عالمه الداخلي، أو كأنها أداة من أدوات الإثارة¹

" ومن مقاييس جودة الشعر التي احتفى بها النقد العربي ترك الشاعر على سجيته، والبعد عن الصنعة، وعدم أخذ النفس بما يثقل عليها من التأمل والكلفة، فالذوق العربي يفضل ذلك النمط من الشعر الذي يتجلى فيه انسياب القريحة وانقيادها لصاحبها¹ وقد تكرر موقف التباين بين أمر الدين وأمر الشعر في وظيفتهما عند أبي هلال العسكري، فالشعر الجاهلي الذي هو أقوى الشعر وأفعله في نظره قد بني أكثره على أضداد الفضائل، وهذا سورغ

للإسلاميين الوقوع في مثل ذلك لأنه لا يراد من الشعر إلا حسن اللفظ وجودة المعنى، وقد نقل عن بعض الفلاسفة أنه قيل له: " فلان يكذب في شعره فقال: يراد من الشاعر حسن الكلام، والصدق يراد من الأنبياء "1 وقال: في ذكر الورد اللازم للطريقة التجانية: [من الكامل]

عَهْدُ التَّجَانِي لَا أُبِيعُ بِهِ ** تَالله لَا أَنْفَكُ عَنْ ذِكْرٍ 1

وبيع العهد استعارة حيث شبهه بالسلعة والعروض، ومن ذلك قول الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ 1 قال الصابوني: " فيه استعارة، فقد استعار لفظ الشراء للاستبدال.1 وقد جرى في التعبير القرآني استعارة لفظ البيع والشراء للعهد والميثاق، ليتبين النجاح والربح لمن أوفى به، والخذلان والخسران لمن نكثه ونقضه، وبيع العهد في قول الشاعر: بمعنى الاستبدال والنكث بما عهد عليه من اتباع القائد وهو الشيخ التجاني - رضي الله عنه - أنه ألزم على نفسه الوفاء به، وأقسم على ذلك في قوله: " تالله لا أنفك عن ذكر "

وقال: في وصف رحلات الشيخ أحمد أبي الفتح العلمية نحو مدينة زاريا بولاية "كدونه" وهي مدينة مشهورة محشودة بالعلماء، ولها مكانتها بين الطلبة. [من الوافر]

وَلَمَّا فَاصَتْ الْأَفْكَارُ نُورًا ** تَرَحَّلَ نَحْوَ (زَارِيَا) حِينَ صَالًا

وَحِينَ سَطَا وَكَرَّ عَلَى فَهْومِ الدَّ ** شَرِيعَةً وَالْحَقِيقَةَ لَا مِثَالًا "1

استعار لفظ فاض لهيجان الفكر، حيث شبه الفكر بالبحر الفياض وصرح بقوله " نورا " على سبيل الاستعارة المكنية، وصال يصول قهر وغلب على المنازع، ومنه قول آخر:

ولكنما هو لامرئ ذي حفيظة ** إذا صال لم ترعد إليه خصائله "1

وقوله: حين صالا" مناسباً لقوله: وحين سطا وكر على فهوم، وفيه استعارة مكنية حيث شبه الفهم بالقرم الباسل، أو الطريدة التي يكر عليها الصياد.

وفيه أيضاً التشخيص للأمور المعنوية، قال في الدراسات اللغوية: " سطا عليه وبه سَطُوا وسطوة، صال أو قهر بالبطش "1

وقال: في مدح الشيخ أبي الفتح رضي الله عنه [من المتقارب]

وَقَطَعَ ذَا الشَّيْخِ أَصْلَ الْهَوَى ** بِفَاسٍ لِيَزْرَعَ جُهْدًا مُطْيِلًا

وَأَثَبَتْ لِلْقَوْمِ فِي دِينِهِمْ ** أَصُولَ الْهُدَى ثَابِتَاتٍ أَصُولًا

مِنْ الذِّكْرِ لِلَّهِ فِي شُكْرِهِ ** مَعَ الْفِكْرِ وَالنَّبْتِ يَسْمُو كَمِيلًا "1

وقول الشاعر: "والنبت يسمو كميلًا " أي كاملاً لا عاهة فيه ولا نقص، وهو مما يجوز للشاعر من الضرورة، ومن شواهد سيبويه قول القائل:

على أُنْتَبِي بَعْدَ مَا قَدْ مَضَ ** ثلاثون للهجر حَوْلًا كَمِيلًا "1

إن الاستعارة المطلقة أبلغ من الاستعارة المجردة، أما بلاغة الاستعارة من حيث الابتكار، وروعة الخيال، وما تحدثه من أثر في نفوس سامعيها، فمجال فسيح للإبداع، وميدان تسابق المجيدين من فرسان الكلام،1 أنظر إلى قول الشاعر في وصف هوى النفس، حيث يرسم أمامك الهوى في صورة غابة تشتبك بها الأغصان، فحاول الممدوح جاهداً في قطعها واستئصالها وقطعها عن أصلها غير المؤصل، وانظر إلى نظره من زاويتي الضلال المترتب عليه هوى النفس، والهدى الموجبة ذكر الله وشكره، والتفكير في خلق السماوات والأرض، حيث جعل للهدى أصولاً متعددة، لكثرة الأسباب التي تؤدي إلى رضوان الله تعالى.

قائمة المصادر والمراجع

- الصناعتين: أبو هلال العسكري، تحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية - بيروت، 1419 هـ،

- زهر الأكم في الأمثال والحكم: الحسن بن مسعود اليوسي، ج1،

- كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، باب السين واللام والميم، تحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، ج7،

- علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»: أحمد بن مصطفى المراغي،

- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: عبد المتعال الصعيدي، ج3،

- الصورة الأدبية تاريخ ونقد: علي صبح، دار إحياء الكتب العربية، د ت،

- المنهاج الواضح للبلاغة: حامد عوني، ج5،
- البصائر والذخائر: أبو حيان التوحيدي، الناشر: دار صادر – بيروت، ط1، 1408 هـ -1988 م،
- مقامات الحريري: أبو محمد القاسم بن علي الحريري الناشر: مطبعة المعارف، بيروت، 1873 م،
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: أبو منصور الثعالبي ،
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع،
- البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد: للدكتور محمد كريم الكواز، ط1، 2006 بيروت لبنان،
- في النقد الأدبي: د/ شوقي ضيف،
- مقاييس الجوده في الشعر العربي القديم: عبد الله بن صالح العريني، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية) المجلد الرابع - العدد الثاني - 1424 هـ - 2003 م،
- الإتجاه الأخلاقي في النقد العربي: الدكتور محمد مريسي الحارني، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي (الكتاب 64 (1409 هـ - 1989 م،
- ما يجوز للشاعر في الضرورة: محمد بن جعفر القزاز القيرواني أبو عبد الله، تحقيق: الدكتور رمضان عبد التواب، دارالعروبة، الكويت - بإشراف دار الفصحى بالقاهر، د ت،
- ديوان رؤية بن العجاج التميمي البصري: دار ابن قتيبة الكويت، د ت،
- سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط1، 1421 هـ - 2000 م،
- الكشف: للزمخشري:

الروافد الثقافية التي شكلت شاعرية الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي

إعداد: د/ ثريا تجاني كندل

محاضر بكليتي العلوم التربوية واللغة والإعلام والآداب والفنون بجامعة أنجمينا
مدير إدارة الشئون الإدارية والموارد البشرية بجامعة أنجمينا

المقدمة:

إن الأمة العربية أمة عرفت بالشعر والعاطفة الإنسانية، واللغة العربية هي لغة الشعر والأدب، والشاعر التشادي لم يكن بعيداً عن هذه الأمة، وتعتبر اللغة العربية من أهم الروافد التي يستقي منها الشاعر التشادي والثقافة العربية التي كان عليها العرب من أدب وشعر ونثر حيث أثرت تأثيراً كبيراً على خيال الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي وثقافته، فتوسعت أفكاره وازدادت علومه وتفتقت قرائحه فأتى بقصائد ذات معان شعرية جديدة، خرجت بها آراؤه وأفكاره وعواطفه حصيلة لثقافة إنسانية عالية ومشاعر مركبة، كما أن الشاعر عبد الواحد تتمثل فيه غزارة الثقافة في امتدادات عميقة، وورث حضارات وتطلع إلى ثقافات الأمم المختلفة فاستطاع أن يشكل في شاعريته الروافد الثقافية المختلفة وفي مقدمتها الثقافة العربية.

دواعي الاختيار:

لقد اخترت هذا العنوان المتواضع لهذا البحث وذلك لعدة أسباب منها:
- لابد من دراسة العمل الفني التي تحتويه المادة الشعرية، من القدرات والإبداعات التي شكلتها الروافد الثقافية.

- لا بد من تقييم العمل الشعري الإبداعي الذي يعكس قدرة الشاعر وثقافته المتنوعة التي شكلت شاعرية الشاعر بهذا المستوى.

أهمية الموضوع:

- إن دراسة الأدب التشادي ضرورة تحتاج للبحث والتنقيب.
- إن دراسة ومعرفة الروافد الثقافية التي شكلت الشعراء التشاديين من بينهم الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي مهمة جداً.
- إن الروافد الثقافية لها دور في تكوين وتشكيل الشعر العربي في تشاد.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث الى:

- مدى تأثير الروافد الثقافية وخاصة العربية منها على شعر عبد الواحد حسن السنوسي.
- الكشف عن ملكة الشاعر الفنية والإبداعية، تأثير الثقافات المتنوعة فيه وتأثره بها.
- الكشف عن الجوانب الجمالية الفنية التي هي نتيجة لتلك الروافد الثقافية.

فروض البحث:

- ماهي الروافد الثقافية؟ ما نوعيتها؟ من أين أتت؟
- ما مدى تأثير الثقافات المختلفة على الشعر التشادي.
- هل الثقافات المتنوعة هي التي شكلت شاعرية عبد الواحد حسن السنوسي؟

الدراسات السابقة:

تحديد المشكلة:

من خلال دراسات في البحوث المختلفة وجدت أن الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي قد تأثر بكثير من الثقافات المتنوعة التي فرضت عليه معايير تنبع من الشعر العربي، كما أن هناك مكونات وافقت مع فطرته النقية وسجيته الأصلية وموهبته المكتسبة والتي سرت في شعره آثار تلك التيارات المتداخلة والتي شكلت إبداعه الرهيب من روافد شتى قديمة كانت أم حديثة وتتقدمها المنابع العربية الأفريقية التي تغلغلت في صميم تكوينه.

كل ذلك جعلني أن أتناول هذه الدراسة المتواضعة وقد تعترض طريقي بعض المشكلات أو الصعوبات منها:

- 1- أن هذه الدراسة تعتبر باكورة الدراسات في الشعر التشادي.
- 2- أن الروافد الثقافية التي شكلت شاعرية الشاعر قد تكون دراسة جديدة في الشعر العربي في تشاد.

هيكل البحث:

الفصل الأول

الروافد الثقافية في الشعر العربي

المبحث الأول: مفهوم الروافد الثقافية ونوعيتها ومصادرها.

المبحث الثاني: تأثير الروافد الثقافية في الشعر العربي.

الفصل الثاني

الروافد الثقافية التي شكلت شاعرية الشاعر

المبحث الأول: التعريف بالشاعر حياته الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية.

المبحث الأول: الروافد العربية والإسلامية والأفريقية.

المبحث الثاني: الروافد الأجنبية والأسطورية.

الخاتمة وتشمل الجديد في البحث والتوصيات وفهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

الفصل الأول

الروافد الثقافية في الشعر العربي

يرى كثير من النقاد أن موهبة الشاعر هي التي تعتبر ذروة سنام إبداعه المتواصل الذي من خلاله يبدع ويرسم صورته الشعرية، كما أن الاستعداد الفطري للشاعر وانطلاقته الأولى لها الأثر الكبير في مواصلة مشواره الشعري، وهذه الموهبة تحتاج إلى من يدعمها ويقويها ويوسع مداركها، وهذه ما تسمى بالروافد ومنها: الجغرافية والتاريخية اللذان يعتبران رافدان أساسيان في الشعر العربي وأصالته، وكذلك ثقافة الشاعر وقراءته لأكثر الفنون والعلوم والثقافات الأخرى، وبيئته الاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية والاقتصادية كل هذه تعين الشاعر على بناء الشخصية الشعرية والقدرة الإبداعية التي تمنحه تلك الروافد القوية التي يتزود منها ويحرص عليها كما تمنحه القدرة على مواصلة مسيرته الشعرية، فالروافد الثقافية هي التي تغذي موهبة الشاعر لخوض غماره في الحياة وتأثيره على الناس وهذا مما يستوجب علينا أن نقف عند تعريف الروافد.

المبحث الأول:

مفهوم الروافد الثقافية نوعيتها ومصادرها

الروافد { اسم } الرافد خشب السقف.

روافد جمع رافد، رَفَدَ السائلُ أَعَانَهُ دَعَمَهُ بَصْلَةً أو عَطَاءً.

رَفَدَ الحائطُ دَعَمَهُ وَسَنَدَهُ.

رَفَدَ الدابة / رَفَدَ على الدابة: جعل لها رَفَادَةً وهي الدعامة للسرّج والرحل ونحوهما. رَفَدَ صاحبه أعطاه.

رَفَدَ الرجلُ مشى مشياً يشبه الهرولة.

رَفَدَ القومُ فلاناً: سودوه وملكوه أمرهم وعظموه.¹

الروافد في الاصطلاح:

إذا كانت الثقافة في لسان العرب تعرف بأنها مأخوذة من ثقف الرماح: أي تسويتها لذلك ارتبط معناها بتهذيب وتليين الطباع، وأن الروافد الثقافية هي التي تتراكم في وجدان الفرد عن وعي أو غير وعي فتصبح تراثاً إنسانياً،

أنواع الروافد الثقافية:

يعد الحديث عن الروافد الثقافية موضوعاً مهماً ويهتم بالجوانب الفكرية والأكاديمية في محاولة لجمع الروافد ومن أهم أنواع الروافد الثقافية هي²:

الروافد الأساسية الأصلية – الروافد الوافدة – الروافد العربية والإسلامية – الروافد العرقية – الروافد الحضارية – الروافد اللغوية – الروافد الأجنبية –

مصادر الروافد الثقافية:

تعتمد الروافد الثقافية في الشعر العربي على عدة مصادر بعيدة الأطراف متنوعة الاتجاهات منها: البيئات الاجتماعية والسياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، الثقافة الأدبية الواسعة وأهم تلك المصادر هي:

– الثقافة العربية: التي كان عليها العرب من الآداب الجاهلية من شعر ونثر وكان القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وكذلك الشعراء في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي والعباسي هذه الثقافة العربية المتميزة بعد أن نمت جذورها وعلت منابتها إلا أنها ازدهرت في هذا العصر والذي يسمى بالحديث وأنت ثمارها، وأقوال الشعراء والأدباء وغير ذلك من الروافد العربية.

– روافد الثقافة الأجنبية: التي ترجمت من الأمم الأخرى المجاورة للدول العربية كالفارسية والتركية واليونانية والهندية، وتأثير وامتزاج العرب بالفرس، وإنشاء المكتبات التزاوج بين العرب والعجم.

المبحث الثاني

تأثير الروافد الثقافية في الشعر العربي

للروافد الثقافية أثرٌ كبير في الشعر العربي، مع أن كثير من النقاد يرون أن موهبة الشاعر هي الأساس في إبداعه وسنداً قوياً لمشروعه الشعري إلى نهاية مطافه، ومن خلالها يبدع كما أن الاستعداد الفطري لقول الشعر وقوته في بدايته مهم جداً والانطلاق الأول كما أن القصيدة الأولى للشاعر لها أثرها في مواصلة مشواره الشعري، ولكن الموهبة تحتاج إلى عدد من الروافد التي تدعمها وتزيد من عمرها ومن تلك الروافد الجغرافيا والتاريخ وهما رافدان أساسيان يحملنا موهبة الشاعر على الأصالة والتأصيل والتواصل مع جذوره، ويأتي مع ذلك ثقافة الشاعر وقدرته على الإطلاع والقراءة في أكثر

¹ – معجم المعاني: ص

² نفس المصدر: ص

الألوان والفنون وشعر حديث أو قديم، كل ذلك مما يعين الشاعر على شخصيته الشعرية وقدرته الإبداعية وتجعل من وجوده وحضوره التميز وأن القوة التي يبرز بها ويتقدم بها أمام الجماهير كان لها طعم ولون ورائحة ، وأن الروافد التي تمنح الشعراء القوة والقدرة يجب أن يتصلوا بها ويتزودوا منها ويحرصوا عليها لأن في ذلك قوة دافعة تمنحهم القدرة على مواصلة رحلتهم والخوض في غمار الحياة والتأثير على الناس، وحياة موهبة الشاعر متصلة بما يغذيها من روافد حياة. إضافة إلى ذلك: 1 القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة اللذان يعتبران من أهم مصادر الروافد الثقافية في الشعر العربي والثقافة العربية من شعر ونثر وحكايات وقصص عبر العصور المختلفة، والتي يليها الثقافات الأجنبية التي ترجمت من الأمم المجاورة ونتيجة الاختلاط بغير العرب من الأقوام نتيجة لتوسع رقعة الدولة العربية الإسلامية أو نتيجة الفتح الإسلامي الواسع حيث امتدت الخلافة العربية الإسلامية من الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً وامتزاج الأمم والأقوام نتيجة التعامل والتقارب خاصة في العصرين الأموي والعباسي.

وتأثير العرب بالفرس فأتت هذه الثقافة أكلها وثمارها لا سيما في العصر العباسي الثاني ، أي في هذا العصر لما شهدته من تقدم ورقي وحضارة في كل المجالات الثقافية فتطورت الآداب وتورت العقول وخاصة الشعر، فتحسن أساليبه وسهلت مفرداته وكثرت معانيه وشمخت أخيلته وازدادت فنونه وأغراضه لتشمل كل أمور الحياة ومتطلباتها، كما كان لنشوء المكتبات العامة أو الخاصة وإيجاد المواقع الدراسية بحيث أصبح التحصيل العلمي والأدبي أبوابه مفتوحة للدارسين وأثره واسع في ذلك، فقد انكب الناس وخاصة الشعراء على المطالعة والتدارس فزاد هذا وذاك في تفتق آفاق الشعر وأخيلة الشعراء، وكذلك المدارس النظامية التي تدرس فيها الأدب والشعر وفنونه واللغة العربية بفروعها والعلوم الأخرى من رياضيات وفلسفة وهندسة وبناء وري وفي كل أمور الحياة وكانت هذه من أسباب تطور الشعر ودفعه نحو التقدم والرقي والاكتمال فظهر شعراء فحول لم تسبقهم سابقة مثل المتنبي والمعري وغيرهم، والحالة الاجتماعية والمعيشية لها أثرها أيضاً، وهكذا قد غربت شمس اللغة العربية عن مناطق كثيرة كانت قد أشرقت عليها وأنارتها بنور الإسلام والقرآن الكريم ونور العلم والأدب والمعرفة، فقد ظلت اللغة العربية لغة الدين والثقافة والعلوم والأدب، والدولة طوال هذا العصر والعصور التي قبله وهي اتساع وامتداد حتى وصلت أوربا بما فيها فرنسا وشواطئ البحر المتوسط وجزره... ووصلت إلى أواسط أفريقيا وإلى الهند والصين، وهذا مما لاشك فيه أن الشعر يمثل حياة الإنسان في المجتمع ويصورها أفضل تصوير فمن يطلع على شعر حقبة زمنية معينة يستطيع معرفة الكثير عن أحوال هذا المجتمع في تلك الحقبة الزمنية، كل هذه عوامل ساهمت في تأثير الروافد الثقافية في الشعر العربي والشعراء في تشاد يتأثرون بروافد ثقافية تشكل شاعريتهم ومنهم الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي وهو موضوع البحث.

الفصل الثاني

الروافد الثقافية التي شكلت شاعرية الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي

تعتبر الروافد الثقافية مكوناً أساسياً لشاعرية الشاعر عبد الواحد ويعود هذا التنوع الثقافي للشاعر من حيث موقعه الاستراتيجي لبلده تشاد التي تقع وسط القارة الأفريقية، كما تعتبر تشاد ملتقى للثقافات بين الشرق والغرب والجنوب والشمال، وكما أن الانفتاح على الثقافات الأخرى لها أثر كبير في التداخل الثقافي واللغوي والعنقي الإفريقي والعربي الإسلامي وغيره كلها شكلت ثقافة تشادية متنوعة ومتعددة العادات والتقاليد والطبائع التي تجعلها متميزة عن بقية الدول الإفريقية، من هؤلاء الشعراء الذين تأثروا بتلك الروافد وأبرزهم الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي والذي سنتناول دراسة تأثره بالروافد الثقافية المتنوعة.

المبحث الأول: التعريف بالشاعر وحياته الدينية والثقافية والسياسية: نشأة الشاعر وحياته الدينية:

ولد الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي 1967م في مدينة {فايا} حاضرة إقليم بوركو - إينيدي - تيبستي - شمال تشاد وسط عائلة دينية معروفة، كان أبوه شيخاً داعية الشمال الأول، ظل والده يدعو مدة أربعين عاماً حين أقبل من سوريا التي تلقى فيها العلوم الدينية، حيث وافته المنية في منطقة تبعد عن مدينة فايا بستين كيلو متراً. أما والدته فاطمة أحمد فقد حفظت جزء كبيراً من القرآن الكريم على يد زوجها حسن السنوسي، كما أتمت الجزء الآخر بجهدا الخاص ثم واصلت الدراسة حتى تخرجت من معهد المعلمات بمدينة أجدابيا الليبية ثم أصبحت مديرة معهد الشعلة لتعليم البنات بنفس المدينة وكانت تعلم النساء بلغة {القرعان} قبيلة تسكن شمال تشاد.

مراحلته الدراسية والعملية:

درس الشاعر عبد الواحد أولى مراحلته الدراسية الابتدائية والإعدادية في مدرسة زيد بن ثابت القرآنية بمدينة أجدابيا الليبية، أما المرحلة الثانوية فقد قسمها بين مصر والسودان، ثم التحق بكلية الآداب بجامعة أنجمينا تشاد ولم يكمل المرحلة الدراسية حتى التحق بالسلك العسكري، والتحق في سلاح المشاة والدبابات بعدها تخصص في إنزال المظلات في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم بعثة أخرى إلى العراق، وبعد هذه الحياة المليئة بالرحلات والتنقلات والتجارب استقر به المقام في مدينة أنجمينا عاصمة جمهورية تشاد كمسئول عن خلية للمفوضية الوطنية لزرع الألغام، وأخيراً تحول إلى التلفزيون التشادي كصحفي محرر ومراسل.

أخلاقه وصفاته:

كان عبد الواحد شاباً طموحاً ذكياً بل في غاية الذكاء موهوباً أوتي فن الإلقاء، وكان يستلهم التاريخ الإسلامي في نظمه للشعر ويلقيه ببراعة وطول نفس. أما أخلاقه: فقد كان عبد الواحد زميلاً لكثير من الشباب، ولم تنقصه الحنكة في جذب أحسن الأصدقاء إليه، دائم الابتسامة ضحكاً بل كان متجديداً في جميع أعماله.

شخصيته:

عبد الواحد كان يعتمد على نفسه كثيراً في أموره ولا يحب الإتكالية وكان إذا وجه نقداً ينقده بقوة أما إذا وجه إليه نقداً لا يرحب به، وكانت شخصيته تمثل الشخصية الشمالية التشادية الشديدة الانفعال.

حياته الثقافية:

كان للشاعر عبد الواحد نشاطاً ثقافياً مميزاً، فقد شارك في المؤتمر الوطني المستقل والذي انتهى بإقرار العربية في الدستور إلى جانب الفرنسية، كما كان عضواً مؤسساً للندوة التشادية للثقافة والفن: اتحاد كتاب وأدباء وشعراء تشاد - كان أمين الثقافة باتحاد شباب الإسلام - عضواً مؤسساً للمؤتمر الجامع حول وضع اللغة العربية في تشاد - عضواً وأميناً عاماً لاتحاد الطلبة التشاديين.

له منشورات في الصحف التشادية: مثل أنجمينا اليوم والحوار اللتين نشرتا مقالاته وقصائده في أعدادهم المختلفة للعام 1994 - 1999م. ومن المقالات التي نشرت: مجرد فلسفة - الوصايا العشرة لهواة الأدب والشعر العربي في بلادنا - صرخة في وادي العرب - تشمل عدة مقالات - الشعر الدارجي إلى أين - فقهاء المرارة يرفعون البلاء وينزلون الشفاء ويستعينون بالنساء - يا عباد الرحمن ساعدوني في البحث عن قبيلة اسمها تشاد - اللغة والشعر وفنونهما مقالات متسلسلة.

الشاعر ألف ثلاث قصص هي: حلم ليلي - فارس السرج - غداً تنطفئ الشموع، وله عدد كبير من القصائد الشعرية منها معلقته المشهورة وارا والتي تتكون من 133 بيتاً.

هكذا كان الشاعر ذو ثقافة عالية حيث حياته التي قضاها بين مصر والسودان وليبيا وتشاد وغيرها وحفظه للقرآن الكريم منذ الصغر وإجادته للغة العربية والتفلسف بها والتلاعب بألفاظها، ومشاركته في الأنشطة الثقافية والنقابية والطوعية والموهبة الفطرية والاستعداد النفسي. الساعات الطوال التي كان يقضيها في المطالعة الحرة في المكتبة الخضراء بمدينة أجدابيا - مرحلة التجارب الإنسانية والرحلات والتنقلات من بلد لآخر بما فيها من مواجهة الصعاب وتحديد شخصية الفرد التي عاشها عبد الواحد وقصصه الأسطورية، كل هذه تعتبر روافد شكلت شاعرية الشاعر عبد الواحد مما جعل صديقه عز الدين مكي الصحفي الأديب الشاعر يكتب عنه ويقول عنه مقالاً بعنوان: مطلوب على الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي بتهمة إهدار ثروة قومية؛ ولو أنني أملك القرار لحبسته في قصر يطل على نهر شاري ليتفرغ فيه للإبداع. فرد عليه صديقه عبد الواحد بقصيدة بعنوان: أنني موجود يا مكي ومطلعها:

مطلوب القبض على شخصي عنوان قارئه يحترق
أنجمننا اليوم تسجله في آخر عنقود الأخبار
ومن إبداعاته أيضاً كتب الدكتور عبد الله حمدنا الله مطلعاً لقصيدة يقول فيه:

تشاديه

وفي العينين عنوان
تأمل سحر عيني
سقاني الله من شاري
وأبدع خلقه في

فأعطاها المقطع لعبد الواحد وأكملها وألقاها في المؤتمر الجامع حول وضع اللغة في تشاد بعد أن طلب من الكثير من الشعراء أن يكملوها ولم يستطيعوا.

الحياة السياسية:

كان الشاعر عبد الواحد جندياً قبل كل شيء، ثم كان عضواً مؤسساً لحزبين من أجل المعارضة التشادية هما: الاتحاد من أجل السلامة والديمقراطية والحزب الديمقراطي الأفريقي. هكذا كانت حياة الشاعر الدينية والثقافية والسياسية حافلة بتغذية الروافد الثقافية التي شكلت شاعريته.

المبحث الأول: الثقافة العربية والإسلامية والأفريقية:

حيث تميزت تشاد بموقعها الجغرافي التي دخلت فيه اللغة العربية مع دخول الإسلام في المنطقة وكذلك القوافل التجارية والتي كان في ذلك الوقت تمثل اللغة العربية والثقافة الإسلامية في الممالك الثلاث: مملكة كانم برنو - مملكة باغيرمي - مملكة وداي. فتعاقبت في تلك الفترة العديد من الثقافات المتنوعة والحضارات المتباعدة من لغة وعلم ودين واقتصاد وسياسة إضافة إلى دخول الاستعمار، كل تلك البصمات والعلامات حاضرة في الثقافة التشادية، في الألفاظ والعادات والتقاليد والقيم، وقد تلاقحت كل هذه مع الروافد الثقافية الإفريقية إلى درجة الانصهار، ويتجلى ذلك من خلال مستوى الثقافة الشفهية بالإضافة إلى الأدب المكتوب، وأن الثقافة بين العربية والإفريقية تميزت بالأخوة والتضامن والانسجام وجل المجتمع التشادي يتدين بالدين الإسلامي وتعتبر اللغة العربية لغة التخاطب بين جميع المجتمع شرقاً وغرباً جنوباً وشمالاً، وشكل هذا الانسجام مصدر افتخار، وما يميز الهوية التشادية هي تنوعها وتعددتها والتلاحم الموجود بين الثقافتين العربية والأفريقية يوطد الوطنية، ورغم أن الثقافة والهوية نتيجة لعدة عوامل ساهمت في إبراز ملامح الشخصية التشادية المتميزة واضحة إلا أن العقيدة الإسلامية هي من أهم ملامح الشخصية التشادية المسلمة. وهذا ما أشار كثير من الشعراء التشاديين منهم عبد الواحد حسن السنوسي الذي عاش حياة لها الأثر البالغ في التأمل والتفكير وفلسفة الذات التي كانت واضحة شعره كما كان حفظه لجزء كبير من القرآن وتربيته في بيئة دينية لها الأثر في تزويد الرافد

العربي الاسلامي، وكثيراً ما يفخر ويتحدث بالقرآن واللغة العربية والتاريخ الاسلامي والتراث المجيد في مثل قصيدته { كلنا في الضاد شرق } يرى الشاعر فيها نفسه جندياً من جنود اللغة العربية اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ولغة التخاطب في الدنيا والآخرة، حيث كتب قصيدة، بمناسبة الندوة العالمية الدولية {عالمية الأدب الاسلامي} يقول فيها:

أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا فُرْقَانَهُ
بَيِّنَاتٍ هَادِيَّاتٍ لِلْبَشَرِ
خُذْ لَهَا السَّبْعَ الْمَثَانِي مَثَلًا
أَوْ فَخْذُ هُودَا وَطَهَ وَالزَّمَرُ

ويقول أيضاً:

نَحْنُ يَا قَوْمُ حَزَمْنَا أَمْرَنَا
وَعَلَى الْجَمْرِ مَشِينًا نَحْتَظِرُ
وعجنا الضاد من أدمائنا
فتجلى في بَيْنَنَا وَاخْتَمَرُ¹

تمثل الخلفية الدينية خاصة من خصائص التجربة الشعرية للشاعر كما أنها تمثل رافداً مهماً من روافد الثقافة الدينية للشاعر عقيدة وممارسة وحياة وهوية، فكان لها الأثر الكبير والبصمة الواضحة في شاعريته حيث تجد حضور الآيات أصالتها وتجزرها في تربة إسلامية إذ يقول الشاعر: خذ لها السبع المثاني مثلاً: فقد تعامل الشاعر هنا مع الآية الكريمة بطريقة مباشرة وأنه استوحى هذه الألفاظ من قوله تعالى: { وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ } : كما تعامل أيضاً مع آية أخرى كمصدر أساسي له في انتقاء ألفاظه حين قال:

إِنْ مَنْ يَسْخَرُ يَا ضَادُ بِنَا
إِنَّمَا يَصْنَطَادُ فِي الْمَاءِ الْعَكْرِ
إِنْ يَكُنْ حُبُّكَ خَمْرٌ فَأَمْلَيْ
كَأْسَهَا حُبًّا وَهَاتِي نَخْتَمِرُ

وأن الشعر الإسلامي عند عبد الواحد يعدّ تعبيراً عن حسه الديني ونزعه الإسلامية التي تأصلت بذورها في نفسه، وكانت تقوم على قدرته المميزة في الإطاحة بشؤون الحياة الإسلامية، ولم يترك الشاعر مجالاً من مجالاتها إلا وصبوب إليه فنه، فقد دعا إلى وحدة المسلمين والتاريخ المجيد للأمة الإسلامية حيث يقول:

نحن يا إخواننا في خندق
واحد رغم اختلافات النظر
ديننا إسلامنا يجمعنا
ولسان يعربي مشتهر
إلى أن يقول:
فافتحوا أعينكم يا قومنا
واستيقظوا من رقادٍ وخدر
من يكن أسلافه أسلافنا
قطع النوم بأسياف السهر
أين منا خالد سيف الوغى
من سيوف الله مسلول الخطر¹

¹ مجموعة قصائد عبد الواحد حسن السنوسي ص214.

ويتحدث الشاعر على أن المسلمين أن يستيقظوا ويجمعوا صفهم ويوحدوا كلمتهم ويحتذوا حذو أسلافهم، كما تناول موضوع الحياة وتقلباتها وعن الرحيل عن هذه الدنيا ومن أهلها ومن الظلام الذين يعيشون على حساب الآخرين، وأن ما يجري سطرته أقلام القدر حيث لا مفر من حياة الضيق والعذاب، كل تلك الحالات تصطحبها التأمل والتدبر والتفكير في مخلوقات الله من سماء وأجرامها قائلاً:

وتكاد تنثني بالآخر عزيمتي
لولا مقادير جرت أقلامها
إني مللت من الحياة وأهلها
ولمست كم ظلامها أحكامها
وأدير في طرفي النجوم مناجياً
متقرباً من أنسها وسلامها
وأدور في فلك السماء مسبحاً
متفكراً متأملاً أجرامها²

كما تناول موضوع الأخلاق في المجتمعات التشادية حيث دخلت ألفاظ جديدة ومعان مبتكرة، وصور ناضجة مستمدة من الفكر الإسلامي، كما أن القصيدة الدينية والمعارضة الدينية التي تألق فيها تألقاً ملحوظاً، وملئت القصيدة الدينية بالأفكار الجديدة التي نهضت بالمثل الإنسانية من مثل الحديث عن الحقوق وإصلاح المجتمع والدعوة إلى الأخلاق الفاضلة والحميدة ويرفض العادات والتقاليد الضارة فينتقد بعض الفتيات اللاتي يجرين وراء ثقافات دخيلة وكدن أن يتخلّين عن هويتهن وعاداتهن وثقافتهن وتقاليدهن فبدأن يبحثن عن المفقود عبر سفينة تجري في عمق الوجود، ولم يجد الشاعر سوى الواقع الذي وصفه بالملعون الذي وصفه أيضاً بالظلام المقيت الذي يقابله في أرصفة الشوارع والطرق والأزقة، تلك القيم الفاسدة التي غرقت فيها الفتيات يقول الشاعر:

ماذا سوى واقعي الملعون
شيء مقيت شيء رتيب كالمثون
كالظلام كالمضيق
شيء يقابلني على أرصفة الشوارع
على قارعة الطريق³

الروافد الأفريقية:

تعتبر تشاد إحدى البلاد الإفريقية وتتميز بمكانة هامة حيث تقع في قلب القارة الإفريقية وقد كان لها تأثير كبير وامتداد تاريخي جغرافي في القارة السمراء، والتي تتمثل في نشر الدين الإسلامي والقوافل التجارية والعبور إلى الأراضي المقدسة، فالرافد الأفريقي يعتبر مكوناً مهماً ورئيساً للتواصل السياسي والثقافي والاجتماعي والتراثي والحضاري، هكذا كانت تشاد دولة إفريقية عربية في طباعها وعاداتها وتقاليدها والتي أسهمت إسهاماً كبيراً في تطوير إبراز الشخصية التشادية، والشعور بالوحدة الإفريقية وجمع الصف الواحد من أجل الكفاح ضد المستعمر الفرنسي كان من الهموم المشتركة بين أبناء إفريقيا وتلك المكائد الذي دبرها المستعمر ولدت في نفوس الشعوب ضرورة النضال والتضحية في سبيل الحرية والتخلص من برائث الاستعمار البغيض، وفي هذا يقول الشاعر عباس عبد الواحد في قصيدته { الثائر }

ضد مستوطن طغى سامه الخسف بعنف

¹ مجموعة قصائد: عبد الواحد حسن السنوسي، ص214

² نفس المصدر: ص212

³ نفسه ص159 - 160.

ويقول:

فبذا نستعيد ما ضاع ظلماً وبذا نمتطي ذرى الجوزاء¹
أما الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي يتمرد ويرفض خلال مسيرته الأدبية دخول المستعمر إفريقيا
الذي اقتحم أراضيها ونشر الفوضى والخراب والدمار بأهلها بعد ما كانت إفريقيا تنعم بالأمن والأمان
والسلام، فكان مدافعاً عن تلك الشعوب الإفريقية المظلومة التي تعرضت للاستعباد والاسترقاق في
قصيدته التي أسماها وديعة حيث قال:

كَانَ يَامَا كَانَ
فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ
فِي قَرْيَةٍ بَعِيدَةٍ مَجْهُولَةِ الْمَكَانِ
قَلِيلَةُ الْبَنِيَانِ كَثِيرَةُ السَّكَّانِ
يَسْكُنُهَا السَّلَامُ وَالْأَمَانُ
وَقَلْبُهَا يَخْفِقُ بِامْتِنَانِ
لِنَفْتَرِضَ اسْمَهَا وَدِيعَةً لِأَنَّهَا وَدِيعَةٌ
وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ تَعَالَى الصَّبَاحُ فُبَيْلَ الصَّبَاحِ
وَقَبْلَ سُفُوطِ النَّدى وَأَنْقِشِبَاعِ الضَّبَابِ
تَزَلْزَلَتِ الْأَرْضُ تَحْتَ وَدِيعَةٍ
وَنَارَ الْغَبَارِ وَمَادِ التَّرَابِ
وَحَلَّ بِهَا وَعَلَيْهَا الْخَرَابُ
طَوَابِيرُ جَاءَتْ مِنَ الْأَغْرَابِ
مَجُوسٌ وَبَعْضُ النَّصَارَى
وَبَعْضُ الْيَهُودِ وَبَعْضُ الْكَلَابِ²

هكذا كان الشاعر عبد الواحد يرسم الصورة الحقيقية في قصيدته التي تحمل في طياتها ما يعانيه الشعب
الإفريقي من ذل وقهر وظلم ، فاستطاع من خلال ذلك أن يحمل لواء الحرية وخوض المعركة الوطنية
بصوته وقلمه إلى جانب الشعب الإفريقي ضد القمع والظلم والاضطهاد ضد المستعمر في أفريقيا، وهذا
مما يجسد التلاحم والتعاون بين الشعب الإفريقي الواحد، كما يحن إلى أفريقيا التي غاب عنها فترة
والتي لمس فيها الحب والحنان الذي لم يجده في غيرها، ويكره مجي الليل لما يلاقيه فيه الهموم والآلام
والأشجان قائلاً:

كَلَّ الْمَوَانِي جُبَّتْهَا
فَوَجَدْتُ أَنَّ الْبَرْدَ شَدِيدٌ لَا يُحْتَمَلُ

إلى قوله:

هَا قَدْ رَجَعْتَ إِلَيْكَ الْآنَ
يَحْدُونِي الْأَمَلُ
عَلَّمْتَنِي مُقَلَّتَاهَا أَنَّ اللَّيْلَ
سَوَادٌ ذَابَ فِي سَحَرِ الْعُيُونِ
وَأَنْتَشَى قَلْبِي يَأْنَسُ
لَا يَزْخَرُحُهُ الْوَجَلُ³

¹ عباس محمد عبد الواحد: ديوان: الملامح ، مطبعة أسعد بغداد، ص12

² عبد الواحد حسن السنوسي مجموعة قصائد: ص

³ أعمال عبد الواحد حسن، المصدر السابق

كل هذه الظروف التي مر بها الشاعر من معاناة شعبه الإفريقي والغربة التي عاشها أثرت في معانيه ولغته وصدقه الشعوري والفني وكانت روافد الثقافة الأفريقية من الروافد المهمة والتي ساهمت في تكوينه الأدبي المتميز، إضافة إلى الروافد الأجنبية.

المبحث الثاني: الروافد الأجنبية والأسطورية: الروافد الأجنبية والأسطورية:

الروافد الأجنبية تعد من الروافد التي غرّت الشاعر وساهمت في صقل موهبته الفذة، فكان سعة إطلاعه على الآداب واللغات الأجنبية كالفرنسية والإنجليزية لها أثر كبير في تكوينه الأدبي وقد أكد لنا في أدبه فقراً الكثير للأدباء الأوروبيين وتأثر بالعديد منهم وبمذاهبهم الأدبية ، ويظهر ذلك في شعره الرمزي وعلى الرغم من اتساع ثقافته الأجنبية ولم تتصل هذه الثقافة إلا بما ينسجم مع قيمه الموروثة وعاداته الإفريقية وثقافته ودينه الإسلامي الحنيف تلك هي ثقافته الواسعة واتجاهاته البعيدة التي حققت له المجد الأدبي وهذا ما نلمسه في أعمائه الأدبية وخاصة الرمزية، فعندما يحن إلى الوطن الحبيب ويحرقه الشوق ويلهب أحشائه يرمز له بالأم الحنونة التي طالما انتظرت عودة ابنها بعد طول غياب عائداً إليها مع تباريح الندم منحنى الرأس موفور الألم من آلام الغربة والفرقة قائلاً:

هَـا أَنَا أُمّاهُ قَدْ عُدْتُ وَقَدْ طَالَ غِيَابِي
حَامِلاً قَلْبِي فِي كَفِّ جَوَاباً فِي إِيَابِي
هَـا أَنَا أُمّاهُ قَدْ عُدْتُ إِلَى مَهْدِي الصَّغِيرِ
بَعْدَ مَا أَيْقَنْتُ أَنَّي لَمْ أَزَلْ طِفْلاً صَغِيرِ
هَـا أَنَا أُمّاهُ قَدْ عُدْتُ وَفِي قَلْبِي تَبَارِيحُ النَّدَمِ
غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ حَانِي الرَّأْسِ مَوْفُورُ الْأَلَمِ

كما ظهرت الرمزية التي تأثر بها وأثرت في أعماله الأدبية، وبعد أن عاد الشاعر إلى وطنه الحبيب بدأ يحكي لوطنه قصة الكادحين البائسين الحائرين البعيدين عن أوطانهم الباحثين عنها، في ليل بهيم يكسب فيه المحبّون أنفاسهم، وتنزل المستوحشون قطرات دموعهم، ويستجاب السائلون دعواتهم، فراح ينظر إلى الليل نظرة تأمل وهدوء وهو ملاذه المؤقت ومجرى شكواه، وتداعيات حزنه، فهو وسادة المتعبين وقضاء المشتكين بنجومه وقمره وكواكبه قائلاً:

فَإِذَا مَا خِيَمَ اللَّيْلُ عَلَى الدُّنْيَا وَغَشَّاهَا النَّسِيمُ
فَسَأْحَكِي قِصَّتِي فِي ذَلِكَ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ
فَاسْمَعِي مِنِّي وَامْسَحِي الْأَدْمُعَ عَنِّي
إِنَّهَا قِصَّةُ كُلِّ الْكَادِحِينَ
إِنَّهَا قِصَّةُ كُلِّ الْبَائِسِينَ
إِنَّهَا قِصَّةُ كُلِّ الْحَائِرِينَ
إِنَّهَا قِصَّةُ أَبْرَاجِ النُّجُومِ

قصة الإنسان هذا باحثاً عن مصدر النور بأعماق السديم ويستمر الشاعر عبد الواحد في رمزيته التي كان رافدها الثقافة الأجنبية في إبداعه الأدبي، وكان مجدداً في أسلوبه الفني، حين يحن إلى وطنه أفريقيا وهذا الغياب الطويل عن الوطن والأهل له أثره على إنتاجه الأدبي ويعتبر من أهم الرافد التي كونت ثقافة الشاعر الأدبية فيقول:

هَـا قَدْ رَجَعْتُ إِلَيْكَ يَهْدُونِي الْأَمَلُ
عَلَّمْتَنِي مُقَلَّتَاهَا أَنَّ اللَّيْلَ سَوَادٌ دَابٌ فِي سَحْرِ الْعَيُونِ
وَانْتَشَى قَلْبِي يَأْنَسُ لَا يُزْعِزُهُ الْوَجَلُ

هذه نماذج من الروافد الأجنبية التي أثرت في إبداع الشاعر الفني والأدبي ولم يكتفي بهذه الروافد بل هناك:

الروافد الأسطورية:

إن البناء الأسطوري يتضمن عنصراً نظرياً أو فكرياً عميقاً أم فكرياً فحسب، بل إنه يحمل عنصراً فنياً ذات طابع إبداعي وأول ما بلغت الانتباه هو صلتها الوثيقة بالشعر ذلك أن عقل مبدع الأسطورة عقل شاعر بل أن الشاعر وصانع الأسطورة يعيشان في عالم واحد، فلم تعد الأسطورة مرتبطة بمرحلة تاريخية بدائية، لأن الفن لا ينفد إطلاقاً من الخيال الغرائبي الذي تصوره الأساطير بل يتجدد مع كل فنان عظيم¹

وأن الأسطورة وما تنطوي عليه من طاقات إبداعية فاعلة ومؤثرات تكسب الشعر قدرات فنية دلالية من خلال خلق علاقات عميقة السعة والشمول بحيث تصبح القصيدة نسيجاً فريداً من الدلالات والرموز التي تحيل ذلك العالم الخفي الذي يتوخى الشاعر تجسيده على المستويات الفكرية والنفسية والإنسانية عن طريق الأسطورة وما تتضمن من عطاء فني وتاريخي تكون إسقاطات الشاعر تجعله يوظف الأسطورة توظيفاً فنياً يكون في وسعه تلخيص اللغة الشعرية²

وأن الشعراء العرب الذين لجأوا إلى الأسطورة واستخدامها في شعرهم تأثروا بالشعر الغربي وعلى هذا نقول أن الشعراء التشاديون كغيرهم من شعراء الأدب العربي الذين استخدموا الأساطير القديمة ووظفوها في شعرهم، وأن الشاعر عبد الواحد استخدم كثير من الأساطير استخدم شخصية السندباد في قصيدته {العبارات المتحجرة} قائلاً:

أنا سائل عن صديقي السندباد
هذا الذي ألفت به الأسفار في كل البلاد
هذا الذي ما عاد
ساءلت عن أسفاره جزيرة الأحلام
أني سائل عن صديقي السندباد
هذا الذي أفقده زماننا
هذا الذي يخاصم الزمان والمكانا
هو الذي أسطورة قد كانا
وتجيبني قد كانا؛
أنا صانع ماذا بها قد كانا
ما كان بخاراً ولا ربّانا
ما كان ملاحاً ولا قرصانا
ما صعلوكا ولا سلطانا
لكنه أسطورة قد كانا

هنا كانت شخصية السندباد تعبر عن موقف يدل على فقدان الأمل في العودة فقد كان الشاعر عبد الواحد موفقاً وناجحاً في استخدام هذه الشخصية التراثية ومن حيث الإحساس بين الشعراء أن المنبع واحد، كم استخدم الشاعر أسطورة أخرى:

الفينيق والعنقاء:

هي تلك الأسطورة الخالدة والتي أصبحت مع مرور الزمن لسان حال الإنسان وإلهامه التي تحته على النهوض وتدفع به إلى الأمام وإلى المستحيل وقد استخدم هذه الأسطورة كثير من الشعراء فيقول الشاعر في قصيدته {العبارات الأسطورية}

أنا سائل عن طائر الفينيق
هذا الذي من موته يفيق
هو الذي يحطم الآجال ويصنع المحال
أضاع في متاحة السماء
أم ضاع في دوامة الرجاء

¹ رباب هاشم: توظيف الرموز الأسطورية في الشعر بين نازك الملائكة والسياب: ص
² نفس المصدر: ص

أم أنه مازال يقهر المحال

ويعرف الطريق والمجال²

هذه الأسطورة التي استخدمها الشاعر عبد الواحد تستمد البشرية دروساً في التحدي والاندفاع والصمود والتجدد في الحياة بكل ما فيها من تحديات تواجه الإنسان، والفينيقي والعنقاء اسم لطائر واحد فاستخدمه الشاعر مرة بالفينيقي ومرة بالعنقاء في قوله:

أنا سائل عن طائر العنقاء

عن صاحب التحليق والعلواء

أغاب من مسالك الغلوات

أم غاب في غياهب العتمة

وبهذا كان الشاعر متأثراً في استخدامه لتلك الأساطير التي استخدمها شعراء الأدب العربي في نتاجهم الأدبي موفقين فيه ووفق أيضاً الشاعر.

الخاتمة:

تناولت في هذا البحث المتواضع الروافد الثقافية التي شكلت شاعرية الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي التي تأثر بكثير من الثقافات المتنوعة ابتداءً بتعريف الروافد وأنواعها ومصادرها وتأثير الروافد الثقافية بكل أنواعها في الشعر العربي ثم تناولت جانباً من حياة الشاعر اجتماعياً دينياً ثقافياً وسياسياً، كما تناولت الروافد التي شكلت شاعريته وخلص البحث إلى النتائج التالية منها:

- لقد تأثر الشاعر بكثير من الثقافات المتنوعة المحلية والأجنبية والتي فرضت عليه معايير تنبع من الشعر العربي.
- أن هناك مكونات وافقت مع فطرته النقية وسجيته الأصيلة وموهبته المكتسبة والتي سرت في شعره.
- آثار تلك التيارات المتداخلة والتي شكلت إبداعه الفني الرهيب من روافد شتى قديمة أم حديثة وتتقدمها المنابع العربية والأفريقية التي تغلغت في صميم تكوينه.
- حفظه للقرآن الكريم وحفظ والديه له يعتبر الرافد الأول والأساسي في تشكيل شاعريته.
- اطلاعه الواسع للغة العربية خاصة واللغات الأخرى عامة.

كل هذه وغيره تعتبر مصدراً أساسياً لتكوين الشاعر الشعري، وعليه أوصي:

- 1- على أن تستمر مثل هذه الندوات العلمية للمساهمة في كشف كل ما هو مدفون.
- 2- على الباحثين اختيار المواضيع التي لم تدرس لدراستها وجعلها في متناول أيدي القراء

فهرس المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

الحديث النبوي الشريف

الكتب:

معجم المعاني

سالم بن رزيق بن عوض: روافد الشاعر: المجلة الثقافية الجزائرية، الرأي ص32.

رباب هاشم: توظيف الرموز الأسطورية بين نازك الملائكة والسياب ص5

عبد الواحد حسن السنوسي: مجموعة قصائد للشاعر.

عباس محمد عبد الواحد: ديوان الملامح.

اللغة العربية كجسر للتواصل الحضاري والدبلوماسي "تشاد انموذجا

د | اسماعيل عيسى يوسف

باحث في العلاقات الدولية والعلوم السياسية والدراسات الإستراتيجية
رئيس مركز الصفا للدراسات والابحاث بتشاد.

اهمية طرح الموضوع :

إن اللغة العربية الغنية بثقافتها وحضارتها العريقة، كانت بالأمس قوس التواصل بين الحضارات والشعوب، وقد شهدت أرض إفريقيا هذه اللغة منذ قرون، بل أصبحت تنقل هذه اللغة إلى الكثير من شعوب العالم، والتعامل بها عبر التاريخ، مما جعلتها تنافس وتعايش بلدان وشعوب في القارات الأخرى (آسيا وغيرها).
لقد وددت أن أشارك ببحث متواضع في هذا المؤتمر العلمي الدولي حول وضع اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء، والذي يضم كوكبة من الباحثين من جميع أنحاء العالم، للتنقيب عن جوهر اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء، تحت عنوان (اللغة العربية كجسر للتواصل الحضاري والدبلوماسي إنموذجا)
إن الدافع في إختياري لهذا الموضوع هو السعي لتسليط الضوء على مدى تأثير اللغة العربية وأهميتها لدى شعب تشاد، بجنوب الصحراء في إفريقيا من جانب، ثم معرفة مدى نمو هذه اللغة بعد طول غياب، كعنصر ثقافي حضاري عالمي، واتخاذها كجسر للتقارب بين الأمم، ومن ثم تتويجها بالعمل الدبلوماسي الرسمي والشعبي، ومدى اتخاذ اللغة للتعارف والتعاون والمضى بها قدماً وتمثيلها في المحافل الدولية، والإقليمية والعالمية الإسلامية، وبناء علاقات بناءة وواسعة مع شعوب العالم والدول.

المقدمة :

إن اللغة هي مفتاح التخاطب بين الناس وهي النبراس الذي ينقل الافكار والخبرات والقيم، لاسيما اللغات المكتوبة واللغة العربية لغة جد متميزة، بتعابيرها الواضحة المليئة بأساليبها من الاستعارات والجناس وبدائع التصوير للأحداث والمواقف.

فاللغة العربية لما تحملها من أسس حضارية ولما تمتلكها من مقومات تجعلها سرمدية، كما عاشت كعنصر للالتقاء البشري في العالم.

ولقد شهدت أرض إفريقيا اللغة العربية منذ قرون عدة، وأصبحت لغة مألوفة الوجود ولغة التخاطب والوصال بين أبناء القارة في أكثر من مملكة.

أما اللغة العربية في تشاد، فإن أرض تشاد التي وصلت إليها اللغة العربية قبل أكثر من ألفين سنة ، فمع بداية تدافق القبائل العربية من الجزيرة العربية فيما يعرف بالهجرات اليمانية ، إلى أرض إفريقيا من شبه الجزيرة العربية، في منتصف الألف التي سبقت ميلاد المسيح عيسى عليه السلام.

ولقد كانت أرض تشاد بالسودان الأوسط حضنت إمبراطورية كانم التي ترجع أصل نشأتها إلى المملكة السيفية باليمن، ثم تطورت وعرفت بإمبراطورية كانم التي تعمل منذ وجودها باللغة الغربية، ثم الممالك التي تفرعت منها، مملكة وداي ثم مملكة باقرمي.

لقد امتزجت اللغة العربية منذ تلك الهجرات، التي كانت في الغالب تجارية والبحث عن أرض للمأوى والاستقرار من بطش السلطات آنذاك، بالإضافة إلى عوامل أخرى كانهيار سد مأرب، التي أدت لخروج الناس إلى اتجاهات مختلفة. بعضها إلى الشمال نحو الجزيرة العربية والصحراء إلى الشام والبعض الآخر متجهة إلى الغرب عبر القرن الأفريقي من خليج عدن وبعضها إلى شمال القارة الإفريقية الإفريقية عبر البحر الأحمر.

ولقد وجد اللغة العربية والامتزاج العربي – الإفريقي، كانت للغة العربية في أرض تشاد مكانة خاصة، لأن اللغة العربية منذ أيام الممالك حظيت برعاية من قبل أباطرة إمبراطورية كانم الأم، ثم سرى ذلك في بقية الممالك (مملكة وداي – ومملكة باقرمي)، وعند ظهور الإسلام دين السلام وتشرفت بلباس من حلة للغة العربية و لكتاب الله الكريم والرسالة الخالدة، تمثلت اللغة العربية بقدسية خاصة لامست الوجدان البشري في تشاد وتبنتها ملوكها العظام، فتشاد استقبلت الإسلام بكل شوق وامتنان، امتثالاً للرسالة الإلهية.

ثم بعد إن تشرب الملوك مفاهيم الإسلام، في التعاون والإخوة والإنسانية، أصبحت لغة النشر الحضاري والتواصل مع بقية شعوب العالم وخاصة العالم الإسلامي.

فقد عرف الناس في أوج اهتمام ملوك تشاد أيام الممالك عبر التشجيع المميز لحفظة كتاب الله ، ووضعهم في مكانة تليق بهم وكذلك وجود المسابقات الأدبية والشعرية وتنظيمها، بابتعاث شعراء إلى خارج الإمبراطورية أو الممالك، لقد بدأ العمل الدبلوماسي باللغة العربية مع نشأت الممالك، فقد كانت اللغة العربية هي لغة البلاط الملكي وكتابة الخطابات أو ابتعاثها غالى الممالك والى الامبراطوريات القائمة آنذاك مثل الإمبراطورية العثمانية بتركيا (الباب العالي) ومملكة الحفصيين بأرض المغرب.

أيضاً العمل الدبلوماسي تطور بوجود اللغة العربية حتى حظيت الدبلوماسية التشادية باهتمام بالغ للتواصل مع الدول العربية فدولة تشاد أبان الاستعمار الفرنسي وأجهت نكسات كبرى في استعمال اللغة العربية في كل الأراضي التشادية طبقا لقرار الاستعمار الفرنسي الذي اصدر بكل المستعمرات الفرنسية بمنع استعمال لغة الضاد في كل البلدان المستعمرة، فكانت تشاد ضحية لاضمحلال اللغة العربية لو لا وجودها محفوظة في صدور حفظة كتاب الله الكريم من المشايخ والطلبة منذ ذلك الحين واللغة العربية اليوم أصبحت لغة التواصل الرسمي بعد الاستقلال ولكنها مقيدة في فترة ما بعد الاستقلال لو لا مطالبة الشعب التشادي بضرورة تطبيقها على ارض الواقع بعيدا عن وجودها حبريا بين اسطر الدستور.

لكن الدولة التشادية الآن اتجهت منذ تفعيل دبلوماسيتها بإقامة علاقات مع الدول الشقيقة الاسلامية والعربية، مما بدأت تحظى بدبلوماسية رسمية معقولة، أما على الدبلوماسية الشعبية فقد أصبحت تشاد دولة تتميز بلهجتها العربية (عرب تشاد) التي هي لغة الشارع التشادي الأول، الأمر الذي بدأت تتواصل بشكل طبيعي جداً التواصل مع الشعوب الإسلامية العربية، وكل الشعوب الآسيوية التي تتحدث باللهجات العربية، خصوصاً وأن اللغة العربية لغة الحضارة التي يمتطيها كل الشعوب المسلمة البالغ عددهم حوالي مليارين تقريبا فهي لغة وصال وتقارب وتفاعل متميز.

المبحث الأول

مكانة اللغة العربية في تشاد

يمكن تقسيم مكانة اللغة العربية في تشاد إلى ثلاثة مراحل على النحو التالي:

أولاً: مرحلة ما قبل الإسلام.

قبل الإسلام كانت أرض تشاد قد حظيت بوجود العرب و اللغة العربية منذ أيام الهجرات البشرية القديمة وهنا يجب الإشارة إلى وجود جذور قديمة للعلاقات العربية والإفريقية والصلات ويرجع ذلك التاريخ إلى 2100م إلى 3000 سنة قبل ميلاد المسيح عيسى (عليه السلام) ، عندما كانت الحضارة الإفريقية لمملكة سبأ في قمتها فملكة سبأ بلقيس ملكة الحبشة التي اسلمت مع سليمان لله رب العالمين وتزوجت الملك النبي سليمان (عليه السلام) وأنجبت منه (منليك) هي امتداد للسبائيين، كما أن الدولة الحميرية في اليمن عملت على انتشارها بإفريقيا وقد كانت المملكة السيفية من الممالك التي وصلت إلى أرض تشاد إلى أرض تشاد وكونت الامبراطورية العظيمة في أرض السودان الاوسط في تشاد اليوم، نتيجة للهجرات العربية من شبه الجزيرة العربية – إلى إفريقيا.

ومنذ ذلك الوقت أصبحت إفريقيا أرضاً حاضنة للغة العربية لغة الشعوب الإفريقية الأولى وفي منطقة أفريقيا جنوب الصحراء. ووما ساعد إنتشار اللغة العربية في إفريقيا في هذه المرحلة، هو العامل التجارى والبحث عن الأمن السياسي، وكانت طرق تدفق العرب الى القارة الإفريقية عموماً حتى تغلغلها إلى إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى حاملة للغة العربية كثيرة أهمهما المنافذ التالية:-

1- باب المندب، 2- طريق خليج عدن. 3- طريق البحر الأحمر. 4- طريق القوافل. وقد ساهمت الهجرات

اليمانية من شبه الجزيرة العربية بشكل أساسي في وصول اللغة العربية واستيطانها في تشاد.

ثانياً: مرحلة ظهور الاسلام.

في هذه المرحلة من العصور الوسطى تميزت اللغة العربية في تشاد مع مجئ الإسلام فيها، فقد كانت الإمبراطورية العربية المترامية الأطراف، فقد وصلت إلى منطقة الكفرة بإقليم فيزان بليبيا، حيث وصل الصحابي الجليل عقبة بن نافع الليثي، ودعا الشعوب إلى اعتناق الإسلام، فكان إمبراطور كانم قد بادر باعتناق الإسلام دين السلام، وذلك سنة 46 هجرية (أي القرن الأول من الهجرة) الموافق 666م¹.

ومنذ ذلك الوقت ، أصبحت للغة العربية مكانة خاصة لدى الحكام والشعب التشادي، فقد امتزج العمل باللغة العربية وتعليمه ضرورة إلزامية لمعرفة الحكام لمعرفة الأحكام، بالإضافة لتشجيع أباطرة كانم للأدباء والشعراء وتشجيعهم حتى ظهور علماء أجلاء وحفاظ كرام لكتاب الله، واللغة العربية أصبحت هي وسيلة للتواصل البشرى والإمبراطوريات القائمة، حتى أن الرسائل بين البلاط في كانم والإمبراطوريات الأخرى كالإمبراطورية العثمانية في الباب العالي عبر ولائها في برقة، كانت تتم باللغة العربية، وقد ظهر في هذه الفترة شعراء ارتقوا بهذه اللغة في أرض

تشاد فقد ظهر الشاعر أبو اسحاق ابراهيم بن يعقوب بن الكانمي المعروف بالشاعر الاسود، (601 - 610م) الذي يجدر بنا ذكر بيتين من نظمه على سبيل المثال:

وقائل لم لا تهجو فقلت له
لأنني لا أرى من خاف من هاجي.
فليس ذم كرام الناس من شيمي
وليس ذم لناس الناس منهاجي.

وله أبيات شعر كثيرة وقد اشتهر هذا الشاعر في زمانه في المغرب العربي، وقد كانت اللغة العربية في أوجها في تشاد ولها مكانة عالية لدى جميع أفراد المجتمع ورعاية سامية من ملوك كانم ، كثل محمد الأمين الكانمي. واستمر العناية باللغة العربية في مملكة وداي التي انشأها عام 1835م، تقريباً فقد حظيت بكل اهتمام وكذلك مملكة باقرمي.. قبيل الاستقلال.

ثالثاً : مرحلة الاستعمار (الاستعمار)

بعد وصول المستعمر الفرنسي إلى أرض تشاد بعيد إتفاقية برلين، (1884 - 1885م) التي قسمت القارة الافريقية إلى جزئيات متنافرة وزرع الفتن الديموغرافية، سعى المستعمر إلى فصل جذور الحضارة الإسلامية العربية الرائدة والمتطورة في القارة العزيزة إفريقيا ، حيث كان التلاحم بين شعوبها وشعوب العالم في الطريق للتطور والنمو والاستقلال الفكري الناضج ، فقد عمد إلى تعطيل الاستمرار باللغة العربية ، التي تتربع على قيم وأسس داعمة للتطور والنهوض بشعب تشاد كأخوتها من المجتمعات المترابطة في القارة السمراء .

فكان هناك قراراً رادعاً من قبل فرنسا يمنع استخدام اللغة العربية في الاوساط الرسمية بل عمل إلى زرع أول مدرسة فرنسية بثقافة محدودة في أهم امبراطورية في المنطقة (امبراطورية كانم) داخل حاضنتها العاصمة (ماو) التي تبعد عن العاصمة التشادية اليوم (حوالي 400 كم شمالاً) للحد من الاهتمام أو استعمال هذه اللغة، وذلك بقوة الاحتلال العسكري للمنطقة (بعد المقاومات المستميتة الغير متكافئة لقوى الاحتلال، إلا أن اللغة العربية ظلت في وجدان الناس فعكفت على حفظها له وتلاوة القرآن الكريم الذي حفظ لها هذه اللغة قال تعالى: { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}.

واستمرت مقاومة الاهالي للحفاظ على الهوية والإرث الحضاري في كل الممالك وفي وداي عندما سعى الاستعمار الي هدم القيم ومسح حضارة اللغة العربية، قام بالمذبحة التاريخية (مذبحة الككب) التي دفع فيها الأجداد أرواحهم، رحمهم الله، ولكن الله قد حفظ لهذه اللغة في أرجاء البلاد وفي أيادي وقلوب العلماء وفي الجوامع، حتى نالت تشاد استقلالها بعد ضغط المقاومة التشادية الكبرى عبر ثورة فرولينا جبهة التحرير الوطني، التي طالبت بالسيادة وأن تكون اللغة العربية لغة البلد الرسمية.

سعت الحكومة بتسطير اللغة العربية في في القوانين بشكل تدريجي بعد مطالبات الواعيين من أبناء البلد ، الغيورين على الحفاظ على هوية تشاد ووعائها الحضاري الثقافي التي يمكن به تطوير البلد، واليوم تتمتع بالاعتراف باللغة العربية على الصعيد التعليمي ولكنها لم تجد مكانتها اللائقة بها في الإدارة ومساهمة الدارسين بها في صنع القرار المصيري للتطور والتنمية باللغة العربية.

لذلك فقد عمد المثقفون بهذه اللغة والدارسين بها ، الى استمرارية الدفاع عنها ودعمها عبر مؤسسات المجتمع المدني حتى تحظى بمكانتها اللائقة بها كأول لغة مكتوبة عرفتها أرض تشاد، وذلك بإقامة مؤتمرات علمية كمؤتمرنا العلمي الدولي هذا، تسليط الضوء على ما تحظى به هذه اللغة في وجدان الشعب التشادي اليوم كما الأمس، وعلى هذا فإن الكفاح مستمر لكي تحظى هذه اللغة مكانتها المرموقة بها، تناشد المثقفين والدارسين بها الحفاظ على دررها والوصول بها الى الرقي الحضاري كما كانت بالأمس في أرجاء المعمورة.

المبحث الثاني

اللغة العربية كحلقة تواصل حضاري.

اللغة العربية هي وعاء حامل لحضارة انسانية رائدة، تحمل قيماً حضارية لم تستطع اللغات الأخرى التنافس معها، لذا كانت اللغة العربية أخذت طابعاً أساسياً للتواصل والتقارب بين الشعوب الشعب التشادي بجنوب الصحراء في إفريقيا وباقي شعوب العالم، كيف لا وان اللغة العربية تتمتع بعدة عوامل ساعدت تشاد على التواصل مع بقية الشعوب والأمم ومن أهم تلك العوامل.

1- كون اللغة العربية لغة أمة الإسلام لغة القرآن الكريم والذي يصل عدد المسلمين الى 2 مليار شخص في

العالم، يسمعون اللغة العربية إذا العامل الديني هو العامل الأول لسكان إفريقيا.

- 2- إن اللغة العربية في إفريقيا تكاد أن تكون لغة أرض إفريقيا المعهودة حيث تأثرت بها وتفاعلت معها، كونها مؤثراً أساسياً لكل اللغات أو اللهجات الإفريقية كالهوسا والسواحلية.
- 3- فصاحة اللغة العربية واحتواها على العديد من المرادفات، مما سهل التعبير بها واتخاذها وسيلة توال عالية الجودة.
- 4- اللغة العربية لغة العلم والتجارة في أنحاء العالم فتتواجد في معظم المصانع والمنتجات المنتشرة في إفريقيا.
- 5- تأتي اللغة العربية في المركز الرابع بين اللغات الحية من حيث الانتشار.

المبحث الثالث

دور اللغة العربية في الدبلوماسية التشادية.

لقد اضحت للغة العربية دوراً واضحاً للتأثير على العلاقات التشادية مع الدول والحكومات والمنظمات الدولية. فقد كانت الدبلوماسية التشادية باللغة الفرنسية لم تستطع أن تقرب المسافات بين الدول المستقلة والمنتمية إلى المنظمات الدولية كالأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي وغيرها ودولة تشاد بصورة فاعلة، ولكن بمجرد أن وجدت اللغة العربية مكانة لها في السلك الدبلوماسي والمسلك السياسي الدولي للسياسة الخارجية التشادية، أصبحت تشاد من الدول التي باتت حاضرة في معظم المحافل الدولية والإقليمية والعالمية بشكل فعال. فتشاد اليوم على سبيل الذكر لا الحصر حاضرة في معظم المنظمات مثل:-

- 1- منظمة التعاون الإسلامي التي يرأسها الأمين العام السيد السفير حسين إبراهيم طه، وهذا الجهاز هو الجهاز التنفيذي، وكون تشاد لها لغة عربية وكون السفير هو أحد الحاملين للغتين العربية والفرنسية، فكانت اللغة العربية قاسماً مشتركاً كبيراً بعد الإسلام في تشاد، علماً بأن المنظمة تضم كل الدولة الإسلامية وعددها 57 دولة.
- 2- منظمة الاتحاد الأفريقي. حيث تضم 53 دولة إفريقية فأمينها العام السيد السفير موسى محمد فكي، وهو ذو لغتين العربية والفرنسية، مما ساعده في الترشح والفوز.
- 3- تعززت الدبلوماسية التشادية باللغة العربية عند رأسها لمجلس الأمن الدولي عام 2015م. عندما قاد جلساتها السفير/ شريف محمد زين، وزير الخارجية التشادي الحالي، الذي أبهر موظفو المجلس برسمية اللغة العربية في تشاد ووجوب استعمالها بين أروقة منظمة الأمم المتحدة.
- 4- رابطة علماء ودعاة وأئمة دول الساحل والصحراء، الذي تم اختيار الشيخ الدكتور/ أبكر محمد ولر. وهو من أبناء تشاد اللذين يتقنون اللغة العربية إلى جانب الفرنسية

هذا بالإضافة إلى أن تشاد باللغة العربية تتواصل دبلوماسياً مع الدول التي تتخذ رسمية اللغة العربية في الدستور، وأيضاً تتواصل مع شقيقاتها التي تجمعها الأخوة الإسلامية عبر اللغة العربية. مما نجده من التواصل الدبلوماسي إقامة المؤتمرات ومشاركته وخصوصاً المؤتمرات والندوات العلمية للتعريف بمكانة اللغة العربية والتعريف بتشاد.

أما على صعيد الدبلوماسية الشعبية، فإن المواطن التشادي لم يجد صعوبة قط في التواصل مع شعوب العالم الذين يتحدثون اللغة العربية بكل مستوياتها، فاللهجة العربية في تشاد، تمتلك في ثناياها العديد من الكلمات والمفردات العربية الفصحى، كما أن القادمون إلى أرض الكرم تشاد، لم يجدوا أية عوائق للتخاطب مع الشارع ناهيك عن الدارسين بالعربية أو المتقنون بها.

ولذلك فإن التشادي يعيش بلغته العربية في آسيا وفي الشرق الأوسط وفي ضواحي وقرى الدول العربية بدون مترجم طالما أن هناك من يتحدث بها.

ومن هنا نجد أن اللغة العربية دفعت بالدبلوماسية التشادية حتى تتبوأ مكانة رائدة في المحافل الدولية والدول الشقيقة الإسلامية والعربية، فهي تعبر بالدبلوماسية إلى عالم التواصل والتقارب بين الدول والشعوب.

الخاتمة:

هكذا نجد أن اللغة العربية لغة تواصل بامتياز للشعب التشادي على الصعيدين الرسمي والشعبي لما لها من عوامل وأسس، ولما تتمتع بها من مزايا قلما تجدها في اللغات الأخرى، فيجب الحفاظ عليها ودعمها من قبل الجميع وخاصة من أصحاب القرار. والمتفقين، حتى تصبح لغة تشاد الأولى كما كانت بالأمس من أيام الدهر. مع تمنياتي للقائمين على أمر هذا المؤتمر الدولي في تشاد وكل المشاركين والمدعوين كل التقدم والازدهار والعيش مع هذه اللغة، لغة القرآن، لغة الحضارة والتواصل البشري الأول.

نتائج البحث:

توصلت من خلال هذا البحث إلى النتائج التالية:-

- 1- كون اللغة العربية لغة احتضنتها أرض تشاد منذ قرون عدة (قبل البعثة).
- 2- تعززت اللغة العربية عند ظهور الإسلام، وتبنتها من قبل امبراطورية كانم ومن ثم نشرتها الى مملكة وداي فمملكة باقرمي.
- 3- اللغة العربية في تشاد، هي لغة التواصل الشعبي الأولي بين أبناء تشاد.
- 4- اللغة العربية تتمتع بعوامل مهمة جداً، جعلتها تنسم بالبقاء والاستمرار وتساعد كثيراً في التواصل الحضاري في جميع المناحي.
- 5- اللغة العربية ساهمت بشكل فعال في الدبلوماسية التشادية في انضمامها إلى المنظمات الدولية والعالمية والقارية، بوجود سادة يتقنون اللغة العربية إلى جانب الفرنسية.
- 6- الدبلوماسية التشادية تسير في الطريق إلى بناء علاقات مع الدول الإسلامية والعربية التي لفتت إلى أنها تتمتع بلغة القرآن اللغة العربية.
- 7- للدبلوماسية الشعبية دور مؤثر في تواصل شعب تشاد مع الشعوب المتحدثة باللغة العربية بمستوياتها المختلفة. عبر الاغتراب والإقامة في البلدان، أو أثناء استقبالها للأشقاء.

التوصيات:

- 1- الاهتمام باللغة العربية والدفع بها إلى المحافل الدولية، باعتبارها لغة الحضارة الحقيقية للبشرية.
- 2- أوصى بالاستمرار في إقامة مثل هذه المؤتمرات حتى نتعرف على مكانة هذه اللغة في بلدان العالم ومعرفة سبل تطورها.
- 3- إنضمام تشاد إلى جامعة الدول العربية.
- 4- إدخال اللغة العربية في جميع الشركات التجارية والبنوك كونها لغة يمكن التعامل بها فنياً، تماشياً مع متطلبات مستخدميها.
- 5- إستعمال اللغة العربية كأداة استراتيجية مهمة عند التعامل مع غيرها من اللغات في العالم .
- 6- المطالبة بالتعريب التكنولوجي في وسائل النقل والاتصالات.
- 7- اشتراط كتابة الدعوات الرسمية والتأشيرات باللغة العربية

قائمة المصادر والمراجع :

- 1- القرآت الكريم
- 2- عبد الفتاح قولد الغنيمي : المد الإسلامي في غرب افريقيا - القاهرة - ص 11 - 12 .
- 3- د. محمود شاكر: التاريخ الاسلامي العهد العثماني - المكتب الاسلامي - بيروت - لبنان. ط 91 - ص 555 .
- 4- دستور تشاد مارس 1994م ، المادة 9 (اللغتين الرسميتين في تشاد).
- 5- د.اسماعيل عيسى يوسف : العلاقات الدبلوماسية بين تشاد ودول الخليج ط1/ 2017م. ص 210.
- 6- الشبكة العنكبوتية . [http:// www.almarsal.com](http://www.almarsal.com) , post

إسهامات عمر محمد علي الاتيوي في كتابة تاريخ اثيوبيا باللغة العربية

أ.د. أحمد عبدالدايم محمد حسين

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

كلية الدراسات الأفريقية العليا جامعة القاهرة

يمكن القول بأن مساهمة عمر محمد علي الاتيوي حول اثيوبيا في عصرها الذهبي.. عصر هيلاسلاسي الاول، سنة ١٩٥٤، تعد مساهمة جيدة في تعريف العالم العربي والإسلامي بتاريخ اثيوبيا باللغة العربية، رغم المأخذ الكثيرة عليها. حيث استغل الرجل كونه أزهريا وخريجاً لكلية أصول الدين من الجامعة الأزهرية المصرية، لينشر كتاباً حول حكم هيلاسلاسي، ويعيد تقديم الرجل بصورة جديدة للعالم العربي والإسلامي. متحدثاً على علاقته الجيدة بمسلمي اثيوبيا، وحكمه الذي يحظى بقبول العرقيات الإثيوبية المتعددة. بما يعد تغييراً في نظره للرجل وتحسيناً لصورته لدى العالم العربي والإسلامي. ترى ما الذي دفع عمر الاتيوي لكتابة تاريخ هيلاسلاسي باللغة العربية ونشره في مصر قلب العالم العربي؟ وما هي أهداف الكتاب وطبيعة موضوعاته؟ وتهدف الدراسة إلى أمرين: أولهما، التعرف بطبيعة اللغة العربية داخل اثيوبيا والعناصر الناطقة بها. ثانيها، التعرف بكتاب عمر الاتيوي ومؤلفه وأهدافه. وفي هذا الإطار تنقسم الدراسة إلى خمسة عناصر رئيسية:

المحور الأول- العرب واللغة العربية في اثيوبيا قبل عام 1954.

المحور الثاني- التعرف بعمر محمد علي الاتيوي والهدف من كتابه.

المحور الثالث- فصول الكتاب وأهم موضوعاته.

المحور الرابع- أسلوب المؤلف وجماليات اللغة.

المحور الخامس- أبرز قضايا الكتاب ومناقشاته.

المحور السادس- تقييم الكتاب ونقد وجهة نظر مؤلفه.

المحور الأول- العرب واللغة العربية في اثيوبيا قبل عام 1954:-

كلمة "إثيوبي" في اللهجات السامية تعني ذو جلد أسمر، وفي العربية حبشي، ولكن ليس أسود تماماً⁽¹⁾. أما الحبشة، والتي أخذ منها لفظ الاحباش فترجع الى قبيلة عربية تسمى حبشت السامية، هاجرت من جنوب الجزيرة العربية واستقرت هناك⁽²⁾. حيث أدت الظروف الجغرافية في بلاد الحبشة وجنوب الجزيرة العربية دوراً كبيراً في وجود اتصال وثيق بين المنطقتين، ومن ثم كان البحر الاحمر جسراً للتبادل التجاري والحضاري بين المنطقتين⁽³⁾. ولهذا تعود العلاقات بين العرب ومنطقة شرق إفريقيا والحبشة إلى عصور سابقة على الإسلام، فقد هاجر العرب منذ القدم إلى هذه المنطقة سالكين الطرق المختلفة، وأنشأوا العديد من المستوطنات على سواحل الصومال واريتريا، وكان الدافع لهذه الهجرة هو التغيرات المناخية التي حدثت في شبه الجزيرة العربية، حيث حل الجفاف بعد انتهاء العصر المطير، وذلك منذ عشرة آلاف سنة، وقد سكن المهاجرون أفضل الأماكن وعلى رأسهم قبيلة حبش التي سميت البلاد باسمهم، وكونوا مملكة أكسوم وتركوا الأماكن المنخفضة للسكان الاصليين، وقد عرفت شبه الجزيرة العربية الاحباش الذين كانوا رقيقاً، وتزوجوا منهم وأنجبوا أجيالاً⁽⁴⁾.

(1) عزيز سوريال عطية:- تاريخ المسيحية الشرقية، البيئة المصرية العامة للكتاب، 2012، ص 129.

(2) ابراهيم علي طرخان:- الإسلام و الممالك الإسلامية بالحبشة في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية التاريخية المصرية، مج 8، القاهرة، 1958، ص5.

(3) محمود احمد محمد امام :- معبد مدينة يحا "إثيوبيا" في بداية الألف الأول ق.م: دراسة أثرية معمارية في التأثيرات العربية الجنوبية المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، مج15، ع2، الجامعة الأردنية - عمادة البحث العلمي، الاردن، 2021، ص175.

(4) إيمان فؤاد علي احمد:- مدينة الاولياء "هرر" في التاريخ الإسلامي، مجلة الثقافة والتنمية، ص20، ع61، جمعية الثقافة من أجل التنمية، القاهرة، 2021، ص49.

وكان ممن نزل شرق أفريقيا من التجار المسلمين جماعة من قريش من ولد عقيل بن أبي طالب، وقد سكنوا في جبرت من أراضي زيلع، وسموا بعد ذلك بالجبرتية، وقد قاموا بإنشاء أول دولة إسلامية وجعلوا مقرها جبرت، ولما أحكموا إدارتها أطاعهم أهلها، وأخذ سلطانهم يقوى ونفوذهم يمتد، حتى إذا دخل القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، تم لهم إقامة سبع ممالك سميت الطراز الإسلامي؛ لأنها كانت كالطراز الذي يحيط بالحبشة، وهي سلطنة أوفات ودوارو وارايبني وهديا وشرحا وبالي وداره. وتحتوى هذه الممالك على جوامع ومساجد تقام فيها الصلوات الخمس والجمعة، وكانت هذه الممالك على جانب كبير من الرخاء والخير وجميعها متجاورة ما عدا مملكة داره⁽¹⁾.

وفي القرن الرابع الهجري انقسمت مملكة أكسوم إلى جزء ساحلي يحكمه المسلمون، وداخلي يحكمه النصارى، وفي خلال هذه الحقبة كان الإسلام ينتشر في المنطقة الشرقية والجنوبية ويغزو أطراف الهضبة إذ عم جزر دهلك وهرر والدناقل والصومال وسيدامو، وتشكلت سلطنة إيفات التي أخذت على عاتقها نشر الإسلام⁽²⁾. واعتنق كثير من سكان الحبشة الإسلام، مثل قبائل الساهو والعفر في شرق الحبشة، والسيدامو وشوا في جنوبها، كما تأثرت به أيضاً القبائل الصومالية ودخل كثير من البيجا في الإسلام. وكان كلما انتشر الإسلام في مكان أسرع إليه الفقهاء والعلماء، فأقاموا الكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم ولتعليم اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي، وقد كان لهذه الحركة التعليمية أثر كبير في انتشار اللغة العربية بين هذه القبائل التي اعتنقت الإسلام، حيث استخدموها لغة دينية ووسيلة لإقامة شعائر دينهم، فكان كل داخل في الإسلام يحفظ ما يستطيع أن يقيم به صلاته، ثم يمضي إلى تعلم اللغة العربية ليزداد تفقهاً في الدين. كما استخدم الأحباش اللغة العربية لغة تعامل مع التجار العرب المسلمين. وحملها التجار العرب والدعاة والمعلمون إلى الداخل، وحملتها القبائل العربية المهاجرة والطرق الصوفية إلى أعماق الهضبة الحبشية. وارتبط انتشار اللغة العربية بالتوسع الإسلامي الكبير في الحبشة، ومن أبرز مراحل التوسع الإسلامي في الحبشة المدة ما بين القرنين 10 - 12 م؛ إذ تُعد هذه المدة مرحلة التوسع المنظم للإسلام ديناً ودولة، حيث ظهرت ممالك الطراز الإسلامي السبع وهي أوفات، دارداو، أرايبني، هدية، شرخا، بالي، داره. وقد اهتمت هذه الممالك بالتعليم الإسلامي، فأنشئت المدارس المختلفة لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية، بالإضافة إلى تدريس العلوم الإسلامية؛ كالفقه والحديث والتفسير وغيرها. وشهدت اللغة العربية مرحلة أخرى من الازدهار في القرن السادس عشر مع ظهور الإمام أحمد بن إبراهيم الذي استطاع توحيد مسلمي إثيوبيا، وأخذ يستولي على المدن الإثيوبية الواحدة تلو الأخرى، حتى دانت له البلاد بالولاء والطاعة، ودخلت أغلب أقاليم إثيوبيا في طاعته وتحت سيطرته ما عدا أجزاء محدودة منها، واستمر جهاد الإمام أحمد بن إبراهيم حوالي 15 عاماً قبل أن يتدخل البرتغاليون في ساحة الصراع والأحداث التي انتهت بمقتله⁽³⁾.

وكان أكثر مسلمي الحبشة يتبعون على مذهب الإمام الشافعي. ويوجد في بعض الأنحاء الشمالية أحناف، وقليل من الحبشة من هم على مذهب الإمام مالك⁽⁴⁾. وتحتوى على أكثر من 80 مجموعة عرقية مختلفة⁽⁵⁾. نصفهم تقريباً من المسيحيين، وكانت الكنيسة الإثيوبية الأرثوذكسية بمثابة الحارس على التوجهات الثقافية لهم ولاثيوبيا عموماً⁽⁶⁾. وتتكون إثيوبيا من عرقيات عديدة أشهرها الأمهرة والتيجراي والارومو وبنى شنجل والعفر وغيرهم⁽⁷⁾. هذا وقد انتشر المسلمون في جميع أرض الحبشة بين كثرة وقلة، ففي جنوب الحبشة وشرقها أعداد كبيرة من المسلمين يقيمون في هرر وأوجادين، ولهم ارتباط شديد بمسلمي أروسي، وفي الغرب أكثرية المسلمين في جهات جالة الجوما وجما

(5) نفسه، ص 57.

(6) نفسه، ص 59.

(7) عمر عبدالفتاح:- اللغة العربية في إثيوبيا.. خلفيات الانتشار وعوامل الانحسار ، 2014/3/20، شبكة الالوكة، <https://www.alukah.net/sharia/0/68144>.

(8) يوسف أحمد :- الإسلام في الحبشة وثائق صحيحة قيمة عن أحوال المسلمين في مملكة إثيوبيا من شروق شمس الإسلام إلى هذه الأيام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص 48.

(9) على سعد ابوبكر:- مشكلة الحدود الصومالية الأثيوبية، مجلة كلية الآداب، مج 7، جامعة الرياض - كلية الآداب، السعودية، 1980، ص 202.

(10) عطا محمد أحمد كنتول:- التواصل الحضاري بين المسلمين والمسيحيين في إثيوبيا وانعكاساته على شمال وادي النيل، مجلة دراسات إفريقية، مج 21، ع 3، جامعة إفريقيا العالمية - مركز البحوث والدراسات الإفريقية، السودان، 2005، ص 135.

(11) عبدالسلام إبراهيم بغدادى:- مشكلة الاقليات في القرن الأفريقي ..دراسة في حالة العفر في اريتريا وجيبوتي وإثيوبيا، مجلة شؤون اجتماعية، جمعية الاجتماعيين في الشارقة، مجلد 15، عدد 59، الامارات العربية المتحدة، 1998، ص 34.

وقرية وملوا ناريا وجارو وشيمارو والبا وهديا وضلّله. أما سكان جوراجه وننو وواليزو، فهم خليط من المسلمين والمسيحيين. وفي غرب أديس أبابا توجد قبائل وُرْجي ولّتي وهم مسلمون. وفي شوا وأمهره والتجراى وجدت جماعات من المسلمين ربما من أصل يمني، أما جميع سكان أوسا من بلاد الدناكل فهم مسلمون⁽¹⁾. وتميزت الفترة من 1769 وحتى 1855 بعصر الفوضى الكبرى وسيطرة الأورومو على ملوك وأمراء التجراى والأمهرا، وتشكيل وصاية عليهم، فزاد انتشار الإسلام بصورة كبيرة في اثيوبيا⁽²⁾ فالأورومو يقطنون الجنوب الغربي لاثيوبيا والدين الغالب على الأورومو هو الإسلام⁽³⁾ حيث تتجاوز نسبة المسلمين منهم 80%. لكن الملاحظ ان المسلمين عانوا بصفة عامة من الاضطهاد في عهد تيودور الثاني 1855-1868، ويوحنا الرابع 1872-1889 وبقدر من التسامح في عهود منليك وليج ياسو والحكم الايطالى⁽⁴⁾. فعصابات الشفتا نشأت في اثيوبيا منذ العصور الوسطى، لكن زاد نفوذها في القرن 19 حتى ان احدهم وهو الراس كاسا وصل للحكم تحت مسمى الامبراطور تيودور الثاني في سنة 1855 واستمر حكمه حتى سنة 1868، وكان اول امبراطور لم يستفد من خدمات الشفتا هو منليك الثاني⁽⁵⁾. فمع التوسع الاثيوبى فى عهد منليك الثانى 1889-1913 وضم اقاليم جديدة، وغالبيتها مناطق اسلامية، حدث تمدد ثقافى للأمة على حساب بقية القوميات، ونفذت سياسة تمهيد تلك الشعوب من منطلق تفوق ثقافة الأمهرة على غيرها من ثقافة المجموعات الاخرى، بشكل اتسم بالإقصاء السياسى والاستغلال الاقتصادى، لهذا اتفق غالبية المؤرخين على مصطلح معروف هو "أن اثيوبيا هى سجن الشعوب والقوميات"⁽⁶⁾ كما أن منليك الثانى استوعب مجتمعات محلية غير متجانسة بعد مقاومة عسكرية بدرجات متفاوتة، لهذا اعتمد نظام الحكم على مركزية السلطات، لكن بلغت المقاومة للمركز اقصاها فى أروسى وجيبى وسيدامو وبالى واوجادين وكافا ولامو وبورنا، حيث كانت طبقة الملاك فى الجنوب من المستوطنين الاثيوبيين القادمين من الشمال، اما المستأجرين فقد كان معظمهم من الجنوب ومن غير المسيحيين ومن السكان الاصليين⁽⁷⁾. وبالتالي يمكن القول بأن خارطة إثيوبيا على مدار التاريخ قد ظلت في تغير مستمر من حيث الموقع وكذلك المساحة، فأحيانا كانت الدولة تنكش وتتحصر فى الهضبة الاثيوبية كدولة مركزية فى إطار وحدة واحدة، نسيجها الوطنى متجانس حينما كانت تضم مناطق التجراى والأمهرا فقط، ولكن منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين تغيرت الخارطة، وبتغير الخريطة السياسية تغيرت أيضا خريطتها العرقية حيث ضمت اثيوبيا جنسيات وقوميات متنوعة⁽⁸⁾. وفيما يتعلق باللغة العربية، فإن إثيوبيا من الدول التي تتعدد فيها اللغات واللهجات، ويتراوح عدد اللغات الوطنية بها ما بين 70 - 80 لغة، ومن بين هذه اللغات هناك أربع أو خمس لغات ذات أهمية كبيرة، وهى الأمهرية والأورومية والتيجرينية والصومالية. وتعتبر اللغة الامهرية هى اللغة الرسمية لإثيوبيا كلغة تعليم ومؤسسات وتعامل بين المواطنين، تليها اللغة الانجليزية، تليها التجرينية، وباعتبار الاولى والثالثة لغات سامية، فهما اذا شقيقتا اللغة

(12) يوسف أحمد :- المرجع السابق، ص 46.

(13) الامين عبدالكريم:- الصراع بين القوى الإسلامية و المسيحية في أثيوبيا إلى. نهاية القرن التاسع عشر، مجلة دراسات إفريقية، عدد 1 جامعة إفريقيا العالمية - مركز البحوث والدراسات الإفريقية، السودان، 1985، ص 58-60.

(14) حسن مكى احمد:- الأورومو (الجالا) دراسة تحليلية، مجلة دراسات إفريقية، عدد 3، جامعة إفريقيا العالمية - مركز البحوث والدراسات الإفريقية، السودان، 1987، ص 88.

(15) حسن محمد احمد كنتول :- أوضاع الأورومو في إثيوبيا 1، مجلة دراسات إفريقية، عدد 44، جامعة إفريقيا العالمية - مركز البحوث والدراسات الإفريقية، السودان، 2010، ص 123، 124.

(16) زاهر رياض:- الشفتا في أثيوبيا منذ العصور الوسطى وأثرهم في تاريخ البلاد السياسى والاقتصادى، جامعة القاهرة مجلة كلية الآداب، مج 19، ج2، كلية الآداب، جامعة القاهرة، القاهرة، 1957، ص ص 215، 229-232.

(17) آمال ابراهيم محمد ادريس:- الفدرالية الأثنية فى أثيوبيا بين صواب الفكرة وتعقيدات التطبيق، مجلة دراسات إفريقية، عدد 59، جامعة إفريقيا العالمية - مركز البحوث والدراسات الإفريقية، السودان، 2018، ص ص 68، 69.

(18) ساهيد اديجو موبى:- تاريخ اثيوبيا، ترجمة مصطفى مجدى الجمال، المركز القومى للترجمة، العدد 2996، القاهرة 2018، ص ص 87، 88، 97.

(19) شرين مبارك بسيس فضل الله، هيلاسيلاسى والقضية القومية فى أثيوبيا 1930 - 1974، قسم التاريخ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، 2014، ص 2.

العربية⁽¹⁾. أما اللغة العربية نفسها؛ فإنها تتمتع بمكانة متميزة على الخريطة اللغوية لإثيوبيا، فقد استقرت اللغة العربية في إثيوبيا منذ وقت طويل؛ يسبق دخول اللغات الأوروبية إلى إثيوبيا، حيث تحدث بها عدد كبير من الإثيوبيين، وانتشرت بينهم انتشاراً كبيراً. ومرت اللغة العربية بمرحلتين أساسيتين من الانتشار في إثيوبيا: المرحلة الأولى هي مرحلة التهذيب، وتشمل الفترة السابقة لظهور الإسلام حتى بدء انتشاره الحقيقي في إثيوبيا. والمرحلة الثانية هي مرحلة الازدهار، وهي الفترة التي بلغ الإسلام فيها أوج ازدهاره وانتشاره، وشهدت الحبشة قيام ممالك إسلامية بها، وهذه المرحلة شهدت ازدهاراً حقيقياً للغة العربية في إثيوبيا. وقد شهدت اللغة العربية نهضة أخرى في أثناء عصر الفوضى الذي ساد الحبشة. حيث انتشر الإسلام في منطقة عروسي في القرن التاسع عشر وبين قبائل الجالا (الأورومو) الذين استقروا فوق الهضبة. فقام المشايخ بتأسيس جميع أنواع المدارس في المدن والمراكز الإسلامية، وذلك من أجل تعليم الدين الإسلامي واللغة العربية⁽²⁾. فتعلموا فيها وحفظوا القرآن الكريم وكتب الفقه والتفسير، وكان من الكتب التي قرأها المتعلمون من المسلمين الأحباش فقه الشافعي وفقه أبوشجاع والعمدة ومنهاج الطالب وشرحه للسيوطي، وفتح الوهاب، وكتب النحو الاجرومية وشرحها للدحلاني، ومنحة الاعراب وشرحها للكفراوي، وكشف النقاب والفيء ابن مالك وشرحها لابي عقيل، ومغنى وهمع الهوامع، وهو الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع لأحمد بن الأمين الشنقيطي⁽³⁾.

ومن مظاهر انتشار الاسلام واللغة العربية في الحبشة أن أحد الزائرين الأوائل للحبشة في القرن التاسع عشر ذكر؛ أنه لاحظ أن عدداً كبيراً من الصوماليين والداكل الذين لم يستقروا في قرى أبداً؛ لديهم القدرة على قراءة اللغة العربية وكتابتها، وقد ذكر آخر أنه في الغرب في مدينة جيمبا يوجد كثير من المسلمين يستطيعون قراءة القرآن الكريم باللغة العربية. ولم يقتصر تأثير اللغة العربية على مسلمي إثيوبيا فقط، بل تعداهم إلى النصارى أيضاً، وذلك عن طريق تأثير الكنيسة المصرية التي ارتبطت بها الكنيسة الحبشية، وقد تحقق ذلك التأثير عن طريق الكتب الدينية التي تمت ترجمتها ونقلها من العربية إلى الجعزية أو الأمهرية، وخاصة بعد أن حلت اللغة العربية محل اللغة القبطية في مصر، فقد اتخذ الأقباط في مصر من اللغة العربية لغة للكنيسة، ونقلوا إليها الكتب الدينية، كما ألفوا باللغة العربية. ونظراً لأن الأحباش النصارى ظلوا قروناً عديدة ينقلون آدابهم عن اللغة العربية؛ فقد كان طبيعياً أن تؤثر اللغة العربية في لغة المترجمين إلى حد بعيد، حيث ظهرت في الكتب المترجمة إلى الحبشية آثار عربية واضحة في كثير من العبارات والصيغ والألفاظ، كما ظهرت في هذه النصوص الحبشية عبارات أخذها المترجمون الأحباش بنصها كما هي في اللغة العربية، ومن هذه الألفاظ: الحبس، الحكيم، المنار، القارورة، الوباء، الخف، الورد، الجنين، ضابط الكل، الدر، وغيرها من الألفاظ العربية. بل تمت كتابة كثير من اللغات المحلية الإثيوبية بالحرف العربي، فقد كتبت اللغة الهررية بالحرف العربي، وهي لغة يُتحدث بها في مدينة هرر في شرق إثيوبيا، وعلى الرغم من أنها محاطة من جميع الجهات بلغة الجالا الأورومو والصومالي. كذلك كتب الصوماليون في الحبشة لغتهم بالحرف العربي، كما أن متحدثي لغات العفر والبيجا من الجماعات البدوية المسلمة كانوا يفضلون استخدام العربية كلغة مكتوبة لهم. كما استخدم الحرف العربي في كتابة اللغة الأورومية، لغة الجالا، منذ زمن بعيد في كتابة النصوص الدينية والأدكار والمدايح⁽⁴⁾.

وظهر العديد من العلماء والفقهاء من بين المسلمين الأحباش، نبغوا في العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية، وبلغوا فيها شأناً كبيراً، حتى أنهم وضعوا العديد من المؤلفات بلغاتهم المحلية وباللغة العربية أيضاً، ومن هؤلاء العلماء الشيخ سيد فقيه زبير، من ياجو (ت 1242هـ)، وضع أربعين مقالة تعليلية على الأجرومية، وجمال الدين محمد، من أتا Anna ت 1882هـ، وضع كتاباً كاملاً في الفقه بعنوان كفاية الطالبين في معرفة مهمات الدين، والشيخ إبراهيم عبد الرازق الذي ألف تعليقات على ألفية بن مالك، والشيخ جوهر بن حيدر، من شونقي، وضع كتاباً في الفقه بعنوان عناية الطالبين، كما كتب الشيخ محمد أمان من داري تعليلاً على الأجرومية بعنوان المقاصد الوافية في شرح الأجرومية. ومن العلماء المشهورين أيضاً الشيخ حسن بن حبيب الحنفي الجبرتي من والو، وله مؤلفات ومصنفات كثيرة؛ منها تفسير القرآن الكريم وشرح وقاية الرواية وشرح كنز الدقائق وشرح مختصر القدوري وشرح تحفة

(20) محيي الدين عثمان محسب:- دور اللغة العربية في إثيوبيا، مجلة الوعي الإسلامي، س 41، ع 4، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، 2004، ص56.

(21) عمر عبدالفتاح:- المرجع السابق.

(22) محمد تيسير طيبان الكيلاني:- الحبشة المسلمة، دار الجزيرة للطباعة والتأليف والنشر، مكتبة عرفة دمشق، 1937، ص 99.

(23) عمر عبدالفتاح:- المرجع السابق.

الملوك الذي سماه منهج السلوك، وله تصنيفات وشروح أخرى كثيرة⁽¹⁾. وعلى هذا كانت علاقة العرب والعربية باثيوبيا علاقات قديمة وراسخة. لكن لا توجد كتابات تاريخية باللغة العربية كتبها مؤلفون من اثيوبيا، فكل ما تحدثنا عنه سابقا هي مؤلفات في الفقه والتفسير واللغة والعلوم المرتبطة بالدين الاسلامي. لذا تأتي اهمية كتاب عمر محمد على الاثيوبي باعتباره من أوائل المؤلفات التاريخية التي كتبها مؤلفون اثيوبيون باللغة العربية.

المحور الثاني - التعريف بعمر محمد على الاثيوبي والهدف من كتابه:-

لا توجد أى ترجمة للمؤلف عمر محمد على الاثيوبي فى أى سياق معرفى آخر، اللهم ما جاء ذكره فى مقدمة كتابه اثيوبيا فى عصرها الذهبى. حيث ذكر مقدم الكتاب الأول، الشاعر عزيز اباطة، بأنه أديب عاصر الحوادث وعاصرته وعاش فى غمارها، وأنه أشبه بمرصد تنبض فى زواياه دقات الزمن وتختلج فى جوانبه حركات الحياة. وأنه كاتب موضوعى رغم خلاف العقيدة بينه وبين الشخصية التى يكتب، كونه يتحدث عن ملك مسيحي وهو مسلم، ويقول بأنه بسط العدل فى أرجاء ملكه. مشيدا بكتاب يؤلف لأول مرة باللغة العربية عن اثيوبيا، وأنه جاء بعيدا عن الكتب الكثيرة المؤلفة عن اثيوبيا باللغات الاثيوبية المحلية واللغات الاجنبية. أما الشيخ عمر أحمد الأزهرى، المقدم الثانى للكتاب، وهو أحد علماء الازهر ومقيم فى بلدة درداوا فى أعمال هرر، فيشير بأن المؤلف هو أحد أبناء وطنه دون أن يسمى المنطقة التى ينتمى إليها، وما اذا كانت هرر نفسها او غيرها. وأنه كتب مقدمة الكتاب لعلاقته بالامبراطور الاثيوبي كقاضى فى اعمال هرر وعلى دراية بالرجل واعماله. لهذا يقول بأن المؤلف بذل جهدا فى كتابه نتيجة اخلاصه وتفانيه فى مليكه الذى هو رمز وطنه، وأنه نتيجة جهاده العلمى الشاق وتعمقه فى الدراسات وتنقيح نهارا وسهره ليلا، باحثا عن الحقيقة المجردة التى هى طلب المنصفين وبغية المحققين المنزهين عن الفتون والاهواء المترفعين عن التعصب والجهالة العمياء. مشيدا بجهده وبأن أبناء اثيوبيا هم من يستطيعون أن يعرفوا وطنهم العظيم الى العالم اجمع بصورته الحقيقية البعيدة عن الدعايات المغرضة والاقوال الزائفة⁽²⁾.

وهذه الندرة فى المعلومات عن المؤلف جعلتنا نذهب فيه لأحد احتمالين: أولهما، أن المؤلف هو ربما يكون الشيخ عمر بن أحمد الأزهرى نفسه، كونه على علاقة وثيقة بالامبراطور هيلاسلاسى، وصاحبه كثيرا فى رحلاته، وأن الرجل لا يريد أن يبرز نفسه كمؤلف للكتاب، فأوصى أحدا من زملائه النجباء بكتابته ونشره فى مصر، وتقديمه الى الشرق العربى دون أن يتحمل أى انتقاد فى حالة ثبت أن ما يحدث فى الداخل الاثيوبي تجاه المسلمين يخالف ما كتبه وخطه بيده، فيتم اتهامه من قبل مسلمى اثيوبيا، قبل غيرهم، بما ينتقد شخصه ويطعن فيه .

وهذا الاحتمال جاء من منطلق انه لا توجد اية معلومات اخرى عن مؤلف الكتاب ولا توجد له اية كتابات اخرى، ولعامل الصداقة التى نشأت بين الشيخ عمر بن أحمد الأزهرى والامبراطور هيلاسلاسى نفسه. فالشيخ عمر بن أحمد الأزهرى هو سليل أسرة علمية عريقة خرج من رحمها عدد من المشاهير، منهم العلامة عبد الرحمن بن أحمد والمؤرخ الصومالي أحمد بن عمر الازهرى ومحمد عمر الأزهرى، الصحفي الراحل بإذاعة وتلفزيون جيبوتي القسم العربى والسياسى الصومالي يوسف عمر الأزهرى. فعاشت أسرة الأزهرى بمنطقة دكحور بأوجادينيا؛ حيث كان أبو العائلة العلامة أحمد جولالى قد حط رحاله فيها يعلم الناس أمور دينهم حتى اشتهر أمره، وصار يضرب إليه الأكباد من كافة أنحاء الصومال الغربى، وأما جذور العائلة فتنتمى إلى منطقة مجيرتينيا بشرقي الصومال⁽³⁾.

وقد آلت مشيخة ومكانة أحمد جولالى الدينية بعد وفاته بدكحور إلى ابنه عبد الرحمن بن أحمد، المتبحر فى الشؤون الدينية والعلمية، فضلا عن كونه عابدا زاهدا منتظما فى سلك الطريقة القادرية وله اشعار معروفة. وأما عمر بن أحمد الازهرى فقد قاده طموحه إلى مفارقة الوطن طلبا للمعالي؛ حيث يمم وجهه شطر مصر فالتحق بالأزهر الشريف وبكلية أصول الدين، فتخرج فيها نهاية العشرينيات من القرن العشرين؛ ليكون بذلك من القلة القلائ الذين نالوا تعليما نظاميا فى صفوف العلماء بالصومال الغربى فى تلك الفترة. وعاد إلى الصومال وانخرط فى سلك الحراك الوطنى المناهض بالحرية والاستقلال، وألف فى تلك الفترة روايته بعنوان من السفح إلى القمة؛ ولكن رياح الطموح والرغبة فى تحقيق الذات قد ألقت به فى كنف الإمبراطور هيلاسلاسى حيث المال والنفوذ. فحظي الشيخ عمر الأزهرى بجاه عريض ونفوذ كبير عند الإمبراطور فى إثيوبيا؛ فقد كان الرجل يزوره فى بيته كلما قدم درداوا، ويصطحبه معه فى المؤتمرات الدولية مع بعض الأعيان المسلمين لكي يغري العالم أن شعب الصومال الغربى بعباله وعلمائه معترفون بسلطانه عليهم. وكانت السلطات الإثيوبية تستفيد من نفوذ الشيخ عمر الأزهرى الدينى ومكانته

(24) نفسه .

(25) عمر محمد على الاثيوبي حول اثيوبيا فى عصرها الذهبى..عصر هيلاسلاسى الاول، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٥٤، ص 5-12.

(26) إلياس إدريس أحمد:- عمر بن احمد الازهرى <https://www.facebook.com/103644185093101/posts/104363241687862>

لدى قبائل عيسى وجرجرا بمدينة درداوا ومحيطها، وتستعين به لإقناع القبائل الرعوية لتأدية الجزية للحكومة الإثيوبية التي كانت تجد صعوبات كثيرة في أخذ الإتاوات المفروضة على الرعاة⁽¹⁾.
والذى جعلنا نقول بأنه هو مؤلف الكتاب الحقيقي هو ما خلده الناس في درداوا ومحيطها من مقولة محرجة حوله وجهها أحد الرعاة البدو من العيسى للشيخ عمر الأزهرى أثناء محاولته إقناع هذا البدوي بضرورة دفع الإتاوة السنوية للحكومة الإثيوبية! حيث قال " إنك يا فضيلة الشيخ تقول لنا في المسجد لا تخشوا إلا الله، وفي خارج المسجد تقول لنا: اخشوا من الإمبراطور هيلاسلاسي"⁽²⁾.

وما ذكره الشيخ عمر الأزهرى في مقدمته الموجزة لكتاب عمر الاتيوى أفصح فيها عن مدى إعجابه بالإمبراطور هيلاسلاسي، هو الذى جعلنا نقول باحتمالية أنه هو الذى ألف الكتاب ووضع اسم زميله أو احد تلاميذه عليه. حيث يقول فى احدى فقراته فى تلك المقدمة: " وفي الواقع إنني أعلم الناس بجلالة الإمبراطور هيلاسلاسي الأول، ومقدار حبه لشعبه على اختلاف عناصره ومذاهبه، وسهره على سعادته ورقيه وتقدمه مع تطور الزمن الذي جعل من إثيوبيا في وقت وجيز تقطع هذا الشوط البعيد والمسافة الطويلة إلى الأمام مع قافلة شعوب العالم، وحتى استطاعت أن تسير ركب الحضارة الإنسانية في عصرنا هذا". ولعل اضافته "إثيوبيا بلد ذو حضارة عريقة، ذو حضارة طريفة أيضا- كما جلى عن ذلك بحق الأخ الأستاذ عمر - يتمتع شعبها في ظل إمبراطورها العظيم بحكم مثالي للعدالة والنزاهة والانصاف .."، هو الذى يقول بأن اسلوب المقدمة لا يختلف كثيرا عن اسلوب الكتاب نفسه ولغتها لا تبتعد عن لغة الكتاب الداخلية⁽³⁾.

وما يدعم رأينا هذا أن هناك كتابات محلية تقول بهذا الأمر. فقد ذكر احدهم منتقدا سلوكه " يبدو أن عمر الأزهرى كان مثالا للعصا السحرية التي تقاطعت حول أهميتها الأهداف الاستعمارية لكل من الحكومة الإثيوبية والسلطات الاستعمارية في ساحل الصومال الفرنسي، اللتين كانتا في قمة التماهي والتشابك في المصالح المشتركة فيما بينهما!. وبما أن شعب العيسى هو قطب الرعى لهذه المصالح بين الإدارتين الاستعمارييتين، فكان يجب تسخير وفق هذه المصالح، باستخدام كل الأدوات التسخيرية بما فيها الأداة الدينية التي يمثلها الأزهرى!!". مضيفا جملة تدل على المكانة التي يتمتع بها لدى هيلاسلاسي " ولهذا نجد أن الأزهرى كان على علاقة طيبة مع السلطات الفرنسية في جيبوتي التي كانت قد وهبته فيلا في الحي الأوروبي بجيبوتي وأرسلته على رأس بعثة حجاج نظمته ومولتها في عام 1937م تحت غطاء التسامح الديني! وكانت تضم عددا من الوجهاء والأعيان بينهم سلطان تاجورة!. ثم عرضت عليه منصب قاضي جيبوتي الشرعي خلفا للقاضي شمسان الحمادي ولكنه اعتذر عن ذلك، ورشح زميله القاضي علي بن عبدالله بن أبي بكر السقاف الخريج في كلية أصول الدين بالأزهر الشريف الذي كان يعمل في ذلك الوقت في جيبوتي مديرا لمدرسة النجاح، وهي أول مدرسة عربية نظامية في جيبوتي!. وذلك لأن مكاسبه والحظوة التي يلقاها عند الإمبراطور هيلاسلاسي كانت أكبر بكثير من هذا المنصب في المستعمرة الصغيرة والناشئة⁽⁴⁾. وعلى هذا فإن مكانته الكبيرة لدى هيلاسلاسي والحظوة التي يتمتع بها عنده هي التي جعلتنا نميل بأنه هو الذى ألف الكتاب ونسبه الى عمر محمد على الاتيوى. ولو ركزنا في الاسمين في مقدمة الكتاب سوف لا نجد اختلافا كبيرا، فذلك عمر بن احمد الازهرى الاتيوى، والآخر وهو المؤلف اسمه عمر محمد على الاتيوى، وكلاهما ازهرىان وكلاهما اثيوبيان وكلاهما من كلية واحدة.

ثانيهما، أن عمر بن محمد على الاتيوى هو مؤلفه الحقيقي، لكن لا توجد أى ترجمة أو تعريف به ولا توجد له مؤلفات غير هذا الكتاب. ويحتمل أنه يكون من اقليم اريتريا التي ضمت حديثا وقتئذ لاثيوبيا، وذلك للاهتمام الذى حظيت اريتريا به فى كتابه، فهناك تسعة فصول من 23 فصلا جملة الكتاب تحدث فيها عن اريتريا، وفى أكثر من عنوان، بما يدل على أنه على دراية كاملة بالمنطقة والشخصيات الاريترية التي يتحدث عنها. وربما جاء تشجيعه على تأليف هذا الكتاب نتيجة لتعاطف المصريين والعرب مع الاريتريين بوجه عام ومسلمى اريتريا بوجه خاص.

(27) نفسه.

(28) نفسه.

(29) عمر محمد على الاتيوى:- المرجع السابق، ص ص 9-11.

(30) <https://www.facebook.com/103644185093101/posts/104363241687862>

على أية حال، ما يعنيننا أن عمر محمد علي الاتيوي قد أصدر كتابه إيتوبيا في عصرها الذهبي.. عصر هيلاسلاسي الأول في العهد الثاني لهيلاسلاسي، أي بعد الاحتلال الإيطالي للحبشة وكتبه باللغة العربية لأهداف أربعة:

الهدف الأول، أن هذا الكتاب كان بمثابة ترويج لسياسة الإمبراطور هيلاسلاسي في العالم العربي والإسلامي، وتلميحه بأنه رمز للسماحة الدينية وللعدالة والمساواة في إيتوبيا، وذلك في وقت كانت كل المصادر العربية تتحدث عن الجرائم البشعة التي كانت القوات الإثيوبية ترتكبها ضد القرى والمدن الإسلامية من قتل إبادة وتشريد. وعن ممارسة السياسات الإقطاعية لانتزاع الأراضي الزراعية من أهلها المسلمين، وكذلك عن حملات التبشير التي كانت تروج بين المسلمين بإشراف الدولة الإثيوبية، حتى أن المسلمين لم يتذوقوا طعم الحرية الدينية إلا في ظل السنوات الخمس التي حكمت إيطاليا البلاد⁽¹⁾. وما رصدته البعثة الإسلامية الدينية التي أرسلتها مشيخة الأزهر إلى الحبشة في يناير سنة 1934 لترشد الأهالي المسلمين إلى الدين القويم، ومكونة من الشيخ محمود النشوي والشيخ يوسف علي يوسف، وفرح المسلمين في اديس ابابا بقدمهم شاكرين لمصر وللجامع الأزهر فضله عليهم وتلبية طلبهم، وانهم بدأوا عملهم في مدرسة نادي الاتفاق الإسلامي، واتخذوا من المسجد ميداناً لإلقاء العظات التي تنفع مسلميها، وقاموا بتدريس أهم المواد وأشقها، كالتوحيد وفقه الشافعي والتاريخ والأخلاق الدينية، وتحفيظ القرآن الكريم بطريقة تجعلهم يدركون المعنى الإجمالي لكتاب الله، لكنهم وقفوا على عدد الحجاج القليل من الأحباش، ذاكرين بأنه كان عام ١٩٣٢م ٤٩ حاجاً، وفي سنة 1933 كان ٢٩ حاجاً فقط بسبب تعنت الانظام الحبشي ضد المسلمين. معتقدين أن المعاهدات التي تمت بني الحبشة وحكومة الحجاز ستسهل السبيل للمسلمين الأحباش، فيكثر عدد الحجاج منهم في الأعوام المقبلة، إذا لم تكن الأسباب المانعة من ذلك من نفس حكومة الحبشة. وقد فسرت البعثة التعنت الذي وقع على المسلمين، وأن الإمبراطور نفسه لا يستطيع إيقافه، فقد علموا من مصادر يُوثَّق بها أن كل رأس من رؤوس الحبشة له التصرف المطلق في أحكامه على أهالي إقليمه، وليس للإمبراطور عليه في إدارة شئونها شيء من السيطرة، لا قليل ولا كثير، ولا تربطه بإمبراطوره إلا دعوة الحرب ودفع القدر المعلوم المطلوب منه. مستنتجين من حال الحكومة الحبشية المسيحية مع رعاياها المسلمين، أن الأحباش الذين تعوّدوا أن يعيشوا على كدّ كواهل سواهم، يخافون من المسلمين ليتفوّق العنصر الإسلامي من جميع مرافقه، ويتلاشى الشعب الحبشي الأصلي⁽²⁾. يؤكد هذا دستور 1931 الذي اشتمل على مواد ونصوص جيدة نظرياً، لكنها لم تكن مفعلة عملياً. فمن الحقوق المنصوص عليها المساواة أمام القانون، التسامح الديني الكامل، حرية الصحافة، حق التجمع، حرية اختيار العمل، لكن على أرض الواقع ظلت كل هذه المواد معطلة، فمصادرة الأراضي كانت تتم في الجنوب ذو الأغلبية الإسلامية بشكل شبه دوري، وظل قانون العمل الجبري سيفاً على رقاب الأروموو، وكان التمييز ضد المسلمين مستمر بشكل جلي⁽³⁾.

الهدف الثاني، الرد على المؤلفات العربية داخل مصر والعالم العربي. فقد كانت كل المؤلفات الموجودة باللغة العربية قد ألفها عرب ولم يكن من بينها مؤلف تاريخي واحد بقلم شخص أثيوبي. وناهيك عن كتابات العصر الإسلامي حول الحبشة بالعربية، وكتاب سيرة الحبشة الذي ألفه الحسن بن أحمد الحيمي في القرن الرابع عشر الهجري، كانت توجد كثير من المؤلفات العربية حولها، منها ما ذهب كاتبها إلى الحبشة وسجل رحلته بنفسه، كما فعل صادق المؤيد، حينما أرسله السلطان العثماني عبدالحميد الثاني برسالة إلى مثليته الثاني إمبراطور الحبشة، فسجل رحلته التي بدأت في 15 ابريل 1896 حتى رجع منها في 16 يوليو 1896⁽⁴⁾. وكذا رحلة محمد تيسير ظبيان الكيلاني والتي سجلها في كتاب الحبشة المسلمة سنة 1937 وكتاب بولس مسعد حول الحبشة أو اثيوبيا في منقلب من تاريخها سنة 1935، وغيرها من الكتب التي ظهرت في منتصف ثلاثينيات القرن العشرين، ككتاب عبدالحليم نصير حول ثروة الحبشة، وكتاب جورج حجار حول اثيوبيا بعد الحرب العظمى، وكتاب يوسف احمد حول الاسلام في الحبشة سنة 1936،

(31) إلياس إدريس أحمد:- عمر بن احمد الازهرى :- المرجع السابق.

(32) يوسف احمد :- المرجع السابق ، ص ص 52-55، 75، 76.

(33) شرين مبارك بسيس فضل الله:- المرجع السابق ، ص 27.

(34) صادق باشا المؤيد العظم:- رحلة إلى الحبشة.. من الاستانة إلى اديس ابابا 1896، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2001، ص ص 11،

وكتاب عبدالله حسين عن المسألة الحبشية 1935⁽¹⁾. وما الى ذلك من كتابات سجلت فيها المظالم التي تعرض لها المسلمين داخل الحبشة. لهذا جاء كتاب محمد بن عمر الايثوبي، وطبع في القاهرة عام 1954م منوها بالروابط الدينية والاجتماعية التي تربط بين أمم الشرق واثيوبيا ومركزا على النهضة الاثيوبية في ظل حكم هيلاسلاسي، وكأنه رد غير مباشرة على ما تم ذكره في المؤلفات العربية السابقة. ولعل تقرير الشيخ يوسف على يوسف، وهو شيخ مصري أوفدته الجامعة الازهرية لتعليم أبناء المسلمين في الحبشة، والذي رفعه الى السلطات الايطالية يشكوا فيه اوضاع المسلمين السيئة هناك، مطالباً بحريتهم الدينية واحترام تقاليدهم وعاداتهم ومؤازرة مدارسهم وتعليم الدين الاسلامي في المدرس المزمع انشاؤها، وقبول عدد من المسلمين في الوظائف التي كانوا محرومين منها في العهد البائد، يقطع بأن عهد هيلاسلاسي الاول في الفترة من 1930-1935 لم يسلم من الانتقادات بخصوص سياسته مع المسلمين. ولعل حديث عدد من المشايخ والتجار المسلمين في درداوا لتيسير ظبيان الكيلاني حول مظالم هيلاسلاسي، والعنت ضدهم وفرض الضرائب المرتفعة عليهم، ناهيك عن خدمتهم للسادة الاحباش، يزرعون اراضيهم ويرعون ماشيتهم ويطحنون حبوبهم وينزحون مراحيضهم لما يسمى بالملكانيا الحبشى، يؤكد على هذا ويشرحه. ولاشك ان الاحتلال الايطالي للحبشة سنة 1936 قد فتح الباب واسعا للحديث عن مظالم هيلاسلاسي في العالم العربي، وفي هذا السياق يحدثنا شكيب أرسلان في مقدمته لكتاب تيسير ظبيان الكيلاني مشاهداتي في الحبشة المسلمة سنة 1937 عن وجود عشرات التقرير عنها، وعن مسلميها، وانه هو نفسه كتب عنها قبل 12 سنة مؤلفا كاملا ضمن سلسلة حاضر العالم الاسلامي⁽²⁾. وكذا تحدث غالبية الكتابات العربية عن الحبشة قبل عام 1954، وهو الأمر الذي جعل عمر الاثيوبى ينشر كتابه ردا على هذه الكتابات، وتحسينا لصورة الملك هيلاسلاسي في البلدان العربية.

الهدف الثالث، الرد على الانتقادات الدبلوماسية العربية عموما والمصرية تحديدا، والتي حملتها الرسائل الدبلوماسيين العرب في اثيوبيا. واذا كانت الكتابات العربية مثل تيسير ظبيان الكيلاني ويوسف احمد قد ركزت على انتقاد سياسة هيلاسلاسي تجاه المسلمين قبل عام 1935، فإن الكتابات المصرية ركزت على هذه السياسة المتعنتة بعد عودة هيلاسلاسي سنة 1941 وصاعدا. وذلك نتيجة الدور الذى قام به علماء الازهر في هذا المجال، وما قام به وفد مسلمي الحبشة ومن مدينة هرر على وجه التحديد بعد زيارتهم الى مصر وتقديمهم لمذكرة الى شيخ الازهر الشيخ مأمون الشناوى سنة 1948⁽³⁾. وما سبق أن قدمته تقارير المفوضية الملكية المصرية باديس ابابا الى وكيل الخارجية بالقاهرة بشأن الحالة الاجتماعية والثقافية للجاليات العربية والاسلامية باثيوبيا في 16 اغسطس 1947⁽⁴⁾. وكذا بشأن إبعاد الجاليات العربية المقيمين على الحدود الاثيوبية في 15 اغسطس 1946⁽⁵⁾. وأيضا بشأن إفاد بعثة لدراسة حالة الجاليات العربية الاسلامية في اثيوبيا واريتريا والصومال في 9 اغسطس 1947⁽⁶⁾. وما رصدته بشأن بشأن اتهام النظام الاثيوبى لعدد من المسلمين بأنهم متامرين على محاولة اغتيال هيلاسلاسي سنة 1951 واعتقال

(35) بولس مسعد:- الحبشة او اثيوبيا فى منقلب من تاريخها، المطبعة العصرية، القاهرة 1935 ص56.

(36) محمد تيسير ظبيان الكيلانى:- المرجع السابق ، ص ص 53-56، 6.

(37) مذكرة وفد من مسلمي الحبشة- هرر- الى شيخ الجامع الازهر، كود 037965-0078، وثائق وزارة الخارجية المصرية، دارالوثائق القومية المصرية.

(38) تقرير من المفوضية الملكية المصرية بباريس الى وكيل الخارجية بالقاهرة بشأن الحالة الاجتماعية والثقافية للجاليات العربية والاسلامية باثيوبيا في 16 اغسطس 1947، ميكروفيلم رقم 50، محفظة رقم 7، ملف 5، وزارة الخارجية المصرية، دار الوثائق القومية.

(39) خطاب من المفوضية الملكية المصرية باديس ابابا بشأن ابعاد الجاليات العربية المقيمين على الحدود الاثيوبية في 15 اغسطس 1946، ميكروفيلم 50، محفظة 78، ملف 1. وثائق وزارة الخارجية، دار الوثائق القومية المصرية. .

(40) خطاب من المفوضية الملكية المصرية باديس ابابا الى وكيل الخارجية المصرية بشأن إفاد بعثة لدراسة حالة الجاليات العربية الاسلامية في اثيوبيا واريتريا والصومال في 9 اغسطس 1947، ميكروفيلم 50، محفظة 78، ملف 1. وثائق وزارة الخارجية، دار الوثائق القومية المصرية. .

عدد كبير منهم واعداد 7 من مسلمى جوجام⁽¹⁾. وعلى هذا يمكن القول بأن معظم الكتابات المنتقدة لسياسة هيلاسلاسى تجاه المسلمين كان أصحابها من الجزيرة العربية وبلاد الشام، بحكم أن المعاهدة الإيطالية السعودية قد جعلت إيطاليا تفتح الباب أمام الزائرين العرب ليشاهدوا بأنفسهم ما فعله هيلاسلاسى بالمسلمين هناك، تجنباً للحملة التي تقودها مصر ضدها فى ذلك الوقت، حيث كانت القاهرة مركزاً لتأليب المؤسسات الدولية ضد إيطاليا واحتلالها للحبشة. أما بعد عودة الامبراطور هيلاسلاسى بعد انتهاء الاحتلال الايطالى لاثيوبيا، فتحوّلت القاهرة لتكون مركزاً رئيسياً لانتقاد سياسة هيلاسلاسى ضد المسلمين داخل اثيوبيا. والناظر للمؤلفات والتقارير والبعثات والصحف، سيجد الفرق موجوداً وظاهراً بين مرحلة ما قبل الحرب العالمية الثانية وما بعدها.

الهدف الرابع، هدف شخصى يتعلق برغبة المؤلف فى أن يحظى بمكانة أو بمنصب لدى هيلاسلاسى. فلا تخلو صفحة من انتهازية سياسية واطراء ولفت نظر الملك الى كتابه، والدور الذى يمكن ان يقوم به فى اثيوبيا نفسها وخارج اثيوبيا. ولعل النظر فى طريقته فى المدح ومبالغته فى الاطراء كما يبينها المحور الاخير، ستجعلنا نتبين بأن هذه الانتهازية تبطن خلفها هدفاً شخصياً واضحاً بل ومكتشوفاً.

المحور الثالث- فصول الكتاب وأهم موضوعاته:-

موضوع الكتاب من عنوانه حول هيلاسلاسى امبراطور اثيوبيا، منذ أن كان يسمى الرأس تفرى، وهو ابن الرأس ماکونن بن وازبروتانا أحد أبناء الملك ساهالاسلاسى⁽²⁾، الى أن اصبح امبراطوراً لكل من اثيوبيا واريتريا، ورغم أن العنوان يقول اثيوبيا فى عهد هيلاسلاسى إلا أن المؤلف لم يكن يشغله هذا الامر كثيراً، فجاء تركيزه على شخص هيلاسلاسى وأيديه البيضاء على اثيوبيا وليس العكس. والكتاب فى مجمله عبارة عن 23 فصلاً، موزعين على

183 صفحة، تسبقها مقدمات ثلاث؛ الاولى للشاعر المصرى عزيز اباطة، والثانية للشيخ عمر بن احمد الازهرى، والثالثة للمؤلف نفسه، وانتهى المؤلف بخاتمة الحقها بقصيدة مقفاة للشاعر المصرى والصحفى عبدالمنعم قنديل. ويبدأ الكتاب بخريطة تضم اريتريا لاثيوبيا بعد اتحادها معها سنة 1952، مركزاً فيها على اسماء المدن الإرتيرية والمدن الاسلامية الجنوبية الاسلامية، هرر وأوجادين وعروسى وبالى وسيدامو وبروسا وغيرها. وفصول الكتاب قصيرة جداً، وصفحاته من القطع الصغيرة، بحيث يمكن للقارئ أن يقرأه فى جلسة واحدة.

وفى الفصل الأول وعنوانه تاريخ يتكلم يتحدث فيه عن ثلاثة أيام فى حياة هيلاسلاسى وهى يوم ميلاده عام 1891م، ثم يوم ارتقائه للعرش 1930، ثم يوم عودته الى بلده بعد انتهاء الاحتلال الايطالى 1941. وفى الفصل الثانى يتحدث عن مراحل مرت بحياة هيلاسلاسى الاولى. وفى الثالث يتحدث حول اختياره ولياً للعهد باسم الدجزمج تفرى او الرأس تفرى سنة 1916. وفى الفصل الرابع يتحدث حول الخدمات التى أسداها للبلاد وهو ولى للعهد، بإنشائه مدرسة شعبية، وجهده فى ادخال اثيوبيا لعصبة الامم، وعن زيارته لاطاليا ومصر واليونان وفرنسا وانجلترا سنة 1924، ومنحه لقب الملك تفرى سنة 1928. وفى الفصل الخامس يتناول توليته للعرش فى نوفمبر 1930، بعد موت الملكة زوديتو امبراطورة اثيوبيا فى ابريل 1930، معددا صفاته، وانه مختار من الله وانه ملك الملوك، متطرقاً للاحتفالات التى اقيمت بهذا الخصوص، وانه اصدر الدستور وانشأ البرلمان سنة 1931⁽³⁾.

وراح فى الفصل السادس يتحدث حول الاعتداء الاثيوبى على اثيوبيا، وانها انتهت التطور الذى احدثه الامبراطور هيلاسلاسى، وانه قاد المقاومة ضدها الى أن اضطرته الظروف وموازين التسليح والقوة لمغادرة عاصمة بلاده للخارج، فظل هناك خمس سنوات مطالباً بخروج الايطاليين واستقلال بلاده، مراعيًا فى كل ذلك ان يخاطب مجتمع عربى وإسلامى، ففى كل فصل يورد من الامثلة العربية والحكم ما يناسب الموقف الذى يتحدث عنه وعن جهاده ودفاع الشعب الاثيوبى عن بلده. وفى الفصل السابع تحدث عن عودة هيلاسلاسى الى وطنه سنة 1941 وحربه ضد الايطاليين، الى ان تمكن من دخول عاصمته اديس ابابا فى 5 مايو 1942. مبينا دوره القيادى، متحدثاً بلغة عربية

(41) خطاب من سفارة مصر باديس ابابا الى وكيل الخارجية المصرية بشأن المتهمين بالتآمر على اغتيال هيلاسلاسى، فى 14 يوليو 1956، ميكروفيلم 50، محفظة 78، ملف 1. وثائق وزارة الخارجية، دار الوثائق القومية المصرية. .

(42) عبدالله حسين:- المسألة الحبشية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص ص ب وج.

(43) عمر محمد على الاثيوبى:- المرجع السابق، ص ص 1-51.

مستشهدا بأشعار عربية تلخص الحالة مع هذه العودة. وفي الفصل الثامن تكلم عن الحركة الفكرية حول التعليم وإنشاء المعاهد للمسلمين والمسيحيين، وأن هيلاسلاسى قد أوفد إلى الأزهر مئات الاثيوبيين. وفي الفصل التاسع تحدث عن إنشاء المسرح القومى الاثيوبى فى اديس ابابا تحت اشراف وزارة المالية الاثيوبية، وأن هذا المسرح قد عرض مسرحيات ذات فصول اربع او خمس بلغة اثيوبيا القومية. بعدها تحدث فى الفصل العاشر عن صوت اثيوبيا على موجات الأثير، وعن إنشاء الاذاعة بأحدث الآلات تحت اشراف وزارة المالية ايضا. وفي الفصل الحادى عشر تناول الصحافة الاثيوبية، مخصصا حديثه حول اصدار جريدة العلم سنة 1942 باللغة العربية، الى جانب الصحف الاخرى باللغة الامهرية والتجريدية والانجليزية والفرنسية فى اديس ابابا. وفي الفصل الثانى عشر تحدث عن إنشاء المحاكم الشرعية الاسلامية منذ 30 ابريل 1942 وصاعدا، فى جميع اماكن المسلمين على ان تكون المحكمة العليا الشرعية فى اديس ابابا، وعن سعادة المسلمين بذلك وبتعيين قضاة مسلمين مميزين، وارسال الأمير عمر طوسون رسالة من مصر يشكر فيها هيلاسلاسى على هذه اللقطة فى حق رعاياه المسلمين⁽¹⁾.

وفي الفصول من 13 الى 23 نراه قد خصصها حول اريتريا تحت عناوين مختلفة، اللهم الا الفصل الثامن عشر حول علاقة الاسلام بالحبشة منذ هجرة المسلمين الأولى إليها فى عهد النبى ﷺ، وأن اثيوبيا مليئة بأبناء العروبة والمسلمين الذين استوطنوها. وكذا الفصل التاسع عشر حول علاق مصر باثيوبيا مشيدا بموقفها من العدوان الايطالى سنة 1935 وكيف اظهر المصريون، مسلمون ومسيحيون، استنكارهم لهذا الاعتداء مبرزاً دور الهيئات والزعامات المصرية التى وقفت مع اثيوبيا، مما كان له أثره فى هز اعصاب العالم وايقاظ ضميره، ليعطف على القضية الاثيوبية⁽²⁾.

واعتقد أن تخصيص عدد كبير من الفصول حول اريتريا يلخص الهدف الرئيسى من الكتاب وهو الاشارة بعلاقة هيلاسلاسى بمسلمى اثيوبيا عموما، ومسلمى اريتريا على وجه الخصوص. ففي الفصل الثالث عشر يتحدث عن ضم اريتريا لاثيوبيا فى اطار قرار الامم المتحدة. وفي الفصل الرابع عشر تحدث عن الوفد الاريتري ومجيئه للعاصمة اديس ابابا ومعهم الدستور الاريتري، بعد موافقة الجمعية التشريعية فى اريتريا وتصديق الامبراطور عليه فى 11 سبتمبر 1952، مشيراً لبرقية الطلبة الاثيوبيين الازهريين بالقاهرة للامبراطور هيلاسلاسى اظهارا لفرحتهم بالوحدة الإرتيرية الاثيوبية. وفي الفصل الخامس عشر نراه يتحدث عن الرحلة الملكية لأريتريا فى اول زيارة رسمية لهيلاسلاسى لها فى 2 اكتوبر 1952، والتى استمرت حتى 11 اكتوبر، وحول حفلات التتويج فى كنيسة اكسوم الإرتيرية، متحدثاً عن كتاب سعد بولس حول الحبشة واشادته بالجنود الاحباش وانتصاراتهم على المصريين، وحول معركة عدوة مع الايطاليين وحول الهتافات التى تستقبل هيلاسلاسى عبر الطريق من الحدود الاثيوبية وحتى اسمره. وفي الفصل السادس عشر تحدث عن زيارة الامبراطور لمصوع فى 7 اكتوبر 1952 وخطبة اثيوبيا حول عودة شاطئ الاجداد لإثيوبيا مرة ثانية، وأن اثيوبيا تمكنت من الحصول على حقها المسلوب، واصبح لها منفذ بحرى، وتحدث عن ميناء عدل واصلاح الميناءين عدل ومصوع. وتحت عنوان التاريخ يعيد نفسه تحدث فى الفصل السابع عشر عن عودة الامبراطور الى اسمره واستقباله الحافل هناك، وزيارته للجامع الكبير بأسمره وخطبته فيه، رداً على خطاب امام المسجد وشكره للزيارة⁽³⁾.

أما فى الفص العشرين فنراه يتحدث حول زيارة الامبراطور الى مدينتى كيرن وغرضت الإرتيريتين فى 11 اكتوبر 1952. وفي الفصل الحادى والعشرين تحدث عن عودة الامبراطور الى اديس ابابا وزيارته الثانية لمصوع فى يناير 1953. ثم عن افتتاحه لاعمال ترميم مسجد حنفى وشكره لقاضى مصوع وخطبته هناك، وايضا لوضعه حجر اساس بناء كنيسة القديسة مريم بمصوع. وفي الفصل الثانى والعشرون تحدث عن زيارة الامبراطور الثانية لأسمره، ليدشن مبنى مدرسة ومستشفى، مستشهدا بأشعار لشوقي وغيره من الشعراء فى البناء والتقدم. وفي الفصل الثالث والعشرون تحدث عن افتتاح المسجد والكنيسة فى مصوع فى 29 يناير 1954. وأنه بعد ان وضع أساس

(44) نفسه، ص ص 57-86.

(45) نفسه، ص ص 137-148.

(46) نفسه، ص ص 87-136.

الترميم للمسجد ولبنة الكيسة سنة 1953 عاد في العام التالي ليفتتحهما متبادلا الخطب مع الزعامات المسلمة التي عبرت عن شكرها وثناءها للامبراطور، كمفتى اريتريا الشيخ ابراهيم مختار احمد عمر وقاضى مصوع بالنيابة الشيخ حامد ابوعلامة، وكذا عن اعطاء هيلاسلاسى الاوامر ببناء مدرسة بحرية هناك⁽¹⁾. وفي الخاتمة انتهى فيها الى الفكرة التي أرادها من كتابه وهو حسب ذكره " أن هذه اثيوبيا فى عصرها الذهبى انتعشت واينعت وازدهرت، وان شعارات اثيوبيا انتشرت حول العالم". معترفا بأنه لم يستطع الكتابة بالكثير عن اثيوبيا، ففيها الكثير من النهضة فى التعليم والزراعة والصناعة، ما يملأ قلبه ويجعل ولاءه ممدودا واخلاصه مستمرا لمليكه وبلاده. مناشدا القارئ بعد قراءة هذه الرحلة التى طوف به بها، أن يكون قد ثبت له فضل امبراطورها وأيديه البيضاء على اثيوبيا، ويرى دوره فى القفز بها الى ميادين الحضارة والرقى والتقدم، وكيف تخطى بشعبه العقبات، ومنعه كثيرا من الازمات، مطالباً الشعب الاثيوبى بالوحدة والائتلاف ما حملوا تعاليم قائدهم الحكيم وامبراطورهم العظيم هيلاسلاسى⁽²⁾.

المحور الرابع- أسلوب المؤلف وجماليات اللغة:-

يمكن تصنيف هذا الكتاب فى اطار كتب الدعاية السياسية المكشوفة والصريحة، وليس فى اطار الكتب التاريخية الموضوعية المتجردة. فقد حشد الكاتب كل ما يتعلق بمفردات المديح والاطراء والاعجاب بمليكه حتى ليخيل لنا عند استعراض ما كتبه وقراءاته بعناية بأنه لا هم له الا التفضيم والمدح والاستحسان بكل ما فعله الرجل على طول الخط. لم ينس المؤلف أنه يكتب للمصريين والعرب جميعا، لذا نراه يركز على اللغة العربية وجمالياتها بشكل كبير. فهناك بساطة فى اللغة وطلاوة فى العبارة وذكاء فى توظيف الحوادث لخدمة القضية التى تهتمها، والفكرة التى تشغله. وهو من هذا وذاك، يرسم ملامح وصفية لهيلاسلاسى تكاد تكون قطعة ادبية اكثر من كونها كتابة تاريخية موضوعية. يستحسن كل فعل قام به الرجل، ويباهى بكل امر فعله لدرجة التكرار. ومع ذلك نجد أن هناك أناقة فى الاستطراد، وسهولة فى الانتقال من فقرة لأخرى دون ملل او ضيق. وتكشف كتابته عن ثقافة الكاتب بأصول النفاق السياسى والمداينة والرغبة فى الوصول عند الامبراطور لمكانة معينة، وربما كان تبيانها للصلة بين الرجل والمكان، بين الامبراطور هيلاسلاسى واثيوبيا، وكأن الرجل هو الدولة والدولة هى هيلاسلاسى، هو الهدف الرئيسى للكاتب، اذ نراه يشير فى مرات عديدة الى ان اثيوبيا كانت منتظرة لهذا الحاكم، ومستعدة لبطلها ومهيأة لخدمة سياسته. وفيما يتعلق بالأراء والافكار التى يفصح عنها صاحب الكتاب فقلما وجدناه لا يذكر هيلاسلاسى فى صفحة او يسهوا عن الاعتراف بفضله فى اى فصل من فصول كتابه، أو يستعمل ما يؤكد على فكرته تلك، أو يروج لحدث يخدم هذه الفكرة. وغالبية المعلومات التى نقلها بأسلوبه عن غيره دون ذكر، وفى أحيان كان يذكر معلوماته منسوبة لمؤلف معين، مثل صادق المؤيد أو بولس مسعد أو محمد تيسير ظليان الكيلانى، مؤكدا فى مقدمته بأن هذا رأيه لم يعتمد فيه على احد، وان هذه وجهة نظره التى يريد ايصالها. وبالتالي يمكن القول بأن كتابه عبارة عن نص لا يوظف كلماته فيه لخدمة تاريخ اثيوبيا بقدر ما يوظف تاريخ اثيوبيا لخدمة شخص هيلاسلاسى. بل إن القارئ للكتاب ليندهش من قلة المعلومات التى يوردها المؤلف، وليستغرب من قلة التاريخ لحساب الأدب والكتابة الادبية.

ومن الملاحظ بشكل عام، أن المؤلف قد غلبت على كتابته المبالغة الشديدة فى الاطراء والمدح لشخص هيلاسلاسى، بل يمكن القول بأن الرجل يمكن تصنيف كتابه فى اطار نظرية البطل العظيم، والتى تقول بأن التاريخ ما هو إلا عبارة عن سير الملوك والاباطرة العظام، وان الشعوب ما هى الا كومبارس، ينتظرون مولد هذا البطل ومجيئه ليخلصهم مما هم فيه، ويحل لهم كل المشكلات التى تقابلهم، وينتصر لهم فى كل الحروب التى يخوضونها. ولهذا رأى شخص هيلاسلاسى وحكمه حسنا فى كافة النواحي. وبالتالي لو كان الكاتب مؤرخا محترفا أو اكاديميا، لصنف كتابة كإنموذج لتوظيف مدرسة الرجل العظيم أو نظرية البطل العظيم فى الكتابة التاريخية.

وكون المؤلف أدبيا فى الأساس، فقد انعكس أسلوبه الأدبي على كتابته بشكل كبير، فجاءت جماليات اللغة والاسلوب على حساب التاريخ الذى هو موضوع الكتاب. فوصف الرجل بصفات خارقة واخلاقيات متعددة وعطاءات متجددة، ما غلب على الاهتمام بالجوانب التاريخية. ومع أن أسلوبه بشكل عام بسيط وغير متقعر إلا أنه استطاع أن يقدم لغة غير ركيكة، تناسب حجم الدعاية التى يستهدفها، وتبيض صورة الرجل بأحسن ما يكون، حتى لا يرى القارئ فى سياسته وافعاله ما يسيء لحكمه أو ينتقد قراراته. بل سيراه، كما رآه المؤلف، حاكما عادلا مستتيरा متحضرا فى كل شيء، فى حديثه ولقاءته وفى تعاملاته مع المسلمين. واعتقد ان هدفه الرئيسى، وهو تبيض صورة

(47) نفسه، ص ص 149-176.

(48) نفسه، ص ص 177-178.

هياكله في العالم العربي، يمكن استشرها في حجم الشعر الذي وظفه والامثلة والتراث الاسلامي الذي استعان به طول الكتاب وعرضه. حيث وظف الشعر والادب والقصص الاسلامية والتاريخ العربي في خدمة الافكار التي طرحها. رسم فيها صورة لهياكله وكانه مختار من قبل العناية الالهية لحكم اثيوبيا، وأن الله نجاه من غرق محتم وهو في صباه لمهمة سيحملها، وأن رجال الدين المسيحيين الذين اختاروه بعناية من بين مترشحين عدة لحكم اثيوبيا، قد اختاروا الشخص المناسب وراهنوا على الحاكم الذي تعده اثيوبيا لنفسها وتنتظره، وأن هذا الاختيار هو الذي جعله موفقا في كل خطواته، حتى حين تم الاعتداء على اثيوبيا من قبل ايطاليا عامي 1935 و 1936.

وباعتبار المؤلف أدبيا، فقد جاء أسلوبه سلسا وسهلا وبسيطا ومختصرا جدا، وليس به حشوا، مستهدفا الفكرة التي يريد لها ليدخل في المضمون مباشرة. لكن غلبت عليه العاطفة في مجمل الصفحات، وهو ما لا يعد تاريخا بالمعنى الحقيقي للتاريخ، بل هو توظيف سياسي للتاريخ، أو بمعنى أدق هو تسييس للتاريخ لخدمة اهداف شخصية تتعلق بالمؤلف وانتهازيته السياسية، وبهياكله الذي يريد تغيير صورته في العالم العربي وتحسينها. وحينما يستشهد بشعر شوقي كثيرا أو بالتراث العربي والإسلامي خلال فترة الاحتلال الايطالي، كقوله "دوله الباطل ساعة ودولة الحق الى قيام الساعة، وأن الحق مهما هبط وانخفض، لابد سيعلوا ويرتفع"، أو يقول "أناس صدقوا ما عاهدوا الوطن عليه، فباعوا انفسهم واشتروا حريتهم واستقلال وطنهم ووفاء مليكهم، حق الله أن ينصرهم" الى غير ذلك من أساليب (1)، فهو يريد أن يكون قريبا من لغة الناس الذين يكتب لهم ويخاطبهم، وهم العرب والمسلمين.

هذا، وقد وظف المؤلف الصورة عبر كتابه بشكل كبير لخدمة هدفه المركزي، وللاستدلال بها على صحة ما يكتبه، فهناك صور له ولأبنائه ولإنشائه وخطبه واجتماعاته، بها مسلمين ومسيحيين، وبها مشايخ وقساوسة وهو عائد الى وطنه بعد انتهاء الاحتلال الايطالي، وصور لوزراء ومدارس ومطابع افتتحها، وفي داخل اثيوبيا وفي اريتريا وبين الكتب، ومع رؤساء المحاكم الشرعية الاسلامية، ومع وفود من اريتريا وهو يوقع على ميثاق الاتحاد الفيدرالي، وكذا صور له في اسمره ومصوع وغيرها من المدن الإرتيرية (2). بما يخدم الفكرة المركزية التي ارادها والهدف الرئيسي الذي اشتغل عليه.

المحور الخامس- أبرز قضايا الكتاب ومناقشاته:-

لاشك أن المؤلف راح يختار من تاريخ اثيوبيا ما يريد اختياره، ليوظفه في خدمة قضيته الرئيسية وهي التركيز على علاقة هياكله بالطيبة بالمسلمين في اثيوبيا في كافة نواحيها، سواء في الجنوب أو الوسط أو في اريتريا المنضمة لاثيوبيا حديثا حينها، حيث ضمت سنة 1952 وتم تأليف الكتاب سنة 1954. وفي هذا الاطار يمكننا التركيز على خمسة قضايا:

القضية الأولى، هي مسألة اريتريا ومسلميها، فقد رأينا المؤلف يحشد تسعة فصول كاملة لهذه المسألة معتبرا أنها حق لاثيوبيا وأن الإرتيريين راضون بهذه الوحدة مع اثيوبيا، يستقبلون ملكهم بالحماس والترحاب في كل المدن، وأن عدالته وسماحته اشاد بها مسلموا اريتريا قبل مسيحيوها (3). وهو ما يخالف الحقيقة والتاريخ، فهناك مصادر عديدة إرتيرية تكذب هذا الحق التاريخي لاثيوبيا في اريتريا (4). بل هناك من الحقائق التي لا تقبل الجدل بأن الكثيرين من المسيحيين الإرتيريين أنفسهم أجبروا خلال الاضطرابات السياسية التي امتدت من 1945-1952 على تأييد الاتحاد مع إثيوبيا، خوفا من الإرهاب والاغتيالات وغيرها، ومن ذلك أن الحكومة إثيوبيا قد نظمت عصابات مسلحة عرفت باسم الشفتا، ارتكبت سلسلة من أعمال الإرهاب والفتك ضد الإرتيريين المناضلين من أجل حريه بلادهم، فاعتالت عددا كبيرا من الوطنيين الذين يرغبون في استقلال بلادهم. وبالتالي فإن دعاية كتاب عمر الاتيوي تتجاوز ما قيل عن رغبة الإرتيريين في الاستقلال لدى كل المؤسسات الدولية والاقليمية. فحزب الرابطة الاسلامية والحزب التقدمي الحر والحزب الوطني الاسلامي لمصوع، كانوا مؤيدين للاستقلال على طول الخط، في حين لم يتواطؤ مع الوحدة إلا الحزب الاتحادي بقيادة أتو تدلا بايرو الشاب المسيحي. وقد تناسى الكتاب كل هذا، وتناسى ما كانت تقوم به عصابات الشفتا الاثيوبية من قتل واغتيالات للايطاليين والمسلمين الرافضين للوحدة بمساعدة هياكله في نفسه،

(49) نفسه، ص ص 46، 47، 55، 59.

(50) نفسه، ص ص 3-4، 26 وما بعدها، 46 وما بعدها، 60، 63، 65، 67، 70، 83، 88، 96، 98، 99، 106، 123، 131، 163، 170، 172.

(51) نفسه، ص ص 46، 47، 55، 59.

(52) منى نجاشي رزقو حقوص:- تطور الإعلام الإرتيري في زمن الثورة دراسة تحليلية تاريخية للإعلام المسموع والمقروء ممن 1961-1991، رسالة ماجستير، كلية الاعلام، جامعة الشرق الاوسط، 2011، ص ص 52، 53.

وبدعم من الصحف الاثيوبية التي كانت تسمى المنتمين لعصابات الشفقا من الإريتريين سنة 1948 بالوطنيين⁽¹⁾. ونسى ايضا دور الامريكان والإسرائيليين في ضم اريتريا لاثيوبيا، حيث بدأت اسراييل دورها غير الرسمي في عهد الانتداب البريطاني لاريتريا، حين نفى أعضاء من العصابات السرية اليهودية، ومن بينهم إسحاق شامير الذي أصبح رئيسا للحكومة الإسرائيلية، ويعقوب مريدور، الذي أصبح وزيرا للاقتصاد لاحقا، إلى إريتريا. وكان لمريدور علاقات مع يهود أسمرة، وكانوا من يهود اليمن التجار الذين استثمروا في إريتريا وأقاموا بها، وساعدوا المنفيين الإسرائيليين على الهرب. وبعد لقائه مع مريدور، كتب بن جوريون في مذكراته بتاريخ 17 أكتوبر 1952 "نحن الدولتان غير الإسلاميتين على البحر الأحمر. والحبشة تدرك ذلك، وحن الوقت لإقامة علاقات مع الحبشة، إنهم لم يعترفوا بنا حتى الآن، لأنهم طوال الوقت لم يفرضوا حكمهم الكامل على إريتريا، ولا يرغبون في إغضاب العرب، لكنهم مهتمون بالتبادل التجاري وصفقات السلاح"⁽²⁾. ناهيك عن ادوار اخرى سهلت لاثيوبيا امر الوحدة مع اريتريا⁽³⁾. وبهذا يكون ما قاله الاتيوبي بخصوص ترحيب الاريتريين او بحق اثيوبيا التاريخي في اريتريا بعيدا عن الصواب.

نأتى الى مسألة مسلمى اريتريا وما لحق بهم بعد الوحدة، فهو يشيد بالأعمال التي انجزها هيلاسلاسى هناك. ففي مسألة اللغة تتوافق معه بعض المراجع التي تشير بأن اللغتين العربية والتجربة أصبحتا شكلا هما اللغتان الرسميتان في إريتريا حسب المادة ٣٨ من الدستور الإرتري في العهد الفيدرالي عام 1952⁽⁴⁾، متناسيا ما قامت به اثيوبيا من الغاء تدريس اللغة العربية في اريتريا بعد إلحاقها معها سنة 1952⁽⁵⁾. ومتجاهلا بأن استخدام اللغة العربية كلغة ثقافة ودين في إريتريا كان قبل الاحتلال البريطاني لها عام 1941، وأن اللغة العربية كانت هي اللغة الرسمية في الدواوين الأهلية والحكومية المتعلقة بالشئون الخاصة، وقبل الاحتلال الإيطالي في عام ١٨٩٠م، وقبل الحكم التركي المباشر أو الحكم المصري نيابة عن تركيا ولم تستخدم اللغة التركية إلا بين الأتراك من موظفين وجنود⁽⁶⁾. وبشأن حديث الاتيوبي حول خطاب هيلاسلاسى عند زيارته للمسجد الجامع بأسمره، وشكره لحفاوة المسلمين باستقباله قائلا "شعبي العزيز.. اثيوبيا بها عناصر مختلفة ونحل متباينة، تعيش على محبة وونام، الانسان اخو الانسان، مهما اختلفت الالوان، والاثيوبيون والاريتريون مسلمون ومسيحيون اخوة من دم واحد وجيش واحد ووطن واحد، اجتماعنا في هذا المسجد لدليل واضح على اتحادنا وتضامننا، وانه لن يرضى أن يقبل او يسمع بعد من احد كان من كان، كلمة المسلم والمسيحي، تحمل في ثناياها عنصرية بغیضة وتعتبر عدو لاثيوبيا"⁽⁷⁾، فإن هذا الخطاب يأت في اطار تبادل المجاملات الوقتية بين الرجل والقيادات الاسلامية المؤثرة في اريتريا، لكنه لا يعبر عن سياسة حقيقية يتبناها الرجل. فحسب ما تردد ذكره في العالم العربي، مارس هيلاسلاسى في اريتريا، قبل ضمها الى اثيوبيا سنة 1952 وبعدها، العنف والقتل والاغتيالات⁽⁸⁾.

(53) سيد رجب حراز:- الأصول التاريخية للمشكلة الأريتيرية، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، عدد 1، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية العلوم الاجتماعية، السعودية، 1977، ص 541، 542-545.

(54) «التحالف والانكسار».. إثيوبيا وإسرائيل في عهد «هिला سيلاسي، جريدة المصري اليوم، 10-1-2014، <https://www.almasryalyoum.com/news/details/373589>.

(55) أحمد عبدالدايم محمد حسين:- النفوذ العسكري الأمريكي في إثيوبيا في خمسينيات القرن العشرين..قراءة في الأرشيف المصري، بحث منشور في عريزة بدر عباس شراقي (تحرير)، أعمال المؤتمر الدولي السنوى حوض النيل الشرقى تحديات التنمية ومستقبل التعاون المصري 28 - 29 مايو 2012، كلية الدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 2014، ص ص متفرقات.

(56) منى نجاشي رزقو حقوص:- المرجع السابق، ص28.

(57) هيئة التحرير وحديث صفى مع ادريس محمد ادم:- حديث عن ارتريا المسلمة !، مجلة الحج والعمرة، س17، ج 1، وزارة الاوقاف، السعودية، 1962، ص 47.

(58) منى نجاشي رزقو حقوص:- المرجع السابق، ص28.

(59) عمر محمد على الاتيوبي :- المرجع السابق، ص 133-135.

(60) محمد الغزالى :- كفاح دين، دار البيان، القاهرة، 1969، ص ص 48، 49 .

ورغم أن مسجد الحنفى فى مصوع ♥ قد بناه المصريون خلال فترة حكمهم لأريتريا، بالإضافة الى مسجدين آخرين هما مسج الانصارى ومسجد الشافعى (1) إلا ان الاتيوبى يفاخر بإنجاز هيلاسلاسى بافتتاحه لهذا المسجد ومشاركته فى اعادة ترميمه من امواله، لهذا نراه يذكر بأنه عند خطبة هيلاسلاسى فى افتتاح اعمال ترميم مسجد حنفى فى مصوع فى يناير 1953 ناشد الحضور "بألا يكون الدين سبيلا الى العداوة، ووسيلة الى البغضاء وايجاد الشحناء"، مشيرا "لوحة الصف التى حدثت بين المسلمين والمسيحيين خلال فترة الحرب ضد الايطاليين" مشيدا "بأن شعوب الشرق لا تنزلق وراء دعايات المستعمرين الدينية، وان الدين لله والوطن للجميع". وانه حين عاد فى العام التالى ليفتح هذا المسجد القى القاضى كلمة عبر فيها عن سماحة الامبراطور داعيا له بالتوفيق قائلا بأن سماحة هيلاسلاسى فى الدين وعدالته مع الرعية جاء انطلاقا من ايمانه بأن الدين لله والوطن للجميع، وهنا راح المؤلف يستشهد بشعر أحمد شوقى: أدار محمد وتراث عيسى.. لقد رضياك بينهما مشاعا. لقد نبذ التعصب فيك قوم.. ليمتنع الحمى بهم امتناعا(2). وهو ايضا نوع من الدبلوماسية بين الحاكم والمحكومين، متناسيا بأن الهدف الرئيسى من مشاركته فى مسجد الحنفى هو بناء واقتتاح كنيسة القديسة مريم فى نفس المدينة، واستقطاب المسلمين المعارضين لحكمه فى اريتريا.

القضية الثانية مسلمى الجنوب، حيث يوظف الاتيوبى علاقة هيلاسلاسى بمسلمى الجنوب لخدمة الهدف العام للكتاب، سواء كانت فى عهد ابيه الرأس مكنن، حاكم هرر، وكيف كان عادلا مع مسلمى هرر، مستشهدا بقصة اليونانيين فى هرر، وما ذكره المبعوث التركى لاثيوبيا صادق باشا المؤيد من الانتصاف لهم، او من خلال هيلاسلاسى نفسه، وقبل ولايته للعهد، حينما كان أميرا لإقليم هرر، ثم من خلال علاقة المسلمين بالرجل وسماحه بإنشاء المساجد والجوامع والمحاكم الشرعية وصحيفة العلم، ثم من خلال علاقته بالشخصيات الاسلامية فى المناطق الجنوبية، وخطبه التى يركز فيها على الوحدة والتعايش بين المسلمين(3). واذا ما نظرنا الى مدن الجنوب فنجد أن هرر على سبيل المثال، هى مدينة كبيرة تتبعها مجموعة من القرى (4). وكانت تسمى بمدينة الصالحين، ومدينة الأولياء، كونها تحتوي على تسعة وتسعين مسجداً، وما يزيد عن مائة ضريح(5). وما ذكره الاتيوبى حول حب أهالى أهالى هرر لوالد هيلاسلاسى، يتناقض مع ما ذكره آخرون من أن والده هذا، هو الذى حول مسجد بناه المصريون فى هرر الى كنيسة(6). وأنه حينما كان حاكما لها قام بهدم مسجد اثرى وبنى على انقاضه كنيسة، ليظهر أن هرر مدينة مسيحية. وكذلك فعل جميع الحكام فى المناطق الاخرى مثل فعله الرجل، فقاموا بإزالة اهم المعالم الاثرية الاسلامية من جما واجاروا وغرب اثيوبيا وشوا وسط البلاد، وهدموا اثار الامويين والمخزوميين والهاشميين فى شمال اثيوبيا(7). بل انه بعد التغير الذى حدث للمسلمين فى عهد منليك وليج ياسو، الذى انحاز لهم، عاد اضطهادهم مرة ثانية فى عهد هيلاسلاسى(8). فحرم المسلمين بصفة عامة من التعليم الحكومى، وصادر املاكهم وضيق على مدارسهم الاهلية، وحارب العلماء ومدرسى اللغة العربية واجبرهم على العمل بالسخرة فى ارض الاقطاع وشق الطرق والسكك الحديدية، وعمل على تغيير طبيعة التوزيع السكانى بتهجير مسيحيين من امهرة الى مناطق المسلمين فى الجنوب كما فى جما وهرر (9).

♥ مصوع هى الميناء الرئيسى فى إرتريا على البحر الأحمر، ويقع على بعد ١٢٠ كيلو متر شرق اسمرا العاصمة ، انظر، منى نجاشي رزقو حقوص:- تطور الإعلام الإرتري في زمن الثورة دراسة تحليلية تاريخية للإعلام المسموع والمقروء ممن 1961-1991، رسالة ماجستير، كلية الاعلام، جامعة الشرق الاوسط، 2011، ص19.

(61) محمد تيسير ظبيان الكيالى:- المرجع السابق، ص 143.

(62) عمر محمد على الاتيوبى :- المرجع السابق، ص ص 163-166، 174.

(63) عمر محمد على :- المرجع السابق، ص ص انظر الفصول من الاول الى الرابع.

(64) محمد تيسير ظبيان الكيالى:- المرجع السابق، ص 58.

(65) إيمان فؤاد علي احمد:- المرجع السابق، ص 49.

(66) محمد تيسير ظبيان الكيالى:- المرجع السابق، ص 60.

(67) كامل أبو بكر الشريف:- تاريخ ما أهمله التاريخ الإسلامى فى الحبشة (أثيوبيا)، مجلة أمة الإسلام العلمية، عدد 4، اشركة دار كاهل للدراسات والطباعة والنشر، 2009، ص ص 266، 267.

(68) عطا محمد أحمد كنتول:- التواصل الحضاري بين المسلمين والمسيحيين ..المرجع السابق، 2005، ص139.

(69) ايمن احمد عبدالفتاح عبدالسلام:- المرجع السابق، ص ص 2866، 2867.

وهناك حادثة شهيرة شاع ذكرها بين مسلمي الجنوب، بأنه لما توفي أبًا جفار حاكم جما سنة ١٩٣٤، وخلفه على عرش السلطنة ابنه عبد الله، أخذ هيلاسلاسي يضيق الخناق على استقلال جما، وفرض عليها شروطًا لا تطاق. ثم أعلن ضمها إلى مملكته، أي نزع منها استقلالها الداخلي ضاربًا بالمعاهدة التي أبرمها معها منليك سنة ١٨٨١م عرض الحائط. وكان يسقوط هذه المملكة الإسلامية الزاهرة، لم يبقَ في الحبشة سلطنة إسلامية مستقلة بعد أن كانت الممالك الإسلامية فيها سبعة في عصر واحد⁽¹⁾. ولعل حادثة والو التي أبيدت فيها 8 قرى إسلامية بالكامل بأمر من هيلاسلاسي نفسه، لأنهم لم يستطيعوا دفع الضريبة مرتين في السنة، وقتل فيها حوالي 4 آلاف مسلم، تشير إلى الجرم الكبير الذي ارتكبه الرجل في حق مسلمي الحبشة الجنوبيين. وكذا ما فعلوه بسلطان جما الأمير عبدالله ابن حاكمها محمود ابن داوود الشهير بابي جيفار، فقد انزلوا الأمير عبدالله عن السلطة بعد سبعة أشهر من حكمه، وعينوا حبشيا مكانه، رغم استقلال مملكته بمعاهدات رسمية⁽²⁾.

وقصة الأمير سفيان ابن الأمير عبدالله في هرر، يقول فيها تيسير ظبيان الكيلاني بأن والده الأمير عبدالله حكم مدينة هرر بعد انسحاب المصريين عنها، وأنها كانت عبارة عن مملكة مستقلة، ليس لأحد علاقة بها، ولكن منليك وجه حملة عسكرية فوقعت معارك بينه وبين الأمير عبدالله، أسفرت عن ضم مملكة هرر إلى منليك نهائياً، على أن تكون لها امتيازات خاصة، مقابل أن يدفع منليك للأمير عبدالله مرتب قدره 120 ريال و150 عبد أو تعفى أملاكه من الضرائب، وأن الأمور استمرت على هذا النحو حتى عهد هيلاسلاسي، الذي نكث بكل ذلك، واتهم ابنه سفيان وربطه لمدة سنة، فاضطر لأن يبيع أحد منازلهم ليقدّم القيمة المطلوبة منه إلى الحكومة لتفرض عنه. حتى شهادة الشيخ براسو، أو محمد عبدالله، وهو ما أعيان هرر، والذي تزوج بأكثر من 80 امرأة، وصادق هيلاسلاسي، وأنه هو الوحيد الذي لم يعترف بوجود اضطهاد ضد المسلمين في هرر، وأنهم كانوا يمارسون عباداتهم ومعاملاتهم حسب منطوق الشريعة، وأنه كان يعتمد عليه في الاستشارة في شأن المسلمين في الحبشة وفي إخضاعهم، لم تشفع لهيلاسلاسي، ففي ذات الشهادة يعترف بفرض ضريبة المدارس على المسلمين فقط، وأنها لا تتفق على مدارسهم، مرجعاً ذلك لسلبية المسلمين الذين لم يطالبوا بحقوقهم، وأن التنصير كان يأتي طوعاً من قبل ضعاف النفوس من المسلمين، طمعاً في الحصول على الوظائف، معترفاً بأن هيلاسلاسي قد طالبه بتغيير دينه مقابل أن يزوجه إحدى بناته، ويجعل له شأنًا خاصاً في البلاد، لكنه رفض بإباء⁽³⁾. وهو الأمر الذي يناقض رواية الاتيوي ويهدمها.

القضية الثالثة، أنه ملك للجميع، مسلمين ومسيحيين، وهي قضية يفاخر بها الأثيوبي كثيراً فيقول بأنه ملك قومي بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، وأنه ليست لديه طائفية، وأنه يعمل لصالح الوطن، وأنه أشاد بالمسلمين في خطبه، وبأنهم اذكياؤ أفسدوا على العدو خططه، وأنهم يعرفون وصية نبيهم عن كرم أثيوبيا وحسن وفادتها للمسلمين الأوائل الذين هاجروا إليها⁽⁴⁾. مبرراً دكتاتورية هيلاسلاسي بأسلوب بديع حول المهمة المنوطة للرجل في بناء دولة موحدة في ظل وجود هذا العدد الكبير من المجموعات العرقية المتنوعة. وإذا كانت بريطانيا نفسها بعد انتهاء الاحتلال الإيطالي لأثيوبيا قد استندت على تقارير أفادت بأن هيلاسلاسي لم يكن مقبولا من التجار ولا من الأرومو ولا من بعض الأمهرا بعد هروبه من أثيوبيا قبل دخول الإيطاليين إلى أديس أبابا، وأن ذلك تسبب في تراجع أسهمه بشدة، فعلى أي شيء استند الاتيوي في مقولته السابقة، اللهم إلا فهم خطابات هيلاسلاسي بشكل سطحي. فعلى المستوى الداخلي أعاد هيلاسلاسي ترتيب النظام الطبقي استناداً على الدين واللغة والعرق، لذلك كان الأمهرة على قمة الهرم الاجتماعي في أثيوبيا⁽⁵⁾. وكان يؤمن بنظرية التفويض الإلهي، والتي تعني أن الحاكم هو مفوض من الله ليحكم رعاياه دينياً وعلمانياً، ولا يشاركه أي فرد أو قوة أخرى في الحكم، فهو الرئيس المطلق للكنيسة والدولة معاً⁽⁶⁾. بل إن العلاقة الوثيقة بين الكنيسة الأثيوبية والعائلة الامبراطورية بررت الهيمنة الثقافية والسياسية

(70) يوسف احمد :- المرجع السابق، ص 42.

(71) محمد تيسير ظبيان الكيلاني- المرجع السابق، ص ص 95-97.

(72) محمد تيسير ظبيان الكيلاني:- المرجع السابق، ص ص 60، 61، 79-83.

(73) عمر محمد على الاتيوي :- المرجع السابق، ص ص 13-17 ومن 20-23.

(74) شرين مبارك بسيب فضل الله:- المرجع السابق، ص ص 3، 13.

(75) انتوني سوريال عبد السيد:- الاستقلال الذاتي لكنيسة أثيوبيا... دراسة للمفاوضات التي جرت بين الكنيستين القبطية والأثيوبية 1941-1959، منشورات اسقفية الدراسات العليا اللاهوتية والثقافة والبحث العلمي، دار الجبل، القاهرة، 1994، ص 8.

والعسكرية للآثيوبيين المسيحيين على حساب غيرهم من العناصر الأخرى، كما وقفت أسفارهم الممثلة في سفر الأوربيين والشريعة الموسوية ومجد الملوك، الكبرناجست، وقانون الملوك، الفتحاناجست، وسفر التكوين وغيره من الكتب الأخرى، والتي نسبت للمسيحيين الآثيوبيين لسام بن نوح، وأنهم أصحاب مملكة الدنيا، ونسبت غيرهم إلى كنعان الملعون عبد عبيد أخيه، بما ساهم في ادخال العنصرية لتبرير اخضاع الشعوب الأخرى القاطنة في اثيوبيا من غير المسيحيين⁽¹⁾. وعلى هذا لم يكن الآثيوبي موضوعيا في طرحه، ولا متجردا في حكمه على الأمور.

القضية الرابعة، مسألة الاحتلال الإيطالي لاثيوبيا، فقد ركز المؤلف على أن يرفع مكانة هيلاسلاسى عاليا في فصلين كاملين من فصول الكتاب، مشيدا بدفاع الامبراطور عن اثيوبيا. متناسيا أنه مع قرب احتلال الإيطاليين لأديس ابابا رفض هيلاسلاسى خروج الانبا كيرلس المطران المصرى من اديس ابابا، وهرب هو والاتشيجى الآثيوبي للخارج، بهدف أن يتم قتل الانبا كيرلس خلال الفوضى التي ستحدث عقب هروبه، وأن كيرلس نفسه اعترف بذلك وبأنه تعرض بالفعل للقتل لولا احتمائه بالسفارة البريطانية في اديس ابابا⁽²⁾. واعتقد ان ما حدث مع المطران المصرى لاثيوبيا من تدخل هيلاسلاسى في شئون الادارية، وفي تركه داخل اثيوبيا خلال الحرب الإيطالية الحبشية، ورفضه للعرض الإيطالي من فصل الكنيسة الآثيوبية عن الكنيسة المصرية، والضغوط التي مورست ضده، وما قامت به الادارة الإيطالية من اجبار رجال الدين الآثيوبيين لاختيار اسقفا اثيوبيا بدلا عنه، نتيجة بقاءه في مصر بعد عودته من ايطاليا سنة 1937، وتعيين الأب ابراهام مطرانا للكنيسة الآثيوبية⁽³⁾، هو الذى جعل هيلاسلاسى يستغله فيما بعد في طرح مسألة الانفصال التدريجي بين الكنيسة الآثيوبية والمصرية عقب عودة المطران كيرلس الى اثيوبيا مرة ثانية سنة 1943. وأن هناك مؤشرات تقول بأنه عند مغادرة هيلاسلاسى لأديس أبابا أعطى الأوامر لمدير بلديتها ومسؤول شرطتها بنهب المدينة⁽⁴⁾. ومع أنه كان أول امبراطور لم يستفد من خدمات الشفقا في وصوله للحكم، إلا أن استعانتته بهم خلال فترة الاحتلال الإيطالي لاثيوبيا، حينما غادرها وترك الأمور للرؤوس المحليين يقاومون مع عصابات الشفقا هذا الاحتلال⁽⁵⁾، ليدلل على أن هذه العصابات قد وظفها النظام في مسائل عدة فيما بعد ضد مسلمى اريتريا ومسلمى الجنوب.

ومع أن دخول الإيطاليين لاثيوبيا قد منح المسلمين هناك بعض الحرية الدينية، حيث اعتبروا اللغة العربية لغة رسمية، وأنشأوا عدة مساجد، واستبدلوا الرؤساء غير المسلمين عن المناطق الإسلامية بغيرهم من المسلمين، وأصبحت العربية هي اللغة الرسمية في جميع المناطق التي يكثر فيها المسلمون، ناهيك عن المظالم التي تخلصوا منها برحيل هيلاسلاسى، وفرحهم بسقوط حكمه⁽⁶⁾، فقد سمحوا بإقامة المساجد وقاموا ببناء مسجد اديس ابابا ومساجد ومساجد أخرى في 15 مدينة وعينوا قضاة شرعيين وسمحوا بتدريس اللغة العربية وبناء مدارس للمسلمين⁽⁷⁾، إلا أن هذا لا يناقض اشارة جون جونتير بأن البريطانيين حينما دخلوا اريتريا لم يكن بها أى خريج جامعى واحد، ولم يكن عدد الطلاب الإرتيريين الحاصلين على تعليم عالي يتجاوز 12 طالبا، وأن عدد المدارس الابتدائية حتى نهاية العهد الإيطالي لم يكن يتجاوز 24 مدرسة ابتدائية⁽⁸⁾. لكن الامتيازات التي حصل عليها المسلمين داخل اثيوبيا نفسها

(76) الأمين عبد الكريم:- الصراع بين القوى الإسلامية و المسيحية في أثيوبيا إلى. نهاية القرن التاسع عشر، مجلة دراسات إفريقية، عدد 1 جامعة إفريقيا العالمية - مركز البحوث والدراسات الإفريقية، السودان، 1985، ص 43.

(77) انتونى سوريال عبد السيد:- المرجع السابق، ص 12.

(78) احمد عبدالقادر:- الشائعات وأثرها في مسألة مطران إثيوبيا القبطي عام 1937 م،، مجلة بحوث الشرق الأوسط، عدد 55، جامعة عين شمس - مركز بحوث الشرق الأوسط، القاهرة، 2020، ص ص 18-43..

(79) محمد تيسير ظبيان الكياني:- المرجع السابق، ص 46.

(80) زاهر رياض:- الشفقا في أثيوبيا ..المرجع السابق، ص ص 215، 229-232.

(81) محمد تيسير ظبيان الكياني:- المرجع السابق، ص ص 15، 44، 69.

(82) ايمن احمد عبدالفتاح عبدالسلام:- المرجع السابق، ص 2870، 2871.

(83) سيد رجب حراز:- الأصول التاريخية للمشكلة الأريتيرية، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، عدد 1، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية العلوم الاجتماعية، السعودية، 1977، ص 537.

جاءت نتيجة للاتفاقية التي عقدتها إيطاليا مع المملكة السعودية سنة 1936 بالتزام السعودية الحياد في الحرب الإيطالية الحبشية، مقابل امتيازات اعطيت لمسلمي اثيوبيا في المناطق التي احتلتها إيطاليا⁽¹⁾. واعتقد أن تركيز الاتيوي على دور الفرد في هزيمة الايطاليين⁽²⁾، على حساب الاطراف الأخرى المشاركة في هذه الهزيمة، فقد أغفل دور القوى الدولية والدور السوداني منذ أن عاد هيلاسلاسي إلى السودان سنة 1940 وظل فيها حتى سنة 1941 يشرف على تجهيز قواته⁽³⁾. وحين تعرض لعلاقات مصر باثيوبيا اعترف بالدور المصري في هذه الحرب، مشيدا بما تم داخل مصر، وأنها هي السبب الرئيسي في التعاطف الدولي الذي حدث مع القضية الاثيوبية بما ذكرناه سلفا. ويشاركه في هذا آخرون ممن يشيرون بأنه داخل مصر تألفت في أغسطس سنة ١٩٣٥ داخل جمعية الشبان المسلمين لجنة عامة للدفاع عن استقلال الحبشة برئاسة النبيل إسماعيل داود، وبرعاية الأمير عمر طوسون، وأصبح للجنة فروع عدة. وأنه وصلت إلى اللجنة طلبات من ألوف المتطوعين للحرب في صفوف الجيش الحبشي وفي التمريض، وبلغ عددهم ١٣ ألف. وأن الأنبا يؤانس بطريك الأقباط الأرثوذكس قام بتأليف لجنة من المطارنة ولفيف من أعضاء المجلس الملي العام برياسته؛ لإرسال بعثة طبية إلى الحبشة. وتم تأليف لجنة مالية متحدة من اللجنتين وإرسال بعثة طبية للحبشة. وكذا عقدت جمعية الاتحاد النسائي اجتماعا ووجهت نداءات للشعب الايطالي ليحمل حكومته على العدول عن العدوان عن الحبشة وللحكومة المصرية مشجعة لموقفها⁽⁴⁾. ولعقتها⁽⁴⁾. وجعلت رئاسة اللجنة تحت رئاسة بطريك الأقباط والأمير عمر طوسون فأعدت المعدات الطبية، وفي النصف الثاني من اكتوبر 1935 غادرت أول بعثة طبية مصرية الى اثيوبيا وعلى رأسها النبيل اسماعيل داود⁽⁵⁾. وعلى هذا فإن ما كتبه الاتيوي في تلك النقطة جاء متوافقا مع ما تم تسجيله في الصحف والكتابات المصرية، ربما لأنه كان يعيش في مصر وقد اطلع على بعض هذه الكتابات، في حين يجهل الكتابات حول الادوار الأخرى.

القضية الخامسة، مسألة التحديث والعدل، فقد أفاض فيها المؤلف على طول الكتاب وعرضه، سواء في مسألة ادخال الصحافة والاذاعة والتعليم والقضاء الشرعي والمسرح القومي والدستور والبرلمان، وأنه ادخل اثيوبيا عصبة الأمم⁽⁶⁾. وفي هذا السياق يمكن القول بأن ما قال به الاتيوي في مسألة التحديث لا يمكن انكاره، فقد أدخل هيلاسلاسي، اضافة الى ما سبق، التليفون والسيارات والكهرباء والطيارات والمدافع والدبابات والرشاشات، ونظم الجيش وجاء بالضباط الاختصاصيين في تنظيم الجيوش من البلجيكي والسويدي⁽⁷⁾. لكن في مسألة فضله في دخول اثيوبيا لعصبة الأمم، فإنه يتجاهل الدور الايطالي في تلك المسألة، فهي التي ساندت الحبشة في دخول عصبة الأمم في سبتمبر سنة 1922 لإعاقه السيطرة البريطانية المتوقعة عليها⁽⁸⁾. أما في مسألة الدستور والقوانين المكمل له، فلم يكن صحيحا ما قيل في فضل هيلاسلاسي فيهما، فقد تظاهر الرجل بأن حرية الدين مكفولة، فالغي ما يتعارض مع ذلك من قوانين، لكن حكومته اتبعت نفس الاجراءات السابقة واقرتها، حيث سمحت للمسلمين بممارسة النشاط التجاري، وفي المقابل حرمتهم من تقلد الوظائف والمناصب العامة، ومن جميع ما يتعلق بحياة البلاد السياسية⁽⁹⁾. ومن ناحية اشاداته بعدل هيلاسلاسي وانصافه وسماحته، فقد اعتمد الاتيوي على ايراد خطب فقد دون ان يأت لنا بأمثلة حقيقية كشواهد على هذا العدل. فمن الوجهة النظرية ظلت الارض ملكا للإمبراطور، له حق وهبها الى من يشاء، ملكية مؤقتة او دائمة وفقا لمشيئته⁽¹⁰⁾. بل إنه بعد عودته عقب انتهاء الاحتلال الايطالي حجب أخبار المسلمين

(84) محمد على حلة:- الحرب الايطالية الحبشية 1936 - 1935م وموقف المملكة العربية السعودية، مجلة الدارة، مج 22، ع 3، دار الملك عبدالعزيز، السعودية 1996، ص 36.

(85) عمر محمد على الاتيوي :- المرجع السابق، ص ص انظر الفصلين السادس والسابع من 51-60.

(86) صالح محمد على عمر: الدور السوداني في تحرير إثيوبيا وارجاع الإمبراطور إلى عرشه 1941-1935، جامعة أفريقيا العالمية، الخرطوم، 2005، ص 134.

(87) عبدالله حسين:- المسألة الحبشية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص 95.

(88) بولس مسعد:- الحبشة او اثيوبيا في منقلب من تاريخها، المطبعة العصرية، القاهرة 1935 ص 233.

(89) عمر محمد على الاتيوي :- المرجع السابق، ص ص انظر الفصول من 61-86.

(90) عبدالله حسين:- المرجع السابق، ص 75.

(91) محمد على حلة:- المرجع السابق، ص 7.

(92) ايمن احمد عبدالفتاح عبدالسلام:- المرجع السابق، ص ص 2869، 2870.

(93) زاهر رياض:- الشغنا في أثيوبيا .. المرجع السابق، ص 236.

عن العالم، فخسروا ما اكتسبوه في عهد الطليان، والغى تدريس اللغة العربية من مدارس المسلمين، واغلق عددا كبيرا من المدارس الاسلامية، واعتقل بعضا من المدرسين القائمين على تدريس اللغة العربية، وصادر املاكهم وجعلهم يتسولون. وتعتبر الفترة من 1949-1951 بمثابة فترة اضطهاد ومصادرة أراضي، خصوصا في المناطق الجنوبية، تلك التي عانت الأمرين، وذاقت على يد حاكمها المحلي الولايات، وبدلا من معاقبته اياه، رأينا هيلاسلاسى يقوم بترقيته ليتولى مسؤولية وزارة الداخلية، وكأن كل من ينكل بالمسلمين، تكون له المكافاة والحظوة لديه. بل إن الاحصاءات التي تدل على أن عدد مسلمى اثيوبيا يفوق نصف عدد السكان الاثيوبيين بعد الحرب العالمية الثانية، نجد ان ما انفق على تعليمهم لا يتجاوز 5% من جملة ما ينفق على التعليم ككل. بل ممنوع استيراد اى صحف او كتب، ولم يسمح إلا لجريدة العلم التي أهملت عربيتها في بعض الاحيان. بل قامت السلطات الاثيوبية بمنع غالبية مسلمى اثيوبيا من اداء فريضة الحج عام 1954 نهائيا، وبشكل علنى، بحجة منع تسرب اموال الدولة الى الخارج وحفظ المصروفات العامة، لكن نتيجة الخشية من الضغط الدولى اضطر الى ارسال بعضهم⁽¹⁾. ولم يتفق مع الاتيوبى الا زاهر رياض فى نقده سنة 1956 لسبنسر ترمنجهام حول كتابه الاسلام فى اثيوبيا، والذى صدر سنة 1952، كون دفاع زاهر رياض جاء من منطق الدفاع عن الكنيسة القبطية وما جرى للمطران المصرى وعم الترحيب بعودته، والتعصب لطريقة الحكم التي تحكم اثيوبيا، فجاء نقده على كل ايجابية وموضوعية قال بها ترمنجهام فى كتابه، وهو رجل مسيحى⁽²⁾. وعلى هذا فإن مسألة عدالة هيلاسلاسى تكذبها شهادات الكتاب وشيوخ الازهر وكتابات القناصل المصريين خلال الفترة من 1946-1954⁽³⁾.

المحور السادس- تقييم الكتاب ونقد وجهة نظر مؤلفه:-

إذا أردنا تقييم الكتاب ونقد وجهة نظر مؤلفه لوجدنا أن هناك عدة ملاحظات: **الملحوظة الأولى، هو بعد المؤلف عن المشاكل والتصنيف الطائفي.** فمع أن الكتاب يركز على قضايا المسلمين فى اثيوبيا واهتمام هيلاسلاسى بهم، إلا ان المؤلف لم يشغل نفسه بمسألة تعدادهم او تقديم تقدير تقريبي لإحصائهم، اللهم الا قوله ان الرجل دخل تحت حكمه عرب ومسلمون كثيرون. هذا بالرغم من أن هذه الفترة كانت تحفل بتقديرات غير رسمية حول هذا التعداد. فعلى سبيل المثال يشير أحدهم سنة 1936 لتعداد المسلمين، مع اعترافه بأنه لم يحصل في الحبشة إحصاء رسمى يوثق به، بأن الإحصائيين يقربون المسألة بأن تعداد سكان الحبشة تسعة ملايين، منهم ثلاثة ملايين مسلمون، وثلاثة ملايين ونصف مليون مسيحيون، ومليونان ونصف مليون على الوثنية وأديان أخرى. وأن آخرين ذكروا بأن تعداد الحبشة ١٢ مليوناً، منهم ٨ ملايين مسلمين، قائلين بأن هذا وإن كان أكثر من الحقيقة على ما يظن إلا أنه يشير إلى وجود أكثرية عظيمة للعنصر الإسلامى في الحبشة⁽⁴⁾. ويقر تيسير ظبيان الكيلانى بأن الامبراطور هيلاسلاسى كان يخشى يخشى من زيادة عدد المسلمين وخروجهم عليه، ومع ذلك يقول بأن عدد مسلمى الحبشة عند زيارته اليها بلغ حوالى 60%. وأن نسبة الاحباش الى المسلمين فى بلاد هرر والعروسي والنوراجى وجما وجوما ولوموجيدا 1-20، اما مناطق بورنا وواللو وحفاة ودارة ورايا والدنا، فكلهم مسلمون واكثر مذهبهم هو الشافعية⁽⁵⁾. ومع أن هذه الاحصائيات متوفرة فى كتب وصحف إلا أن الاتيوبى لم يرد ان يقم نفسه فيما يجر عليه من مشاكل مع السلطة الحاكمة، باعتبار أن هذا لا يساعده فى الوصول الى هدفه الرئيسى من نشر كتابه وهو الوصول لقلب هيلاسلاسى وايجاد مكانة عنده.

الملحوظة الثانية، الاعتماد على وجهة نظره فى هيلاسلاسى وما يخدمها. فكما ذكرنا من قبل بأن المؤلف لم ينس هدفه من كتابه، وهو رفع مكانة هيلاسلاسى ومدحه بشكل رئيسى، لهذا ركز على هذا الهدف بكل الصور والتعبيرات. فنراه فى مقدمته يقول "اثيوبيا ارتفعت من النواحي الفكرية والثقافية والاجتماعية فى عصر هيلاسلاسى، فسارت الى المجد بخطوات واسعة، وسرت المدنية بين انحاءها من وسائل العيش الميسور وأسباب البهجة والحبور.

(94) ايمن احمد عبدالفتاح عبدالسلام:- المرجع السابق، ص ص 2874، 2878، 2880، 2896، 2900، 2909.

(95) زاهر رياض:- الإسلام في اثيوبيا، جامعة القاهرة مجلة كلية الآداب، مج 18، ج2، كلية الآداب، جامعة القاهرة، القاهرة، 1956، ص ص 121-142.

(96) للمزيد انظر دار الوثائق القومية المصرية، ارشيف وزارة الخارجية، ميكروفيلم رقم 50، محفظة 78، ملف 1 وملف 5.

(97) يوسف احمد :- المرجع السابق، ص 47.

(98) محمد تيسير ظبيان الكيلانى:- المرجع السابق، ص ص 88، 89.

وأن المؤلفات السابقة التي كتبت باللغة الامهرية والتيجرينية اهتمت باثيوبيا من الناحية الجغرافية والاستراتيجية والتجارية وماضيها المجيد وبملاقاتها التاريخية بالشعوب الاخرى، لكن واقع كتابه، كما يقول، هو الحب والولاء للوطن وللملك، وأنه أراد أن يدون مختصرا عن وطنه في شخص هيلاسلاسى باللغة العربية ليقرب نأي الديار وشط المزار بين الناطقين بالضاد، حتى يروا معه اثيوبيا الحديثة في ثوبها الجديد بصورتها الحقيقية متحدة الكلمة واضحة الاهداف.. وأنه لم يتحدث عن المناخ وحسن الموقع وجمال اثيوبيا، فهذا ليس غرضه. فما يعنيه هو تقديم شخصية الامبراطور، معددا آثاره، ومبيناً أياديه البيضاء على اثيوبيا، وأنه هو سبب الخير لها، وأن عهده هو عهد الإصلاح والتحديث، وأنه لم يتقيد فيه برأي كاتب أو تصوير مؤرخ، وإنما التزم من منطقته وعقيدته الذاتية، اللتين كونتهما له الحياة السياسية التي مكنته من واسع الاطلاع على ما للرجل من فضل وكرم⁽⁹⁹⁾.

ويضيف في ناحية اخرى، بأن هذا الكتاب ليس مرجعا تاريخيا، وإنما هو بيان وتوضيح وقفات وقفها الامبراطور هيلاسلاسى استوصى فيها شجاعته النادرة واخلاصه المنقطع النظير.. مما جعل المؤلف يتجرد من نفسه ويسمو عن روحه، ويندفع الى تنوين هذا الكتاب، مستعينا بالله على اداء حق راه لزاما على نفسه اداؤه في هذا الوقت، الذي اتصل فيه العالم بعضه ببعض اتصالا وثيقا، وأنه بالنسبة له هو كتاب في التعارف بين الدول، وأن من مظاهر العصر الحاضر أن كل حكومة عنيت ببذل المجهود للتعريف بنفسها ومحاسن مجتمعتها، فطبعت الكراسات والكتب والنشرات لكشف أوجه حضارتها ووسائل الراحة والامن بها. وان الذي دفعه لكتابه مؤلفه هو اخلاصه لبلاده ومليكه، وأن كتابه سوف يكون نواة صالحة فمورقة فثمرة للتعريف بوطنه في عصر هيلاسلاسى، مشيدا بجهود الملك في التعمير والانشاء، ليعرفها من لا يعرف، وليصح معلومات من لا عهد له ببلاده⁽¹⁰⁰⁾.

الملحوظة الثالثة، المبالغة في المدح والاطراء لدرجة لم يسبقه فيها أحد، الامر الذي يقح في موضوعيته ويبعده عن احدى الصفات الرئيسية الواجب توافرها في أى مؤرخ وهى الموضوعية والتجرد. فحديث الاتيوبى عن قيمة هيلاسلاسى في العمل وأثره في تخليد الذكرى، هو حديث غير موضوعى، فانظر اليه وهو يقول عن الرجل "هو حديث عن فرد اصطنعه القدر على عينه، ليكون أمل أمته ورائد جيل وباعث نهضة وانسان حقق ذاتية شعب، اصطلحت عليه الخطوب، فأقاله من عثرته وانتشله من وهدهته..." ويقول في موضع آخر عن "هو من اعرق البيوتات الاثيوبية ذو غرس طيب وصفات حميدة، وكأن الله قيضه لانتشال أمته، وهياه لحمل مشعل الدولة. مشيد بجراته ورجولته وصراحته"، متحدثا عن مولده باعتباره قائدا بعثته الاقدار ليحمل عبء دوله، وليسطر تاريخ امة، ويغرس الخير في قلوب متعطشة، والايمان في نفوس متوثبة، والامن في افئدة متوجسة، والطمأنينة في عناق مشرئبه الى مصلح يقود الناس الى الخير، وقائد يسعى بهم الى المجد. أما في يوم ارتقاءه للعرش فرفعه الاتيوبى لمرتبة الانبياء والرسل فذكر "لم تفتنه مظاهر الملك او تشغله أبهة الحكم عن تلك الامانة التي حملها، وهذه الرسالة التي كلف نفسه بنشرها وتبليغها، بل أدى الامانة وبلغ الرسالة، ومحا الجهالة، وأزال الفوارق، وخلق جيلا جديدا يؤمن بوطنه ويشعر بقيمة نفسه". وقال عند حديثه عن يوم عودته بعد انتهاء الاحتلال الايطالى، "وكان الله استجاب دعاء القلوب الحارة وهتاف الالسنه المدوية، فوهبها ذلك الرجل الشجاع المجرب المحنك، الذى زادت التجارب ايمانا بالفوز بمستقبل الايام، فأقسمت له الأمة يمين الولاء والوفاء، قسم التقدير والثناء، واتجهت نحوه بشعورها واحساسها وقلبيها ووجدانها⁽¹⁰¹⁾.

بل لم يكتف بما سبق، فزاد يقول في موضع اخر "بانه أنعم الله على هذا الشعب الامين بمليك منه كريم النشأة عريق الأصل ميمون الطلعة سامى المنزله نقى الفؤاد مبارك النفس يعجزك فيه الوصف ويقرر دونه الحديث". وفي موضع اخر يقول "كانت الحاجة ماسة الى وجود منقذ ومصلح، مكنته التجارب وثقلته الاختبارات، حاجة الى توحيد شامل واستقرار ثابت". مضيفا بأن هذا الشبل من ذاك الاسد، يقصد ابيه، وأنه هو ابن بجنتها، يقصد اثيوبيا، ساقه القدر ليحمل أمانة كبرى، ويقود دولة عريقة تنوق الى مصلح وتشتاق الى منقذ.. واثيوبيا تمر بمراحل قاسية وتنتقل فترات متعددة من تضحية وبذل، الى كفاح وجهاد، وكأنها تهى نفسها لتواجه ذلك المستقبل البسام الذى ينتظرها⁽¹⁰²⁾. وعلى هذا يستمر الاتيوبى يختار من الفاظه ما يقربه من قلب هيلاسلاسى وعقله، وما يضمن له مكانة وسخاء كبيرين.

(99) عمر محمد على الاتيوبى :- المرجع السابق، ص ص 13، 14.

(100) نفسه، ص ص 15-17.

(101) نفسه، ص ص 19-22.

(102) نفسه، ص ص 22، 23، 27، 32، 33.

والواقع من حديث الاتيوي عن هيلاسلاسى وكأنه يسكثره على شعبه، فيشير فى موضع آخر الى مهارته وعدله واستقبال الاهالى له الذين تشرفوا بحكمه وعدله، وان السنة المسلمين داعية، وقلوب المسيحيين مؤمنة، وافئدة الجميع مفعمة بالبشر والسرور، مملوءة بالفرح والحبور. وانه صدقت فيه نبوءة ابيه حينما قاله أن ابنه سيكون رجلا عظيما، وربما صار أعظم منه.. وأن كل عظيم تبدو عليه سيمات العظمة منذ نعومة اظفاره، مذكرا بعناية القدر له حينما نزل بصحبة 13 من اصدقاءه الى قارب فى احدى البحيرات، فانقلب بهم فلم ينجو منهم الا شخصه، رغم انه كان الوحيد الذى لا يجيد العوم. او حين يقول "وان شعبا رباه هيلاسلاسى وغرس فيه مبادئه لحرى أن يموت فى سبيل وطنه ولا يقبل ذلا او ضيما"⁽¹⁾. ومن هذا المنطلق بالغ الاتيوي حول شخص هيلاسلاسى بصورة كبيرة لم يبلغها احد قبله ولا بعده.

الملحوظة الرابعة، هناك اخطاء تاريخية عديدة وقع فيها المؤلف. ومن ابرزها ما قال به وخالف به نفسه، فهو يشير الى انه تولى حكم ثلاث مقاطعات قبل ان يتولى حكم ولاية هرر سنة 1902، وهو بالأساس ولد سنة 1891، وكانه حكم تلك الولايات وهو فى عمر خمسة سنوات ونصف، حيث قضى فى حكم تلك المناطق الثلاث حسب كلامه تلك المدة، وهذا يعنى انه حكم سنة 1896⁽²⁾. وهذا يصعب تصديقه والواقع التاريخى يكذبه.

وهناك خطأ تاريخى يتعلق بالحق التاريخى لأثيوبيا فى اريتريا، فهذا الكلام لم يقل به احد. او ما قال به عن سوء معاملة الايطاليين للأثيوبيين، مسلمين ومسيحيين، فى فترة الاحتلال الإيטالي. فلم يتفق معه فى هذا الكلام الا ما كتبه زاهر رياض من استحسان لسياسة هيلاسلاسى الداخلية والخارجية، وما كتبه حول التنكيل بالمسيحيين خلال فترة الاحتلال الايטالي لأثيوبيا فى الفترة من 1935-1942⁽³⁾. بل حتى مسألة ترحيب الإريتريين بحكم هيلاسلاسى وهو ما عرضناه فى محور سابق، واوضحنا عدم تمام صحتها. ايضا هناك خطأ فيما ادعاه الاتيوي من فضل هيلاسلاسى فى ادخال المحاكم الشرعية، فقد ذكرنا من قبل بأن الايטاليين، تحسينا لصورته فى ادارة اثيوبيا، سمحوا للمسلمين بالتعليم وأنشأوا المحاكم الشرعية. اما فيما قاله الاتيوي حول البرلمان والدستور وان الرجل باستحدثاته لهما جنب اثيوبيا الحكم الفردى المطلق، وانه حقق العدل فى اسـمى معانية⁽⁴⁾، فقد رأينا من قبل خطأ تلك المقولة وعدم صحتها بالمرّة.

(103) نفسه، ص ص 34، 40، 59 .

(104) نفسه، ص ص 19، 34

(105) زاهر رياض:- تاريخ إثيوبيا، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1966، ص ص 137-162.

(106) عمر محمد على الاتيوي :- المرجع السابق، ص ص 49، 52، 59، 81-84.

البيان الختامي الصادر عن المؤتمر العلمي الدولي

(اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء بين متطلبات الانتشار وتحديات الانحسار)

(النتائج والتوصيات)

انعقد المؤتمر العلمي الدولي الأول عن اللغة العربية في جنوب الصحراء بعنوان: (اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء بين متطلبات الانتشار وتحديات الانحسار) ضمن فعاليات الأسبوع الوطني للغة العربية في تشاد الدورة التاسعة، والاحتفال باليوم العالمي للغة العربية دورة (2021) في أنجمينا عاصمة جمهورية تشاد بجامعة الملك فيصل بتشاد خلال المدة من 18-19 ديسمبر عام 2021م، تحت الرعاية السامية لفخامة السيد رئيس المجلس العسكري الانتقالي رئيس جمهورية تشاد الفريق أول محمد إدريس ديبي إتنو، والذي أقامه الاتحاد العام لمؤسسات دعم اللغة العربية في تشاد بالتنسيق مع جامعة الملك فيصل بتشاد وبالتعاون مع الاتحاد الدولي للمؤرخين - بلجيكا، وجامعة سليمان الدولية - تركيا، وجامعة المرقب - ليبيا، والمركز الدولي للبحوث والدراسات - نيجيريا، وجامعة التضامن بالنيجر، والمعهد العالي للعلوم والتقنيات - تشاد، ومركز الصفا للدراسات والأبحاث- تشاد، ومركز البحوث والدراسات العربية - تشاد، ومنظمة الشفيع للتنمية والتعليم - تشاد.

وقد افتتح المؤتمر بتاريخ السبت 18 ديسمبر 2021 تحت رعاية فخامة رئيس المجلس العسكري الانتقالي رئيس الجمهورية الفريق أول محمد إدريس ديبي إتنو وبحضور ممثله المستشار في التعليم العالي والبحث والابتكار السيد يوسف حسن طه إضافة الى نخبة من المثقفين والمفكرين والأكاديميين.

ثم توالى الجلسات العلمية حضورا وافترضا عقب حفل الافتتاح مباشرة، وقد قدمت في المؤتمر (70) ورقة بحثية شارك بها (71 باحثاً) من 19 دولة إفريقية وعربية وأوربية وهي : مصر وليبيا والمغرب والجزائر وتونس والسودان وجيبوتي والصومال وكينيا ونيجيريا والنيجر ومالي وغامبيا والكمرون ولبنان وتركيا وبلجيكا وموريتانيا وجمهورية تشاد.

وانتظم المؤتمر ب (13) جلسة علمية قدمت فيها مداخلات هادفة وجرت فيها حوارات ومناقشات جادة ، خلصت إلى النتائج والتوصيات الآتية:

1. أظهرت البحوث المشاركة في هذا المؤتمر سمات تاريخ اللغة العربية ومساراتها في إفريقيا جنوب الصحراء والتي تناوبت بين الامتداد والانتعاش حيناً، والتراجع والانحسار، حيناً آخر، مشيرة إلى أهمية تعميق البحوث العلمية في خصائص كل مرحلة وتباين دور مجتمع إفريقيا جنوب الصحراء في الحفاظ على هويته على الرغم من شدة التحديات الخارجية.

2. حث جميع المختصين والباحثين على التواصل والتعاون العلمي والأكاديمي من أجل خدمة قضية اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء وتوظيف مناهج البحث والتواصل الإلكتروني والمباشر من أجل تلاقي الأفكار وتفعيل اللقاءات والندوات والمؤتمرات لدراسة التاريخ والحضارة في إفريقيا جنوب الصحراء.

3. إحياء عمل مراكز البحوث اللغوية والتاريخية والثقافية لدعم اللغة العربية في مختلف الدول الأفريقية والعربية.

4 - حث مراكز الأبحاث المنتشرة في الأقطار العربية والإسلامية للتواصل مع الجهات ذات العلاقة لإنشاء هياكل متخصصة بتاريخ اللغة العربية في كافة الأقطار الإفريقية، والاستفادة من تجربة الاتحاد العام لمؤسسات دعم اللغة العربية في تشاد لإنشاء اتحادات مماثلة في الدول المعنية لتنسيق الجهود ذات الصلة باللغة العربية.

5 - ضرورة إقامة مثل هذا المؤتمر العلمي على الأقل مرة في السنة.

6. ضرورة تنظيم دورة تأهيلية للباحثين والمهتمين بأمر اللغة العربية لإكمال بعض الجوانب الفنية في غضون ستة أشهر بعد هذا المؤتمر.

7. ضرورة إنشاء الهياكل الآتية لأجل التنظيم الأمثل والراقي حفاظاً على مكتسبات اللغة العربية ورفع مكانتها وانتشارها وهذه الهياكل تتمثل في الآتي:

أ - إنشاء مجلس أعلى للغة العربية في إفريقيا للمساهمة في نشر اللغة العربية وتطويرها والدفاع عنها أمام التحديات والهجمات ويكون مقره في جمهورية تشاد.

ب - إنشاء صندوق خيري لدعم اللغة العربية.

ج- إنشاء مخابر أبحاث اللغة العربية والتاريخ والحضارة الإسلامية بإفريقيا.

هذا ويسر اللجنة التحضيرية أن تزف البشرى إلى المهتمين بأمر اللغة العربية ومحبيها بأنها قد تواصلت مع مختلف الجهات المهمة بأمر اللغة العربية في الدول الأفريقية المشاركة في المؤتمر وغير المشاركة من أجل إخطارهم بهذه التوصية المهمة ووضعها موضع التنفيذ، وقد رحبت معظم الجهات المعنية بهذه المبادرة وقدمت مرشحيتها إلى اللجنة،

وبناء عليه سيتم تكوين الهيئة التأسيسية للمجلس الأعلى للغة العربية في إفريقيا ، على أن تتولى هذه الهيئة التأسيسية متابعة كافة الخطوات والإجراءات اللازمة لاستكمال بناء الهياكل التنظيمية للمجلس، والتواصل مع الجهات الرسمية المختصة للحصول على المصادقة والاعتماد من الجهات القانونية ذات الصلة، ومن ثم فتح المجال للعضوية من مختلف المعنيين بأمر اللغة العربية في القارة الأفريقية وفق الضوابط والمعايير التي يحددها النظام الأساسي واللوائح الداخلية للمجلس.

وبهذه المناسبة، يتقدم المشاركون في المؤتمر بأسمى آيات الشكر والتقدير إلى فخامة السيد رئيس المجلس العسكري الانتقالي رئيس جمهورية تشاد الفريق أول محمد إدريس ديبي إتنو، وعبره إلى جمهورية تشاد قيادة وشعبا على الرعاية الكريمة لهذا المؤتمر العلمي الدولي، وتهيئة الأجواء المناسبة لاحتضانه في دولة تشاد، الأمر الذي أدى إلى اختيار جمهورية تشاد لتكون مقرا للمجلس، على أن يكون له فروع ومندوبون في باقي الدول الأعضاء، حسب الظروف المناسبة لكل دولة.

وختاما نسأل الله التوفيق والسداد للجميع. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المؤتمرون

قائمة محتويات الكتاب

(أ)	-الاستهلال
(1)	-التقديم : د. حسب الله مهدي فضله رئيس المؤتمر
(3)	- نبذة تعريفية عن المؤتمر: أهدافه ومحاوره ولجانه
	1- اللسان العربي التشادي وثنائية اللغة :
(7)	د.أيمن غباشي محمود زغيب
	2- تاريخ دخول العربية في أفريقيا :
(15)	د. بدر الدين محمد أحمد نيمين
	3- السودان كدولة تماس مدى مساهمته في نشر الدعوة واللغة العربية
(21)	في افريقية جنوب الصحراء : د. أحمد النعمة محمد النعمة
	4-موقف المستعمر الإيطالي من اللغة العربية عند استعمار له للصومال:
(33)	د: إبراهيم محمد نور
	5- تأثير المصطلحات الإستراتيجية الغربية في نظرية الأدب العربي الإفريقي:
(41)	د. إدريس باكاري
	6-الإبداع الفني لدى الشعراء التشاديات في مرحلة المعاصرة:
(49)	د.الحبو تجاني مصطفى
	7-القيمة التنموية للغة العربية :
(59)	الباحث : أنس ملموس
	8-دور جماعة أنصار السنة المحمدية في انتشار الإسلام واللغة العربية في تشاد:
(63)	د. بشر بن تياره بن صندل بن أبي
	9-عوامل انتشار اللغة العربية في غرب إفريقيا وواقعها في ظل المتغيرات الراهنة:
(83)	الباحث: جمال حريشة
	10- الأجناس الأدبية و مراحل فنّ القصة العربية في نيجيريا:
(93)	د. حامد محمود إبراهيم
	11- وضع اللغة العربية في جمهورية جيبوتي:
(98)	د. حسن عثمان سجال
	12- التأصيل العلمي لمفهوم العربية:
(106)	د . حقار محمد أحمد
	13- وقفة نقدية على مراحل تاريخ الادب العربي التشادي:
(114)	أ.د. محمد عمر الفال
	14- اللغة العربية في العهد الاستعماري بين السلب والإيجاب:
(122)	أ.م.د. إبراهيم برمة أحمد
	15-دور اللغة العربية في تحقيق التواصل بين أجزاء القارة الإفريقية:
(127)	د . دلال مفتاح الفيتوري

- 16- انتشار اللغة العربية في شمال إفريقيا خلال مرحلتَي الفتح الإسلامي وعصر الولاة:
 د. رمضان فوزي..... (134)
- 17- السياسة الاستعمارية الأوروبية اتجاه اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء:
 الباحث : سعيد فرج..... (141)
- 18- اللغة العربية كلغة الطبقة المثقفة في الماضي والحاضر:
 د. صونيا العايش..... (147)
- 19- القصيدة الهائية في وصف المدن الكاميرونية:
 د. عبد الرحمن الحاج حمّن تكور..... (154)
- 20- النكت البلاغية في شعر خليل حمد الكاميروني:
 د. عبد العزيز حمدو..... (164)
- 21- التثاقف العلمي بين ممالك غرب أفريقيا وحواضر الغرب الإسلامي:
 د. عبدالله علي نوح و د. فرحات بكار محمد (175)
- 22- تأثير اللغة العربية على الإسلام في دول إفريقيا جنوب الصحراء:
 د. عفاف محمد عليش..... (183)
- 23- المناهج الدراسية الحديثة ودورها في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها:
 د. علي عبد الله النيجري..... (188)
- 24- مناهج وأساليب تعليم اللغة العربية في الماضي والحاضر في المؤسسات الأهلية والنظامية:
 في تشاد الإيجابيات والتحديات: د. فضل خلود الدكو..... (200)
- 25- اللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء (الفرص والمهددات):
 د. فوزية عمر محمد علي العوض..... (209)
- 26- الشعر العربي في جمهورية مالي بين: ماض مشرق وحاضر مخيب ومستقبل مجهول:
 الباحث : مامادو دامبلي..... (217)
- 27- مشكلات تعلم اللغة العربية في الصومال:
 د. محمد أحمد إدريس إدريساي..... (230)
- 28- السياسة اللغوية في موريتانيا:
 د. محمد عبد الله محمد الشيخ..... (237)
- 29- اللغة العربية في الكاميرون بين انتشارها ومستواها لدى متعلميها:
 د. مؤمن إبراهيم..... (245)
- 30- الاستعارة التصريحية في شعر الشيخ محمد تكرر هارون الباغوي:
 الباحث : يحيى محمد هارون..... (253)
- 31- الروافد الثقافية التي شكلت شاعرية الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي:
 د. ثريا تجاني كندل..... (261)
- 32- اللغة العربية كجسر للتواصل الحضاري والدبلوماسي "تشاد أنموذجاً:
 د. إسماعيل عيسى يوسف..... (273)
- 33- إسهامات عمر محمد علي الاتيوي في كتابة تاريخ اثيوبيا باللغة العربية :
 أ.د. أحمد عبدالدايم محمد حسين..... (278)
- البيان الختامي للمؤتمر: النتائج والتوصيات:..... (298)